

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ



الجامعة الإسلامية - غزة
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية بكلية أصول الدين
عنوان

قضايا المرأة المسلمة والغزو الفكري

إعداد الطالبة

صفاء عوني حسين عاشور

إشراف

د. صالح حسين الرقب

أستاذ مشارك بقسم العقيدة

كلية أصول الدين

٢٠٠٥ م - ١٤٢٦ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَنِّي وَاجِدٌ
وَبَنَاتِكَ وَسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يَدُنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَهَالِيَّهِنَّ ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرَفَنَّ
فَلَا يُؤْذِنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

(الأحزاب: ٥٩)

﴿وَلَا تَسْمَنُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ
نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾

(النساء: ٣٢)

إِهْدَاءٌ

إلى والدي الكريمين الذين رباني صغيراً، وعلمني كبيراً

إلى كل مسلمة أرادت أن تبصر نور الحق والعدل

إلى كل داعية، لتأخذ بيد التائجين إلى طريق الخير

إلى كل مجاهدة في سبيل نيل المرأة حقوقها كما

أعطتها إياها الإسلام

أهدي بحثي هذا

شکر و تقدیر

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأذكي التسليم، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين، أما بعد.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لا يشك الناس لا يشك الله"^(١) انطلاقاً من قوله صلى الله عليه وسلم أرى لزاماً عليَّ أن أدون شكري وتقديرني لكل من أعاذني على مواصلة المسيرة التعليمية، ولكل من ساهم في إخراج هذا البحث العلمي في أبهى صورة، والله أسأل أن يجزيهم حسن الثواب.

الفضل والشكر لله أولاً وأخيراً أن وفقي لإتمام هذا البحث، ثمأشكر والدي وإخواني وأخواتي وأخوالى وأعمامي وخالاتي الذين شجعوني على مواصلة البحث. وفي هذا المقام أقدم بالشكر والتقدير إلى الجامعة الإسلامية وإلى جميع القائمين عليها من رئيس الجامعة ومجلس الأماناء ومجلس الإدارة، وأخص بالذكر أستاذى الفاضل المشرف على رسالتي الدكتور / صالح حسين الرقب، الذي أولاني برعايته واهتمامه، وإرشاداته القيمة للنهوض بهذا البحث، فكنت أستشيره في كل وقت وفي كل حين، ولا أجد منه إلا سعة الصدر، وحسن القبول والاستقبال، فجزاه الله عنى كل خير.

كما أتوجه بالشكر الجزيل للأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة كل من :

د. محمود الشوبكي، د. خالد حمدان

وذلك على تفضيلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة ليثرياهما باللاحظات والتوجيهات

السدددة

كما أتوجه بالشكر إلى جميع الأخوة في هيئة التدريس بكلية أصول الدين وأخص بالذكر قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة.

ولا أنسى أن أشكر الأخوة والأخوات في مكتبة الجامعة الإسلامية بغزة بجميع أقسامها، لما ييسروه للباحثين حتى تم إنجاز هذا الجهد المتواضع، فجزاهم الله عندي خير الجزاء.

كما أقدم بالشكر للأستاذين الفاضلين / فهد الجمل، خليل نصار، والأخت الفاضلة / أمل الخضرى لما بذلوه من جهد فى تدقيق البحث لغويًا، كما وأنقدم بالشكر لأختي الحببية / أم

^(١) سنن لترمذى، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، رقم الحديث (١٩٦١)، عن أبي سعيد الخدري، ٣٨٣/٣، دار الفكر للطباعة، بيروت - لبنان، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، وقال الترمذى، حسن صحيح.

عبد الله التي ساهمت في تدقيق الطباعة، كما وأشكر الأستاذ الفاضل / أبو أسامة غانم الذي
ترجم لي خلاصة البحث، فجزاهم الله كل خير .
ولا يسعني إلا أن أقدم وافر الشكر وعظيم الامتنان للأخ الفاضل / هاني المصوص
الذي قام بطباعة هذه الرسالة، وأقدم الشكر والتقدير لكل من ساهم وساعد في إنجاز هذا
البحث أو أسدى إليّ توجيههاً أو نصيحة .
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث:

بسم الله وحده، والصلوة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وآلـه
وصحبه أباً بعد،،،

لو تأملنا حال الأمة الإسلامية خلال القرن الأخير، نجد أن أعظم العلل وأشدـها خطراً
هي تلك الأمراض الاجتماعية التي تقـتـلـ بالمـجـتمـعـاتـ، وتسقط الدولـ؛ نـتيـجةـ انـحرـافـهاـ وـغـزوـهـاـ
فكـرياًـ بـواسـطـةـ دـعـاةـ التـغـرـيبـ منـ أـعـدـاءـ الإـسـلامـ.

فـماـ منـ شـكـ أـنـ الغـربـ يـرمـيـ الـعـالـمـ الإـسـلـامـيـ كـلـ يـوـمـ بـوـابـلـ مـنـ سـهـامـهـ الفـكـرـيـةـ فـيـ
صـورـةـ نـشـراتـ خـبـرـيـةـ، وـأـحـادـيثـ إـذـاعـيـةـ، وـتـمـثـيلـيـاتـ وـمـقـالـاتـ، وـصـورـ وـكـتـبـ، وـمـحـاضـرـاتـ
جـامـعـيـةـ، وـدـرـوـسـ مـدـرـسـيـةـ، وـغـيرـ ذـكـرـ أـشـكـالـ الـفـكـرـ وـالـدـعـاـيـةـ الـتـيـ لـقـتـ قـبـولـاًـ مـنـ قـبـلـ
شـرـائـحـ كـبـيرـةـ مـنـ الـمـجـتمـعـاتـ إـسـلـامـيـةـ وـخـاصـةـ الـمـرـأـةـ دـوـنـ تـفـرـقـةـ بـيـنـ مـاـ كـانـ سـمـاًـ قـاتـلـاًـ، وـمـاـ
كـانـ بـلـسـماًـ شـافـيـاًـ، بـلـ وـتـسـعـىـ لـلـاسـتـرـادـةـ مـنـهـ عـلـىـ أـنـ تـقـدـمـ وـتـحـرـرـ.

فـأـعـدـاءـ إـسـلـامـ يـسـعـونـ بـكـلـ وـسـيـلـةـ لـإـفـسـادـ مـجـتمـعـ الـمـسـلـمـينـ، وـلـمـ يـجـدـواـ سـلـاحـاًـ لـبـلـوغـ
أـهـدـافـهـمـ أـمـضـىـ مـنـ إـفـسـادـ الـمـرـأـةـ، وـإـخـرـاجـهاـ مـنـ حـسـنـ عـفـافـهـاـ، وـسـيـاجـ حـيـائـهاـ فـقـدـمـواـ لـهـاـ
الـإـغـرـاءـاتـ الـدـنـيـوـيـةـ الـمـثـيـرـةـ، وـالـزـخـارـفـ الـفـانـيـةـ، وـالـمـوـدـيـلـاتـ الـجـذـابـةـ الـفـاضـحةـ، وـذـلـكـ لـتـلـحـقـ
بـالـمـرـأـةـ الـعـرـبـيـةـ الـكـافـرـةـ الـتـيـ تـرـعـمـ الدـفـاعـ عـنـ حـقـوقـ الـمـرـأـةـ الـمـهـضـومـةـ، وـرـدـ حـرـيـتـهاـ الـمـسـلـوـبـةـ،
وـضـرـورةـ مـساـوـاتـهاـ بـالـرـجـلـ، وـنـظـمـواـ لـذـلـكـ الـمـؤـتـمـراتـ، وـعـقـدـواـ النـدوـاتـ، وـوـضـعـواـ لـهـاـ
الـتـشـرـيـعـاتـ الـمـحـلـيةـ وـالـدـوـلـيـةـ.

وـأـخـطـرـ مـاـ فـيـ الـأـمـرـ أـنـ الـذـيـنـ يـنـادـونـ لـذـلـكـ فـيـ زـمـانـنـاـ هـذـاـ هـمـ أـنـاسـ مـنـ بـنـيـ جـلـدـتـناـ
حتـىـ أـصـبـحـتـ الـمـرـأـةـ نـفـسـهـاـ مـنـ الـمـرـوـجـيـنـ لـهـذـهـ الـأـفـكـارـ الـهـدـامـةـ، تـحـتـ زـخـرـفـ مـاـ يـسـمـىـ
بـالـحـضـارـةـ الـحـدـيـثـةـ، وـالـنـقـدـ الصـنـاعـيـ؛ـ ماـ أـدـىـ إـلـىـ ضـرـبـ إـسـلـامـ، وـالـسـيـطـرـةـ عـلـىـ الـتـعـلـيمـ
وـالـقـافـةـ، وـتـدـمـيرـ الـقـيـمـ الـأـخـلـاقـيـةـ بـيـثـ التـحلـلـ وـالـإـبـاحـةـ وـالـفـسـادـ الـتـيـ تـرـمـيـ إـلـىـ تـحـطـيمـ الـمـرـأـةـ بـلـ
الـأـسـرـةـ وـالـمـجـتمـعـ.

فـلـاـ بـدـ مـنـ إـعـادـ العـدـةـ لـمـوـاجـهـةـ حـرـكـةـ التـغـرـيبـ، وـبـنـاءـ جـيـلـ عـقـديـ يـتـصـدىـ لـالـفـكـرـ
الـمـسـمـوـ وـيـحـيـيـ الـفـكـرـ الـرـبـانـيـ.

سبب اختيار الموضوع:

نظراً لأهمية الموضوع وما للغزو الفكري من نتائج سلبية تشكل خطراً على المرأة المسلمة كان لا بد من إفراده ببحث علمي، وليس كثيراً على المرأة المسلمة أن تضع الباحثة لها دراسة تحمل اسمها، وتكون مرجعاً لها للتعرف على الشبهات والشكوك التي أثيرت حول قضایاها وكيفية مواجهتها.

أهمية الموضوع وأهدافه:

تبرز أهمية الموضوع وأهدافه من خلال النقاط التالية:

١. الغزو الفكري الغربي امتد ليصل إلى المجتمعات الإسلامية وله مقاصده وله أساليبه ومخططاته، التي استهدفت المرأة المسلمة لتحطيم كرامتها وأنوثتها وتغييبها عن عقيدتها السليمة لذا لا بد من التعريف به.
٢. لم يكف الغرب الصليبي عن إثارة موضوع المرأة المسلمة والإلحاح على قضيتها حتى أصبحت قضية عالمية، لذا تتطرق الباحثة في محاولة لتأصيل الفكر الإسلامي، بعرض قضایا المرأة المعاصرة، والرد على الداعوى القائمة بإقامة الحجة عليهم.
٣. محاولة تبصير المرأة المسلمة بما يحاك لها من مؤامرات، وما ينصب لها من شراك، لتكون على بينة من ذلك، ولتأخذ حذرها فلا تنساق وراء الأفكار المعاصرة مهما تزخرفت وتركت، وأخذ العبرة من الواقع المؤسف الذي هبطت إليه المرأة التي تأثرت بهذه التقاليد الفاسدة.
٤. بيان مهمة العلماء والدعاة والجماعات الإسلامية لمقاومة تيار الغزو الفكري والعلومنة الذي يستهدف الحياة الاجتماعية للمسلمين.
٥. تفعيل دور المرأة المسلمة في مواجهة الأخطار التي تهدد كيانها وذلك من خلال وقوفها على أرضية صلبة من صحة العقيدة الإسلامية، ثم تجاوبها النشط للعقيدة بالعمل الصالح والممارسات الإسلامية، وانضباط ذلك كله بالضابط الخلقي.
٦. إثراء المكتبة الإسلامية ببحث جديد يحمل في طياته خيراً للأمة المسلمة.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث في هذا الموضوع لم تعثر الباحثة على أبحاث علمية تخص قضایا المرأة المسلمة والغزو الفكري، فمعظم الدراسات التي تناولت قضایا المرأة غالباً ما تتناول الجانب الفقهي عندما تتحدث عن حقوق المرأة ومكانتها في الإسلام وهي تقوم بالرد على من زعم أن الإسلام هضم حقوق المرأة وطالب بحقوقها تحت مسمى "تحرير المرأة"، وبعض

الدراسات تتناول جانب واحد فقط من قضايا المرأة ؛ لذا تحاول الباحثة جادة في عرض أهم قضايا المرأة المسلمة المعروضة على الساحة وبيان آثار الغزو الفكري المتعلق بها. ومن الجهد السابقة ما يلي :

١ - موسوعة المرأة المسلمة :

الجزء الأول: الحقوق العامة للمرأة : د. صلاح عبد الغني محمد يبين فيه الحقوق العامة للمرأة كحقها في الهجرة والجهاد والحقوق المالية ولا يتطرق إلا لقضية واحدة وهي قضية خروج المرأة للعمل.

الجزء الرابع: وسائل الإسلام في المحافظة على كرامة المرأة : د. صلاح عبد الغني محمد يبين فيه بعض الوسائل التي كانت من أجل تحرير حقيقي للمرأة، ويذكر فيه آراء من الشرق والغرب حول تحرير المرأة.

٢ - رسالة المرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية: هبة رؤوف عزّت، وهي تعرض قضية المرأة في أخطر حلقاتها، وهي حلقة الحقوق السياسية.

٣ - تحرير المرأة في عصر الرسالة: عبد الحليم أبو شقة يبين فيه شخصية المرأة في القرآن الكريم ويستشهد ببعض المواقف الطيبة للمرأة، ونماذج من قوة شخصية المرأة المسلمة ويدرك بعض الشخصيات النسائية.

٤ - غزو في الصميم: للميداني وفي هذه الرسالة بيان لأساليب الغزو الفكري والسلوكي والنفسي والأخلاقي في مجالات التعليم المنهجي والتنقيف العام، وينوه فيه إلى تعليم البنات على أنه من توصيات المؤتمر الأول للتعليم الإسلامي، ويذكر الوسائل التعليمية والتنقيفية المقررة والمسموعة والمرئية بأشكالها وأنواعها، وكيف جعلها الأعداء ضمن وسائلهم للتضليل والإفساد.

٥ - حقوق المرأة وواجباتها في السنة النبوية وهي رسالة للطالب وليد عويضة يستشهد فيها بالأحاديث النبوية المحددة.

٦ - النفقه الواجبة على المرأة رسالة لطالب في كلية الشريعة إعداد : إحسان عاشور .

منهج البحث :

١. تم اتباع المنهج التاريخي وذلك عند الحديث عن نشأة الغزو الفكري وأهدافه وتطور وسائله وبيان آثاره السلبية على المجتمع والمرأة.

٢. تم استخدام الأسلوب الوصفي: وهو نوع من أساليب البحث يدرس الظواهر الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية الراهنة دراسة كيفية توضيح خصائص الظاهرة، وهو يهتم بتحديد دقيق لأنشطة والأشياء والعمليات

والأشخاص كما هي في الوقت الحاضر، لذا يلزم المنهج الوصفي التحليلي للباحثة عند الحديث عن وسائل الغزو الفكري للمرأة؛ لأنه سيحدد الأنشطة والأشياء التي يقوم بها الغرب لإفساد المرأة، وبالمقابل تحدثت الباحثة عن الجهود وأنشطة المبذولة لمقاومة هذا الغزو الفكري.

٣. تم عزو الآيات القرآنية، وذكر اسم السورة، ورقم الآية في الحاشية، لا في المتن.
٤. تم تخريج الأحاديث النبوية التي استدللت بها الباحثة، وعزوها إلى مصادرها الأصلية من كتب المتنون والسنن، وإذا ذكر الحديث لأول مرة فيوثق مصدر الكتاب الذي أخذ منه الحديث، وتكتب المعلومات كاملة عن الكتاب مع ذكر الباب والكتاب، ورقم الحديث، والجزء والصفحة، وإذا تكرر ذكر الحديث يتم الإشارة إلى ذلك في الحاشية (سبق تخريجه في صفحة كذا) من البحث.
٥. تم الحكم على الأحاديث التي وردت عند غير البخاري ومسلم من كتب الصاحح للألباني.
٦. ردت الباحثة على الشبهات التي أثيرت حول قضايا المرأة المسلمة، موضحة موقف الإسلام وحكمه.
٧. قدمت الباحثة لبعض المباحث والمطالب نبذة مختصرة؛ لتكون مدخلاً للموضوع وذلك حسب أهميته.
٨. إذا ورد اسم المصدر أو المرجع لأول مرة، يتم ذكر معلومات كاملة عنه، الاسم والمؤلف ودار النشر ثم الطبعة وتاريخ النشر، وإذا لم يوجد المصدر أو المرجع طبعة أو دار نشر أو تاريخ نشر يكتب كما هو في الحاشية.
٩. تم توثيق المعلومات التي أخذت من شبكة المعلومات الإلكترونية، بذكر اسم الموقع كاملاً ومعلومات كاملة عنه.
١٠. تمت الترجمة للأعلام غير المشهورين، وتم الرجوع إلى المعاجم وكتب اللغة للوقوف على معاني الألفاظ الغامضة.

الصعوبات التي واجهت الباحثة عند كتابة البحث:

لا يمكن للباحث الوصول إلى غايتها ومطلبها بدون صعوبات ومعوقات، ولكن بالاعتماد على الله سبحانه وتعالى والثقة به، ثم بمساعدة مشرفي وفقيهي الله سبحانه إلى تحقيق مبتغايه وسهل لي طريق العلم.
ومن الصعوبات التي واجهت الباحثة:

١. ندرة المصادر في بعض المباحث، لذا تم الاستعانة بشبكة المعلومات الإلكترونية.

٢. صعوبة الاتصال والتواصل مع المشرف نظراً للظروف السياسية التي نعيشها، مما أدى إلى وجود فترات اقطاع عن المشرف، وتم التغلب على هذه المشكلة باستخدام بريد الجامعة، والبريد الإلكتروني.

خطة البحث :

يشتمل البحث على مقدمة وفصل تمهدى وأربعة فصول وهى على النحو التالي:
أولاً: المقدمة وتتضمن أهمية البحث وبواطن اختياره وأهدافه، ثم منهج البحث، والدراسات السابقة والصعوبات التي واجهت الباحثة، وخطة البحث.

وخطة البحث كالتالى:

فصل تمهدى: مكانة المرأة

المبحث الأول: مكانة المرأة عند غير المسلمين

المطلب الأول : مكانة المرأة في المجتمعات القديمة.

المطلب الثاني: مكانة المرأة عند اليهود والنصارى.

المطلب الثالث: مكانة المرأة عند العرب قبل الإسلام.

المطلب الرابع : مكانة المرأة في الحياة العربية المعاصرة.

المبحث الثاني: مكانة المرأة في الإسلام

المطلب الأول : مكانة المرأة في القرآن والسنة.

المطلب الثاني : مكانة المرأة في عهد الخلفاء الراشدين والتابعين.

المطلب الثالث: مكانة المرأة في الحياة الإسلامية المعاصرة.

الفصل الأول: الغزو الفكري على العالم الإسلامي

المبحث الأول : مفهوم الغزو الفكري ونشأته.

المطلب الأول : مفهوم الغزو الفكري

المطلب الثاني: نشأة الغزو الفكري

المبحث الثاني : علاقته الغزو الفكري بالحركات الهدامة.

المطلب الأول: علاقة الغزو الفكري بالصهيونية

المطلب الثاني: علاقة الغزو الفكري بالمسؤولية

المطلب الثالث: علاقة الغزو الفكري بالتبشير

المبحث الثالث: أهداف الغزو الفكري ومخاطرها.

المطلب الأول: أهداف الغزو الفكري

المطلب الثاني: مخاطر الغزو الفكري

المبحث الرابع: وسائل الغزو الفكري.

المطلب الأول: التبشير

المطلب الثاني: الاستشراق

المطلب الثالث: التغريب

المطلب الرابع: إحياء الدعوات الهدامة

المبحث الخامس: رواد الغزو الفكري.

المطلب الأول : رواد الغزو الفكري في مصر

المطلب الثاني: رواد الغزو الفكري في البلاد الإسلامية والערבية الأخرى

الفصل الثاني: أساليب الغزو الفكري للمرأة المسلمة

المبحث الأول : نظرة الغرب للمرأة المسلمة.

المطلب الأول: نظرة المنصفين من الغرب إلى المرأة المسلمة.

المطلب الثاني: نظرة الحاقدين من الغرب إلى المرأة المسلمة.

المبحث الثاني : الجمعيات والاتحادات النسائية.

المطلب الأول: نشأة الاتحادات النسائية العربية.

المطلب الثاني: الجمعيات والاتحادات النسائية الفلسطينية.

المبحث الثالث: المؤتمرات العالمية والإقليمية والندوات.

المطلب الأول: المؤسسات والهيئات العالمية المعنية بالمرأة

المطلب الثاني: نشاطات الأمم المتحدة فيما يتعلق بقضايا المرأة

المطلب الثالث: المؤتمرات الخاصة بالمرأة

المطلب الرابع: الآثار السلبية والأخطار الناتجة عن المؤتمرات العالمية

وإقليمية.

المبحث الرابع: وسائل الإعلام

المطلب الأول: الصحف والمجلات

المطلب الثاني: الإعلام المرئي والمسموع (التلفزيون والإذاعة)

المطلب الثالث: السينما والفيديو

المطلب الرابع: القنوات الفضائية

المطلب الخامس: شبكة المعلومات الدولية

المطلب السادس: الدعاية

المبحث الخامس : التعليم والمطبوعات

المطلب الأول: التعليم

المطلب الثاني: الكتب والمطبوعات

المبحث السادس: إثارة الشبهات حول قضايا المرأة

الفصل الثالث: تفنيد الدعاوى والشبهات المثارة حول قضايا المرأة المسلمة:

المبحث الأول : الحجاب والاختلاط والخلوة

المطلب الأول : الحجاب

المطلب الثاني : الاختلاط والخلوة

المبحث الثاني: الميراث والديمة والشهادة .

المطلب الأول : الميراث

المطلب الثاني : الديمة

المطلب الثالث: الشهادة

المبحث الثالث: المساواة.

المبحث الرابع: القوامة الطلاق والخلع.

المطلب الأول : القوامة

المطلب الثاني: الطلاق والخلع

المبحث الخامس: تعدد الزوجات والزواج المبكر.

المطلب الأول: تعدد الزوجات

المطلب الثاني: الزواج المبكر

المبحث السادس: خروج المرأة من البيت وعملها وسفرها بدون قيد.

المطلب الأول خروج المرأة من البيت

المطلب الثاني: عمل المرأة

المطلب الثالث: سفر المرأة بدون قيد

الفصل الرابع: آثار الغزو الفكري ونتائجها على الحياة الاجتماعية وطرق

مواجهتها:

المبحث الأول : آثار الغزو الفكري ونتائجها على الحياة الاجتماعية:

المطلب الأول : إبعاد المرأة المسلمة عن رسالتها الفطرية.

المطلب الثاني: هدم الأسرة.

المطلب الثالث: السفور والتبرج.

المطلب الرابع: تدمير القيم الأخلاقية.

المطلب الخامس: كثرة المشكلات والأمراض الاجتماعية.

المطلب السادس: علمنة أفكار المرأة.

المطلب السابع: عولمة الحياة الاجتماعية.

٤
المبحث الثاني : طرق ووسائل مواجهة الغزو الفكري على المرأة المسلمة.

المطلب الأول : دور التربية والمنزل

المطلب الثاني: دور المؤسسات والجمعيات النسائية الإسلامية

المطلب الثالث: المؤتمرات والندوات

المطلب الرابع: الإعلام الموجه

الخاتمة:

ويذكر فيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث والتوصيات.

الملاحق والفهارس:

الفصل التمهيدي

مكانة المرأة

المبحث الأول : مكانة المرأة عند غير المسلمين

المبحث الثاني: مكانة المرأة في الإسلام

فصل تمهيدي مكانة المرأة

مقدمة

تعرض الباحثة هنا بعض الحقائق التاريخية التي تظهر الأوضاع السيئة التي عاشتها المرأة في المجتمعات القديمة قبل ظهور الإسلام، ثم تعرض مكانة المرأة ومنزلتها في الإسلام؛ لبيان مدى تكريم الإسلام لها وما قدمه لإعلاء مكانتها الاجتماعية، حيث أعطاها كل حقوقها، والتي تنافق مع فطرتها ومع رسالتها في الحياة الإنسانية، بعد أن كانت قبل الإسلام محرومة مهانة ذليلة فاقدة حريتها وسيادتها.

المبحث الأول

مكانة المرأة عند غير المسلمين

يبين هذا المبحث مكانة المرأة في المجتمعات غير الإسلامية ثم مكانتها عند اليهود والنصارى، ثم عند العرب قبل الإسلام.

المطلب الأول: مكانة المرأة في المجتمعات القديمة.

أولاً: المرأة عند اليونان:

لم تكن منزلة المرأة عند الإغريق تساوي منزلة الرجل، بل كانت منزلتها أقل بكثير، وقد تأثرت مكانة المرأة تبعاً للمراحل التي مر بها هذا العصر وهي:

المرحلة الأولى: في بداية العصر الإغريقي.

المرحلة الثانية: نشأة الحضارة الإغريقية.

المرحلة الثالثة: في أوج حضارة اليونان.

في بداية العصر الإغريقي:

كانت المرأة في غاية الذل والمهانة وسوء الحال في بداية ذلك العصر، في كل جانب من جوانب الحياة الاجتماعية، والرجل هو الذي يتفرد بمنازل العز والكرامة، وكانت الأساطير اليونانية قد اتخذت امرأة خيالية تسمى (باندورا)^(٢) ينبوعاً لجميع آلام الإنسان ومصائبها، وكان لهذه الأسطورة مفعول قوي في حقول القانون والأخلاق والاجتماع، بحيث أثرت على عقولهم وأذهانهم^(٣).

ولم تكن وظيفة المرأة عند الرجل اليوناني إلا إنجاب الأولاد الأصحاء، فإذا أجبت ولداً دمياً أو ضعيفاً كان جزاؤها القتل، لذا كانت تستعار المرأة الولود من زوجها، لتلد

^(٢) باندورا pandore: هي المرأة الأولى في العالم عند اليونان وتقابل حواء التوراة فتحت جرة مغلقة فانطلقت منها ويلات الإشاعة وشرور العالم. المنجد في الأعلام، دار المشرق، بيروت، طـ١٦، ١٩٨٨م، ص ١١٠.

^(٣) انظر الحجاب، أبوالأعلى المودودي، دار التراث للطباعة والنشر، ص.٨. والمرأة بين التبرج والتحجب، محمد أحمد السباعي، السنة الثانية عشرة، الكتاب التاسع، ١٤٠٢هـ، ١٩٨١م، ص ١٥-١٦.

للوطن أولاً أصياء من رجلٍ آخر تحسيناً للنسل، فهي عندهم مخلوقة منحطة لا تنفع إلا لدّواه النسل وتديير المنزل^(٤).

نشأة الحضارة الإغريقية

ارتقت مكانت المرأة قليلاً مع ظهور النهضة وبداية التحضر فأصبحت أفضل حالاً، وأرفع منزلةً من ذي قبل، وكانت محصنة عفيفة، فهي ربة البيت، لا تغادره، وتقوم فيه بكل ما تحتاج إليه الأسرة من رعاية، لكنها حُرمت من الثقافة العامة، وكان الحجاب شائعاً في البيوتات العالية، وكانوا يبنون بيوتهم على قسمين: قسمٌ للرجال وآخر للنساء، وما كان نسواتهم يشاركن في المجالس والأندية المختلطة، ولا يبرزن في الأماكن العامة، وكانوا يعدون زواج المرأة وملازمتها لزوجها دون غيره من أمارات النجابة والشرف. وعرف ازدراء الإغريق لحياة العهر والدعارة واعتبارها مفاسد خلقية، ومع ذلك وجدت بعض هذه المفاسد الخلقية، لكن في نطاق محدود، فمثلاً بعض النساء لم يعجبها أن تبقى حبيسة البيت، فخرجت تعاشر الرجال كاسيةً عارية^(٥).

أما من الناحية القانونية فقد اختلفت معاملة المرأة عند الإغريق في المدينتين الرئيسيتين في أثينا وإسبرطة.

ففي أثينا كانت المرأة عندهم كسقط المتناع تُباع وتُشتري في الأسواق، وهي مسلوبة الحقوق المدنية؛ فلم تُعط شيئاً من الميراث، ولم يخصوها بنصيب من التعليم، بل عدوا من تمّتاز منهن بشيءٍ من العلوم والمعارف لا شرف عندها ولا أخلاق، وليس لها حق في التملك، وتبقى خاضعة للرجل، فعاشت تحت سيطرة أبيها أو زوجها أو ابنها في حال موت زوجها، ولو ليها يستطيع أن يفرض عليها من يشاء زوجاً، وهو الذي يشرف على إدارة أموالها، ولا تتصرف بشيء فيه دون موافقته، وللرجل الحق في الفصل بين الزوجين، أما هي لم تمنح حق طلب الطلاق إلا في حالات استثنائية، بل وضعوا العرافق في سبيل الوصول إلى هذا الحق، ومن ذلك أن المرأة إذا أرادت أن تذهب إلى المحكمة لطلب الطلاق يترصد لها الرجل في الطريق فيسراها ويعيدها قسراً إلى البيت.

^(٤) انظر: موسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة: صلاح عبدالغنى محمد، مكتبة الدار العربية للكتاب، طـ١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ٣/١.

^(٥) انظر: الحجاب، للمودودي، صـ٩ـ٨، المرأة بين الفقه والقانون، د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت-دمشق، طـ٥، ١٩٦٢م، صـ١٣.

وأما في إسبرطة فقد نالت المرأة بعضاً من الحقوق المدنية، فأعطيت شيئاً من الحق في الميراث والبائنة^(٦) (الدلوة)، واعترفوا بأهلية التعامل معها، فكانوا يعلمونها الرياضة البدنية والتمرينات العسكرية، والغاء والإنشاد، ومن باب تكريمهما في التعليم تم عزلها بحيث خصصت مدارس للبنات وأخرى للبنين؛ لأن رأيهم في الاختلاط أنه يعوق الشباب عن البطولة والحياة الجادة، ويشيع بينهم اليونة والميوعة، وعزلت المرأة في مسكن بعيد عن الرجال، وأما الغواني فقد تمتنع في نفس الوقت بأوسع الحريات، فأوسع الرجال لهن في مجالسهم طلباً للاستماع، لذلك انتشرت أنديةهن وزادت شهرتهن في المجتمع الإسبرطي.

ثم تصدرت المرأة المكانة في البيت، وعندما انشغل الرجال في الحروب اضطرت أن تحل محل الرجل في بعض مجالات العمل الخاصة بالرجال، ومن هنا كانت المرأة في إسبرطة أكثر خروجاً إلى الشارع وأوسع حرية من أختها في أثينا وسائر مدن اليونان، وقد عاب أرسطو – من كبار فلاسفة اليونان – هذا التساهل، وهذه الحرية والحقوق التي أعطيت للمرأة حتى أنه عزا سقوط إسبرطة إلى هذه الحرية، وذلك لأنه كان ينظر إلى المرأة كما ينظر للعبيد^(٧).

أوج حضارة اليونان:

في تلك المرحلة خرجت المرأة سافرة، واختلطت بالرجال في الأندية والمجتمعات، مما جعل الشهوات النفسية تتغلب على أهل اليونان، فتبولت العاهرات والمومسات مكانة عالية لا نظير لها في تاريخ البشرية كلها، وأصبحت دور البغايا مراكز يلجم إليها الأدباء والشعراء والفلسفه، وصاروا يرجعون في المسائل الرئيسة التي تحدد مصير الأمة إلى المرأة، وأصبحت المرأة لا ترضى أن تعاشر رجلاً بعينه أكثر من ليلة أو ليلتين، وشاعت الفواحش، وزاد حب أهل اليونان للجمال، ومالوا إلى جسد المرأة فصنعوا تماثيل عارية حركت فيهم الشهوة، وأصبح عامتهم ينظرون إلى عقد الزواج نظرة لامبالاة، ولا يرى إليه حاجة؛ فلا بأس من معاشرة المرأة أو مخانتها عليناً من غير عقد ولا زواج، مما أدى إلى خضوع ديانتهم لأخلاقهم وغراائزهم.

ومما يدل على الانحطاط المعنوي والخلقي الذي وصلوا إليه: أن صوروا إليها يزنني، ويسرق ويشرب الخمر، واتخذوا من (أفروديت) آلهة يقدّم لها جميع آداب العبودية والتذلل والخضوع.

^(٦) البائنة: وتسمى عند اليونانيين الدلوة، وهي ما يكون مع العروس من مال وجهاز عند زفافها. المنجد في اللغة، دار المشرق، بيروت، ط ٢٠، ١٩٨٨م، ص ٥٧.

^(٧) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، د. مصطفى السباعي، ص ٤١، والمرأة في الإسلام، د. علي وافي، دار نهضة مصر، ط ٢، ١٩٧٠، ص ١٨، والمرأة بين التبرج والتحجب، محمد السباعي، ص ١٦-١٧.

إن (أفروديت) في أسطoirهم كانت زوجة لإله، ومع ذلك عاشرت ثلاثة آلهة آخرين، ولم تكتف بذلك فعاشرت رجلاً من عامة الشعب، ونتيجة لذلك ولدت من بطنها (كيوبيد) إله الحب.

وانتشرت عبادة أفروديت في اليونان، وأصبحت الفحشاء والدعارة يُنظر إليها بعين التقدّس والإجلال، وأصبحت أماكن الفجور مراكز للعبادة، وألبسو الزنا كساءً من العمل الديني المبرور، وأصبحت المؤسسات متسلكتات وخادم للمعابد، ثم لم يشع غرائزهم ذلك، حتى انتشر الاتصال الشاذ بين الرجل والرجل، وأقاموا تمثيلاً لرجلين وهما في علاقة آثمة، مما أدى في النهاية إلى انهيار تلك الحضارة.^(٨)

ثانياً: المرأة عند الرومان:

الحضارة الرومانية سليلة الحضارة اليونانية، اقتبسوها من الحضارة الإغريقية لذا فهم ليسوا أحسن حالاً من اليونان في معاملتهم للمرأة، التي لم تحظ عندهم بأي شيء من التكريم. ففي التشريع الروماني كانت المرأة تعد متعاماً مملوكاً للرجل، وسلعة رخيصة يتصرف فيها كيف يشاء ويملك من أمرها ما يريد^(٩).

والنظام الأبوي الذي كان معروفاً لدى الرومان جعل السلطة كلها في يد الرجل عميد الأسرة لا يشاركه فيه أحد، والمرأة زوجة كانت أو ابنة فهي تابعة لعميد الأسرة، والأب ليس ملزماً بقبول ضم ولده إلى أسرته ذكرأً كان أو أنثى، بل يوضع الطفل بعد ولادته عند قدمي أبيه، فإذا رفعه وأخذه بين يديه كان ذلك دليلاً على أنه قبلَ ضمه إلى أسرته، وإنما يعني رفضه، فيؤخذ الوليد إلى الساحات العامة أو باحات الهياكل فيطرح هناك، فمن شاء أخذه إذا كان ذكرأً، وإنما فيؤخذ الوليد يموت جوعاً وعطشاً، أو من شدة حرارة الشمس أو ببرودة الشتاء.

وكان لرب الأسرة أن يدخل في أسرته من يشاء، ويخرج منها من يشاء عن طريق البيع والشراء؛ لذا كان باستطاعة الأبناء الذكور التحرر من سلطة العميد بعد وفاته، فيصبح كل ابن عميداً لأسرته الخاصة.

أما المرأة فلا تستطيع تغيير وضعها فهي إن مات أبوها، انتقلت السلطة عليها إلى أخيها أو إلى زوجها إن تزوجت، وبذلك تظل تابعة للرجل لا تملك من أمرها شيئاً، كان

^(٨) انظر: الحجاب: للمودودي، ص ١٠-٩، والمرأة بين الفقه والقانون، د.مصطفى السباعي، ص ١٤، وموسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغني، ٣٧/١.

^(٩) انظر: موسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغني محمد، ٣٨-٣٧/١، وانظر: الحجاب، للمودودي، ص ١٠، والمرأة بين الفقه والقانون، ص ١٥.

الرجل يتصرف في المرأة كما يتصرف في الرقيق والحيوان والجماد، وهذه السلطة سلطة ملك لا حماية، فهي تشمل البيع، والنفي، والتعذيب، والقتل. (١٠)

وقد قرر أحد مجتمعهم الديني أن المرأة لا روح لها ولا خلود، ولكن يتحتم عليها العبادة والخدمة، وكانوا يعدونها شرًا يجب تجنبه، وأنها مثار للشهوة، وأنها شيطانة، وهي رجس، لا سلطان لها على أنوثتها، ويجب ألا تأكل اللحم، وألا تضحك، وألا تتكلم، لأن كلامها أداة للإغراء، وكأن الله حرم عليها النطق ولو بخيرٍ، أو تدل عليه، وعليها أن تمضي أوقاتها في الخدمة والخضوع^(١١).

واعتبر القانون الروماني "الأوثة" سبباً من أسباب انعدام الأهلية والحرج، ولم يكن للمرأة الحق أن تباشر أي شأن من شأنها العامة، فمثلاً ليس لها حق التوظيف، والشهادة، أو التوقيع على وصية، ولا ترث أرضاً ولا عقاراً، وأنَّ الذي يستحق أن يرث هو الرجل، لأنَّه يقوم بحماية الحمى ورعاية الأولاد، والدفاع عن القبيلة، أما المرأة فقد خلقت للبيت ورعاية الأولاد.

وكان رب الأسرة هو مالك كل أموالها، فليس لفرد فيها حق التملك، وهو الذي يقوم بتزويج الأبناء والبنات، دون إرادتهم، ولم يسووا بينها وبين الرجل في عقوبة الزنا، فعقوبتها أن تصبح مالاً مباحاً يستبيحها أي راغب، ثم استبدلت بعد ذلك بالنفي المؤبد، أما الرجل فعقوبته على الزنا إسقاط حقه فيما آل إليه من مالٍ بسبب الزواج^(١٢).

فلما تقدم الرومان خطوات في سبيل المدنية والحضارة، تخففت القسوة في السلطة المنوحة للرجل، وبدأت الكفة تميل إلى الاستواء والاعتدال شيئاً فشيئاً، وإنْ بقي نظام الأسرة القديم على حاله، ولم يكن الحجاب عند الرومان معمولاً به كاليونان، ومع ذلك قيدوا النساء والشباب عامة بقيود مقللة من نظام الأسرة، للحفاظ على عفة المرأة وخلُقها.

ورغم وجود طبقة المؤسسات بينهم، وإعطاء الرجل نوع من الحرية في مخادرتهن إلا أنَّ عامة الرومان نظروا إليهن نظرة احتقار وتعيير لمن خادنهن.

^(١٠) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، د. مصطفى السباعي، ص ١٥، والمرأة في الإسلام، علي عبدالواحد، ص ١٨، والمرأة بين التبرج والتحجب، محمد السباعي، ص ١٩.

^(١١) انظر: موسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغني محمد، ٣٨/١.

^(١٢) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، د. مصطفى السباعي، ص ١٥، والمرأة بين التبرج والتحجب، محمد السباعي، ص ٢٠.

وقد حدث موقف ذات مرة أنّ عضواً في مجلس الشيوخ قبل زوجته أمّا ابنته، فغضب القوم عليه، وحكموا على صنيعه بأنّه غضبٌ من كرامة الخلق القومي وإهانة له، وأمضوا قرار النكير عليه في مجلس الشيوخ.

وتطرّرت الأمور عندهم فنظموا العلاقات الزوجية، فمثلاً أصبح غير مباح أن يعاشر الرجل المرأة بدون عقد زواج، وأصبح للأم مكانة طيبة في المجتمع الروماني.

وبتبدلت نظرة الرومان في النساء بتطوير الحياة، وأثر ذلك على نظمهم وقوانينهم المتعلقة بالأسرة، ومنها: عقد الزواج والطلاق، فلم يبق لعقد الزواج عندهم معنى سوى أنه عقد مدني فحسب، يتوقف بقواته ومضييه على رضا المتعاقدين، وأصبحوا لا يهتمون بتباعات العلاقة الزوجية إلا قليلاً، ومنحت المرأة جميع حقوق الإرث والملك، وجعلها القانون حرّة طلقة لا سلطان عليها للأب الروماني أو الزوج^(١٢).

وكان الزواج العرفي سائداً، واعترف به الرومان كالزواج الشرعي، إلا أن الفرق بينهما أن رجال الدين كانوا لا يتدخلون فيه، بل يكتفي فيه اتفاق الطرفين ولهمما الحق في الرجوع فيه.

وكانت النساء تُفرضن أزواجاًهن بالربا الفاحش حتى يصبح الأزواج عبيداً لهن في ميادين العمل والحياة، ويعود عليهن بالثراء الفاحش.

وانتحر الطلاق عندهم انتشاراً واسعاً، حيث سهل أمره تسهيلًا وأصبح شيئاً عاديًّا يُلْجأ إليه لأتفه الأسباب^(١٤).

وقد بلغ من كثرة الطلاق أن جعلت النساء يعدن أعمارهن بأعداد أزواجاًهن، وكانت المرأة الواحدة تتزوج رجلاً بعد الآخر، وتمضي في ذلك من غير حياء، فقد ذكر عن امرأة كان لها عشرة رجال، وغيرها كان لها ثمانية أزواج في خمس سنوات، وأعجب من كل ذلك ما ذكره أحد القديسين عن امرأة تزوجت في المرة الأخيرة الزوج الثالث والعشرين، وكانت هي أيضاً الزوجة الحادية والعشرين لبعضها.

وقد بلغ بهم التطرف في آخر الأمر أن أصبح كبار علماء الأخلاق عندهم يعدون الزنا شيئاً عاديًّا، فأحدهم يجهر بجواز افتراض الفحشاء في عصر الشباب، وأخر يرى عدم تقدير الشباب بأغلال الأخلاق، ويشير إلى إطلاق العنان لهم في هذا الشأن، فأحد المتشددين في باب

^(١٣) انظر: الحجاب، للمودودي، ص ١١.

^(١٤) انظر: المصدر السابق، ص ١١، وموسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغني محمد، ٣٨/١.

الأخلاق يقول لتلاميذه مرشدًا ومعلمًا: "تجنوا معاشرة النساء قبل الزواج إن استطعتم، ولكن لا ينبغي أن تلوموا أحداً أو تؤنبوه إذا لم يتمكن من كبح جماح شهواته" ^(١٥).

فالذي يفعل الفاحشة كان لا يعاقب ولا يلام، مما أدى إلى اندفاع تيار من العري والتبذل، والفواحش وجموح الشهوات، وأصبحت المسارح مظاهر للخلاعة والتبرج والعري، وزينت البيوت بصورٍ ورسوم سافرة تدعو إلى الفجور والدعارة والفحشاء، وراجت مهنة المومسات والداعرات، وانجدبت إليها نساء البيوتات الرفيعة، وتمادي الرومان وتفشي الزنا إلى أن اضطر القوم إلى وضع قانون خاص يمنع نساء البيوتات الرفيعة من احتراف هذه المهنة.

ونالت مسرحية (فلورا) ^(١٦) حظوة عظيمة لدى الرومان لكونها تحتوي على سباق النساء العاريات، وكذلك انتشر استحمام الرجال والنساء في مكانٍ واحد على مرأى ومشهد من الناس.

وأصبح سرد المقالات الخليعة والقصص الماجنة العارية شغلاً مقيولاً لا يتحرج منه أحد، بل الأدب الذي كان يتلقاه الناس بالقبول والرضى -يعبر عنه اليوم بالأدب المكشوف- هو الذي يتتبّع فيه أحوال الحب والعناق والتقبيل.

ونتيجة لأنغماسهم في الشهوات البهيمية زالت دولة الرومان، وتمزق جمعها كل ممزق ^(١٧).

ثالثاً: المرأة عند الفرس:

لم تكن المرأة الفارسية في مكانٍ تختلف عن مثيلاتها في المجتمعات القديمة، حيث قرر الفرس بعد جدال ونقاش أن المرأة إنسان، إلا أنها خلقت للذل والهوان، ولتكون في خدمة الرجل، وتحت أمره ونهيه يتصرف فيها تصرفه في السلعة، وله أن يحكم عليها بالموت.

ومن تقاليد الزواج عند الفرس أن يتزوج الرجل بأخته وابنته، ويبينون زواج الأمهات، والجمع بين الأخرين.

وكان تعدد الزوجات والتسرى ^(١٨) واتخاذ الخليلات مباحاً في شريعة زرادشت ^(١٩).

^(١٥) الحجاب: للمودودي، ص ١٢-١١، وانظر: موسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغني محمد، ١/٣٨-٣٩، عن مبادئ القانون الروماني.

^(١٦) Flores: إلهة الزهور عند الرومان، إليها تتسب أعياد "الفلوراليا" في الربع. المنجد في الأعلام، ط ١٦، ص ١٤.

^(١٧) انظر: الحجاب، للمودودي، ص ١٢.

وكان الحجاب مفروضاً على نساء الطبقة الراقية، ولم يكن خروج النساء إلا في الهوادج، وكان محظوراً عليهم أن يخالطن الرجال في أي مجتمع خاص أو عام، حتى كانت تُمنع من رؤية أبيها أو أخيها.

أما الفقيرات من النساء فكانت لهن الحرية في التنقل، وكذلك المومسات والخليلات. وكانت ولادة البنات تُحزن البيت، حيث كانوا يتشارعون منها عن الولادة، لأنهن ينشأن لغير بيوتهن، كانوا يقدمون القرابين لمولد الولد بخلاف البنت، وليس لها إذا كبرت أن تختر زوجها.

ولم يكن الزنا جريمة يعاقب عليها؛ بل كان الفقير يرسل زوجته ليستغنى بعملها، وإذا حملت من الزنا فإن الأولاد ينسبون إلى الزوج الأول^(٢٠).

رابعاً: المرأة عند الهند:

كانت نظرية الهند إلى المرأة بين الإفراط والتقييد، فهي ذليلة مهينة ليس لها حق الاستقلال عن أبيها أو زوجها أو ولدها، فإذا مات هؤلاء وجب أن تتتمي إلى رجل من أقارب زوجها، وهي قاصرة طيلة حياتها، وتحرم من حقوق الملكية والإرث، وتبقى ملكاً للرجل مدة حيازته حتى آخر أنفاسها^(٢١).

ومما يدلل على ذلك ما جاء في شرائع مانو إله الهند حيث يقول: "تخضع المرأة في طفولتها لأبيها، وفي شبابها لزوجها، وفي تأيمها لأبنائها، وفي تلكها لأقرباء زوجها، ولا يجوز ترك أمرها لها، وتعد المرأة زانية إذا خلت بالرجل مدة تكفي لإنضاج بيضة، وتحرم من حقوق الملكية والإرث"^(٢٢).

^(١٨) التسري: إعداد الأمة أن تكون موطوءة بلا عَزْل. التعريفات: للجرجاني، ت ٨١٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ٦١.

والتسري من سرر والسّر: الجماع، وتسري تسرياً: اتخاذ أمةً للجماع وأصل التسري: التسرر، معجم لغة الفقهاء (عربي - إنجليزي)، وضع د. محمد رواس قلعة جي، وحامد صادق قنبي، دار النافائس، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥، ص ١٣٠.

^(١٩) زرادشت: (ت نحو ٥٨٣ ق.م.): مصلح ديانة الفرس الأقدمين (الديانة الأولى)، انظر: المنجد في الأعلام، ط ١٦، ص ٢٧٨.

^(٢٠) المرأة بين التبرج والتحجب، محمد السباعي، ص ٢٣-٢٤، والإسلام وقضايا العصر، د. إبراهيم الدبو ومؤلفون آخرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، ص ١٠.

^(٢١) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، مصطفى السباعي، ص ١٨، والحجاب، ص ١٩.

^(٢٢) موسوعة المرأة المسلمة: الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغني محمد، ٣٩/١.

"وهكذا كانت كل حقوق المرأة منوطه بزوجها وكانت تابعة له، وهذا ما كان معروفاً عندهم بـ "الموشكا" أي الانفصال عنها".^(٢٣)

"ويرى علماء الهند الأقدمون أن الإنسان لا يستطيع تحصيل العلوم والمعارف ما لم يتخلى عن جميع الروابط العائلية".^(٢٤)

والمرأة عندهم مادة الإثم، وعنوان الانحطاط الخلقي والروحي، ولا خير فيها، ونصلت شرائع مانو على: "أن الوباء والموت والجحيم والسم والأفاعي والنار خيرٌ من المرأة"^(٢٥)، كما جاء: "أن الزوجة الوفية يجب أن تخدم زوجها كما لو كان إلهًا، وألا تأتي شيئاً من شأنه أن يؤلمه، حتى إن خلا من الفضائل، وعلى المرأة أن تخاطب زوجها في خشوع فاتحة له: يا مولاي وأحياناً يا إلهي، وتمشي خلفه بمسافة ولا تتكلم معه، ولا تأكل معه، بل تأكل مما يتبقى منه".^(٢٦)

وجاء أيضاً في أساطير مانو: "أن مانو عندما خلق النساء فرض عليهن حب الفراش والشهوات الدنسة، والغضب، والتجرد من الشرف، وسوء السلوك، فالنساء دنسات كالباطل نفسه، وهذه قاعدة ثابتة".^(٢٧)

ومما يؤكد هضم حقوق المرأة الهندية القديمة عقيدة نيوك، التي هي في الواقع نوع من الإهانة لعفة المرأة، حيث تقول: "تتمكن المرأة أن تضطجع مع رجل أجنبي من أجل إنجاب الأولاد إذا لم يكن عندها ولد".^(٢٨)

والمرأة في الهند لم يكن لها حق الحياة بعد وفاة زوجها، بل يجب أن تموت يوم موت زوجها، وأن تحرق معه، وهي حية على موقد واحد، واستمرت هذه العادة حتى القرن السابع عشر، حيث أبطلت على كره من رجال الدين الهنود. وإذا رضيت أن تعيش بعد زوجها، فهي قد تخففت من الموت المادي إلى نوع من أنواع الموت المعنوي، فعليها أن تحلق رأسها،

(٢٣) المرأة بين الجاهلية والإسلام، سعد صادق محمد، إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامية، مكة المكرمة، العدد ٧٥، جمادى الثاني، ١٤٠٨هـ، يناير ١٩٨٨م، ص ١٠.

(٢٤) المرأة بين الفقه والقانون، ص ١٨.

(٢٥) موسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغني محمد، ٣٩/١.

(٢٦) نفس المصدر السابق، وحقوق المرأة المسلمة في المجتمع الإسلامي، مصطفى بغدادي، المنظمة الإسلامية، ط ١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، ص ٢٤.

(٢٧) موسوعة المرأة المسلمة، صلاح عبد الغني محمد، ٤٠-٣٩/١، عن حضارة الهند، لول دبورانت، ترجمة زكي محمود، وحقوق المرأة المسلمة في المجتمع الإسلامي، ص ٢٤.

(٢٨) حجاب المسلمة بين انتقال المبطلين وتأويل الجاهلين، د. محمد فؤاد البرازى، مكتبة أصوات السلف، الرياض، ط ٣، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ٥٦-٥٥/٢.

أو تجدع أنفها أو تضم أنفها، أو تشوه وجهها لكي تضمن لا ينظر الرجل إليها بعد زوجه، وقد منعت ذلك الحكومات المسلمة التي تولت إدارة الهند قبل استعمارها من الإنجليز عام ١٨٥٧ م.

وكانت المرأة تُقدم قرباناً للآلهة لترضيها، لتأتي بالمطر أو الرزق، وفي بعض شرائع الهند القديمة شجرة يجب أن يقدم لها أهل المنطقة فتاة تأكلها كل سنة^(٢٩).

وتعد الشريعة الهندية البرهامية^(٣٠) الاستيلاء على المرأة بالقوة وسيلة مشروعة لاتخاذها زوجة في طبقة الكشترين أي رجال الحرب، فقد ورد في المادة الثالثة والثلاثين من الكتاب في قوانين مانو: "إذا استولى رجل على امرأة بالقوة، وسباها من منزل أهلها وهي تبكي وتصرخ في طلب النجدة، وانتصر على من حاولوا مقاومته، فقتلهم، أو جرهم، فإن طريقته هذه تسمى (طريقة الجبارية، أو العمالقة)".^(٣١)

خامساً: المرأة عند الصينيين:

كانت تحتل المرأة في المجتمع الصيني مكانة مهينة، ولقد كتبت إحدى سيدات الطبقة العليا بالصين رسالة قديمة تصف فيها مركز المرأة فكان مما جاء فيها: "تشغل نحن النساء آخر مكان في الجنس البشري ويجب أن يكون من نصيبنا أحرق الأعمال".^(٣٢)

ومن أغانيهم: "ألا ما أتعس حظ المرأة، ليس في العالم كله شيء أقل قيمة منها، إن الأولاد - يقصد الذكور - يقرون متkickين على الأبواب لأنهم آلهة سقطوا من السماء أما البنت فإن أحداً لا يسر بموالدها، وإذا كبرت اختبأت في حجرتها تخشى أن تنظر في وجه إنسان، ولا يبكيها أحد إذا اختفت من منزلها".^(٣٣)، وما يدل على احتقارها عندهم المثل الصيني القائل: "أنصت لزوجتك ولا تصدقها".^(٣٤).

سادساً: المرأة عند البابليين:

^(٢٩) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، مصطفى السباعي، ص ١٨، والمرأة بين التبرج والتحجب: محمد السباعي، ص ١١، وموسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغني، محمد، ٤٠/١.

^(٣٠) أسمى الطوائف عند الهندوس. المنجد في الأعلام، ص ١٢٤ .

^(٣١) حقوق المرأة المسلمة: مصطفى بغدادي، عن الأسفار المقدسة، ص ٢٥

^(٣٢) الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة، البهوي الخولي، مكتبة دار التراث - القاهرة، ط ٤، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م، ص ١٠-١١ .

^(٣٣) المصدر السابق، ص ١١ .

^(٣٤) موسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغني، ٤٠/١

رفعوا منزلة المرأة، واستطاع (حمورابي)^(٣٥) أن يشرع للمرأة قانوناً يرتفع بمكانتها إلى الدرجة العظمى من الاستقلال والحرية، فقد اعترفت شريعة حمورابي أن الزواج ليس إلا تعاقداً بين المرأة والرجل، وأنه ليس للزوج أن يتزوج بأكثر من واحدة، ما لم تكن عاقراً أو مريضة، بمرض لا أمل في الشفاء منه، كما كان الرجل مسؤولاً عن زوجته في الكفالة والحماية، أما الطلاق فكان مباحاً في حدود، وكان لها الحق في حضانة الأولاد، فإذا ثبتت الزوج أنها شريرة استطاع أن ينزلها منزلة الإماء، وكانت تحل محل زوجها في ملكيته إذا مات، كما كان لها الحق في أن تتولى المناصب المختلفة، كما كان لهن الحق في الانتظام في سلك الكهان، وكانت المرأة مساوية للذكر في الميراث^(٣٦).

سابعاً: المرأة عند قدماء المصريين:

كانت المرأة المصرية تتمنع بموقع متقدم نسبياً في مجتمعها عن المرأة عند غير المصريين، حيث كانت البيئة زراعية في ذلك الوقت، والحياة مستقرة، فكان لها في هذه البيئة مكان القدسة لما بينها وبين الأرض من علاقة الإنتاج والولادة.

لقد أعطيت المرأة حق التملك والميراث، وحملت مسؤولية تجاه والديها ومجتمعها، وكانت تتولى الملك إذا فقد الوارث من الذكور، وكانت تشارك في الحياة العامة وفي شتى الأعمال المناسبة لقدراتها خارج إطار عملها المنزلي، ولكنها في هذه الحياة تتشبه بالملوك كما فعلت الملكة (حتشبسوت) وكانت تتال من السلطة والتكريم أكثر مما ينال الرجل.

أما وضعها كزوجة: فلها مكانة عظيمة عندهم، حيث تتمتع بالحرية، فكان لها حق التصرف في بيتها، وهي صاحبة الكلمة العليا فيه، لذا كانت تلقب بربة البيت أو سيدة البيت؛ لأنها سيدته وصاحبة الأمر فيه، وكانت بالنسبة إلى زوجها أختاً وحبيبةً، وكانت تحضر مع زوجها الحفلات العامة، وتكون بجانب رجلها أينما وجده^(٣٧).

وقد عثر على أوراق بردية قرب طيبة جنوب مصر فيها كثير من النصائح والحكم، وكانوا يوصون بإكرامها وإعزازها ومن وصايتها: "إذا كنت عاقلاً فأجد تموين بيتك، وأحب

^(٣٥) أشهر ملوك الدولة البابلية، قضى على الإمارات الصغيرة وحقق وحدة ما بين النهرين، اشتهر بشرائعه الإدارية والاجتماعية. المنجد في الأعلام، ص ٢٢٥.

^(٣٦) انظر: المرأة بين التبرج والتحجب، محمد السباعي، ص ١٢، وموسوعة الأسرة المسلمة، ج ١، ص ٨٠ - ٨١.

^(٣٧) انظر: مجلة عالم الفكر، المرأة، المجلد السابع، العدد الأول، تصدر عن وزارة الإعلام في الكويت، مايو - يونيو ١٩٧٦م، ص ٤٣.

امرأتك ولا ت Clashها، وغذّها وزينها وعطرها ومتعبها ما حبيت، فهي ملك يجب أن تكون جديرة بالملك، ولا تكون معها فظاً غليظاً^(٣٨).

وابتغى "باتح حتب"^(٣٩) حكيم القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد أن يصور لابنه حقوق الزوج والزوجة فشفع عبارة: "أحبب زوجتك في حدود العرف، أو عاملها بما تستحق" ثم أتبع قوله: "أشبع جوفها، واستر ظهرها، وعطر بشرتها بالدهن والعطر، فالدهن طريق بدنها، وأسعدها ما حبيت، فالمرأة حقل نافع لولي أمرها، ولا تتهمنها عن سوء ظن، وامتحنها تضعف شرّها، فإن نفرت راقبها واستمل قلبها بعطائك تستقر في دارك، وسوف يكيدها أن تعاشرها صرة أخرى"^(٤٠).

ومن وصايا حكيم فرعوني لابنه: "اتخذ لك في شبابك زوجة تلد لك أبناء، فإن أحسن شيء في الوجود هو بيت الإنسان الخاص"^(٤١).

أما مكانة الأم عندهم فكانت مرموقة، لا تقل كثيراً عن مكانة الأب، وقد ظهرت هذه المكانة في صورهم وتماثيلهم، وقد دلت الصور أيضاً على احترام الولد لها، فظهر راكعاً أمامها، يقبل يدها، وكانت مساوية للرجل في الحقوق، فكانت البنت ترث مثل الولد، كما كان نصيب الأم أكبر من نصيب البنت أو الولد، واعتبرت كاملة الأهلية، فلها أن تبيع وتشتري وتُقاضي دون إذن من الأب أو الزوج، ولم يكن تعدد الزوجات مباحاً، وكان هذا في عصر ما قبل الأسرة الخامسة.

وما أن جاءت الأسرة الخامسة حتى تحولت البلاد إلى نظام إقطاعي يصاحبه الظلم، واستمر ذلك حتى نهاية الأسرة العاشرة، حيث عم الفساد في ظل الإقطاع، لذا تغيرت نظرة الرجل للمرأة، فأصبح تعدد الزوجات، وقد عبرت الصور عن ذلك، فظهر فيها الرجل تحبظ به زوجات كثيرات، ولم تكن المساواة بين الزوجات قائمة، ثم أصبح للرجل أن يعاشر من النساء من يشاء بلا رقيب، فعرفت المحظيات اللائي يتمتع بهن الرجل دون أن يكون لهن حقوق الزوجة الشرعية، ولا حتى الاعتراف بأبنائهن، فكثر بذلك عدد الضحايا المشردين من الأطفال، إذ لم يكن لهم ولا لأمهاتهم الحق في الاعتراف بحقوقهم.

^(٣٨) مجلة عالم الفكر، المرأة، ص٤٣، والمرأة بين التبرج والتحجب، محمد السباعي، ص١٢-١٣، وموسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغني محمد، ٧٩/١.

^(٣٩) باتح: معيود مصري، كان هيكلاً في سيف هو رئيس الثالث المكون منه ومن زخمة وابنها نفرتوم. رب الصناعات وحامى الصناعيين. المنجد في الأعلام، ص١١٢.

^(٤٠) مجلة عالم الفكر، ص٤٣، وانظر: موسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغني محمد، ٧٩/١.

^(٤١) موسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغني محمد، ٨٠-٧٩/١.

أما الزوجة الشرعية فكانت تخضع لزوجها كوصي عليها، فإذا مات انتقل خصوصيتها لابنها الأكبر أو لوصيه، وقد كانت تعد ناقصة الأهلية، لذلك لم يكن لها حق الميراث في العقارات، ولا حق البيع والشراء بدون إجازة الوصي، ولم يكن يحاسب الوصي على إساءة التصرف في مالها. ونتيجةً لذلك قامت ثورة عنيفة على الإقطاع، وعمت الفوضى، فسطا اللصوص على الأغنياء، وانقم الجواري من النساء الموسرات، فسرقن حليهن، وترك القوم الزراعة لفقدانهم الأمان والطمأنينة، ثم انتهت هذه الموجة بانتصار الفلاحين والعمال^(٤٢).

ولم يدم هذا الحال طويلاً: فقد غزا الهكسوس مصر، واستمروا بها مدة قرنين، ولم تأت هذه الفترة بجديد للمرأة، فكانت تعيش في كنف رب الأسرة، كما كان تعدد الزوجات سائداً بين الأثرياء، وكان الزواج يتم في حضور أقرباء الزوجين.

وكان للرجل أن يتزوج من أخته أو بنت أخته، وكان نظام الخليلات قائماً كما في الأسرة الخامسة، ولكن سُمح لهن في هذه المرحلة بالإقامة في بيت الأسرة، ونلن معاملة أحسن مما كانت عليه من قبل، وكان للزوج أن يؤدب زوجته بالضرب الخفيف إذا ارتكبت ذنبًا.

واستمر هذا الوضع حتى الأسرة الحادية والعشرين، فخضعت المرأة في مصر العليا في شئون الزواج للإجراءات الدينية، إلا أنَّ تعدد الزوجات كان لا يزال قائماً، والطلاق مباحاً، والتسرِي أكثر انتشاراً، وخضعت المرأة للزوج ثم لابنه البكر من بعده كسابق عهدها، وكان الابن الأكبر هو الوارث الوحيد لأموال الأسرة.

أما في مصر السفلی فقد أعطيت المرأة أهليتها الكاملة، وسُوِّيَّ بين الذكر والأنثى^(٤٣).

وكان تكرييم المرأة عند قدماء المصريين في حياتها وبعد وفاتها، ومما يدل على ذلك كتب قائد عسكري إلى روح زوجته يقول: "لم أتخل عنك، ولم أدخل إلى قلبك أَيْ هم، ولم أُخفِ عنك طوال حياتك شيئاً، لم أفعل بك سوءاً ولم أخنك، وعندما حضرت كانت روحك قد صعدت إلى السماء فبكيناك كثيراً من أهلي أمام منزلي، واستحضرت ملابس وأقمشة يلفون بها جسدك الطاهر، ولم أدع شيئاً حسناً إلا فعلته لك"^(٤٤).

ثامناً: المرأة عند السومريين في بلاد ما وراء النهرین:

^(٤٢) انظر: المرأة بين التبرج والتحجب: محمد السباعي، ص ١٣ - ١٥.

^(٤٣) انظر: المرأة في التاريخ والشريعة: د. أسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت، لبنان، ١٤١٠ هـ، ١٩٨٩ م، ص ٢٠ - ٢١.

^(٤٤) المرأة بين التبرج والتحجب، ص ١٥.

كان حال المرأة عند السومريين^(٤٥) سيئاً للغاية، فالرجل عندهم هو السيد المسيطر، والمرأة من جملة ملكيات الرجل يتصرف بها على هواه كيف يشاء، فمن حقه أن يقتل زوجته، أو يبيعها أمةً، كي يسد ديونه، كما استبعدت من الميراث.

وكان قانون العقوبات لصالح الرجل، ويسوّغ له أن يرتكب الحماقات والفواحش، فمثلاً إذا زنا يصفح عنه، ويُعَذَّ ذلك نزوة من نزواته، بخلاف الزوجة فإن عقوبتها الإعدام.

ومما يدعو للستغراب أنهم كانوا يسهلون الدعاية لكهنتهم في المعابد، ولا يرون في ذلك أي عارٍ أو عيب، ولم تكن الفتاة السومرية ترى شيئاً من العار في أن تخدم الهياكل، فمنهن خادمات، ومنهن سراري للآلهة أو ممثليهم^(٤٦).

وكان الأب يفخر بأن يهب جمال ابنته ومفاتنها للكهنة لتخفيض ما يعتري حياة الكهان المقدسة من ملل وسأم، ويحتفل بإدخال ابنته في هذه الخدمة المقدسة، واستمر نظام عاهرات المعابد عندهم قروناً عديدة، حيث ربطوا استباحة التمتع بالمرأة بمعابدهم، وجعلوا ذلك من حقوق الآلهة، وأصبح عملاً له طابع القداسة في شرائعهم، ولا يحق لأحد رفضه^(٤٧).

المطلب الثاني: المرأة عند اليهود والنصارى:

أولاً: المرأة عند اليهود:

رغم أنبني إسرائيل كانت لديهم رسالة سماوية وكتاب مقدس إلا أنهم آمنوا ببعض هذا الكتاب وكفروا ببعضه، وحرفوا وبدلوا فيه، وأكّد هذه الحقيقة القرآن الكريم حيث قال الله تعالى: «مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ»^(٤٨)، وتحريفهم هذا أثر على مكانة المرأة بحيث جعلهم يحتقرنها ويذلونها، حيث جاء في أسفارهم: "درت أنا وقلبي لأعلم وأبحث، ولأطلب حكمةً وعقلاً، ولأعرف الشر أنه جهالة، والحقيقة أنها جنون، فوجدت أمرًّا من الموت المرأة، المرأة التي هي شباك، وقلبها أشراك، ويداها قيود. الصالح قدّام الله ينجو منها، أما الخطأ فيؤخذ بها"^(٤٩).

^(٤٥) السُّوْمُرِيُّون: شعب إيراني الأصل استوطن جنوبى ما بين النهرين أوائل الألف ٤ ق.م.، أسسوا مدنًا مشهورة منها: أور، كيسن، أروك، لكسن، وبنوا حضارة غنية واسعة، أنهى سعادتهم ظهور الشعوب السامية. المنجد في الأعلام، ص ٣١٦.

^(٤٦) انظر: موسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغني محمد، ٨٠/١.

^(٤٧) نفس المصدر السابق، ٨٠/١

^(٤٨) سورة النساء، الآية (٤٦).

^(٤٩) الكتاب المقدس، سفر الجامعة، الإصلاح السابع، الفرقان ٢٥، ٢٦.

وأيضاً يتهمون المرأة أنها وراء المعصية الأولى التي حصلت في الجنة عندما نهى الله تعالى آدم وحواء بآلا يأكلها من الشجرة، فأتى إيليس في صورة حية وغرر بحواء فاستجابت لندائها، وأكلت ثم أطعنت آدم، فكان الهبوط من الجنة وكانت الخطيئة في الأرض، لقد جاء في سفر التكوين أن الرب سأله آدم: "هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها، فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت" فقال الرب الإله للمرأة: ما هذا الذي فعلت، قالت المرأة الحية غرستني فأكلت... قال للمرأة: تكثيراً أكثر أتعاب حبك بالوجع تلدين أولاداً. وإلى رجل يكون اشتياقك وهو يسود عليك" ^(٥٠).

آدم برئ من الخطيئة، وحواء مسببها لذلك كتب الله عليها الآلام والأوجاع أثناء الحمل عقاباً لها.

فهذه العقيدة المحرفة جعلتهم يقونون من المرأة موقف الحذر والشك، ويتعاملون معها على أنها دون الرجل، ويلتصقون بها كل موقف فيه انحراف أو معصية أو ذلة أو عار، وما ذلك إلا لاعتقادهم أن المرأة منبع الخطايا، وسبب الآثام والرذائل ^(٥١).

ويعجب المرء مما نسبته توراتهم المحرفة إلى نبينا لوط عليه السلام وابنته، مما يطعن في نبوته، وأخلاق ابنته، حيث يتهمون ابنتي لوط أنهما ارتكبا الفاحشة مع أبيهما بعد سقيه خمراً من أجل إحياء نسل أبيهم ^(٥٢).

وهذه القصة في مفهومها عندهم تحمل معنى الخطيئة الملصقة دوماً بالمرأة، حيث وصلت المرأة إلى مستوى أباحت لنفسها مضاجعة أبيها والحمل منه، وهمما ابنتنانبي فكيف ببنات الناس الآخرين؟!

ومن شرائعهم المحرفة: احتقارهم للمرأة واعتبارها نجسة طوال فترة حيضها، فلا يأكلون من يدها، ولا ينام معها زوجها في فراش واحد ^(٥٣). ويتكرر ظلمهم للبنت حيث يعتبرونها متاعاً، مسلوبة الأهلية، تورث كما يورث المtau، وهي فاصرة وللوارث أن يبيعها أو يحبسها وكانت سلطة الآباء على بناتهم مطلقة ^(٥٤)، كما كانوا يتشارعون من ولادة البنات ويكرون ولادتهم. يقول (بابا بتراه) أحد كبار رجال الدين عندهم: "ما أسعد من رزقه الله ذكوراً، وما

^(٥٠) سفر التكوين، الإصلاح الثالث، الفقرات من ١٢ - ٢٠.

^(٥١) انظر: المرأة في التاريخ والشريعة، د. أسعد السحمراني، ص ٤٣ - ٤٥.

^(٥٢) راجع الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصلاح التاسع عشر.

^(٥٣) المرأة في التاريخ والشريعة، ص ٤٧.

^(٥٤) انظر: المرأة بين التبرج والتحجب، ص ٢٦.

أسوأ حظ من لم يرزق بغير الإناث، نعم لا ينكر لزوم الإناث للتنازل، إلا أن الذرية كالتجارة سواء بسواء^(٥٥).

ولم يكن للمرأة أهمية إلا بقدر ما تجبر من الأولاد، وحرمت من الميراث، فإذا مات الرجل ورثه أخوه أو بعض أقاربه، والبنت إذا مات أبوها ورثها أقرب الرجال إليها، ثم عدلت هذه القاعدة في وقت متاخر فسمح لها بأن ترث إذا لم يكن لأبيها ذرية من البنين، وما كان يتبرع بها لها أبوها في حياته^(٥٦).

أما الزوجة فلا نصيب لها من تركة زوجها، والمهر يدفع لها على أنه ثمن شراء سلعة، وبذلك تصير مملوكة للزوج بعد الزفاف، وكل ما لها بعد موته أو الطلاق منه مؤخر الصداق فقط، وأجيزة الزواج بالأخت، وأجاز الربانيون^(٥٧) زواج بنت الأخ وبنت الأخت، وأباحوا تعدد الزوجات على إطلاقه، ومصحوباً بإباحة التسرى على أنواعه، وإن كان بعض الربانيين ينصحون بالقصد في عدد الزوجات.

أما الطلاق فقد أبىح في شريعة العبرانيين، وشرط على الرجل أن يعطي امرأته وثيقة بالتسريح، ولا تعود إلى زوجها الأول أبداً بعد طلاقها من الزوج الثاني أو وفاته.

وللرجل في قوانينهم أن يطلق زوجته إذا فعلت ما لا يرضي، ولم يُسمح للزوجات أن يطلبن الطلاق من أزواجهن حتى أباحه القراءون^(٥٨) للمرأة في العصور المتأخرة^(٥٩).

وتقرر الشريعة اليهودية المحرفة أنه إذا توفى شخص بدون أن ينجب أولاداً ذكوراً تصبح أرملته زوجة تلقائياً لشقيق زوجها أو أخيه لأبيه، رضيت بذلك أو كرهت، وتجب عليه نفقتها، ويرثها إذا ماتت، وأول ولد ذكر يجيء من هذا الزوج، يحمل اسم زوجها الأول، ويختلف في تركته، ووظائفه، وينسب إليه لا إلى زوجها الحالي، فيخلد بذلك اسم زوجها الأول ولا

^(٥٥) اليهودية: د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٨٦م، ص ٣٠٠.

^(٥٦) انظر: المرأة بين التبرج والتحجب، ص ٢٦، والمرأة بين الفقه والقانون، ص ١٩.

^(٥٧) الربانيون: هم إحدى فرق اليهود، وهم الفريسيون ويسمون بالأحبار أو الربانيين، هم متصوفة رهبانيون لا يتزوجون، ولكن يحافظون على مذهبهم عن طريق التبني، يعتقدون بالبعث والملائكة بالعالم الآخر، انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان، المذاهب والأحزاب المعاصرة، إعداد: د. مانع بن حماد الجهي، الناشر دار الندوة العالمية، ط٤، ١٤٢٠هـ، ٤٩٩/١.

^(٥٨) القراءون: إحدى فرق اليهود، وهم قلة من اليهود ظهروا عقب تدهور الفريسيين وورثوا أتباعهم، ولا يعترفون إلا بالعهد القديم، ولا يخضعون للتلمود ولا يعترفون به بدعة حديثهم في شرح التوراة، نفس المصدر السابق، ٤٩٩/١.

^(٥٩) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ١٩، والمرأة بين التبرج والتحجب، ص ٢٦.

يُمحى من سجل إسرائيل، ولا يجوز أن تتزوج من غيره إلا إذا خلصها، ويتم هذا في طقوس غربية وردت في أسفارهم المقدسة حسب زعمهم^(٦٠).

ثانياً: المرأة عند النصارى:

لقد هال رجال المسيحية الأوائل ما رأوا في عالم الغرب من ترف وفجور، وما آل إليه المجتمع من انحلال أخلاقي شنيع، فاعتبروا المرأة مسؤولة عن هذا كله، لأنها كانت تخرج إلى المجتمعات، وتتمتع بما شاء من اللهو، وتختلط بمن شاء من الرجال، لذا أرادت أن تدارك الفوضى الخلقية في عالم الغرب، وتسد السبيل في وجه الفحشاء، وفعلاً استطاعت أن تقضي على العري والدعارة، ودعا بعضهم إلى التبخل والزهد والنسك، لكنهم غالوا في ذلك وتجاوزوا حد التطرف، وحاربوا الفطرة البشرية، وكانت لهم في المرأة نظرتان، كلاهما تحط من مكانتها وتحرمها من حقوقها.

الناظرة الأولى:

يرون أن المرأة ينبوع المعاصي وأصل السيئة والفحش، وهي للرجل باب من أبواب جهنم من حيث مصدر تحريكه وحمله على الآثام، ومن المرأة انبجست عيون المصائب الإنسانية جماء، فيكيفها ندامة وخجلأ أنها امرأة، وينبغي لها أن تستحي من حسنها وجمالها؛ لأنها سلاح إبليس الذي لا يوازيه سلاح، وعليها أن تكفر ولا تقطع عن أداء الكفاره أبداً، لأنها هي التي أنت بما أنت به من الشقاء للأرض وأهلها.

وذكر (ترتوليانس) أحد أقطاب المسيحية: "أنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان، وأنها دافعة بالمرء إلى الشجرة الممنوعة، ناقضة لقانون الله، ومشوهة لصورة الله، أي صورة الرجل فهي الخطيئة مجسمة، وهي باب للجحيم، ويجب أن نلعن المرأة؛ لأنها سبب الغواية"^(٦١).

ولهم أقوال كثيرة يهينون فيها المرأة، ويعتبرونها شراً وآفة، وخطرأ على البيت والأسرة، وأن الشيطان مولع بالظهور في شكل أنثى، حتى كان من موضوعاتهم التي يتدارسونها: هل تعد المرأة إنساناً أم غير إنسان؟ وأخيراً قرروا أنها إنسان خلقت لخدمة الرجل فحسب.

^(٦٠) انظر: موسوعة المرأة المسلمة: الحقوق العامة للمرأة، ٨٠/١، ٨١-٨٠، وحقوق المرأة المسلمة في المجتمع الإسلامي، مصطفى بغدادي، ص ٣٢، وراجع: سفر التثنية، الإصلاح الخامس والعشرين، فقرات من ٤٧-٤٨، والمرأة في التاريخ والشريعة، ص ٥-١٠.

^(٦١) انظر: الحجاب، المودودي، ص ١٢.

لقد انطلقت نظرتهم هذه للمرأة من واقع الإيمان والتسليم بما جاء في العهد القديم من اتهام حواء بالخطيئة^(٦٢)، حيث جاء نص لبولس يقول فيه: "وَآدَمْ لَمْ يُغُوْ لَكِنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي أَغَوَيْتَ فَجَعَلْتَ فِي التَّنْعِيْ" ^(٦٣).

النظرة الثانية:

محاربة الفطرة في العلاقة بين الرجل والمرأة فيعتبرون هذه العلاقة نجس في نفسها، يجب أن تتجنب، ولو كانت عن طريق نكاح وعقد رسمي مشروع.

لذا شجعوا على عدم الزواج، ونفروا من الارتباط بالمرأة، لأنه يجر إلى الخطيئة، ومن أراد ملكوت السماء فطريقه تبدأ بالبعد عن المرأة، وأصبحت حياة العزوبية مقياساً لسمو الأخلاق، والعازب هو النقي الورع والخلوق، أمّا الحياة العائلية فقد أصبحت من أمارات انحطاط الأخلاق ومهانة الطباع، ومن أراد أن يعيش عيشةً نزيهةً فلا يتزوج أصلاً، أو لا يعاشر امرأة معاشرة الزوج لزوجته، وبذلوا كل جهدٍ ليثبتوا في قلوب الناس الشعور ببساطة العلاقة الزوجية وتجسها.

ونتيجة لهذه الرهبانية تكدرت العلاقات والأواصر بين أفراد الأسرة، حتى بين الأم ولدتها، وأصبحت الحياة الزوجية مبعث حرج وضيق للرجال والنساء معاً، وانحاطت منزلة المرأة في المجتمع في كل ناحية من نواحي الحياة.

وانتسمت القوانين التي صدرت حين ذاك بتأثير الشريعة المسيحية بالخصائص الآتية:

١ - جعل المرأة تحت سلطة الرجل الكاملة، بل يجب عليها أن تقر بسلطة الرجل عليها^(٦٤)، ففي رسالة بطرس: "أَيْتَهَا النَّسَاءُ كُنَّ حَاضِرَاتٍ لِرَجَالِكُنْ" ^(٦٥). وأصبحت حقوقها في الإرث والملكية قليلة جداً، وليس لها الحق في كسب يدها، إنما كل ما تملكه ملك لزوجها.

٢ - لا يجوز الطلاق أو الخلع مهما بلغ البغض والشقاق بين الزوجين في إفساد العشرة بينهما، فالدين والقانون يحتم عليها دوام العشرة، ويحتم بقاء حبل الزوجية بينهما

^(٦٢) انظر: الحجاب، ص ١٢-١٣، والمرأة بين الفقه والقانون، ص ٢٠، وموسوعة المرأة المسلمة، ٤٢-٤٣، والمرأة في التاريخ والشريعة، ص ٥١، وحقوق المرأة المسلمة، ٣٥/١.

^(٦٣) رسالة بولس الرسول الأولى إلى ثيموثاوس، الإصلاح الثاني، الفقرة ١٥.

^(٦٤) انظر: الحجاب، للمودودي، ص ١٣، والمرأة بين الفقه والقانون، ص ٢٠، والمرأة في التاريخ والشريعة، ص ٥٢-٥٣.

^(٦٥) الكتاب المقدس، رسالة بطرس الأولى، الإصلاح الثالث، فقرة رقم (١٩).

متصلًا إلا في حالات شاذة يفرق بينهما، وأنه لا يجوز لذلك الرجل أو تلك المرأة أن يجدد الحياة الزوجية، وكان القديس أوغسطين يكره الطلاق ويفضل الاتجاء إلى التسري بدلاً منه.

٣ - أن من كبار الإثم أن يتزوج الرجل أو المرأة مرة ثانية إذا توفي عن أحدهما زوجه حيث يرى علماء المسيحيين في ذلك: إذعانًا للشهوات البهيمية، وإطلاقاً لعنان غريزة الفحشاء، وكانوا يعبرون عن القرآن الثاني بكلمة (الزنا المذهب)، أما رجال الكنيسة أنفسهم فلم يكن النكاح مباحاً لهم في قانون الكنيسة^(٦٦).

المطلب الثالث: مكانة المرأة عند العرب قبل الإسلام:

إن المرأة عند العرب في الجاهلية الأولى لم تلق التكريم اللائق بها، بل كانت مهانة ومحقرة، حيث كانت بيضة العرب بيضة رعاعة، وكان لابد للقوة أن تسود، وأن يكون لها السلطان.

ولما كانت المرأة أقل من الرجل قوة، أصبحت منزلتها أقل من منزلته، إذ كان الرجل يحمل السيف دفاعاً عن القبيلة في الحروب التي كانت لا تقطع؛ طلباً لبسط الحماية وتوسيع النفوذ، أو لتأمين المراعي وحماية القبيلة.

لذا كانوا يحرصون على كثرة إنجاب البنين، في حين يكرهون ولادة الإناث، لأنهن لا يستطيعن أن يمنعن الحمى، ويحمين الديار، ولا فائدة منهن عندما تتآزم الأمور، وهنَّ بعد ذلك هدف للعدو إذا أغارت يقصدهن أول ما يقصد، فيكون السبي الذي يورث القبيلة الذل والقهقهة بالعار، حيث كانت تؤخذ غنيمة حرب، فتصبح ملكاً لمن أسرها، له أن يبيعها أو يحتفظ بها^(٦٧). وقد لاقت المرأة ألواناً من الظلم والاضطهاد والمهانة والإذلال منها:

أولاً - وأد البنات:

والقرآن الكريم سجل ذلك المشهد البغيض الذي كان ينتظر الأنثى ساعة ولادتها، حيث قال: «وَإِذَا بُشِّرَ أَهْدُهُمْ بِالأنثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدْسُسُهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ»^(٦٨).

^(٦٦) انظر: الحجاب، للمودودي، ص ١٤، والمرأة في التاريخ والشريعة، ص ٥٣-٥٤.

^(٦٧) انظر: مَا خسَرَ العَالَمُ بِانحاطَةِ الْمُسْلِمِينَ، أَبْيَ الْحَسَنِ النَّدِيِّ، دارُ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ - بَيْرُوتُ، ط٧-١٤٨٧هـ - ١٩٦٧م، ص ٦٠، والمرأة بين التبرج والتحجب، ص ٢٢، وموسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، ص ٥٠-٥١.

^(٦٨) سورة النحل، الآيات (٥٨-٥٩).

وكانت مذاهب العرب مختلفة في وأد البنات فمن أسباب الوأد عندهم:

١ - وأد البنات ذوات العاهات:

فكان العرب في الجاهلية يئدون الزرقاء أو الشيماء (السوداء) والبرشاء (البرصاء)^(٦٩)، والكسحاء (العرجاء) تشاوحاً منها ويأساً من تزويجها، وفيها عاهة، فلا تبقى عالة على الأب^(٧٠).

٢ - وأد البنات تأثراً بعبادة قديمة:

حيث كان الوأد بقية مختلفة من عادة قديمة قدّمت فيها الإناث قرابين إلى الآلهة على نحو ما عرف من المصريين القدماء قبل الإسلام من تقديم عروس للنيل صحيحة وقرباناً وأشار القرآن الكريم إلى ذلك تعجبًا^(٧١) حيث قال: «أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبُنُونَ»^(٧٢)، ويقول: «وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ»^(٧٣).

٣ - وأد البنات خوفاً من الفضيحة والعار:

ويقال إن أول من فعل ذلك لقمان بن عاد من العرب البايدة، وذلك أنه ربع بخيانة نسائه، فراح يقتلهن انتقاماً واشتفاءً، وخرج إلى الطريق إثر المذبحة فلقي ابنته فوثب عليها وقتلها.

وما وأدهم البنات إلا خوفاً من العار وحماية لثرواتهم، ومراكلزهم وجاههم من مذلة السبي أو الزواج من غير كفاء^(٧٤)، كما ورد في حديث قيس بن عاصم حين وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم واعترف أنه ما ولدت له بنت إلا وأدها، فسأله أحد المهاجرين: ما الذي حملك على هذا وأنت أكثر العرب مالاً، فقال: مخافة أن ينكحهن مثلك. قالوا: وتبسم رسول الله وقال: "هذا سيد أهل الوبر!!"^(٧٥).

^(٦٩) البرص: بفتح الباء والراء، مرض يحدث في الجسم قشرًا أبيض ويسبب للمريض حكاً مؤلماً، معجم لغة الفقهاء، ص ١٠٦.

^(٧٠) انظر: مَا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٧، ١٩٦٧-١٣٨٧هـ، ص ٦٠، وانظر: موسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغني محمد، ٥٣/١.

^(٧١) انظر: موسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، ٥٣/١.

^(٧٢) سورة الطور، الآية (٣٩).

^(٧٣) سورة النحل، الآية (٥٧).

^(٧٤) انظر: موسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، ٥٤/١-٦١.

^(٧٥) المستدرك على الصحيحين، للإمام الحاكم النسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ٢، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، ٣/٧٠٨-٧٠٩.

٤ - وَادِ الْبَنَاتِ خُشْيَةُ الْفَقْرِ وَالْإِمْلَاقِ:

وأخبرنا القرآن الكريم عن ذلك حيث قال ناهياً: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خَطْئًا كَبِيرًا﴾^(٧٦)، وفي آية ثانية يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُم﴾^(٧٧)، ورغم وجود أو انتشار عادة الوأد فإن الروايات تفيد أن بعض العرب استتفذ البنات في الوأد ومن ذلك: صعصعة بن ناجية^(٧٨) وزيد بن عمرو بن نفيل الفرضي وكان على دين إبراهيم عليه السلام، فأما صعصعة: مرّ برجلٍ من تميم يحرف حفرة، وغير بعيد منه امرأة تبكي متشبثة بوليدة لها، فلما سألاها صعصعة عما بها أشارت إلى الرجل وقالت: هذا زوجي يريد أن يئد ابنتي. وانتهى صعصعة إلى الرجل يسأله: ما حملك على هذا؟ أجاب الفقر. فافتداها منه بناتين يتبعهما أولادهما، وصار كلما سمع بموعودة عن فقر إلا سعى في فدائها، وأما زيد بن عمرو بن نفيل فكان إذا سمع بفقر يهم بوأد ابنته مضى إليه فقال: لا تقتلها أنا أكفيك مؤونتها، فإذا كبرت عاد بها إلى أبيها فراجعه في أمرها، خيره بين استردادها أو بقائها في كف من استحياها^(٧٩).

٥ - وَادِ الْبَنَاتِ حِمْيَةُ جَاهِلِيَّةٍ:

روي أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يزال مغتماً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: مالك محزوناً؟ قال: يا رسول الله إني أذنبت ذنباً في الجاهلية، فأخاف ألا يغفر الله وإن أسلمت فقال: يا رسول الله: إني كنت من الذين يقتلون بناتهم، فولدت لي بنت فتشفت لي امرأتي أن أتركها، فتركتها حتى كبرت وصارت من أجمل النساء، فخطبوها، فدخلتني الحمية، ولم يتحمل قلبي أن أزوجها أو أتركها في البيت بغير زوج، فقلت لامرأتي: إني أريد أن أذهب إلى قبيلة كذا وكذا في زيارة أقربائي فابتعثها معي، فسررت بذلك وزينتها بالثياب واللحى، وأخذت علي الموثيق بآلاً أخونها، فذهبت بها إلى رأس بئر، فنظرت في البئر، ففطنت ابنتي إني أريد أن أقيها في البئر، فالترمتني وجعلت تبكي وتقول: يا أبتي، أي شيء تريدين أن تفعل بي؟ فرحمتها، ثم نظرت في البئر فدخلت علي الحمية، ثم الترمي وجعلت تقول: يا أبتي، أي شيء تريدين أن تفعل بي، فرحمتها، ثم نظرت في البئر فدخلت علي الحمية، ثم الترمي وجعلت تقول: يا أبتي

^(٧٦) سورة الإسراء، الآية (٣١).

^(٧٧) سورة الأنعام، الآية (١٥١).

^(٧٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، أعاد طبعه دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٩٨٥ هـ، ١٤٠٥.

^(٧٩) موسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، ٥٦/٥٧

لا تضيّع أمانة أمي، فجعلت مرة أنظر في البئر ومرة أنظر إليها فأرحمها، حتى غلبني الشيطان، فأخذتها وألقيتها في البئر منكوسه وهي تنادي في البئر: يا أبتي، قتلتنى: فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت، فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقال: "لو أُمرتُ أن أعقاب أحداً بما فعل في الجاهلية لعاقبتكم" ^(٨٠).

وكان الولد في الجاهلية يتم في صورة قاسية، وكانوا يتفنون في هذا بشتى الطرق:

- منهم من كان إذا ولدت له بنتاً حفر لها حفرةً ودفنهما وهي حية، كما ذكر في الروايات السابقة.
- ومنهم من كان يتأخر في وادها لسفرٍ أو شغل، فلا يئدها إلا وقد كبرت، وصارت تعقل كما في الرواية التي ذكرت قبل قليل، حيث كبرت وصارت عروسًا فألقاها في البئر.
- وقال ابن عباس رضي الله عنه: "كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت حفرة وتمضي على رأسها، فإن ولدت جارية رمت بها في الحفرة ورددت التراب عليها، وإن ولدت غلاماً حبسه" ^(٨١).
- وقد كان بعضهم يلقى الأنثى من شاهق.
- وبعضهم إذا نوى إلا يئدها أمسكها مهينة إلى أن تقدر على الرعي، فيلبسها جبةً من الصوف أو الشعر ويرسلها في البايدية ترعى له إبله، وإلى جانب هذه العادة القبيحة، كانت عادة السبي حيث تسبى المرأة فتصبح مملوكة للسابي، فيتصرف فيها كما يشاء من بيع وتمتع وامتهان واسترقاق ^(٨٢).

ثانياً: النكاح في الجاهلية:

فقد روی عن عائشة رضي الله عنها: "أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنباء:

- فنكاح منها نكاح الناس، يخطب الرجل إلى الرجل ولنته أو ابنته فيصدقها - أي يؤدي مهرها - ثم ينكحها (يتزوجها).
- ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها (حيضها): أرسلني إلى فلان فاستبعضي منه (أي اطلبني منه الولد)، ويعزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها

^(٨٠) تفسير القرطبي، ٨٥/٧.

^(٨١) نفس المصدر السابق، ٢٠٢/١٩.

^(٨٢) انظر: الإسلام والمرأة، سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط٣، ٢٣، ص ١٩٧٠-١٣٨٩ هـ، ودستور الأسرة في ظلال القرآن، أحمد فائز، مؤسسة الرسالة، ص ١٧-١٨، وموسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، ٦١/١.

من ذلك الرجل الذي تستبضع فإذا تبين أصابها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبةً في نجابة الولد، ويسمى هذا النكاح الاستبضاع.

- ونکاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة، فيدخلون على المرأة كلهم يصيّبها، فإذا حملت ووضعت ومرّ عليها ليالٍ بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع الرجل منهم أن يمتنع، حتى يجتمعوا عندها فتقول لهم: "قد عرفتم ما كان من أمركم، وقد ولدتُ فهو ابنك يا فلان" وتسمى من أحببت باسمه، فيلحق به ولدها، لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل.

- ونکاح رابع يجتمع ناس كثيرون فيدخلون على المرأة لا تمتّع عن جاءها، وهنّ البغایا، ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إداهن ووضعت جمعوا لها ودعوا لهم القاففة^(٨٣)، "أهل القيافة"، ثم أحقوا ولدها بالذى يرون، فالاتّاط به (نسباً إليه) ودعى ابنه، لا يمتنع عن ذلك، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق هدم نکاح الجahلية كله إلا نکاح الناس اليوم^(٨٤).

ثم كانت عند العرب أنواع أخرى من النكاح ومنها:

١ - **الشّغار:** روى ابن عمر "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار، والشغار فسره أبو هريرة رضي الله عنه بقوله: "هو أن يقول الرجل زوجني ابنتك وأزوجك ابنتي، أو زوجني أختك وأزوجك أختي، ولا يكون بينهما مهرٌ سوى هذه المبادلة"^(٨٥). فيتفق شخصان على أن يزوج كل منهما قرينته للآخر، فتعتبر المرأة مهراً للأخرى، حتى إذا ماتت إحدى الزوجتين يسترد زوجها قرينته من الآخر، حتى يزوجه امرأة أخرى بدلاً منها^(٨٦).

٢ - **نکاح المتعة:** عن محمد بن كعب عن ابن عباس قال: إنما كانت المتعة في أول الإسلام، كان الرجل يقدم بلدة ليس له بها معرفة، فيتزوج المرأة بقدر ما يرى أنه مقيم، فتحفظ له متاعه وتصلح شأنه حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَكَّتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُلَوْمِين﴾^(٨٧)

^(٨٣) القاففة: جمع قائف، وهو الذي يتبع الآثار ويعرفها، ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه ويقال فلان يقف على الأثر ويقتافه قيافة، قاف الأثر قيافة، لسان العرب، ابن منظور، دار المعرفة، ٣٧٦/٤.

^(٨٤) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب من قال لا نکاح إلا بولي، رقم الحديث ٥١٢٧، ١٣١٨/٣، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١.

^(٨٥) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الشغار، رقم الحديث ٥١١٢، ٣٥٢/٣.

^(٨٦) انظر: موسوعة المرأة المسلمة، صلاح عبد الغني محمد، ٦٥-٦٤/١.

^(٨٧) سورة المؤمنون، الآية (٥ - ٦).

٣ - نكاح السفاح: وهو أن يتبادل زوجان زوجتهما بدون طلاق وعقد جديد، وهي عملية سفاح بالتراسي.

٤ - نكاح المخادنة: وهي ارتباط امرأة برجل مخادنةً ومعاشرتها معاشرة الأزواج بدون عقد، وإلى هذين النوعين يشير قوله تعالى **﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتٍ أَخْدَانٍ﴾**^(٨٨).

٥ - نكاح المقت: وهو أن يتزوج الولد امرأة أبيه، وسمى نكاح المقت لقوله تعالى **﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾**^(٨٩).

٦ - نكاح الإرث: كان أهل الزوج إذا مات، يرون أنفسهم أحق بزوجته من نفسها ومن أهلها، فإذا شاء أحدهم تزوجها، فلا يحق لها ولا لأهلها الممانعة، ولهم أن يزوجوها من يشاءون، ويقبضوا مهرها، ولهم إن شاءوا عضلها أي منعها من الزواج لتدفع فدية، أو تظل كذلك حتى تموت.

فهذه الأنكحة في الجاهلية تثبت إلى أي مدى بلغت مكانة المرأة أو الزوجة، وكيف كان الظلم يلاحقها، حتى بعد وفاة زوجها، حيث كانت تورث كما يورث المتعاع^(٩٠).

ثالثاً: الحرمان من المهر:

حيث كان الولي يأخذ مهر المرأة ولا يعطيها شيئاً، وجاء في رواية الكلبي: "إن أهل الجاهلية كان الولي إن زوج امرأة فإن كانت معه في العشرة لم يعطها مهراً كثيراً ولا قليلاً، وإن كانت غريبة حملها على بعير إلى زوجها ولم يعطها شيئاً غير ذلك البعير"^(٩١).

رابعاً: تعدد الزوجات بلا حدود:

حيث كان الزوج يجمع في عصمه ما يشاء من الزوجات بدون تحديد، وكثيراً ما كان يفعل ذلك ليغدو بعض أزواجه، أو ليبتز أموالها، أو يضرّها فيجور عليها، وهذا يمثل قمة الظلم الاجتماعي الفاحش.

وكان الرجل ينظر إلى المرأة كأداة لإرضاء شهواته، ولا يهتم بالعدل بين زوجاته.

خامساً: الطلاق بلا حدود:

^(٨٨) سورة النساء، الآية (٢٥).

^(٨٩) سورة النساء، الآية (٢٢).

^(٩٠) انظر: موسوعة المرأة المسلمة، ٦٥/١ - ٦٩.

^(٩١) تفسير القرطبي، ٢٥/٥.

كان الرجل يملك سلطة الطلاق بتوسيع حدودها، فلم يكن للطلاق حدود أو قيود أونهاية، فما دامت في العدة فله أن يطلقها كما يشاء، ويراجعها كما يشاء، فكان يطلق الثلاث والعشرة، وله سلطة أن يطلق بأي عدد شاء من الطلاقات، وله أن يرجعها ما دامت في عدتها. وكثيراً ما كان يستخدم الزوج الطلاق كسلاح لتعذيب المرأة والتنكيل بها، أو حرماناً لها من الزواج بغيره وهذا يسمى الطلاق مع العضل أي يمنع زوجته من الزواج بغيره فيطلقها ثم يرجعها في نهاية عدتها.

ومن أنواع الطلاق التي كانت سائدة في الجاهلية الإيلاء والظهار، حيث يستطيع الرجل أن يحرم المرأة من حياتها الجنسية إلى الأبد وإلى أبعد.

فإيلاء: بأن يحلف الرجل ألا يقرب زوجته، وكان الإيلاء في الجاهلية السنة والستين وجاء الإسلام وجعل له نهاية وهي أربعة أشهر.

أما الظهار: وهو تشبيه زوجته بمحرم عليه تأييداً كأن يقول لها: أنت على كظهر أمي، أو كظهر اختي، أو والله لا أقربك أبداً، وكانت الزوجة تحرم على زوجها تحريماً أبداً، ولكنها تبقى في ذمته أو عنده فلا يحل لها أن تتزوج بغيره^(٩٢).

سادساً: الحداد على الزوج:

قالت زينب بنت أم سلمة: "كانت المرأة في الجاهلية إذا تُوفيت عنها زوجها دخلت جفشاً (أي بيتاً صغيراً) ولبس شرث ثيابها، ولم تمس طيباً ولا شيئاً حتى تمر بها، ثم تخرج فتُعطي بعرا فترمي بها، ثم تؤتى بدابة (حمار أو شاة، أو طير)، تغتصب به (تمسح بها نفسها) فقلما تغتصب بشيء إلا مات"^(٩٣)، أي أنها تمضي حولاً كاملاً في بيتها بلا زينة، تلبس شرث ثيابها، فإذا مضى الحول خرجت، ورمي بعرا أول كلب يمر عليها لترى من حضرها من الناس.

سابعاً: الحرمان من الميراث:

كانت المرأة العربية في الجاهلية محرومة من الميراث، حيث كان العرب يقتصرن حق الميراث على الذكور الراشدين، القادرين على ركوب الخيل وحمل السلاح والنود عن

^(٩٢) انظر: موسوعة المرأة المسلمة، صلاح عبد الغني، ٧١-٧٠/١.

^(٩٣) تفسير ابن كثير، دار الفكر، ١/٢٨٥.

العشيرة، وتحرم الزوجة والبنت من موارد الرزق، وإن كانت أحق الناس به، وتُترك المرأة عرضةً للفاقة والبؤس في المجتمع الذي تعيش فيه^(٩٤).

ثامناً: أكل أموال اليتامي ذكوراً وإناثاً:

كان اليتيم يحرم ويتعذر للظلم، سواء كان ذكر أم أنثى، فبدلاً من أن يحافظ الولي على مال اليتيم وينميءه، فإنه يتصرف فيه، بإنفاسه أو إنفاص قيمته، أو أكل المال كله أو عدم الاعتراف به لليتيم أو اليتيمة عند بلوغ سن الرشد.

فهذه صورة بشعة من امتهان المرأة عند العرب في الجاهلية، سواء كانت بنتاً أو زوجة أو أمّاً، وهي مطلقة، وهي أرملة، من قتل ووأد وإذلال وحرمان^(٩٥).

وبسبب كون مكة ويثرب ممراً للتجارة بين جنوب الجزيرة وشمالها، فقد حصلت المرأة على قدرٍ من الحقوق المالية، فمثلاً سُمح لها بمزاولة التجارة، والمشاركة في الحياة العامة^(٩٦).

المطلب الرابع: مكانة المرأة عند الغرب:

أولاً: مكانة المرأة في العصور الوسطى:

قبل الحديث عن مكانة المرأة في الحياة الغربية لابد من التنويه إلى حياة الظلم والقهر التي عاشتها المرأة في العصور الوسطى، حيث استبداد رجال الأمن، وظلم الإقطاع، إلى أن جاءت الثورة الصناعية فكانت المصيبة الكبرى التي لم تصب المرأة بشرٍ منها في تاريخها. فمن تأمل في مجتمعات العصور الوسطى يجد أن المرأة كانت في هذه الفترة:

- إما حبيسة في قصور الأمراء ورجال الإقطاع، تعيش في فراغٍ تام، حيث الخدمة موكولة إلى الخدم، وذلك في الطبقة الراقية.
- وإما فتاة بتول سكنت الدير لتحتمي من ظلم الإقطاع.
- وإما غذاء للشهوات في بيوت الدعارة، أو زينة في السهرات.
- وإنما مستذلة فلا هي من طبقة الأشراف، ولا هي استطاعت لارتباطها بالمجتمع أن تقر إلى الأديرة، وظلت محقظة بعفتها التي كان يطاردها رجال الإقطاع.

^(٩٤) انظر: الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة، البهـيـ الخـوليـ، ص ٢٠١، والإسلام والمرأة، سعيد الأفغاني، ص ٢٦.

^(٩٥) انظر: موسوعة المرأة المسلمة، ١ / ٧٦-٧٨.

^(٩٦) انظر: المرأة بين التبرج والتحجب، ص ٢٣.

كما كانت هناك طبقة من النساء منبوذات، وهنَّ من العجائز اللاتي اتهمهن الناس بالسحر والشعودة، حيث كانت الواحدة منهن تدعى أنها على اتصال مع الله، لكن العصور التي عشن فيها تذكر أن نسمع امرأة صوت الله، بل هو صوت الشيطان الذي يتنزل على الساحرة من وراء الحائط، لذلك كن يؤخذن قسرًا أمام محاكم التفتيش، ويقطعن إرباً، أو يعذبن حتى الموت، أو يرجمن بالحجارة.

في هذه الفترة طغت العلاقات المادية على علاقات المحبة، كما خضع الزواج لطغيان المصالح الشخصية، إما لضرورة حربية أو سياسية أكثر منه ضرورة اجتماعية.

لذلك كان أمير الإقطاع يتزوج من ابنة أمير الإقطاع حتى تتضم الأرضان فتنسع رقعة الأرض، وكان يتقى بعضهم بعضًا بالمصاهرة، وكانت الفتيات يزوجن وهنَّ أطفال، لم يبلغن الخامسة بعد، وكان الطلاق شائعاً تلتمس له أتفه المعاذير.

لذا لم يكن للفتيات في القرون الوسطى إلا المكانة الأدنى في حياة المجتمع، بل كن مملوکات يحركهن أولياً هن كما يتحرك الخاتم في إصبع أحدهم، فظلت المرأة قاصرًا، لا حق لها في التصرف بأموالها دون إذن ولديها؛ بل كانت بعض قوانينهم تبيح للرجل أن يبيع زوجته، وقد حددوا ثمناً للزوجة^(٩٧).

ثانياً: مكانة المرأة في العصر الحديث:

واستمر احتقار الغربيين للمرأة وحرمانهم لحقوقها طيلة القرون الوسطى، وعندما جاءت الثورة الصناعية كانت السبب في تحطيم الأسرة، وفك روابطها، ودفعت المرأة الثمن غالياً من جهدها وكرامتها و حاجاتها النفسية والمادية، حيث امتنع الرجل عن إعالتها، وفرض عليها أن تعمل لتعول نفسها حتى لو كانت زوجةً أو أمًا.

ومن ناحيةٍ أخرى استغلتها المصانع أسوأ استغلال، فجعلتها تعمل ساعات طويلة وأعطتها أجراً أقل من الرجل، مع أنها تقوم بالعمل نفسه، والمصنع نفسه، ولكنها مضطرة أن تقبل لتعيل نفسها^(٩٨).

وأسفر هذا النظام المستبد عن ثورة فرنسا المشهورة، حيث أعلنت حقوق الإنسان تحت شعار "الحرية والمساواة والإخاء" في نهاية القرن الثامن عشر سنة ١٧٨٩م، ومما هدفت إليه الثورة الفرنسية إعطاء المرأة حقوقها.

^(٩٧) انظر: المرأة بين التبرج والتحجب، ص ٣٢-٣٣، وحقوق المرأة المسلمة، بغدادي، ص ٣٩-٤٤.

^(٩٨) انظر: موسوعة المرأة المسلمة، صلاح عبد الغني محمد، ٤٥/١.

وما فعلوه كان له أثر محمود في الحياة الاجتماعية، حيث خفوا شيئاً مما كان في قوانين الطلاق من شدة وضيق، وردوا إلى النساء بعضاً من حقوقهن الاقتصادية المسلوبة، وتتناولوا بالإصلاح والتهذيب نظرياتهن التي تهين المرأة، وعدلوا القوانين التي كانت تضع المرأة في مستوى الجواري والإماء، وفتحوا أمامها أبواب التعلم^(٩٩).

ومع أوائل القرن العشرين جاءت الحرب العالمية الثانية، وقتل ملايين من الشباب الأوروبي والأمريكي، مما أدى إلى وجود ملايين من النساء بلا عائل وبلا زوج، فتحملت المرأة قسوة المحن، فكان يجب عليها أن تعمل وإلا هلكت جوعاً هي ومن تعول من الأطفال والعجائز، وتنازلت عن أخلاقها لتشبع حاجاتها الطبيعية من الطعام والجنس، واستمرت المصانع في معاملتها الظالمة لها، حيث كانت تمنحها أجرًا أقل من أجر الرجل مع اتحاد الإنتاج والجهاد المبذول، فلم يبق لها شيء، لقد بذلت نفسها وكبرياتها وأنوثتها، وحرمت من حاجتها الطبيعية إلى أسرة وأولاد تحس بكيانها معهم دون مقابل.

لذا كان لابد من ثورة نسائية تحطم هذا الظلم الواقع على المرأة منذ قرون طويلة، فاستخدمت المرأة أسلحة عديدة دفاعاً عن حقوقها المهمومة، استخدمت الإضراب والتظاهر، والخطابة في المجتمعات، واستخدمت الصحفة، وأخذت تطالب بحق الانتخاب، وحق التمثيل في البرلمان، وبدأت حركة إصلاح لأحوال المرأة الأوروبية، وتحقيق بعض مطالبهما، فكانت أول حركة نسائية لتحرير المرأة في إنجلترا سنة ١٩٠٣م^(١٠٠)، ومطالب هذه الحركة تتركز في ثلاثة أمور وهي:

١ - المساواة المطلقة بين الرجال والنساء في كافة الحقوق البشرية والأخلاقية والاقتصادية والقانونية، فطالبت المرأة بأن تؤدي كلَّ ما يؤديه الرجل من أعمال، بدون قيود من وظائف المكاتب، ومهن تجارية، وصناعية، وحضور مجالس اللهو، وحفلات الرقص والسهرات العامة، مما أدى إلى انحرافها عن أداء واجباتها الفطرية ووظائفها الطبيعية، وأثر ذلك على النظام العائلي في الغرب، فانهارت الحياة الأسرية الهدئة التي تسودها الطمأنينة.

٢ - استقلال النساء بشئون معاشهن، حتى أصبحت المرأة تكسب كما يكسب الرجل، وأدى ذلك إلى تدمير البيت والعلاقة الزوجية، فلا يجبرها على الحياة الزوجية المشتركة غير صلة الشهوات وغرائز النفس، فلم ترهق نفسها بتبعات الأسرة والمنزل، ولم تجد عقبات تعرضها في سلوك طريق الدعاوة والفحور، ساعدها في ذلك فكرة المساواة الخلقية، فلا تخاف من حمل أو ولادة لأنها تستخدم تدابير لمنع الحمل، ولا مانع من إسقاط الجنين، ساعدها

^(٩٩) انظر: الحجاب، للمودودي، ص ١٥.

^(١٠٠) انظر: موسوعة المرأة المسلمة، صلاح عبد الغني محمد، ٤٥/٤٦-

في ذلك المجتمع الغربي الذي أصبح يكرم الأم العذراء وولد الزنا، وغير ذلك عندهم يعد رجعية وتخلقاً وجموداً.

٣ - الاختلاط المطلق بين الرجال والنساء والتبرج السافر والعرى، وأصبح الأخذ بكل أسباب الفتنة والاستهواه هو شعار المرأة الأوروبية في الغرب، وصارت تتسابق نحو التجمل وحب الظهور، والتجرد من ملابسها شيئاً فشيئاً، إثارة لنار الشهوة البهيمية المتاجحة في صدور الرجال الذي لا يزيد them ذلك إلا عطشاً لرؤيه منظراً آخر أكثر منه سفوراً وتكشفاً، وكأن المرأة لم تخلق لأي دور إلا دور تمتع الرجل بجسدها^(١٠١).

ورغم كل ذلك ما زالت المرأة في كثير من بلاد الغرب تعامل معاملة جائرة، وتحمل من الأعباء ما تنوء بحملها الجبال، فما زالت محرومة من حق الميراث، ومن حق التصرف فيما تملك حتى أنه لم يعترف لها بهذا الحق في إنجلترا إلا عام ١٩٢٦م بموجب قانون يجعل للزوجة الإنجليزية شخصية مستقلة، ولها حق التصرف في أموالها وأملاكها.

وما زالت البنت في كثير من بلاد الغرب مطالبة بكفالة نفسها عند بلوغها سن الرشد ولو أدى ذلك إلى حياة التبذل والاستهانة، وما زالت المرأة هي التي تبحث عن الزوج المنشود، وتحتلط بكل من هب ودب من الذكور، وتمارس الجنس مع من تشأ، حتى توقف إلى الرجل الذي تترافق معه على الزواج.

وما زالت قوانين الغرب قاصرة عن حماية عرض الفتاة إلا في سن القصور، أما بعد البلوغ فإن المجتمع يتسامه في التغريب بها أو الاعتداء عليها، مع أن الجنس مباح بتراضي الطرفين.

وقد كان قانون البغاء في إنجلترا إلى عهد قريب يعتبر سن البلوغ لفتاة هو الثانية عشرة من عمرها، مما أدى إلى تعرض مئات الفتيات للسقوط في سن مبكرة، قبل أن يبلغن الخامسة عشرة، ثم بعد محاولات نجح دعاء الإصلاح في إنجلترا في دعوتهن إلى اعتبار السن الذي تتحمل فيه المرأة المسئولية كاملةً عن عرضها هو السادسة عشرة.

ومع ذلك ازداد التغريب بالفتيات الصغيرات حتى أن أحد الأطباء من الباحثين البريطانيين رأى وجوب تزويد الفتيات في سن مبكرة قبل أن يبلغن الخامسة عشرة بتدابير منع الحمل لتفادي الزيادة المطردة في الطفولة غير الشرعية وحالات الإجهاض. وليس مهمًا عند الغرب الحفاظ على عرض المرأة، إنما المهم هو منع الآثار المترتبة على الاتصالات

^(١٠١) انظر: الحجاب، ص ١٥-١٩، وموسوعة المرأة المسلمة، صلاح عبد الغني محمد، ٤٦/٤٨، والمرأة في التاريخ والشريعة، ص ٦٤-٦٦.

الجنسية غير المشروع، لتنقيل ما يترتب عليها من أضرار ومشاكل، وأخيراً جعل الإجهاض أمراً مشروعًا لا تعارضه الحكومة. وما زالت المرأة في الغرب محرومة من أي حق لها من قبيل زوجها في حالة طلاقه لها، بل هي مكلفة بالإإنفاق على أولادها مناصفةً مع الرجل.

ذلك هو مبلغ تكريمهن للمرأة، وما هذا التكريم الذي يستغل المرأة إلى أقصى حد، ويجعلها هدفاً لإرضاء الشهوات، وإشباع النزوات^(١٠٢)، فباتت المرأة كما يقول الأوروبيون أنفسهم: "إنها سلعة استهلاكية بكل معنى الكلمة، فقد أصبح جسمها طعمًا في الدعاية، فمن أجل دعاية لمرهم للوجه تظهر المرأة عارية بأكملها، ومن أجل دعاية للجوارب تظهر المرأة مستندة إلى الأرض بأطرافها الأربع وકأنها كلبة تطلب الفساد"^(١٠٣).

إن الحالة التي وصلت إليها المرأة في أوربا وملحقاتها تحت شعارات الحرية والتقدم ساهم فيه الرجال الشهوانيون والنساء اللواتي وقعن بردة الفعل على أوضاع سابقة. ونتيجة لذلك فلا يوجد اليوم في الغرب رابط أسري، بل تفكك وضياع، مصحوب بأنانية وفردية طاغية، ويضاف إلى ذلك إهانة لكرامة المرأة ورسالتها في الحياة مع تضييع الأوقات وإهانة الطاقات في أعمال مضررة ومسيئة لكيان المرأة كالتمثيل والرقص مع التعري، والغناء المفسد للذوق والقاتل للمرءة، وصناعة أدوات التجميل والزينة المفسدة لبشرة المرأة، والمسببة لسرطان الجلد، وصناعة الخمور، وإقامة أماكن اللهو والعبث والفحوز.

فالقصد لعواصمهم ومنتزهاتهم يلاحظ وبسهولة مظاهر الانحراف والشذوذ حيث تمارس العلاقات الانحرافية بشكل وقع، مما أوصلهم إلى أمراض خطيرة جنسية، كان أخطرها مرض فقدان المناعة "الإيدز" الذي لقب بطاعون القرن العشرين. فأية حرية هذه التي تصل فيها الأمور إلى هذا الحد من التعلق المسعور بالجنس حيث يمارس في كل مكان حتى الأماكن العامة.

فهذا هو حال المرأة الغربية وما آلت إليه من هجر للأخلاق والقيم، ومقاومة الفضائل والحسنة تحت دعوات سميت زوراً حرية وتقدماً^(١٠٤).

^(١٠٢) انظر: أهداف الأسرة في الإسلام والتيارات المضادة، حسن محمد يوسف، بناء الأسرة المسلمة، سلسلة (١)، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ٣٢-٣٥.

^(١٠٣) المرأة في التاريخ والشريعة، ص ٦٧.

^(١٠٤) نفس المصدر السابق، ص ٦٧-٦٩.

المبحث الثاني

مكانة المرأة في الإسلام

يُعد موقف الإسلام من المرأة ثورةً على المعتقدات والآراء التي رسخت في المجتمعات القديمة ولا تزال سائدة عند أتباع بعض الديانات والطوائف الشرقية، التي كانت تنظر إلى المرأة نظرة واحدة، كلها احتقار وتعسف وظلم.

كانت المرأة في الجاهلية عندهم لا وزن لها ولا كيان ولا حقوق، كانوا يشكّون بإنسانيتها ويرون أنها غير جديرة بتلقي الدين، ودخول الجنة مع المؤمنين الصادقين، ولا يحترمونها الاحترام الحقيقي اللائق بكرامتها، ولا يعترفون بأهليتها، فلم تكن إلا ضمن الأشياء التابعة للرجل، وتحت وصايتها بحكم أنوثتها، ومن ثم أهدرت شخصيتها، فهي مأمورة لا آمرة، بل عرضةً للبيع والشراء، يتحكم بها الرجل المتميز عليها في الوجود كما في معتقداتهم، فيأمر بقتلها أو وأدّها وهي على قيد الحياة.

ولقد كان بعثُ الله نبيه محمدًا صلَّى الله عليه وسلم انطلاقًا لتحرير المرأة من مظالم الجاهلية، وتكريمها بنتاً وزوجةً وأمًا.

لقد جاء الإسلام لينتقل بوضع المرأة من الحضيض إلى الأعلى، فقفز بها من العدم إلى الوجود، ومن الشك في إنسانيتها إلى كامل إنسانيتها، ومن منتهى المهانة إلى أعلى الكرامة، ومن فقدان الأهلية إلى كامل الأهلية.

و جاء التشريع الإسلامي ليصون المرأة عن عبث الشهوات، وفتنة الاستمتاع بها استمتاعاً جنسياً حيوانياً، ويجعلها عنصراً فعالاً في المجتمع الذي تعيش فيه، فقرر لها حقوقها المشروعة والثابتة، وأعطها ما تستحق من غير استغلال لأنوثتها، ولا تملّق لها، وأنثبت لها كل ما يحقق به كرامتها الإنسانية الحقيقية^(١٠٥).

المطلب الأول: مكانة المرأة في القرآن والسنة:

جاء القرآن الكريم بمبادئ سامية من أجل إصلاح حال المرأة، ووضّح الرسول صلَّى الله عليه وسلم هذه المبادئ وأكّدّها وشرحها وهي مبادئ ثابتة صالحة لكل زمان ومكان، ويمكن تلخيص هذه المبادئ الإصلاحية التي تهم المرأة، وترفع شأنها في النقاط الآتية:

^(١٠٥) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٢٥-٢٩، ٣٨، ٥١، والمرأة في الإسلام، د. محمد معروف الدواليبي، دار النفائس، بيروت-لبنان، ط ١، ١٤٠٩ - ١٩٨٩م، ص ٢٨-٢٩.

أولاً: إنسانية المرأة:

إن المرأة كالرجل في الإنسانية سواء بسواء، فهـما من أصل واحد يقول سبحانه وتعالى في سورة النساء: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾**^(١٠٦).

ويكفي المرأة شرفاً وإنسانية أن تسمى سورة من القرآن باسمها وهي سورة النساء وأول آية منها تدل على كامل إنسانيتها وكرامتها، وكأن هذه الآية الكريمة جاءت ردًا شافياً كافياً على من لم تكن إنسانية المرأة موضع اعتبار عندـهم، حيث كانوا يتدارسون فيما بينـهم هل المرأة إنسان له روح أم حيوان نجس لا روح له.

وآية أخرى تبين أن المرأة أخت للرجل، إذ تنسـب وإليـاه إلى أب واحد وأم واحدة، فقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعْرَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتُقَاقُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾**^(١٠٧).

ورسـول الله صـلى الله عليه وسلم يقرـر هذه الحقيقة بقولـه: "إـنـما النـساء شـقـائق الرـجال"^(١٠٨)، وأـخـوـة النـسب عـلـى هـذـا النـحو نـقـضـي المـساـواـة فـيـهـ، إذ لا يـكـون أحدـ الشـقـيقـين أـفـرـ حـظـاـ فيـ النـسـبة إـلـى أـبـويـهـ مـنـ الـآـخـرـ^(١٠٩).

ثانياً: مـسـؤـلـيـة المرأة:

أـعـلـنـ الإـسـلامـ كـامـلـ مـسـؤـلـيـتهاـ إـلـىـ جـانـبـ مـسـؤـلـيـةـ الرـجـلـ فـيـماـ عـهـدـ بـهـ لـلـإـنـسانـ منـ شـرـفـ الـخـلـافـةـ فـيـ الـأـرـضـ لـقـولـهـ سـبـحـانـهـ: **﴿إِنِّي جَاعِلٌ فـي الـأـرـضـ خـلـيـفـةـ﴾**^(١١٠)، وـطـالـبـهـماـ عـلـىـ السـوـاءـ بـعـمـارـةـ الـأـرـضـ حـيـثـ قـالـ سـبـحـانـهـ: **﴿هـوـ أـنـشـأـكـمـ مـنـ الـأـرـضـ وـأـسـتـعـمـرـكـمـ فـيـهـ﴾**^(١١١)، وـطـالـبـهـماـ أـيـضاـ عـلـىـ السـوـاءـ بـعـبـادـةـ اللهـ فـيـهـ حـيـثـ قـالـ جـلـ وـعـلاـ: **﴿وـمـا خـلـقـتـ الـجـنـ وـالـأـسـ إـلـاـ**

^(١٠٦) سورة النساء، الآية (١).

^(١٠٧) سورة الحجرات، الآية (١٣).

^(١٠٨) سنـنـ التـرمـذـيـ، كـاتـبـ الطـهـارـةـ، بـابـ ماـ جـاءـ فـيـمـ يـسـتـيقـظـ فـيـرـىـ بـلـلاـ وـلـاـ يـذـكـرـ اـحـتـلـاماـ، حـدـيـثـ رقمـ (١١٣)، ١٦٤/١، دـارـ الفـكـرـ، سـنةـ ٢٠٠١مـ، وـصـحـحـهـ الـأـلـيـانـيـ فـيـ صـحـبـ سنـنـ التـرمـذـيـ، ٨٠/١، مـكـتـبـةـ الـمـعـارـفـ، الـرـيـاضـ، طـ٢ـ، ٢٢ـ١٤٢٢ـهــ٢٠٠٢ـمـ.

^(١٠٩) انـظـرـ: المـرأـةـ بـيـنـ الـفـقـهـ وـالـقـانـونـ، صـ٢٥ـ، وـالـمـرأـةـ فـيـ الـإـسـلامـ، عـلـيـ عـبـدـ الـواـحـدـ وـافـيـ، دـارـ نـهـضـةـ مـصـرـ، طـ٢ـ، صـ٣٩ـ، ٤٢ـ، وـالـإـسـلامـ وـقـضـاـيـاـ الـمـرأـةـ الـمـعاـصـرـةـ، الـبـهـيـ الـخـوليـ، صـ٢٠ـ، ٢٢ـ.

^(١١٠) سورة البقرة، الآية (٣٠).

^(١١١) سورة هـودـ، الآية (٦١).

لِيَعْبُدُونِ》^(١١٢)، وهكذا فقد شارك الجنسان فيما عهد إليهما به من قبل الله سبحانه وتعالى ليقوما به من غير استثناء^(١١٣).

ثالثاً: تبرئة المرأة من بعض التهم الملصقة بها:

دفع عنها اللعنة التي كان يلصقها بها رجال الديانات السابقة، فلم يجعل عقوبة آدم بالخروج من الجنة ناشئاً منها وحدها، بل منهما معاً. يقول الله في قصة آدم وحواء: «فَأَزَّلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ»^(١٤)، ويقول عن توبتهما: «قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَا مِنَ الْخَاسِرِينَ»^(١٥).

بل إن القرآن في بعض آياته نسب الذنب إلى آدم وحده فقال: «وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى»^(١٦)، ثم قرر مبدأ آخر يعفي المرأة من مسؤولية أنها حواء، وهو يشمل المرأة والرجل على السواء^(١٧)، فقال سبحانه: «تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ»^(١٨).

رابعاً: أهلية المرأة:

قرر أهليتها للدين، وتلقى التكاليف الشرعية، ودخول الجنة إن أحسنت، ومعاقبتها إن أساءت ك أخيها الرجل سواء بسواء.

فالله سبحانه أشرك حواء مع آدم عليه السلام فيما خاطبه به، وأمره ونهاه، فحين أمره أن يسكن الجنة، ونهاه أن يأكل من الشجرة وجه إليهما الخطاب معاً: «وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرِبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُنَا مِنَ الظَّالِمِينَ»^(١٩)، وحين خالفاً أمر الله وجه الإنكار إليهما معاً: «أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ»^(٢٠).

而对于女性的个人权利，它在《古兰经》中也有明确的表述。例如，在关于女性继承权的章节中，它指出女性有平等的继承权，并且在某些情况下甚至优先于男性。这与传统社会中的性别歧视形成了鲜明对比。

^(١١٢) سورة الذاريات، الآية (٥٦).

^(١١٣) انظر: المرأة في الإسلام، الدواليبي، ص ١٧-١٩.

^(١١٤) سورة البقرة، الآية (٣٦).

^(١١٥) سورة الأعراف، الآية (٢٣).

^(١١٦) سورة طه، الآية (١٢١).

^(١١٧) المرأة بين الفقه والقانون، ص ٢٦.

^(١١٨) سورة البقرة، الآية (١٣٤).

^(١١٩) سورة البقرة، الآية (٣٥).

^(١٢٠) سورة الأعراف، الآية (٢٢).

الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكُنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرُقْنَ وَلَا يَزْنِيْنَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِيْنَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيْنَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَغْفِرُ لَهُنَّ
اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢١).

وتَكْرِيداً عَلَى ذَاكَ الْمَسْؤُلِيَّةِ كَانَتْ مَعَ الرَّجُلِ فِي مِيزَانِ الثَّوَابِ وَالْعَقَابِ الْأَخْرَوِيِّ حِيثُ قَالَ سَبَحَانَهُ: «وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالَحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا»^(١٢٢)، وَقَالَ: «وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارًا جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ»^(١٢٣)، وَلَوْ تَتَبَعَنَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لَوْجَدْنَا آيَاتٍ كَثِيرَةٍ تُؤَكِّدُ هَذَا الْمِبْدَأَ لَا مَجَالَ لِذِكْرِهِ كُلُّهَا فِي هَذَا الْمَبْحَثِ^(١٢٤).

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم المشهور: "لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع
محمد يدها"^(١٢٥) يؤكد مسؤولية المرأة، وهي تعاقب ويقام عليها الحد وكذلك الرجل، ولم يخص
المرأة بالذكر هنا، إلا لأن السارقة كانت امرأة.

خامساً: تحرير المرأة من مظالم الجاهلية:

ومن هذه المظالم: الضيق بها والاكتئاب عند ولادتها حيث قال سبحانه: «إِذَا بُشِّرَ أَهْدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوِدًا وَهُوَ كَظِيمٌ»^(١٢٦)، وأنكر عليهم هذه العادة السيئة حيث قال: «يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمَسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدْسُهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ»^(١٢٧)، وحرم وأدّها وشنع على ذلك أشد تشنيع فقال: «إِذَا الْمَوْفُودَةُ سُئِلتُ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلتُ»^(١٢٨)، والرسول صلى الله عليه وسلم كان يحزن ويبكي عند سماع قصص الصحابة الذين دفعوا بناتهم وهن أحيا وامرهم بتکفير ذنب الوأد، فعندما جاءه قيس بن عاصم وقال له: إنني وأدت ثمانی بنات لي في الجاهلية فقال له الرسول صلى الله

⁽¹²¹⁾ سورة الممتحنة، الآية (١٢).

(١٢٤) سورة النساء، الآية (١٢٢).

(٦٧) الآية، التوبه، سورة (١٢٣).

⁽¹²⁴⁾ انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٢٦-٢٧، والمرأة في الإسلام، د. علي وافي، ص ٣٤-٣٨، والإسلام وقضايا المرأة المعاصرة، البهى الخولي، ص ٢٢-٢٤.

¹²⁵⁾ صحيح البخاري، كتاب أحاديث النساء، باب (٥٤/٥٢) حديث رقم (٣٤٧٥)، ٨٦٥/٢.

(١٢٦) الآية، الْخَرْفُ، سُورَةُ (١٧).

سورة النحل، الآية (٥٩). (١٢٧)

(١٢٨) سورة التكوير ، الآيات (٨-٩)

عليه وسلم: "أعتق عن كل واحدة منهن رقبة، قال يا رسول الله إني صاحب إبل، قال: فانحر عن كل واحدة منها بذلة إن شئت"^(١٢٩).

ونهى عن توريثها وجعلها كالمتاع، والتضييق على حريتها فقال: «يا أئيّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَدْهِبُو بِعَضٍ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ . . .»^(١٣٠).

وحرم على الابن أن ينكح زوجة أبيه أو زوجة أخيه خاصة بعد وفاة زوجها، كما كان في الجاهلية يلقي عليها ثوبه فيتزوجها أو يمنعها من الزواج فقال سبحانه وتعالى: «وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ» وقال تعالى: «وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحْشَاءً وَمُقْتَأً وَسَاءَ سَبِيلًا» حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم^(١٣١).

وحرم إفساد علاقات المودة والأرحام بتحريم الجمع بين المرأة ومحارتها من النساء كالعممة والخالة والأخت وبنت الأخت، فورد في السنة: "لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها"^(١٣٢).

سادساً: إكرام المرأة بنتاً وزوجة وأماً:

أما إكرامها كبنت فأمره بتعليمه وتأدبيها والإحسان إليها فقال صلى الله عليه وسلم "أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأدبيها، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران"^(١٣٣).

وأما إكرامها زوجة ففي ذلك آيات وأحاديث كثيرة منها:

«وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً»^(١٣٤)، قوله صلى الله عليه وسلم: "خير متاع الدنيا الزوجة الصالحة، إن نظرت إليها

^(١٢٩) تفسير القرطبي، ٢٠٢/١٩.

^(١٣٠) سورة النساء، الآية (١٩).

^(١٣١) سورة النساء، الآيات (٢٢-٢٣).

^(١٣٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا تنكح المرأة على عمتها، رقم الحديث (٥١٠٩)، ١٣١٣/٣، وانظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٢٧، تحرير المرأة في عصر الرسالة، عبدالحليم أبوشقة، دار القلم، الكويت والقاهرة، ط٤، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥، ص ١٧٤-١٧٢.

^(١٣٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب اتخاذ السراري ومن أعتق جارية ثم تزوجها، رقم الحديث (٥٠٨٣)، ٣٤٤/٣.

^(١٣٤) سورة الروم، الآية (٢١).

سرتك، وإن غبت عنها حفظتك^(١٣٥). قوله تعالى: «وَعَاشُرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهُتُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرِهُوْا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا»^(١٣٦)

وأما إكرامها كأم، فقد أوصى الله بالأم خيراً: «وَوَصَّيْنَا الْأَنْسَانَ بِوَالِدِيهِ إِحْسَانًا حَمَلْتُهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعْتُهُ كُرْهًا»^(١٣٧)، وقال: «فَلَا تَقْلِ لَهُمَا أُفًّا وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا»^(١٣٨)، وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "من أحق الناس بحسن صحابتي، قال: أمك، قال: ثم من، قال: أمك، قال: ثم من، قال: أبوك"^(١٣٩)، فقدم الأم في الصلة والبر على الأب.

وكثير من المواقف يظهر فيها تكريّم الرسول صلى الله عليه وسلم للمرأة فمثلاً: من عامة النساء هناك موقف لرسول الله صلى الله عليه وسلم عندما رأى النساء والصبيان مقبلين من عرس فقام النبي صلى الله عليه وسلم مُمثلاً أي انتصب قائماً فقال: "اللهم أنتن من أحب الناس إليّ قالها ثلث مرات"^(١٤٠).

سابعاً: تعليم المرأة

رغب في تعليمها كالرجل بخلاف ما رأينا في السابق عند غير المسلمين كانت تحبس في البيت وتحرم من العلم فأعطى الإسلام كل فرد ذكراً أو أنثى الحق في أن ينال العلم حسب ظروفه وإمكانياته بل جعل ذلك فرضاً حسناً حيث قال صلى الله عليه وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"^(١٤١)، قوله مسلم يشمل الرجل والمرأة، وقد اتفق العلماء على أن كل ما يطلب من الرجل تعلمها يطلب من المرأة كذلك.

^(١٣٥) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب خير ماتع الدنيا المرأة الصالحة، رقم الحديث: (١٤٦٧)، ١٠٩٠/٢، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

^(١٣٦) سورة النساء، الآية (١٨)

^(١٣٧) سورة الأحقاف، الآية (١٥).

^(١٣٨) سورة الإسراء، الآية (٢٣).

^(١٣٩) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، حديث رقم (٥٩٧١)، ١٥١٦/٤، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، ٢/٨.

^(١٤٠) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأنصار، ١٧٤/٧، دار الفكر.

^(١٤١) سنن ابن ماجة، كتاب المقدمة، باب فضل العلماء والحمد على طلب العلم، حديث رقم (٢٢٤)، ٨١/١، دار الفكر، وصحّحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة، ٩٢/١، مكتبة المعارف، الرياض.

وروي عن الشفاء بنت عبد الله قالت: دخل عليّ النبي وأنا عند حفصة فقال لي: "ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة"^(١٤٢)، ورقية النملة أي تحسين الخط وتزيينه، وشهاد كثيرة تدل على أن أبواب التعليم والثقافة كانت مفتوحة على مصراعيها لفتاة، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يأتي النساء ويعظهن، وخصص يوماً للنساء ليذكرهن فيه^(١٤٣).

ثامناً: توريث المرأة:

أعطتها حق الإرث أماً وزوجة وبنتاً، كبيرة كانت أو صغيرة، أو حملًا في بطن أمها، وأيات المواريث في سورة النساء شاهد على ذلك^(١٤٤).

تاسعاً: تنظيم حقوق الزوجين:

نظم حقوق الزوجين، وجعل للزوجة حقوقاً كحقوق الرجل، مع رئاسة الرجل لشئون البيت، وهي رئاسة غير مستبدة ولا ظالمة، حيث قال جل في علاه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾^(١٤٥).

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم "والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها"

فالزواج في الإسلام لا يفقد المرأة اسمها ولا أهليتها في التعاقد، ولا حقها في التملك بل تظل بعد زواجها محتفظة باسمها وباسم أسرتها، وبكامل حقوقها المدنية، وبأهليتها في تحمل الالتزامات، وإجراء مختلف العقود من بيع وشراء ورهن وهببة ووصية وغيرها، ولها ثروتها الخاصة وذمتها المالية، المستقلة عن زوجها، ولا يجوز للزوج أن يأخذ شيئاً من مالها إلا بإذنها، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً﴾^(١٤٦) أي المهر لها وجعل ولادة الرجال عليها ولادة رعاية وتأديب، ورعايا بشئونها وتنمية أموالها، لا ولاده تملك واستبداد، ولها الحق في اختيار الزوج المناسب، وإن كانت بكرًا يكتفي بسكتها وهو

^(١٤٢) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقي، حديث رقم (٣٨٨٧)، ٣٩٣/٣، دار الفكر، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، مكتبة المعارف - الرياض، ط ٢، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ٤٦٨/٢.

^(١٤٣) انظر: ص: ٢٠١.

^(١٤٤) سورة النساء، الآيات (١١-١٢).

^(١٤٥) سورة البقرة، الآية (٢٢٨).

^(١٤٦) سورة البقرة، الآية (٢٢٨).

تعبيرً عن رضاها^(١٤٧)، ويروى في هذا قصة حيث ذهبت فتاة إلى السيدة عائشة تشكو إليها أن أباها زوجها من ابن أخيه ليرفع خسيسته، فقالت: انتظري حتى يحضر النبي صلى الله عليه وسلم: فلما حضر ذكرت له ما ذكرته لأم المؤمنين قال - صلى الله عليه وسلم -: "الأيم أحق بنفسها من ولديها، فقلت الفتاة: يا رسول الله قد أ مضيت ما فعل أبي، وإنما قلت ما قلت ليعلم النساء أن ليس للرجال في هذا أمر"^(١٤٨)، كما ألغيت أنواع الأنكحة التي فيها إجحاف وظلم للمرأة في مرة واحدة، وجعل الله للطلاق حدًا لا يتجاوزه الزوج وهو ثلات، وجعل له وقت، ولأنزه عدة تتبع للزوجين العودة إلى الصفاء والونام فقال تعالى: ﴿الطلاقُ مَرْتَانٌ فِإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيْخٌ بِإِحْسَانٍ﴾^(١٤٩).

عاشرًا: تقييد الطلاق:

نظم الإسلام قضية الطلاق الذي كان بلا حدود، فمنع تعسف الرجل فيه وظلمه.

حادي عشر: تحديد التعدد للزوجات:

جعل لعدد الزوجات حدًا، فجعلت أربعاً بعد أن كان على إطلاقه وبلا حدود قال سبحانه: ﴿فَاتَّكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتَّنِي وَثُلَاثَ وَرَبِيعٍ﴾^(١٥٠)، وقيده بالعدل فقال: ﴿فَإِنْ خِفْتُمُ الَّا تَعْدُلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكْتُ أَيْمَانَكُمْ﴾^(١٥١).

ثاني عشر: حق العمل:

أباح الإسلام للمرأة العمل، فلها أن تقوم بالوظائف والأعمال المشروعة التي تحسن أدائها ولا تتنافر مع طبيعتها وفطرتها، وبما لا يؤثر رسالتها الأصلية، كأم مربية وزوجة مخلصة، ولم يقيد هذا الحق إلا بما يحفظ للمرأة كرامتها، ويصونها عن التبذل، وأن تؤدي هذا العمل في أدب وحشمة بعيداً عن الاختلاط بالرجال، وأن لا يؤدي عملها إلى ضرر اجتماعي أو خلقي أو يصرفها عن رسالتها الفطرية وأداء واجبها نحو زوجها وبيتها وأولادها.

وقد كانت النساء في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم يقمن بكثير من الأعمال في داخل بيتهن وفي خارجها وخير قدوة لنا أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، قالت: "كنت

^(١٤٧) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٢٩، والمرأة في الإسلام، علي وافي، ص ١٤-٧.

^(١٤٨) صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكتوت، رقم الحديث ٢٥٤٥، ٢/٣٧.

^(١٤٩) سورة البقرة، الآية (٢٢٩).

^(١٥٠) سورة النساء، الآية (٣).

^(١٥١) سورة النساء، الآية (٣).

أخدم الزبیر خدم الیت کله، وأسوس فرسه وأعلفه وأحتش له، وکنت أخرز الدلو، وأسقی الماء، وأحمل النوى على رأسي من أرض له على ثلثي فرسخ^(١٥٢).

ولم تخل غزوة من الغزوات إلا شاركت النساء فيها مع رسول الله صلی الله عليه وسلم، فيقمن بمساعدة المرضى والمصابين وسقاية العطشى.

لو تتبعنا القرآن والسنة لوجدنا كثيراً من الشواهد التي تعز المرأة، وتساوي بينها وبين الرجل في الإنسانية والكرامة والأهلية، مع وجود بعض الفروق التي لا تؤثر أو لا تنتقص من منزلتها والتي وجدت لضرورات فسيولوجية واجتماعية واقتصادية ونفسية.

ونتيجة لهذا كله يجب على المرأة المسلمة أن تفاخر جميع نساء العالم لأن في دينها الإسلامي فضل السبق في تقرير حقوقها والاعتراف بكرامتها اعترافاً إنسانياً نبيلاً، بعيداً عن الهوى والأغراض الدنيوية، ولا يدفع إليه قسراً ولا ضرورة^(١٥٣).

المطلب الثاني: مكانة المرأة عند الخلفاء الراشدين والتابعين:

إن المتتبع لتاريخ المسلمين بعد وفاة الرسول صلی الله عليه وسلم سيجد ما لا يجده في العالم الحديث، سيجد نساءً عبريات كنّ النموذج للمرأة المسلمة، الواحدة منهن تفوق نساء الحضارة الغربية كلّهن.

فعلى الرغم من الدعوى العريضة لتحرير المرأة ورفع مستواها في الغرب، فإنه لم تتبع فيهم المرأة التي تكون لبار الرجال إماماً يأخذون عنها، بينما نجد في مختلف عصور الإسلام نساءً لهن أثر بالغ يخلده التاريخ.

والفضل في ذلك يرجع للخلفاء الراشدين من الصحابة والتابعين أمثال (أبو بكر وعمر وعلي وعثمان وعمر بن عبد العزيز وغيرهم)، الذين ساروا على نهج نبيهم محمد صلی الله عليه وسلم في تكريمهن للمرأة ورعاية حقوقها، والدفاع عن عرضها، وإتاحة الفرصة لها لتصبح عالمة ومعلمة ليس للنساء وحدهم، بل للرجال أيضاً.

وستكتفي الباحثة بذكر بعض الأمثلة والموافق التي تعلّي من شأن المرأة وتغرس في نفسها الثقة والإيمان بحقوقها التي كفلها الإسلام.

الأمثلة والموافق:

^(١٥٢) المرأة في الإسلام، علي وافي، ص: ٣٢-٣١.

^(١٥٣) انظر: المصدر السابق، ص: ٣٢-٣١.

١- السيدة عائشة رضي الله عنها كانت شاعرة أدبية وعالمة بالطب، وفقيهة مجتهدة يؤخذ عنها الدين والقرآن، وشاركت في روایة السنة وتعليمها للناس، حيث بلغ مسند عائشة ألفين ومترين وعشرين أحاديث، وتشترك معها من أمهات المؤمنين ونساء الصحابة حفصة وأم سلمة وزينب بنت جحش وأم حبيبة وجويرية وصفية بنت حبيبي وميمونة، وأسماء بنت أبي بكر وغيرهن، وقد عرض الشيخ عبد الحليم أبو شقة في كتابه تحرير المرأة في عصر الرسالة نماذج مما روت النساء من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١٥٤).

وفي أتباع الصحابة نبغت حفصة بنت سيرين، وأم الدرداء الصغرى في علوم الدين، وكتب التاريخ حافلة بالنساء اللاتي نهضن بالعلم في ظل حضارة الإسلام، بل يسجل للمرأة مخرة ليست للرجل، فقد وقع الكذب في الحديث من رجال كثريين، ووقع منهم الغلط، أما النساء على كثرتهن في الرواية فلم يقع منها تعمد الكذب في الحديث، وهذه شهادة إمام الجرح والتعديل في عصره شمس الدين الذهبي حيث يقول في قسم النساء من كتابه ميزان الاعتلال في نقد الرجال: "وما علمت في النساء من اتهمت - أي بالكذب - ولا من تركوها". ^(١٥٥) وكذلك كثر في العهد العباسي في المشرق، وفي ظل الأمويين في الأندلس النساء اللواتي اشتهرن بمعارفهم العلمية والأدبية.

٢- خطب عمر بن الخطاب ص مرة يحث النساء على التساهل في المهر، وأعلن أن من دفع لزوجته مهراً أكثر من مهر نساء النبي صلى الله عليه وسلم فسيأخذه لبيت المال، وعلى مشهد الملا تقوم من النساء امرأة تجاهه أعظم زعيم وتقول: "ما ذاك لك"، قال: ولم، قالت: إن الله قال: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ ^(١٥٦)، فرجع عمر عن قوله وقال: " فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب" ، وفي رواية أخرى قال: "أخطأ رجل وأصابت امرأة" ^(١٥٧).

وهذا الاعتراض على عمر لأنه أراد أن يمنع المغالاة في المهر وهي ليست بحرام، لكنها مخالفة لما اعتناده المسلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوقفت المرأة المسلمة أمام الخليفة تدافع عن حقوق المرأة وتصحح الخطأ في ذلك.

^(١٥٤) انظر: الجزء الأول، ص ١١٨-١٢٢.

^(١٥٥) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٢، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م، ٢٥٦/٢.

^(١٥٦) سورة النساء، الآية (٢٠).

^(١٥٧) تفسير ابن كثير، ٤٦٧/١، وانظر: حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندھلوی، دار القلم، دمشق، ط ٤، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦ م، ٦٧٧/٢.

٣ - كان الخلفاء يستمعون إلى شكوى المرأة وينصفونها ولا يردونها خاتمة، حيث أنت سودة بنت عمارة إلى علي بن أبي طالب في رجل ولاه أمر الصدقات، فكان بينه وبين قومها ما بين الغث والسمين، فوجده قائمًا يصلي، فانقلب من صلاته ثم قال برأفة وعطف: "ألك حاجة"، فأخبرته خبر الرجل فبكى ثم رفع يديه إلى السماء فقال: "الله إني لم آمرهم بظلم خلقك، ولا ترك حقك"، ثم كتب إليه بعزله عن ولاية الصدقات.

هذا نموذج لامرأة جريئة في قول الحق وطلب العدل، لا في اللغو واللهو^(١٥٨).

٤ - أم أيمن كان لها منزلة عظيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يعتبرها بدل أمه التي فقدتها صغيراً وكان يناديها "يا أمي" ويقول: هذه أمي بعد أمي وكان ينظر إليها ويقول: "هذه بقية أهلي"، وكان يتلطف بها ويرعى شؤونها ويزورها من حين آخر ويمارحها ويقول لها: "غطي فناعك يا أم أيمن"^(١٥٩).

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرفون لأم أيمن ولأبنائها منزلتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبه لهم، فكانوا يقدرون هذه المنزلة ويرفون لأم أيمن وأبنائها، فكان أبو بكر وعمر يزوران أم أيمن ويرعيان شؤونها كما يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته، حيث قال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها، فلما انتهيا إليها بكت، فقالا لها ما يبكيك ما عند الله خير لرسوله صلى الله عليه وسلم، فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله صلى الله عليه وسلم، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتها على البكاء فجعلها يبكيان معها^(١٦٠).

وفي زمن عمر بن عبدالعزيز خاصم بن الفرات مولى الحسن بن أسماء بن زيد وناظره وقال في كلامه "يا بن بركة"، فلما رفع الأمر إلى قاضي المدينة، أمر بإزالة العقوبة به؛ لأنه أراد بذلك التضليل من شأن المرأة^(١٦١).

٥ - أم عمارة نسيبة بنت كعب قطع ذراعها الأيمن في معركة اليمامة بعد أن طعنت مسلمة الكذاب في بطنه، وكانت أم عمارة تخرج من ذراعها المقطوع، لذا لا تجيب دعوة من يدعوها إلى طعاماً أبداً، لأنها لا تستطيع أن تأكل بيد واحدة.

^(١٥٨) مكانك تحدي، أحمد محمد جمال، مطبعة أطلس، القاهرة، ط١، ١٩٧٦م، ص٢٢٤.

^(١٥٩) الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار صادر، بيروت، ٢٢٤/٨.

^(١٦٠) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أم أيمن، رقم الحديث (٢٤٥٤)، ١٩٠٧/٤.

^(١٦١) انظر: مكانك تحدي، أحمد محمد جمال، مطبعة أطلس - القاهرة، ط١، ١٩٧٦م، ص٢١٣-٢١٤.

عرف عمر بن الخطاب عن أم عمارة فصعد المنبر من أجل أن يطيب شعور امرأة مسلمة، وقال: أيها الناس أين أم عمارة؟ فصاحت من آخر المسجد: هانذا يا أمير المؤمنين، فقال: يا أم عمارة، لعلك تخجلين من ذراعك المقطوع، يا أم عمارة أبشرى، شيءٌ منك سبقك إلى الجنة، فسمع المسجد كله تكبير المرأة: الله أكبر اليوم أتيه على النساء بذراعي المقطوع^(١٦٢).

٦ - ولقد سجل التاريخ للمرأة المسلمة آثاراً جليلة، هي من أبلغ ما سجله من أمجاد لهذه الأمة، بسبب الغيرة على كرامة المرأة.

فهذه امرأة مسلمة أسرها الروم، لا تربطها بخليفة المسلمين المعتصم بالله رابطة سوى أخوة الإسلام، تستجده به وتصبح (وا معتصماه)، وما أن بلغت المعتصم هذه الندبة – وكان يأخذ لنفسه قسطاً من الراحة – حتى قال بملء جوارحه: لبيك، وانطلق لتوه إلى القتال، وانطلقت معه حافل المسلمين، وقد ملأت الغيرة لكرامة المرأة نفس كل جندي إباءً وحماساً، فأنزلوا بالعدو شر هزيمة، اقتحموا قلاعه من أعماق بلاده، حتى أتوا عمورية، وهدموا قلاعها، وانتهوا إلى تلك الأسيرة وفكوا عقالها^(١٦٣).

المطلب الثالث: مكانة المرأة في الحياة الإسلامية المعاصرة:

المرأة المسلمة في مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة بين موقفين وهما الغلو والتقصير:

الموقف الأول:

فهناك المسلمون المقصرن في حق المرأة الذين ينظرون إليها نظرة استهانة واحترار، فهي عندهم أحبولة الشيطان، وشبكة إيليس في الإغراء، والإضلal، وناقصة العقل والدين.

وهم يعتبرونها مخلوقاً ناقص الأهلية، وهي عند الرجل أمّة أو كالأمّة، يتزوجها لمتعه إن شاء، ويمتلك بضعها بما يدفع من مال، ويطلقها متى أراد، دون أن تملك له دفعاً، ولا تستحق عن ذلك متعاماً ولا تعويضاً، حتى عبر بعضهم بأنها كالنعل، يلبسها متى أراد، ويخلعها متى أراد.

وهي إذا تزوجت الرجل: فكرهته، ولم تطقه بغضناً ونفرة، فليس لها إلا أن تصبر على مضض، وتتجرب مرارة الحياة على كره، حتى يرضي بطلاقها أو خلعها، وإلا فلا ولا وسيلة لها للخلاص من نير عبوديتها.

^(١٦٢) مكانة المرأة في الإسلام: عمرو خالد، أريج للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص٤٢.

^(١٦٣) مذا عن المرأة، نور الدين عتر، دار الفكر - دمشق، ط٣، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ص٢٦-٢٧.

وبعض هؤلاء رجع إلى عهد الجاهلية قبل الإسلام، فلا يجعل لبناته في الميراث حقاً، ويكتب تركته بيعاً وشراة لأبنائه الذكور، أما الإناث فما لهن من نصيب.

لقد حبسوها في البيت، فلا تخرج لعلم ولا عمل، ولا تساهم في أي نشاط نافع يخدم مجتمعها، مهما يكن نوعه، حتى صور بعضهم المرأة الصالحة بأنها لا تخرج إلا مرتين: مرة من بيت أبيها إلى بيت زوجها، ومرة من بيت زوجها إلى قبرها.

هذا مع أن القرآن جعل حبس المرأة في البيت عقوبة لمن تأتي الفاحشة ويشهد عليها أربعة من المسلمين، وذلك قبل استقرار التشريع على حد الزنا المعروف، حيث قال سبحانه: ﴿وَاللَّاتِي يُأْتِيْنَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهُدُوْنَا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهَدُوْنَا فَأَمْسِكُوْهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾^(١٦٤).

حرموها من الخروج لطلب العلم والتفقه في الدين، وقالوا: إن على أبيها أو زوجها أن يفهمها ويعملها، فحرموها من نور العلم، وحكموا عليها بالبقاء في ظلمة الجهل، ولم يعلموا أب ولا زوج، لأن الأب والزوج كان في حاجة إلى من يعلمها، وفقد الشيء لا يعطيه، هذا مع علمهم أن طلب العلم فريضة على كل مسلم، وأن من أمهات المؤمنين ونساء الصحابة والسلف من بلغن مكاناً عظيماً في العلم والفقه، ورواية الحديث، بالإضافة إلى الشعر والأدب^(١٦٥).

وقد وجد من علمائنا من يقول: "حدثتني الشيخة المسندة الصالحة فلانة بنت فلان"، وقد كانت (كريمة بنت أحمد) المروزية إحدى راويات صحيح البخاري، ونسختها إحدى النسخ المعتمدة التي نوه إليها الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، حيث قال: "وأما رواية كريمة، فأخبرنا بها الحافظ أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، سماعاً عليه لبعضه، وإجازة لسائره"^(١٦٦).

وهناك من منعها من الذهاب للمساجد لحضور صلاة أو موعدة، مع علمهم بأن النساء في العصر النبوي كن يشهدن الجمعة، حتى في العشاء والفجر، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال بصريح العبارة: "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله"^(١٦٧).

^(١٦٤) سورة النساء، الآية (١٥).

^(١٦٥) انظر: تقديم د. يوسف القرضاوي لكتاب تحرير المرأة في عصر الرسالة، ١٠/١.

^(١٦٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري بن حجر العسقلاني، دار الفكر، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ١٢/١١، ١/١٩٩٦م.

^(١٦٧) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل، رقم الحديث (٩٥٥)، ٢١٣/١، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب أمر النساء المصليات وراء الرجال أن لا يرفعن رؤوسهن من السجود حتى يرفع الرجل، رقم الحديث (١٣٦)، ٣٢٧/١.

كما حرموها من مشاركة الأب أو الزوج فيما تستطيع المشاركة فيه من أعمال الحياة المنشورة، مخالفًا لما جاء عن الصحابة حيث صح ذلك عن بعض نساء الصحابة، مثل أسماء ذات النطاقين مع زوجها الزيبر بن العوام.

وكثيراً ما استند هؤلاء في حبس المرأة إلى متشابهات^(١٦٨) من النصوص، تاركين المحكمات^(١٦٩) للبيانات، فتراهم يحتجون بالآيات الواردة في نساء النبي: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنْ ﴾^(١٧٠) ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مُتَّأْعِنًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾^(١٧١).

وحرموا المرأة كذلك في أحيان كثيرة من حقها في اختيار من يكون شريك حياتها، أو على الأقل حقها في الموافقة عليه أو رفضه، إذا عرضه عليها ولديها.

ووجد من الآباء من يزوج ابنته بغير رضاها، بل بغير استشارتها واستشفاف رأيها.

وكم استغلوا في هضم حق المرأة، وإعطائها دون مكانتها أحاديث صحيحة وضعوها في غير موضعها، واستدلوا بها في غير ما سيقت له، كالحديث الذي طالما اتخذه عكازاً يتوكلون عليه في تبرير نظرتهم إلى المرأة، وهو حديث وصفهن بأنهن "ناقصات عقل ودين"^(١٧٢)، وحديث: "لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها"^(١٧٣).

ولم يكتفوا بذلك فجاءوا بأحاديث لا أصل لها ولا سند، أو أحاديث واهنة شديدة اللوشن أو موضوعة مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل حديث سؤال النبي صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة الزهراء: "أي شيء أصلح للمرأة؟" فقالت: ألا ترى رجلاً ولا

^(١٦٨) المتشابه : هو ما لم يتضح معناه، وما احتمل أوجهها، وهو مما استأثر الله بعلمه، كالحرروف المقطعة، انظر: أقوال النقاد في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات، مرجعى يوسف الكرمي، المقدسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ، تحقيق: الأنرؤوط، ٤٩/١.

^(١٦٩) المحكم: هو ما واضح معناه، ولا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً، وهو المكشوف المعنى الذي لا يتطرق إليه إشكال، انظر: نفس المصدر السابق، ٤٩/١.

^(١٧٠) سورة الأحزاب، الآية (٣٢).

^(١٧١) سورة الأحزاب، الآية (٣٣).

^(١٧٢) صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، رقم الحديث (٣٠٤)، ٨٨/١.

^(١٧٣) سنن الترمذى، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة، رقم الحديث (١١٥٩) دار إحياء التراث العربي - بيروت، ٤٦٥/٣، وصححه الألبانى في صحيح سنن الترمذى، ٥٩٣/١.

يراهما رجل، فقبلها ثم قال: ذريّة بعضها من بعض^(١٧٤) وهو حديث واهٍ لا يساوي المداد الذي كتب به^(١٧٥).

ومثل حديث: "شاوروهن وخالفوهن"^(١٧٦) وهو حديث لا أصل له، وهو مخالف لما جاء في القرآن من تشاور الوالدين: الأب والأم جميعاً، في فطام الطفل وفصالة: «فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاءُرٌ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا»^(١٧٧).

كما أنه مخالف لما ثبت في السنة من مشاورته صلى الله عليه وسلم لأم سلمة في غزوة الحديبية وأخذه برأيها الذي كان فيه الخير والصواب. ومثل قولهم: "لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة"^(١٧٨).

وغير ذلك من الأحاديث المختلفة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي فيها انتهاص لحق المرأة ويقاد هؤلاء المتشددون يجعلون حياة المرأة سجناً لا ينفذ إليه بصيص من نور، فخروجها من البيت لا يجوز، وذهابها إلى المسجد لا يشرع، وكلامها مع الرجال — ولو بالأدب المعروف — لا يسوغ، وصوتها عورة.

^(١٧٤) إحياء علوم الدين للغزالى، كتاب النكاح، الباب الثالث، آداب المعاشرة، كيف ينقى الرجل الغيرة، وقال الحافظ العراقي رواه البزار والدارقطني في الأفراد من حديث عليّ بسنده ضعيف، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ٦٧/٢.

^(١٧٥) انظر: تحرير المرأة في عصر الرسالة، ١٢/١.

^(١٧٦) قال السخاوي: لم أره مرفوعاً، وقيل ضعيف جداً، وفيه انقطاع، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة السخاوي، الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، ص ٢٩٧، وكشف الخفاء، العجلوني، رقم الحديث ١٥٢٩، ٣/٢، دار إحياء التراث العربية، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٣٥٢ هـ، ص ٢٩٧.

^(١٧٧) سورة البقرة، الآية (٢٣٣).

^(١٧٨) رواه الخطيب عن عائشة مرفوعاً، وفي إسناده محمد بن إبراهيم الشامي كان يضع الحديث، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، للشوكاني، رقم الحديث (٢٠١٧)، ١٢٦/١، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ.

الموقف الثاني:

وفي مقابل هؤلاء الذين فرطوا وقصروا في حق المرأة وجاروا عليها، نجد الآخرين الذين أفرطوا في شأنها، وتجاوزوا حدود الله، وحدود الفطرة، وحدود الفضيلة في أمرها. فإذا كان الأولون أسرى تقاليد شرقية موروثة، فهؤلاء أسرى تقاليد غربية وافدة، وهؤلاء يريدون أن يلغوا الفوارق بين الرجل والمرأة، ويقولون إن المرأة إنسان كما أن الرجل إنسان، هما مولودان لذكر أو أنثى، فلماذا يتقاوتان؟ لذا نادوا بتحرير المرأة ومساواتها مع الرجل تماماً كما فعل الغرب، فأثاروا الشبهات حول المرأة، وطالبوها بخروجها للعمل بكل الأعمال حتى التي لا يقدر عليها إلا الرجل، أو لا تناسب إلا الرجل وطعنوا في الأحاديث النبوية الشريفة وردوها كحديث: "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة"^(١٧٩) وهو حديث صحيح رواه البخاري ونافقه الأمة بالقول ولم يطعن فيه طاعن^(١٨٠).

ومن هؤلاء من يريد أن يحرم ما أحل الله للرجل، من الزواج بأكثر من واحدة، لمن يحتاج إليه، ويقدر عليه، ويتحقق في نفسه بالعدل، مخالفين مثبت بنص القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال الصحابة وعمل السلف الصالح في خير قرون هذه الأمة، وعمل خلف الأمة إلى يومنا هذا.

بل نجد من هؤلاء من يدعوا إلى توريث البنت مثل ما يرث شقيقها، رافضاً أن يكون الذكر مثل حظ الأنثيين، مخالفًا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة فقهًا وعملاً طوال أربعة عشر قرناً.

ومن هذا التيار بعض المنتسبين إلى الإسلام، وممن يتحدثون باسم الإسلام ويقولون على الله ما لا يعلمون وهدفهم تشويه صورة الإسلام.

ومنهم من يتغافل أحاديث صحيحة، ليفتت بحل أشياء محرمة في شرع الله، يبرر فيها الواقع القائم، أو يبرر بها اتجاهات الحكم في تحريم الحلال وتحليل الحرام، فتراهم يسكتون على إباحة القانون للزنا، وينكرون على تعدد الزوجات.

ومنهم من أفتى بلبس الثياب القصيرة التي تكشف عن الذراعين والساقيين، أو الشعر، والتي تشف وتصف البعض اعتبارها أنها من الصغائر يكفرها أداء الصلوات ونحوها.

ونتيجة ذلك كله خرجت المرأة كاسية عارية متوجلة تدعي أنها حرّة، ولا فرق بينها وبين الرجل مقلدة للغرب تقليداً أعمى في اللباس والموضة والزيينة وغيرها، وأصبحت تبعاً للغرب^(١٨١).

^(١٧٩) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب كتاب النبي إلى كسرى وقيصر، رقم الحديث (٤٠٧٣)، ٣/٩٦٥.

^(١٨٠) انظر: تحرير المرأة في عصر الرسالة، ١٢/١ - ١٤.

^(١٨١) انظر: نفس المصدر السابق، ١٤/١ - ١٦.

وَاللَّهُ سَبَّانِهِ وَتَعَالَى لَمْ يَكْلُفْنَا أَنْ نَكُونَ تَبَعًا لِغَرْبٍ وَلَا لشَرْقٍ وَلَا أَسْرِى لِقَدِيمٍ أَوْ
حَدِيثٍ إِنَّمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هُوَانًا تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْهَدَى وَدِينِ
الْحَقِّ وَلَهُذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ مَوْقِفٍ يَمْثُلُ الوَسْطِيَّةَ فِي الإِسْلَامِ الَّتِي لَا غَلُو فِيهَا وَلَا تَفْرِيْطُ، وَلَا
طَغْيَانٌ وَلَا خَسْرَانٌ وَهِيَ الَّتِي يَشِيرُ إِلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ، وَأَقِيمُوا
الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾^(١٨٢)

^(١٨٢) سورة الرَّحْمَنُ، الآيَاتُ (٨-٩)

الفصل الأول

الغزو الفكري على العالم الإسلامي

المبحث الأول: مفهوم الغزو الفكري ونشأته

المبحث الثاني: علاقة الغزو الفكري بالحركات الهدامة

المبحث الثالث: أهداف الغزو الفكري ومخاطرها

المبحث الرابع: وسائل الغزو الفكري

المبحث الخامس: رواد الغزو الفكري

المبحث الأول

مفهوم الغزو الفكري ونشأته

المطلب الأول: مفهوم الغزو الفكري:

الغزو الفكري له عدة تعاريفات ذكرها العلماء والباحثون:

أ- عرفه الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني، فقال: "الغزو الفكري عنوان أطلق في الثالث الأخير من القرن الرابع عشر الهجري، الموافق للثالث الثالث من القرن العشرين الميلادي، على المخططات والأعمال الفكرية والتقييفية، والتربيبة، والتربية والتوجيهية، وسائل التأثير النفسي والأخلاقي، والتوجه السلوكي الفردي والاجتماعي، التي تقوم بها المنظمات والمؤسسات الدولية والشعبية من أداء الإسلام والمسلمين، بغية تحويل المسلمين عن دينهم تحوياً كلياً أو جزئياً، وتجزئتهم، وتمزيق وحدتهم، وقطيع روابطهم الاجتماعية، وإضعاف قوتهم لاستعمارهم فكريًا ونفسياً، ثم استعمارهم سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، استعماراً مباشراً أو غير مباشر" ^(١٨٣).

والملاحظ أن هذا التعريف يشمل وسائل الغزو الفكري وأهدافه، وزمان نشأته.

ب- وذكر الأستاذ محمد قطب تعريفاً ركز فيه على الهدف الأساس من الغزو الفكري الصليبي فقال: "يقصد بالغزو الفكري: الوسائل غير العسكرية التي اتخذها الغزو الصليبي لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية، وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام، مما يتعلق بالعقيدة، وما يتصل بها من أفكار وتقالييد وأنماط سلوك" ^(١٨٤).

ج- وعرفه الدكتور توفيق الوعاعي تعريفاً عاماً، لم يحدد فيه أصحاب الغزو الفكري بل ذكر هدفهم وهو تدمير الأمة المسلمة، والقيم والأخلاق ونهب ثروة الأمة، فقال: "ومصطلح الغزو الفكري قصد به، إغارة الأعداء على أمم من الأمم بأسلحة معينة وأساليب مختلفة، لتدمير قواها الداخلية، وعزائمها ومقوماتها، وانتهاب كل ما تملك" ^(١٨٥).

د- وعرفه الدكتور صالح الرقب تعريفاً دقيقاً فقال: "المراد بالغزو الفكري تغيير أحوال المسلمين السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية عن طريق استعمار القلوب

(183) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، بيروت، ط٧، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م ص ٢٥.

(184) واقعنا المعاصر، محمد قطب، مؤسسة المدينة، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م جدة، ص ١٩٥.

(185) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، د. توفيق يوسف الوعاعي، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م ص ٦٨٠.

والآراء، وتبديل الأفكار والقيم والعقائد، فيصبح المغزو فكريًا خاضعًا بشكل تام لقادة الغزو وجنوده^(١٨٦) فأضاف فيه شيئاً مهماً وهو آثار الغزو الفكري، حيث أن المغزو فكريًا مسلوب الإرادة، ومنهم نفسيًا، فيصبح خاضعاً بشكل تام لقادته الغازين من أعداء الإسلام فيطغي عليهم طاعة عبياء ويقلدهم عن حب ولأنهم في اقتتال، ولا يحاول التخلص منهم لأنهم في نظره ليسوا بأعداء بل هم أصحاب الرقي والتقدم والحضارة.

يتبع من التعريفات السابقة:

— أن الغزو الفكري مخطط جديد حصل في استراتيجية أعداء الإسلام من الصليبيين واليهود ونحوهم من المستعمرين، جعلهم يستبدلون استعمار الأرضي باستعمار القلوب والعقول، فإذا تم لهم ذلك يصبح من السهل عليهم بعد ذلك فرض سيطرتهم السياسية والعسكرية والاقتصادية.

إن مخطط السيطرة على المسلمين لتصفية العقول والأفهام، لتكون خاضعة وتابعة للغازي، أشد وأقسى من الغزو العسكري، لأن الغزو العسكري يأتي للقهر، وتحقيق أهداف استعمارية مادية دون رغبة الشعوب المستعمرة، فتهب للدفاع ومقاومة هذا الاستعمار، أما الأمة التي تهزم فكريًا ونفسياً فهي تسير إلى غازيها طائعة لا تحاول التمرد أو الخلاص.

— وقد استعيرت كلمة الغزو للفكر، لما بينها وبين الغزو العسكري من علاقة في نهب خيرات الشعوب، وتدميرها والسيطرة عليها، ولكن عن طريق الفكر، وتحطيم القوى المفكرة فيها، وهذا يؤثر في الأمم والمجتمعات أكثر مما يؤثر المدفع والصاروخ والطائرة^(١٨٧).

وجدير بالذكر أنه ظهرت مصطلحات فكرية مشابهة لمصطلح الغزو الفكري يقصد بها ما يقصد به الغزو الفكري، ويراد منها ما يراد منه، إلا أنها تختلف أحياناً في الأساليب والمخططات والأزمان ولكن الأهداف واحدة منها:

١ - (الحرب الباردة): وسميت بذلك لأنها تحتاج إلى زمن أطول من الحرب العسكرية، لأن فيها تأثيراً على الأعصاب وضغطًا على التفكير فلا تقتصر على وقت القتال،

(186) حاضر العالم الإسلامي والغزو الفكري، د. صالح حسين الرقب، مطبعة الرنتسي، غزة، فلسطين، طـ١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ص ٣٢.

(187) انظر: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٦٨٠-٦٨١، والغزو الفكري في التصور الإسلامي، د. أحمد عبد الرحيم السايج، هدية مجلة الأزهر المجانية، جمادى الأولى ١٤١٤هـ، ص ٥-١٥.

بل أصبحت تستخدم في وقت السلم والصلح، وأوقات النزاع المسلح، والمفاوضات الدبلوماسية، وفي أوقات التحفيز^(١٨٨).

٢ - (**الحرب النفسية**): "وهي استخدام مخطط من جانب دولة أو مجموعة من الدول، للدعاية وغيرها من الإجراءات الإعلامية، الموجهة إلى جماعات عدائية أو محايدة أو صديقة، للتأثير عليها وعلى آرائها، وعواطفها، وموافقها وسلوكها، بطريق تعين على تحقيق سياسة وأهداف الدولة المستخدمة"^(١٨٩).

فالحرب النفسية تتصب بالدرجة الأولى على فكر الإنسان وعقله، وقواه المدركة، لتدمرها بأساليب مختلفة مثل الإثارة، والتخويف، والإرهاب، والترغيب والتشكيل وغيرها وهي تشارك مع الغزو الفكري في التأثير على العدو، وتدمره ونهبه، ولكن عمل الحرب النفسية في وقت النزاع المسلح يكون أكثر وألزم منه في وقت السلم على خلاف الغزو الفكري.

وقد تستعمل الحرب النفسية للتخويف والإرهاب، بخلاف الغزو الفكري الذي يكون بالدهاء والمكر واستعمال الحيل العقلية والثقافية والدعائية التي تؤثر في الناس وتغير بهم وتجعلهم يميلون إليها ويأنسون بها.

٣ - **غسيل المخ**: ويراد به "إزالة ما في المخ والعقل، وتقييده من كل ما يحتويه من أفكار ورغبات أو آراء ومعتقدات"، وقد يصاحب هذا قتل للعقل وتعطيل للإدراك؛ لأن عملية غسيل المخ توجد خصوصاً لا إرادياً وقهرأً للناس، تسلبهم إنسانيتهم بطرق شتى، وضغط معينة، يستحيل معها المحافظة على أي توازن أو إرادة أو تفكير ولهذا عرفوه بقولهم: "هو محاولات تستخدم لتوجيه الفكر الإنساني أو العمل الإنساني، ضد رغبة الفرد الحر، أو ضد إرادته وعقله".

وغسيل المخ يعتمد على القهر، وعلى التعذيب، والتصفية الجسدية في بعض الحالات للإرهاب وعلى قتل الفكر، وإجهاض العقل إجهاضاً مباشراً، ويستعمل هذا على الأسير أو الحبيس أو ما في حكمه، وهذا يخالف أساليب الغزو الفكري، ولكن الأهداف متقاربة"^(١٩٠).

(188) انظر: *الحضارة الغربية مقارنة بالحضارة الإسلامية*، ص ٦٨٢، عن الحرب النفسية، صلاح نصر، ٩٢/١.

(189) المصدر السابق، ص ٦٨١، ٦٨٢، عن *غسيل الدماغ*، فخرى الدباغ، ص ١٣.

(190) انظر: نفس المصدر السابق، ص ٦٨٤-٦٨٢.

المطلب الثاني- نشأة الغزو الفكري:

أولاً: الغزو الفكري والقرآن الكريم

تتضح لنا صورة الغزو الفكري من خلال مفهومه الاصطلاحي أنه مخطط جديد، ومصطلح حديث لم يطلق إلا في القرن العشرين، لكن هو مع حداثة اسمه قديم المدلول والمعنى، حيث ذكر معناه في القرآن الكريم، وأشارت كثير من الآيات إلى وسائله وأساليبه، ومن الشواهد القرآنية التي تؤكد ذلك:

١ - قوله تعالى: **﴿وَلَا يَرْأُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرْدُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾**^(١٩١)، بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية قاعدة أبدية، حددت طبيعة الصراع الأيدي بين الكفار وأتباع الدين الحق (الإسلام)، والقتال هنا جاء بلفظ عام والمراد به ما وقع فعلًا من الوسائل والأساليب الحربية وغير الحربية وغيرها ومنها الغزو الفكري.

٢ - وصف القرآن الكريم هذا اللون من الغزو بصفات الأساليب الخسيسة وأطلق عليه أسماء: زخرف القول، والغرور، والخبار، والفتنة، والسفه، فقال عز وجل: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًا شَيَاطِينَ النَّاسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾**^(١٩٢)، وقال: **﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِيلَتِهِمُ التَّيْ كَانُوا عَلَيْهَا﴾**^(١٩٣).

وقال تعالى: **﴿لَوْ خَرَجُوا فِيهِمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضُعْوَدًا خَلَاكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيهِمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِ بِالظَّالِمِينَ ، لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ وَقَبْلُوا لَكَ الْأُمُورُ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾**^(١٩٤).

تصف هاتان الآيتان الكريمتان الحرب الفكرية التي أشعلها المنافقون في غزوة تبوك، وقبلها من نشر الإشاعات الكاذبة والعمل على تفريق المؤمنين.

٣ - بين الله سبحانه وتعالى أن أسلوب الغزو الفكري أشد فتكاً من فتك السيف والقتل ^(١٩٥) بقوله تعالى: **﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾**^(١٩٦).

(191) سورة البقرة، الآية (٢١٧).

(192) سورة الأنعام، الآية (١١٢).

(193) سورة البقرة، الآية (١٤٢).

(194) سورة التوبة، الآية (٤٧).

(195) انظر: الأمة الإسلامية وقضاياها المعاصرة، عبد الوهاب بن أحمد عبد الواسع، الطبعة الأم، مكتبة العبيكان ، الرياض، السعودية، ص ٥٠.

(196) سورة البقرة، الآية (٢١٧).

ثانياً: تاريخ الغزو الفكري:

بدأ ظهور الغزو الفكري للعالم الإسلامي منذ بزوج فجر الإسلام، وكان وراء هذا الغزو الماكر الأيدي اليهودية الحاقدة، فوجها سهام مكرهم للمؤمنين بالله تعالى كونهم أصحاب عقيدة راسخة لا اعوجاج فيها ولا تبديل ولا تحريف، فكيف يهدأ لهم بال وهم يرون الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ورقة الإسلام تتسع، ونوره ينتشر في كل مكان، لذا فكر اليهود بأسلوب آخر وهو الاستيلاء على العقول والقلوب حتى تتحرف عن الصراط المستقيم. ويشهد تاريخ الإسلام بمكاييد اليهود في المدينة المنورة من أجل التحريف في الإسلام، ولصد المشركين عن الدخول في الإسلام، وللتأثير على المسلمين الجدد وتشجيعهم على الارتداد عن دين الإسلام واستخدموا وسيلة النفاق ضمن وسائلهم الكثيرة، خدعوا به بعض أبناء المدينة، ومن اندسوا بين صفوف المسلمين، مدّعين الإسلام، لكنهم في حقيقتهم كفارٌ حسد المؤمنين، ولكن الله عز وجل حمى دينه ورسوله ﷺ والمسلمين من مكايدهم، مدة عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ومدة خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهم، وكان اغتيال عمر وعثمان رضي الله عنهمما نتيجة المكر اليهودي، واستمرت مكايدهم عبر تاريخ الإسلام، ولم تنته حتى عصرنا هذا، فمن مكاييد الغزو الفكري التي ظهرت في التاريخ الإسلامي.

١ - عمل اليهود على إحراج النبي صلى الله عليه وسلم وتعجيزه، حيث شرعوا بإمداد مشركي قريش بالأسئلة المختلفة لتعجيزه وإحراجه، ومثال ذلك عندما طلبو من المشركين أن يسألوا رسول الله ﷺ عن ثلاثة أشياء عن الروح، ورجل طاف مشارق الأرض ومغاربها، وعن أهل الكهف فانقطع الوحي عن رسول الله ﷺ في هذه الفترة، فاشتعلت الأقوال، والتشنيع على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنزل الله في ذلك قرآنًا.

٢ - مؤامرات المنافق اليهودي الماكر (عبدالله بن سبا) حيث كان سبباً في تفريق المسلمين وانقسامهم إلى فرق كثيرة، حيث ظهرت فرق الشيعة الغلاة، والخوارج والمرجئة وغيرهم، وأشنعهم من الشيعة الذين ألهوا علياً رضي الله عنه.

٣ - مؤامرات المنافق اليهودي (ميمون القداح) التي نجم عنها ظهور فرق الباطنية على اختلاف نزعاتها، وكان لعصاباتهم دور كبير في الكيد والمكر للإسلام والمسلمين، واكتوى المسلمون بنار كيد عصاباتهم قروناً طويلاً.

٤ - مكاييد يهود الدولة ضد الخلافة العثمانية الإسلامية، وضد المسلمين عامه.

٥ - مؤسسو الشيوعية في العالم الإسلامي، وناشرو المذاهب الفكرية المعاصرة الرامية إلى هدم الدين والأخلاق والشرائع والنظم الاجتماعية الحسنة^(١٩٧).

٦ - التقاء الفكر المجوسي مع الفكر اليهودي منذ القرن الأول الهجري، ولكن مع ظهور الإسلام وانتشاره ضعف مكر الم Gors، ولم يبق منه إلا مسائل فكرية محسوبة، حملها أصحاب الأهواء من الفرق المنحرفة التي تنتهي إلى الإسلام.

٧ - كان للنصارى دورهم في الغزو الفكري منذ ظهور الإسلام، حيث اتخذوا الموقف المعادي للمسلمين، ولم يكن له أثر قوى إلا عندما قامت الحرب الصليبية، وباءت بالفشل، وببدأ مفكروهم يخططون لتصدير العالم الإسلامي، أو صرفه عن الإسلام ليبقى بلا دين أو أخلاق.

٨ - اتسعت دوائر الغزو الفكري اليهودي والنصراني، فظهرت الحملات التبشيرية والاستشرافية، والتغريب، مرافقة للتحركات الاستعمارية العسكرية التي قامت بها الدول النصرانية ضد العالم الإسلامي، بدءاً بالحملة الفرنسية، وأخذت وسائل هذا الغزو تت ami وتنكمal، ويجري عليها التعديلات والتبدلات مع استخدام الوسائل الحديثة، حتى نضجت في القرن الرابع عشر الهجري، الموافق للقرن العشرين الميلادي^(١٩٨).

وفيما يلي الأسباب التي أدت إلى سرعة انتشار الغزو الفكري في العالم الإسلامي:

ثالثاً : أسباب الغزو الفكري:

السبب الأول: العداء الصليبي للإسلام والمسلمين:

ويرجع أثر هذه العداوة إلى الحروب الصليبية، ويدرك المؤرخون أن الجيوش الأوروبية الصليبية لما هاجمت بلاد الإسلام كانت مدفوعة بداعفين:

١ - الدافع الديني: دافع الدين والعصبية العمياء التي أثارها رجال الكنيسة في شعوب أوروبا، فافتروا على المسلمين أبغض الافتراق، وحرّضوا النصارى على تخليص مهد المسيح من أيدي الكفار، (المسلمين) فهم يريدون انتزاع القدس من أيدي المسلمين، ليقيموا عليها دولة مسيحية في قلب العالم الإسلامي، فكانت جمهرة المقاتلين من جيوش الصليبيين الذين أخرجتهم العصبية الدينية من ديارهم عن حسن نية وقوة عقيدة، لكنهم لاقوا الموت والقتل والتشريد حملة بعد حملة وجيشاً بعد جيش.

(197) انظر: أجنة المكر الثالثة، الميداني، ص ٢٧-٢٨.

(198) المصدر السابق، ص ٢٧-٢٨.

٢ - الدافع السياسي الاستعماري: حيث شنت ثمان حملات صليبية على الشرق الإسلامي رغبةً في الاستعمار والفتح، واستغلال خيرات بلاد المسلمين، وامتلاك منابع الثروة الطبيعية في أوطانهم^(١٩٩).

"وكان شعار الحروب الصليبية "اتجهوا إلى بلاد المسلمين حيث تتدفق الأرض عسلاً ولبناً أو" لتجه شرقاً حيث كنوز الذهب والفضة، وخيرات القمح والفاكهه"، أما (بيت المقدس) و (كنيسة القيامة) فكل هذه رموز وأستار، وشعارات وعبارات احتفت تحتها الأطماع"^(٢٠٠).

ويذكر التاريخ أن الحملة الصليبية الأولى عند دخولها بيت المقدس في الخامس عشر من يوليو سنة ألف وتسعين وتسعين، الموافق الثالث من رمضان عام أربعين وثلاث وتسعين، قد ذبحت أكثر من سبعين ألف مسلم، حتى سبعت الخيل إلى صدورها في الدماء، وفي ألطاكية قتلوا أكثر من مائة ألف مسلم^(٢٠١).

وقد صمدت الأمة الإسلامية في وجه هذه الحروب الوحشية التي سلبت، ونهبت الخيرات وسفكت الدماء، حيث أيقظت الإيمان في قلوب المسلمين وأثارت في نفوسهم الحمية الدينية، فأبوا إلا أن يعيشوا حياة كريمة عزيزة أو يموتوا شرفاء في سبيل الله، فحقق الله أمنياتهم بالنصر، وارتدى الحروب الصليبية وباعت حملاتهم بالفشل، وكانت هزيمتهم الساحقة في الحروب الصليبية الأولى مع المسلمين في القرنين الخامس والسادس الهجري، هي الدافع لاستخدام الغزو الفكري في حروبهم الجديدة ضد الإسلام والمسلمين، حيث وقع ملك فرنسا (لويس التاسع) في الأسر بعد هزيمة حملته الصليبية الثامنة سنة ١٠٩٧م، وبقي سجيناً في المنصورة بالقاهرة فترة من الوقت، أخذ وقتها يفكر فيما حل به وبقومه، ثم عاد بعد فك أسره إلى فرنسا يقول لقومه: "إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده فقد هزمتم أمامهم في معركة السلاح ولكن حربوهم في عقيدتهم فهي مكمن القوة فيهم"^(٢٠٢).

فأيقن الصليبيون أن قوة الحديد والنار لا تجدي نفعاً مع المسلمين الذين يملكون عقيدة راسخة، تدفعهم إلى الجهاد، وتحضهم على التضحية بالنفس، لذا أوصى لويس التاسع أتباعه أن يعملوا على تغيير فكر المسلمين، والتشكيل في عقيدتهم وشرعيتهم، وذلك بعد دراستهم للإسلام لهذا الغرض، وفعلاً بدأت حركة الغزو الفكري من منطلق ضرب المسلمين عن طريق الكلمة، وقد أعلنوا أن الإسلام هو عدوهم الأول وأن أكبر غاية لهم هي هدم قواعده وتنقيض مبادئه، فأخذوا مستمذنين يوزعون السموم في كل مكان، ويختلقون الأكاذيب،

(199) انظر: الغزو الفكري في التصور الإسلامي، ص ٢٠-١٧.

(200) انظر: وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي، د. حسان محمد حسان، مكة المكرمة، الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي، ١٩٨١م، ص ٢٤.

(201) انظر: الغزو الفكري في التصور الإسلامي، ص ١٩-٢٠.

(202) واقعنا المعاصر، محمد قطب، ص ١٩٦.

ويطمسون الحقائق، ويدبرون المكائد، ويتصيدون السقطات، وينشرون الشكوك والشبهات، ثم يظهرون أمام غيرهم من بني جلدتهم أنهم أرقى عنصراً وأنهم أوصياء على البشرية^(٢٠٣).

ومن أقوالهم التي تؤكد حقدهم وعدائهم للإسلام، قول: (وليم جيفور بلغراف)^(٢٠٤) الإنجليزي: "متى توارى القرآن، ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا أن نرى العربي يندرج في سبيل الحضارة، التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه"^(٢٠٥).

وقال جلاستون رئيس وزراء بريطانيا وهو يمسك بنسخة من القرآن الكريم: "ما دام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان"^(٢٠٦). ويرى غاردنر الأوروبي: "أن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا"^(٢٠٧).

هذا الحقد والضغينة والمقت كان سبباً قوياً في الإغارة على المسلمين، وسلوك الغزو الفكري، فوضعوا الخطط، وحاكموا المؤامرات للإغارة على الأفكار، والمفاهيم الإسلامية، وعلى كل ما له صلة بالإسلام حضارة وثقافة، وصارت قاعدهم التي ارتكزوا عليها: "إذا أرهبكم عدوكم فأفسد فكره، ينتحر به ومن ثم تستعبده"^(٢٠٨).

السبب الثاني: الاستعمار الغربي للمجتمعات الإسلامية:

لقد تعرض المجتمع الإسلامي في آسيا وأفريقيا للغزو الأوروبي، وبدايةً قبل الاستعمار كانوا يتربصون بالمجتمعات الإسلامية لانتهاكها من كل جانب، وكان الأمر سهلاً بالنسبة لهم لأنهم وجدوا الاستسلام والضعف من قبل المجتمعات الإسلامية.

وبعد قرنين ونصف، أي منذ بداية القرن السابع عشر الميلادي إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تمكن الاستعمار الغربي الصليبي من السيطرة التامة على المسلمين في وسط آسيا وشرقها، واتخذ له نقطة ارتكاز رئيسية في أفريقيا، كما تمكن من مد نفوذه إلى

(203) انظر: واقعنا المعاصر، ص ١٩٦، ١٩٦، والغزو الفكري في التصور الإسلامي، ص ٢٠-٢١.

(204) وهو مبشر بروتستانتي دعنه أطماءه الخاصة إلى أن ينقلب راهباً يسوعياً ويجادل البروتستانت قوة ولما استغنى عن اليهوديين عاد بروتستانتياً حتى أنه سمي بالحرباء، انظر: التبشير والاستعمار، د. مصطفى الخالدي، ود. عمر فروخ، شركة علاء الدين، بيروت، ط ٤، ١٣٩٠، ١٩٧٠م، ص ٣٥.

(205) أجنة المكر الثلاثة، ص ٦٩.

(206) دمروا الإسلام أبیدوا أهله، جلال العالم، المختار الإسلامي - القاهرة، ط ٣، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م، ص ٣٣.

(207) التبشير والاستعمار، ص ٣٦.

(208) أجنة المكر الثلاثة، ص ٣٤٠.

قلب العالم الإسلامي، ومركزه الرسمي في منطقة الشرق الإسلامي، وبذلك طوق العالم الإسلامي من الشرق والغرب، وسلط الاستعمار ألاعيبه ودسائسه على بقية المجتمعات الإسلامية، مما أدى إلى إضعافها، وتفكيك روابطها، حتى سقطت وأصبحت تحت نفوذ المستعمر الغربي، وما أن انتهت الحرب العالمية الأولى حتى أصبح العالم الإسلامي كله تحت سيطرتهم إما بالاحتلال المباشر أو المعاهدات والاتفاقيات المفروضة، أو الحماية أو الانتداب أو الوصاية.

تحصر وسائل الاستعمار لإضعاف المسلمين في إسلامهم في توجيه الفكر الإسلامي، وقد برز هذا التوجيه في صورتين:

١ - قيام بعض المفكرين من أبناء الإسلام، من تربوا على موائد الغرب الفكرية، بإحداث فتنة فكرية تهدف إلى تقرير سلطة المستعمر، وتشويه ونفيه على المسلمين، فلا يجد المستعمر من يعارضه أو يتحداه، واعتمدوا في تنفيذ ذلك على تأويل خبيث لبعض آيات القرآن الكريم، ففسروها تفسيراً يرضي نزعاتهم وعقولهم، وفي نفس الوقت تناسب ما هدف إليه المستعمر.

٢ - قيام بعض الغربيين النصارى بإبراز الخلافات المذهبية، وعمل فجوات بين طوائف المسلمين وشعوبهم، وتشويه صورة الإسلام، وتحسين صورة المجتمعات الغربية، وذلك بتمجيد القيم المسيحية، والحضارة الغربية، والنظام السياسي، والسلوك الفردي للشعوب الغربية^(٢٠٩).

وأستطيع الاستعمار الغربي السيطرة اقتصادياً على العالم الإسلامي، حيث إن وجودهم في بلاد المسلمين زاد من اتساع السوق الاستهلاكية لمنتجات الغرب الصناعية، وزاد من سيطرتهم على الموارد المالية والموارد الأولية لصناعاته، وهذا أدى إلى تفوق الصناعة الغربية مما أدى إلى اتساع نفوذ المستعمر، وزيادة قبضته على ما تم استعماره، وبالمقابل زاد ضعف المجتمع الإسلامي الذي وقع فريسة هذا الاستعمار، وزادت تبعيته لما يأتي من الغرب، واستطاع هذا الاستعمار أن يعزل المجتمع المسلم عن ماضيه كلياً، وعن تراثه الفكري والروحي والسلوكي، فإذا ما تم عزله أصبحت قيادته ميسرة، وطوع أمر المستعمر، وخاصة الأجيال التي تنشأ في ظل هذه العزلة^(٢١٠).

(٢٠٩) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهري، دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٩٧٣م، ص ٣٥-٣٦، والغزو الفكري في التصور الإسلامي، ص ٢٨، ووسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي، د. حسان محمد حسان، ص ٣٦.

(٢١٠) انظر: الغزو الفكري في التصور الإسلامي، ص ٢٨-٢٩.

السبب الثالث: تقدم الغرب العلمي:

لقد كان الغرب يملك تقدماً علمياً ومادياً، وعمرية تنظيمية مبدعة، وروحأً من الجد والصبر على العمل والإنتاج، وروحأً عملية في مواجهة المشكلات سواء من ناحية الدراسة أو من ناحية التنفيذ، وكان كل هذا لازماً لزوماً شديداً لل المسلمين، لتخلفهم الشديد في تلك الميادين كلها، بعد أن كانوا أصحاب قدم ثابتة فيها، وقت أن كانوا على جادة الإسلام، وكانوا هم أصحاب الحضارة العريقة وأصحاب الرقعة الواسعة، والثقافة الأصلية، والقوة الكبرى التي يخشى جانبها.

وكان عند الغرب قدر هائل من الفساد الروحي والفكري والخليقي، لا ينبغي لعقل أن يأخذ، فضلاً عن أن يأخذ مسلم، وكان عندهم كذلك نظم اقتصادية وسياسية واجتماعية يختلط فيها الفاسد والصالح، النافع والضار، مما كان من المسلمين إلا أن أخذوا الفاسد والضار، فسارعوا إليه واستواعوه كله، وعيوا منه عباً كأنما هو "الزاد" وأما النظم والقوانين فقد سعوا إلى استيرادها وتقليلها ضاربيين عرض الحائط بما أنزل الله سبحانه وتعالى، من التشريعات، وأما الأشياء النافعة فقد اتجهوا إليها ولكن بجهد متلازمل متعدد الخطوات^(٢١١).

لقد ظنوا في غفلتهم أن الحضارة الغربية كتلة واحدة، وحسبة واحدة، إما أن تؤخذ كلها وإلا لا فائدة من أخذ بعضها وترك بعضها الآخر، كما أوهمهم بذلك دعاة الغزو الفكري، هدفهم في ذلك أن ينسخ المسلمون اسلاماً كاملاً عن كل مقومات دينهم، فلن يبقى لهم من شخصيتهم المتميزة شيء، ولن يبقى لهم من القدرة على المقاومة شيء، ومن ثم يتم إخضاعهم، وفعلاً تحقق لهم ما يبغون، فذهب كثير من أبناء المسلمين إلى تلك البلاد ليأخذوا من علمها وحضارتها وفنها وتأثروا بها وسبعيناً هذا التأثير كان له أسباب عدة:

١ - دهشتهم وانبهارهم بالتقدم العلمي الكبير في تلك الأقطار.

٢ - حال المسلمين وما وصلوا إليه من تخلف علمي ومادي.

٣ - عدم استيعابهم استيعاباً كاملاً للثقافة الإسلامية.

٤ - حب التقليد بغير فكر ورويّة.

وأصبحت المجتمعات الإسلامية تمجد الحضارة الأوروبية والتقدم العلمي والصناعي، واستطاع الغرب أن ينقل الإنتاج المادي إلى المجتمعات الإسلامية في أفريقيا وآسيا لاستخدامه

(٢١١) انظر: واقعنا المعاصر، ص ٣٤٣ - ٣٤٤، وانظر: الحضارة الإسلامية، مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٦٨٦.

في تيسير الحياة، والتغلب على صعوبات المشاق التي تصحب عادةً الحياة الإنسانية المختلفة، أو البدائية، وذلك ليكون شواهد مادية، ترى وتخبر في التطبيق وفي واقع الحياة^(٢١٢).

السبب الرابع: الضعف الفكري والفكاك الاجتماعي:

نتيجة لما سبق أُصيّب المجتمع الإسلامي بالضعف الفكري، والفكاك الاجتماعي حيث نجد أن المجتمعات الإسلامية ابتليت بطوائف متعددة ومتاحرة، ومذاهب متعصبة، وتعدد السلطانات والدوليات التي قامت على أساس شعوبي أو مذهبي، وهذا كلّه جرّ المجتمع الإسلامي إلى فوضى قاتلة، وتناحر حقيقي، وسلب ونهب وقتل، دون وازع أو رادع وهذا ما يعيشه الغرب المتربص بال المسلمين الدوائر، وأساس انهيار الأمم يأتي من الداخل، وقد يأتي تدخل خارجي ليعجل بالسقوط. ويأتي الانهيار الداخلي حين تكون طبقة مترفة تتحكم في الثروة وتتسلط على الناس، فينتشر الظلم، والانحلال، مما يؤدي إلى تأخر الأمة الإسلامية وغفلتها، وطمع الطامعين في مجتمعاتها وهذا كان سبباً في سقوطها ونيل الأعداء منها^(٢١٣).

السبب الخامس: تخلف الشعوب الإسلامية عن ركب الحضارة:

إن المجتمعات الإسلامية عندما أُصيّبت بضعفها الفكري والفكاك الاجتماعي، انشغلت بالتأفه من الأمور، فقدتها التقاّه إلى التخلف عن ركب العلم والتقدم والحضارة، وذلك لأنها انصرفت عن تعاليم الإسلام التي تدعو إلى العلم والمعرفة، واستعمال العقل والفكر، فانحرفت وصاحب هذا الانحراف انحطاط في القيم، ودعوات إلى الركون إلى المتع والعبث بالأموال، إلى حد السفه والجنون، والترف والفجور.

هذا التخلف أضعف النّفّة بالنفس، وأوقف عجلة التقدّم والانطلاق في الشعوب الإسلامية، وجعلها تعتمد في كل شيء على غيرها، وأن الفساد الخلقي والتحلل الديني اكتسح العالم الإسلامي بحيث أصبح هو السمة البارزة فيه، ولذا كان هذا التخلف عاملاً من عوامل الغزو الفكري الذي اجتاح العالم الإسلامي^(٢١٤).

(212) انظر: واقعنا المعاصر، محمد قطب، ص ٣٤٣-٣٤٥، والحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٦٨٦، والغزو الفكري في التصور الإسلامي، ص ٣١.

(213) انظر: الغزو الفكري في التصور الإسلامي، ص ٣١-٣٣، نقاً عن تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، دار الشرق، بيروت، ص ١١٠.

(214) المصدر السابق، وانظر: واقعنا المعاصر، ص ٣٤٧-٣٤٨.

السبب السادس: الفراغ العقدي:

العقيدة هي الأساس العميق الذي ترتكز إليه الوحدة السياسية للأمة، لتكون حياتهم مستقرة، مطمئنة، لها جذور فكرية تثبتها، وهذه الجذور ربانية المصدر.

لذا إذا تركت الأمم عقائدها وتختلفت عن غذائها الروحي، وعن عمقها الإيماني، فإنها تصبح فريسة سهلة للأعداء، وهذا ما حدث في مجتمعاتنا الإسلامية، حيث انطلقت في سبيل الشهوات والملذات، ودب فيها داء التنازع والاختلاف، وترك تعاليم الإسلام التي تدعو إلى طلب العلم والتفكير، والإبداع المادي، ولم تحسن استغلال التقدم العلمي، والرقي المادي الغربي، فانغمست في حياة الترف واللهو.

ولقد وقع التمكين في الأرض لأوروبا رغم فسادها وظهرت فيها سنن الله سبحانه وتعالى التي يجريها في عباده حيث قال: **﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكْرُوا بِهِ فَتَحَنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرَحُوا بِمَا أُوتُوا أَخْذَنَاهُمْ بَعْتَدَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُون﴾**^(٢١٥)، وقال سبحانه: **﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَيَّنَتْهَا نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبَطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**^(٢١٦)، وهكذا أصبحوا ممكنين في الأرض رغم فسادهم لا بسبب فسادهم، وإنما بالجهد الإيجابي الذي يبذلونه لتمكين أنفسهم، فيعطيهم الله ثمرته في الأرض إلى وقت محدد لا يعلمه إلا الله، حسب سنته، ثم يدمر عليهم بنيانهم في النهاية، لأنهم غير مستقيمين على طريقه.

فحاولوا أن يقنعوا الناس أن الإسلام عقيدة في القلب فحسب، ولا علاقة أن تتدخل العقيدة في سلوكه ومعاملاته، وحركته في الحياة، شعارهم في ذلك: ساعة لقلبك وساعة لربك، وهدفهم في ذلك أن يتلهى المسلمون ويضيّعوا أوقاتهم في مشاهدة السينما والفيديو، والرقص والأغاني، وما يسمونه بالفن، وإن كان هابطاً، ويريدون من المسلمين أن يمارسوا الكذب والغيبة والنمية والفسق والدجل بحرية دون رقيب أو حسيب، وأن يقترفوا كل عمل سواء كان حلالاً أو حراماً، حتى لو كان فيه انتهاك للأعراض والحرمات.

وكل هذا لا يكون إلا بفراغ روحي، وهدم عقائدي، وغزو ثقافي منظم ومبرمج لإفساد الأمة الإسلامية^(٢١٧).

(215) سورة الأنعام، الآية (٤٤).

(216) سورة هود، الآيات (١٥-١٦).

(217) انظر: واقعنا المعاصر، ص ٣٤٦-٣٤٧، والحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٢٠٧ -

المبحث الثاني

علاقة الغزو الفكري بالحركات الهدامة

لقد شهد العالم الإسلامي غزو مجموعة من التيارات الفكرية والحركات الهدامة عقولَ وقلوبَ كثيرَ من أفراد الأمة الإسلامية، رغبةً في إبعادها عن دينها وتاريخها وحضارتها.

وقد استطاع الغزو الفكري أن يثبت أقدامه في قلب العالم الإسلامي، ونجح في تحقيق أهدافه، فتمكن من إقصاء الإسلام عن الحكم، وهدم حصن المسلمين من داخلها، وذلك بتبني النفوس الضعيفة والمريضة من أبنائه.

المطلب الأول: علاقة الغزو الفكري بالصهيونية^(٢١٨):

تعتبر الصهيونية من أخطر المذاهب الدينية والفكرية والسياسية، والتي لها اليد الطولى في إفساد المجتمعات البشرية بشكل عام، والمجتمعات الإسلامية بشكل خاص. فاليهود إما أن يصطنعوا المذاهب الفكرية، أو تستغلها في حربها ضد الأديان. لقد لجأ اليهود إلى طرق ملتوية من الحيلة والمكر والدهاء، سعيًا لتحقيق آمالهم وأهدافهم الشريرة، والتي أهمها السيطرة على العالم.

إن اليهود الصهاينة يبذرون لغزو المسلمين في عقيدتهم وأخلاقهم وهم في عقر دارهم، ويظهر ذلك من مخططاتهم وأساليبهم، وجمعياتهم السرية، ودراسة عقيدتهم المستمدّة من كتبهم المحرفة، وبروتوكولاتهم التي تعتمد على تقويض أركان المجتمع، وبث عناصر الانحلال والفساد، وإشاعة الفوضى الاجتماعية.

يسمي اليهود أنفسهم شعب التوراة، أو شعب الله المختار، فيدعون أنهم أبناء الله وأحباوه، لا يتقبل العبادة إلا منهم، ونفوسهم مخلوقة من نفس الله، وعنصرهم من عنصره، وقد منحهم الله الصورة البشرية تكريماً لهم، أما غير اليهود فيسمونهم (الجوبيم) أو الأمميين أي الكفرة الوثنيون، خلقو من طينة شيطانية، والهدف من خلقهم خدمة اليهود ولم يمنحوا الصورة

(٢١٨) الصهيونية: حركة سياسية عنصرية متطرفة، ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين تحكم من خلالها العالم كله، وانتقت الصهيونية من (جبل صهيون) في القدس، إذ ابتدئ داود قصره بعد انتقاله من حبرون (الخليل) إلى بيت المقدس في القرن العاشر قبل الميلاد وهذا الاسم يرمز إلى مملكة داود وإعادة تشبييد هيكل سليمان من جديد، بحيث تكون القدس عاصمة لها، مؤسسها هرتزل فهو الداعية الأول لل الفكر الصهيوني الحديث والمعاصر الذي تقوم على آرائه الحركة الصهيونية في العالم، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع بن حماد الجنهـي، ٥١٨ / ١.

البشرية إلا بالتبعية لليهود، ليسهل التعامل بين الطائفتين إكراماً لليهود، فاليهود أصلاء في الإنسانية، والجوييم أنباع فيها.

وقد صورت توراة اليهود المحرفة إلهاً خاصاً ببني إسرائيل، لا يحب سواهم أما سائر الناس فأغناه، وأقل من أن يأله بهم الرب، وزيفت موقف بنى إسرائيل من إبراهيم وأبنائه، فميراث إبراهيم يستأنث به إسحق وحده دون أخيه الأكبر إسماعيل، بل ذرية إسماعيل يكونون عبيداً لإسحاق وذريته^(٢١٩). ومن ذلك قولهم: "تسكنون أنتم فيها إلا الكنعانيين، الميراث الأبدى لكم وليس للKennanites، ملعون كنعان عبد العبيد لأخواته"^(٢٢٠)

فمن هم اليهود الصهاينة الذين يعتبرون الأمميون عبيداً لها، وأنهم يستحقون القتل، ومن قتل يهودياً فقد قدم قرباناً للرب !!

اليهود كانوا قلة لا يدينون بالولاء لأية أمة، همهم الوحيد تحقيق مكاسب اقتصادية وسياسية، فهم كانوا صرافيًّا نقود، وتجارًا مرابين، ينظمون ويحتكرون التجارات الفاسدة من مخدرات ودعارة وخمور، وتهريب العطور والجواهر والبضائع، ويتعاملون بالربا مع غيرهم، هجروا إلى أوروبا، وكان يحكمهم حاكماتهم أو حكامُهم الذين يخضعون لتوجيهات كبار المربابين اليهود، ولهم مراكز في كل مكان، حيث أنشأوا شبكات خفية تعمل بالسر، وهم وراء الثورات والحروب التي نشبت من عام ١٧٨٩م وحتى يومنا هذا، واستطاعوا بأموالهم الربوبية ودهائهم أن يسيطرُوا على الثروات والموارد الطبيعية، واليد العاملة في العالم. (٢٢١)

وتعتبر بروتوكولات حكماء صهيون^(٢٢) عصارة الفكر العنصري اليهودي المستقي من التوراة والتلمود، حيث عقد أول مؤتمر لهم في مدينة بال في سويسرا عام ١٨٩٧م برئاسة هرتزل، وكان يضم خمسين جمعية يهودية وثلاث مائة من أعتى حكماء صهيون، وقررروا فيه خططهم السرية لاستعباد العالم كله تحت تاج ملك من نسل داود، وقرر المؤتمر تكوين منظمات صهيونية في البلاد التي يوجد بها عدد كاف من اليهود، وافتضح أمر هذه البروتوكولات التي حال الإعلام الاستعماري دون دخولها العالم الإسلامي حتى عام ١٩٤٨م، وهي تؤكد عقيدة

(19) انظر: اليهودية، أحمد شلبي، ص ٢٧٥، والمخطوطات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الإسلامي، أنور الجندي، ١٩٧٧م، ص ١٩-٢٠.

²²⁰ سفر التكوين، الإصلاح ٩، ص ٢٥.

(221) انظر: أحجار على رقعة الشطرنج، وليام كاري كار، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٥هـ، ١٩٧٠م، والطبعة العاشرة، سنة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨، ص ٤٨-٧.

(222) وهو أخطر كتاب ظهر في العالم يهدف إلى إفساد العالم، وبروتوكولات بمعنى محاضر جلسات وهي القرارات السرية لمؤتمر بال، انظر: اليهودية، احمد شلبي، ص ٢٧٣-٢٧٤ .

الاصطفاء الإلهي لليهود، وتتظر إلى غير اليهود نظرات الاحتقار والاستعلاء، وتصفهم بالأغذام كما في البروتوكول الحادي عشر "إن الأمميين (غير اليهود) كقطيع من الغنم، وإننا الذئاب، فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تندد الذئاب إلى الحظيرة، إنها لتغمض عيونها عن كل شيء"^(٢٢٣)

ووصف البروتوكول الثالث عشر غير اليهود بالخدم الأذلاء "إن الحاجة يومياً إلى الخبر ستركم على الدوام إكراهاً على أن يقبحوا أسلفهم ويظلوا خدمنا الأذلاء"^(٢٤)

لذا يعتبر اليهود أن لهم الحق في معاملة غيرهم كالبهائم، فلهم أن يسرقوهم، ويغشوهم، ويذبوا عليهم ويخدعونهم، ويغتصبوا أموالهم، ويهاجموا أعراضهم، ويرتكبوا معهم كل الموبقات^(٢٥).

وقد ذكر القرآن الكريم من ذلك قوله على لسانهم ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأَمَمِينَ سَبِيلٌ﴾^(٢٦) وبناءً على هذه العقيدة يسعى اليهود من خلال هذه البروتوكولات لتحقيق أهداف خطيرة وهي:

١- الإفساد في ميادين الثقافة والعلم والفنون والتمثيل. جاء في البروتوكول التاسع: "قد تمكنا من تضليل الشبان من غير اليهود وإفسادهم خلقياً، وحملهم على البلادة عن طريق تعليمهم المبادئ التي تعتبرها نحن باطلة على الرغم من إيجائنا بها"^(٢٧) وفي البروتوكول الثالث عشر: "ولكي نبعد الجماهير من الأمم غير اليهودية عن أن تكشف بأنفسها أي خط عمل جديد لنا، سننهيها بأنواع شتى من الملاهي والألعاب ومزجيات الفراغ والمجامع العامة وهلم جرا"^(٢٨)

٢- الإفساد في ميادين العلاقات والروابط الاجتماعية. يقول البروتوكول العاشر: " علينا أن ننهي كل إنسان بالمنازعات والعداوات والهزائم والحراب والمجاعة وانتشار الأوبئة، والعوز والفاقة، حتى يجد غير اليهود أن لا مناص لهم من مناشتها العون المادي والسلطان".^(٢٩)

(223) الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون، محمد خليفة التونسي، ط٢، ١٩٦١م، ص ١٧٢، وبروتوكولات حكماء صهيون، إعداد: د. إبراهيم عبد الله، دار البشير، ط١، ١٩٩٩م، ص ٨١.

(224) الخطر اليهودي، ص ١٨١، وبروتوكولات حكماء صهيون، د. إبراهيم عبد الله، ص ٩١.

(225) اليهودية، أحمد شلبي، ص ٢٢٢-٢٧٣.

(226) سورة آل عمران، الآية (٧٥).

(227) الخطر اليهودي، ص ١٥٩، بروتوكولات حكماء صهيون، إعداد: إبراهيم عبد الله، ص ٦٦.

(228) الخطر اليهودي، ص ١٨٣، وبروتوكولات حكماء صهيون، ص ٩٣.

(229) الخطر اليهودي، ص ١٦٩، وبروتوكولات حكماء صهيون، ص ٧٨.

ويقول البروتوكول الخامس "هذه السياسة ستساعدنا أيضاً في بذر الخلافات بين الهيئات، وفي تفكيك كل القوى المتجمعة، وفي تثبيط كل تفوق فردي، ربما يعوق أغراضنا بأي أسلوب من الأساليب".^(٢٣٠)

٣- افتعال الأزمات الاقتصادية: وخطتهم في ذلك تعتمد على عنصرين:

الأول: احتكار العملة وسحبها من التداول وذلك بمختلف وسائل الاحتكار المصرفي العالمي، الأمر الذي يوقع الناس في ارتباك ناجم عن فقد السيولة النقدية.

الثاني: إيجاد أرباب العمل إلى طلب قروض من اليهود المحتكرين للذهب وغيره من العملات النقدية.^(٢٣١) يقول البروتوكول العشرون "إن الأزمات الاقتصادية التي دبرناها بنجاح باهر في بلاد الجوبيم قد أنجزت عن طريق سحب العملة من التداول، فترامت ثروات ضخمة، وسحب المال من الحكومة التي اضطرت بدورها إلى الاستجادة بمالكي هذه الثروات لإصدار قروض".^(٢٣٢)

٤- القضاء على الأديان. جاء في البروتوكول الرابع "يجب علينا أن ننزع فكرة الله ذاتها من عقول غير اليهود، وأن نضع مكانها عمليات حسابية ورغبات مادية".^(٢٣٣) وفي البروتوكول الرابع عشر: "عندما نصبح أسياد الأرض لا نسمح بقيام دين غير ديننا، ومن أجل ذلك يجب علينا إزالة العقائد".^(٢٣٤)

٥- إفساد الرأي العام، ومحاولة السيطرة على الصحافة والإعلام. يقول البروتوكول الخامس: "ولكي نطمئن إلى الرأي العام يجب أن نركبه تماماً فنسمعه من كل جانب، وبشتى الوسائل آراء متنافضة لدرجة يضل فيها غير اليهود الطريق".^(٢٣٥)

٦- إشاعة الفتنة بين شعوب العالم، وإشاعة الفوضى في كافة المجالات الحياة.^(٢٣٦)

من خلال ما سبق عرضه يتبيّن أن الصهاينة اليهود خططوا للغزو الفكري على العالم الإسلامي، ولكن عندما بدأوا بتنفيذ مخططاتهم بدأوا في أوروبا (العالم المسيحي) وذلك لأنهم

(٢٣٠) الخطر اليهودي، ص ١٤٧، وبروتوكولات حكماء صهيون، ص ٥٣.

(٢٣١) أصوات على الثقافة الإسلامية، ناديه العمري، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط ٥، ١٤١٤ هـ— ١٩٩٤ م، ص ٢٠١-٢٠٣.

(٢٣٢) الخطر اليهودي، ص ٢١٨، وبروتوكولات حكماء صهيون، ص ١٣٢.

(٢٣٣) نفس المصدر السابق، ص ١٤١، وبروتوكولات حكماء صهيون، ص ٤٦-٤٧.

(٢٣٤) المصدر نفسه، ص ١٨٤.

(٢٣٥) نفس المصدر السابق، ص ١٤٦.

(٢٣٦) أصوات على الثقافة الإسلامية، ص ٢٠٦-٢٠٧.

حاولوا في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم بكل دهائهم ومكرهم، وبكل جبروتهم، وبكل تخطيطهم وتثبيتهم أن يقضوا على الإسلام، وعلى الدولة التي انبتقت عنه فلم يستطيعوا، وردد الله تعالى كيدهم في نورهم، وظل كيدهم ضد الإسلام محصوراً في استحداث فرق باطنية تتظاهر بالإسلام وهي بعيدة كل البعد عنه^(٢٣٧).

وكان لليهود دور بارز في التشيع وظهور الفرق الباطنية على يد عبد الله بن سبا اليهودي، وأثر عنه سعيه لزرع الفتنة.

لقد غلا عبد الله بن سبا في علي رضي الله عنه، وزعم أنه كاننبياً ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله، ودعا إلى ذلك قوماً من غلاة الكوفة ورفع خبرهم إلى علي رضي الله عنه، فأمر بإحراق قوم منهم في حفريتين، ثم إن علياً رضي الله عنه خاف من إحراق الباقيين منهم شمانتة أهل الشام، وخاف اختلاف أصحابه عليه، ومن ثم أوقف الإمام علي إحراقهم، ونفي عبد الله بن سبا مع أتباعه إلى سبات في المدائن.

فلما قتل علي زعم أن المقتول لم يكن علياً، وإنما كان شيطاناً تصور للناس في صورة علي، وأن علياً صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم عليه السلام، وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه.^(٢٣٨)

زعم بعض الشيعة أن علياً حي لم يمت، وفيه الجزء الإلهي، ولا يجوز أن يستولى عليه، وهو الذي يجيء في السماء، والرعد صوته، والبرق تبسمه، وأنه سينزل إلى الأرض بعد ذلك فيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً. ومن السببية كان بدء الغلو في القول وتنوع الفرق الباطنية^(٢٣٩). ولكن هذه الفرق لم تخدع المسلمين، ولم تؤثر في جسم الأمة الإسلامية ولا في عقائدها ولا في خط سيرها، وظللت الشريعة الإسلامية مطبة ما يزيد على اثنين عشر قرناً من الزمان.

(237) مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ١٩٨٣م، ص ٨٢-٨٥، (بتصرف) ١٦٧-١٨٦

(238) الفرق بين الفرق، البغدادي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص ٣٢٣-٣٣٤.

(239) الملل والنحل، الشهريستاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١/١٧٤.

دور اليهود في إفساد أوروبا:

أما في أوروبا المسيحية فقد كان الوضع مخللاً، مليئاً بالثغرات التي استطاع اليهود أن ينفذوا منها، ويفسدوها من خلالها، والثغرة الكبرى كانت تحريف الدين وتشويهه على يد الكنيسة ولم يتقدم اليهود للعمل الجاد في أوروبا إلا حين بدأت أوروبا تتخلّى عن كل القيم المستمدّة من الدين المشوه والمحرف والذي يحمل شيئاً من آثار الدين السماوي، حيث كانت عندهم بقية من أخلاق وعفة وحياة وكانت الأسرة متينة الرباط، والعرض مصان، والربا محظوظ إلا من وقع في قضية المرايin اليهود، فهذا كلّه كان حاجزاً منع اليهود من القيام بنشاطهم المفسد على نطاق واسع عدة قرون، فلما أمعنت الكنيسة في الفساد والإفساد وطغت وحاربت العلم، وحاربت حركات الإصلاح، ووقفت مع الطغاة ضد المظلومين، وأفسدت أخلاق رجال الدين، مما أدى إلى نفور الناس من الدين، والانسلاخ منه، فوجد اليهود الفرصة ليعيشوا في الأرض الفساد، وبدأ نشاطهم الشرير الذي ظل يتصاعد من القرن الثامن عشر على الأقل إلى القرن العشرين، والذي لم يقتصر على الغرب، إنما هم نشروا الفساد في الأرض كلّها عن طريق أوروبا بعد إفسادها.

وأهم أعمال اليهود ومخططاتهم في إفساد أوروبا ما يلي:

١- كانوا وراء إشعال الثورة الفرنسية، ووجهوها لخدمة أهدافهم الخاصة، بمساعدة أيدي خفية، وهي أيدي مؤسّساتهم ومحافّلهم الماسونية المنتشرة في فرنسا، فهي التي حضرت للثورة ورفعـت شعاراتها: الحرية والإخاء والمساواة، وهدفهم من ذلك هو:

أ- تحطيم الدين في أوروبا وتجريد الأمميين من عقائدهم، لأجل السيطرة عليهم، وتسخيرهم لشعب الله المختار.

ب- الانتقام لأنفسهم من الدين، لأنّه سبب اضطهادهم، على اعتبار أنّهم قتلوا رب العبود في ذلك الدين، وقتلوا صلباً، كما يزعم أتباعه.

لذا سعوا بجمعياتهم الماسونية المنتشرة في أنحاء فرنسا، وبخطبائهم وكتابتهم إلى توجيه غضب الجماهير نحو الدين، والنتيجة هي: إعلان أول حكومة لا دينية في العالم النصراني تحررـه من الدين والأخلاق والتقاليد^(٢٤٠).

٢- تبني اليهود أفكار ومبادئ فلسفية لشخصيات يهودية، وغير يهودية تدعو إلى هدم العقيدة، وتحطيم مبادئ الأخلاق الفاضلة، وكان ابرز الأبطال في هذه المعركة، دارون، وماركس، وفرويد، ودوركايم وغيرهم من وجـد اليهود في نظرياتهم فرصة سانحة لهم عـقـادـ الأمـمـيينـ، وإـزـالـةـ ماـ بـقـىـ منـ أـثـرـ لـلـدـيـنـ فـيـ حـيـاـةـ النـاسـ، كـماـ تـقـولـ البرـوـتـوكـولاتـ "لاـ تـتـصـورـواـ أـنـ تـصـريـحـاتـناـ

(٢٤٠) مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص ٨٥-٨٢، ص ١٦٧-١٨٦ (يتصرف)

كلمات جوفاء. ولاحظوا هنا أن نجاح دارون وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي (غير اليهودي) سيكون واضحاً لنا بالتأكيد^(٢٤١)

ولا بد من عرض سريع لأفكار بعض من كانوا معواً هائلاً لتحطيم كل القيم في حياة البشرية.

أولهم: دارون: ولد في بريطانيا عام ١٨٠٩م وفي عام ١٨٥٩م أصدر كتابه في "أصل الأنواع" وكان متخصصاً في علم الحياة، وهو ليس يهودياً، فقد ولد لأبوين نصريين، ولكن اليهود استغلوا نظريته على نطاق واسع، وعملوا على نشرها في الأرض، واستفادوا منها في تحطيم عقائد الأمميين، فتبناوا آراء دارون الذي أعلن عن نظرية النشوء والارتقاء في الإنسان إذ تطور على مقتضى النظرية من جرثومة للحياة إلى دودة إلى حيوان إلى قرد إلى إنسان.^(٢٤٢)

وثانيهم ماركس: وهو أبو الشيوعية، والمادية الجدلية، والتفسير المادي للتاريخ، وهو صاحب القولة الشهيرة "الدين أفيون الشعوب"، وهو يهودي ألماني ولد عام ١٨١٢م، ومات عام ١٨٨٣، أخذ النظرية الدارونية وأنشأ على أساسها نظرية اقتصادية وتفسيراً للحياة البشرية، يحصر الإنسان في عالم المادة والتطور المادي، فأفسد على الكثير عقولهم وعقائدهم وألغى الأديان، وهاجم عقيدة الألوهية ولما قيل له ما هو البديل عن عقيدة الألوهية، قال: البديل هو المسرح.

وثالثهم فرويد: وهو يهودي نمساوي، كان يعمل طبيباً، ثم تخصص في معالجة الأمراض العصبية والنفسية، وأنشأ عيادة خاصة للإشراف على علاج مرضاه، ودراسة أحوالهم عن كثب، ثم استطُط من دراسته تصوراً خاصاً للنفس الإنسانية وتركيبها، وتفسيراً لنشاطاتها المختلفة، ولد عام ١٨٥٦م وعمّ طويلاً حتى مات عام ١٩٣٨م، وألف نحو ثلثين كتاباً في الدراسات النفسية، وكلها تدور حول موضوع واحد مكرر، وهو التفسير الجنسي للسلوك البشري، وهو يفسر كل شيء في سلوك الإنسان بالاسترسال وراء الغريزة الجنسية والانطلاق في حماة الشهوات والملذات.^(٢٤٣)

تبني اليهود آراء فرويد وروجوا لها، وذلك لأنه يريد أن يرفع القداسة عن الدين فيقول:
"إن الدين نابع من الجنس"^(٢٤٤)

(241) الخطير اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون، البروتوكول الثاني، ص ١٢٢.

(242) مذاهب فكرية معاصرة، ص ٩٠-٨٦ (يتصرف)

(243) نفس المصدر السابق، ص ١٠٠-١١٢ (يتصرف).

(244) نفس المصدر، ص ١١٢-١١٣.

ويقول (يونج) أحد تلاميذ فرويد المقربين في كتاب سماه (ذكرياتي) عن فرويد صدر في السنتين "لقد قال لي فرويد: إننا ينبغي أن نحطم كل العقائد الدينية، وقال لي: "ينبغي أن نجعل من الجنس عقيدة".^(٢٤٥)

فالدين ذو القداسة يلقى به في دنس الجنس، والجنس المستقذر يرفع إلى مقام الدين، واستغل فرويد علم التحليل النفسي الذي أنشأه تحقيقاً لأهدافه الخاصة في الفساد الخلقي.

أما رابعهم فهو دوركايم: وهو يهودي فرنسي ولد عام ١٨٥٨ م ومات عام ١٩١٧ م، وتخصص في علم الاجتماع، وله فيه كتب من أشهرها "مقدمة في علم الاجتماع"، أدى مهمته في الميدان الذي تخصص فيه، ووجه حملته مع زملائه الآخرين من كبار المفكرين اليهود إلى تحطيم الدين والأخلاق والتقاليد، أخذ عن دارون التفسير الحيواني للإنسان، ومدده ليغطي ميدان العلاقات الاجتماعية، واستخدم مصطلح (العقل الجماعي) في تفسير نشأة الدين؛ رغبة في إلغاء شخصية الفرد وإلغاء كاملاً، وإلغاء إرادته، ليتقبل ما يلقيه إليه العقل الجماعي من أوامر وتوجيهات بلاوعي منه ولا إرادة.

وهكذا قام دوركايم بالتعطية على دور اليهود في الإفساد في الأرض في صورة علم يدرس في كل جامعات الأرض، ويتربي عليه علماء من الأمميين يتعصبون له كأنما هم وأضعوه، أو كأنما هو الحق الذي لا باطل من بين يديه.^(٢٤٦)

٣ - استغل اليهود الثورة الصناعية لإفساد المرأة، وامتحان كرامتها، علماً بأن المجتمع الصناعي قد وقع في قبضة اليهود، بسبب قيامهم بتحويل الصناعات الناشئة عن طريق الإقراض بالربا فأصبح في مكانتهم السيطرة على هذا المجتمع، وتشكيله على الصورة التي يريدونها، واستغل اليهود وجود الشباب الفارغ من العمل، بلا أسر في المدينة، حيث ذهب هؤلاء الشباب للعمل في المدينة وتركوا عيالهم ونساءهم، ثم عجزوا عن الإنفاق عليهم، فاضطررت المرأة إلى الهجرة إلى المدينة للعمل هناك بنصف الأجر بعد أن فقدت عائلها الذي تركها وذهب إلى المدينة ومارس البغاء مع غيرها، وساومها الرجل الذي تعمل عنده، إما أن تقرض في عرضها، وإما أن تعود إلى الجوع الذي فرّت منه.

ولم تكن جوعة المعدة فحسب، إنما كان إلى جانبها الحاجة الفطرية الطبيعية إلى الجنس، وال الحاجة إلى اللباس والزينة، فوجد اليهود صيداً سهلاً يشغلونه في البغاء، والاعتداء على حرمة الأعراض، حتى أصبح البغاء ضرورة اجتماعية، وكتبت الصحافة الأوروبية التي هي تحت

. (245) نفسه، ص ١١٢.

. (246) انظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص ١١٤-١١٧.

سيطرة اليهود تزكيه ليصبح رسمياً تحت إشراف الدولة، ثم طالبت المرأة بالمساواة مع الرجل في الأجر، مما أفسد العلاقة بين الرجل والمرأة، وأصبحت علاقة عداء ومنافسة، فأسعد ذلك اليهود، لأن في ذلك فك روابط الأسرة، ثم طولب لها بحق الانتخاب حتى يكون لها تأثير في اختيار المرشحين للمجالس النيابية، فيدفعوا عن حقوقها المسلوبة مما أدى إلى زيادة الصراع بين الرجل والمرأة.

٤ - لعب اليهود بقضية المرأة، وأفسدوا بها الرجل والمرأة كليهما إلى أبعد الحدود، من أول الاختلاط إلى إباحة الجنس إلى تحطيم الأسرة، وتشريد الأطفال، ونحوها في ذلك مما أدى إلى تغريب الأم عن البيت بخروجها إلى العمل، ومطالبتها بالمساواة مع الرجل، وإلغاء قوامة الرجل في البيت، وأصبح السلطان للمرأة التي تريد أن تثبت شخصيتها وتتزاحم الرجل، مما أفسد ترابط الأسرة^(٢٤٧).

٥ - ولم يكتف اليهود بذلك، بل حاربوا الميل الفطري إلى تكوين الأسرة، حيث وضعت المعوقات في طريق الزواج، وكل المرغبات في الإباحة الجنسية، وأداة اليهود الكبرى في ذلك: هي الصداقة بين الرجل والمرأة، فكانت كافية لتحويل الفطرة عن مسارها.. ففي تلك الصداقة يجد الرجل المنحرف متعة الجنس بلا تكاليف، وكذلك المرأة، وإن حدث الزواج بعد ذلك فالنتيجة هي: بيت مفكك، ونسبة طلاق متزايدة، وتشرد الأطفال، والقلق النفسي والعصبي، وحوادث الانتحار الكثيرة، وأصبح الإدمان على الخمر والمخدرات في زيادة مستمرة، وانتشار الجرائم بجميع أنواعها، وهذا كله بسبب انحلال الروابط الإنسانية بين الرجل والمرأة^(٢٤٨).

مما سبق يتبيّن أن أوروبا لما تخلت عن دينها أتاحت لليهود أن ينশروا فيها كل ألوان الفساد الفكري والروحي والأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وأن يمسخوا الفطرة البشرية مسخاً كاملاً، ومن المؤسف حقاً أن هذا الفساد، وهذا الانحلال وصل إلى العالم الإسلامي نتيجة انحراف الأمة الإسلامية عن الخط السوي، حيث أهملت رسالتها العالمية، وفرّقت في دينها، مما أتاح الفرصة لأوروبا الصليبية أن تقهقر العالم الإسلامي، وأن تدخل أرض الإسلام لتدرك حصونها من الداخل، وأن تتيح لليهود من خلال الحملة الصليبية الغازية أن ينশروا سموهم في العالم الإسلامي ذاته، وبنفس الوسائل التي نشروها بها سموهم في أوروبا، بأيديهم مباشرة أو بأيدي الصليبيين الذين يقومون بنفس الدور ضد الإسلام لحسابهم الخاص.^(٢٤٩)

(247) مذاهب فكرية معاصرة، ص ١١٩-١٣٧، ١٦٤ (يتصرف).

(248) نفس المصدر السابق، ص ١٦٨-١٦٧.

(249) انظر: نفس المصدر، ص ١٦٨-١٦٩.

ويظهر دور اليهود في مجال الغزو الفكري على العالم الإسلامي عندما فرض اليهود أنفسهم على حركة الاستشراق، لتحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام وإضعافه، والتشكيك في قيمه وتحطيم وحدة الأمة الإسلامية.

ولقد كان العمل الاستشراقي مرتبطةً ارتباطاً وثيقاً بجهودات المنصرين وأهدافهم، ومحقاً لآمال الصهيونية ضد الإسلام، حيث يُكمل كل منهما الآخر في الكيد المتواصل لأمة الإسلام.

فالاستشراك يعمل على تحطيم العقيدة الإسلامية وإضعافها، والتصرير يضع العرائيل لتجريم الدعوة الإسلامية من الانتشار، وتحطيم علاقة المسلم بيديه حتى غدو على غير ملة الإسلام، وإن لم يتصرّ.

لقد نشطت اليهودية في احتلال الصدارة في المجالين الاستشراقي والتصريري، والذي يترأس هذين المجالين هما المستشرق والمبشر اليهودي (جولد تسيهير)^(٢٥٠) والمبشر المستشرق الأمريكي (صموئيل زويمر)، مؤسس مجلة العالم الإسلامي الأمريكية التبشيرية، وناشر كتاب (الإسلام) وهو مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيري الثاني سنة ١٩١١م بلکنو في الهند، وتقديرًا لجهوده التبشيرية أنشأ الأمريكيون وفقاً باسمه على دراسة اللاهوت وإعداد المبشرين ومعهم عشرات من المنصرين والمستشرقين اليهود^(٢٥١).

وأهم أعمال اليهود الفكرية في غزو العالم الإسلامي:

أولاً: تشويه صورة الإسلام والتقليل من شأنه:

ويتمثل ذلك في بعض المواقف منها:

١ - طعن اليهودي الخبيث (جولد تسيهير) في القرآن الكريم، ووصفه بالنقص والتناقض، وتهجم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد جاء في بحثه (نمو العقيدة وتطورها): "ومن العسير أن نستخلص من القرآن نفسه مذهبًا عقidiًا موحدًا متجانسًا، وخلالياً من التناقضات، ولم يصلنا من المعارف الدينية الأكثر أهمية وخطرًا إلا آثار" عامة نجد فيها إذا بحثنا في

(250) يهودي مجري عرف بعذائه للإسلام، وبخطورة كتاباته عنه، ومن محرري دائرة المعارف الإسلامية، كتب عن القرآن والسنة والحديث ومن كتبه "تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي" المترجم إلى العربية تحت العنوان السابق، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهـي، ص ٥٥٣.

(251) انظر: المنجد في الأعلام، ص ٢٨١، والفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهـي، دار الفكر بيروت، ط ٦، ١٩٧٣م، ص ٥٥٣-٥٥٤، والتحدي الصهيوني للدعوة الإسلامية في العصر الحديث، يحيى علي الدجني، ط ١، ١٩٩٥م، ص ٢٠٧

تفاصيلها أحياناً تعاليم متناقضة، ورسالة النبي الدينية تتعكس في روحه بألوان مختلفة باختلاف الاستعدادات السائدة في نفسه^(٢٥٢)

ويزعم (جو لـ تسيهير) أن محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يأت بجديد من الأفكار، وأن منهج الإسلام جاء مماثلاً لما كان عليه العرب في الجاهلية، وطعن في السنة النبوية زاعماً بأن الحديث في مجموعه من صنع القرون الثلاثة الأولى للهجرة، وليس من قوله صلى الله عليه وسلم، وادعى أن أحكام الشريعة لم تكن معروفة لجمهور المسلمين في العصر الأول من الإسلام، وأن الجهل بها وبتاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم كان لاحقاً بكتاب الأنمة، وقد حشد لذلك بعض الروايات الساقطة المتهافتة.^(٢٥٣)

٢- سار على نهج (جو لـ تسيهير) تلميذه اليهودي (شاخت)^(٢٥٤) الذي أخذ يردد الأباطيل، بهدف الحطّ من قدر الشريعة الإسلامية وقيمتها، حيث وصفها بأنها لا تختلف عن أعراف الجاهلية، وادعى الاتنان أن الإسلام مستمد من اليهودية والنصرانية وأن الفقه الإسلامي مستمد من القانون الروماني، وقد تبعهما في التشكيك والطعن في الدين الإسلامي المستشرق اليهودي الماركسي (بندل جوزي) وهو من محرري موسوعة المعارف الإسلامية، حيث زعم أن محمدًا صلى الله عليه وسلم نقل من التوراة بعض الأمور، إضافة للقصص والأحكام المستقاة منها، ورددها في مواقف كثيرة من القرآن، دون أن يذكر المصدر الذي نقل عنه وإنما صاغها بأسلوبه لتلائم أغراضه الخاصة.

٣- انتحل المستشرق اليهودي (مرجليلوت)^(٢٥٥) الشعر للقضاء على مصدر مهم من تفسير القرآن وفهمه، وادعى أن الخلافة ليست من الإسلام، وكتب كتاب الإسلام وأصول الحكم، وذلك لهدم الخلافة الإسلامية.

٤- ذهب اليهودي (بروكمان)^(٢٥٦) إلى حجب الحقائق، فلا يشير إلى دور اليهود في تأليب أحزاب الكفر بمكة على حرب المسلمين في المدينة في (معركة الخندق)، ولا على نقض

(252) التحدي الصهيوني، يحيى الجنبي عن العقيدة والشريعة في الإسلام وتاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي وهي مجموعة أبحاث لجولد تسيهير، ص ٢٠٧.

(253) انظر: أجنة المكر الثالثة، الميداني، ص ١٤١-١٤٣، والتحدي الصهيوني، ص ٢٠٨.

(254) يوسف شاخت، ألماني متغصب ضد الإسلام والمسلمين، له كتب كثيرة عن الفقه الإسلامي وأصوله، من محرري دائرة المعارف الإسلامية، ودائرة معارف العلوم الاجتماعية، وأشهر كتبه "أصول الفقه الإسلامي". الفكر الإسلامي الحديث، ص ٥٥٨.

(255) د. س. مرجليلوت، إنجليزي متغصب ضد الإسلام، ومن محرري دائرة المعارف الإسلامية، كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري، والمجمع العلمي في دمشق، ومن كتبه التطورات المبكرة في الإسلام، صدر سنة ١٩١٣، ومحمد ومطلع الإسلام، سنة ١٩٠٥، والجامعة الإسلامية صدر ١٩١٢، الفكر الإسلامي الحديث، ص ٥٥٧.

قريظة عهدها مع الرسول صلى الله عليه وسلم في أشد ساعات الأزمة ولكنه يقول: "ثم هاجم المسلمونبني قريظة الذين كان سلوكهم غامضاً على كل حال"^(٢٥٧).

٥- يتغاضى المستشرق اليهودي إسرائيل ولنفسون عن حادثة نعيم بن مسعود رضي الله عنه في معركة الخندق كسبب في انعدام الثقة بين المشركين واليهود، ولعله يريد أن يوحى بأن اليهود لم يخدعوا المسلمين^(٢٥٨).

٦- قامت دار النشر اليهودية (ماسادا) بطبع وتوزيع نسخة محرفة للقرآن الكريم باللغة الإنجليزية، وذلك على نفقة جامعة تل أبيب، حيث قام البروفيسور اليهودي بن شميث بترجمتها، وفيها أن المسجد الأقصى الذي ورد في سورة الإسراء، يقع في منطقة جعرانة، وهي التي تقع بين الطائف ومكة وهي للثانية أقرب^(٢٥٩). "وفي ذلك تهديد صريح للمسجد الأقصى المبارك، فهم يريدون إقناع الرأي الغربي أن المسجد الأقصى لدى المسلمين المذكور في القرآن الكريم خارج فلسطين، وليس في بيت المقدس، حتى إذا ما نجحوا في هدمه لا يصبح العالم من هذا السلوك الإجرامي، كما لو كان هذا الصنيع ليس ضد المسجد الأقصى بعينه".^(٢٦٠)

وهذا غيض من فيض مما دسه اليهود على الإسلام لتشويه صورته، والتقليل من شأنه، لتحقيق أهدافهم في السيطرة على العالم الإسلامي فكرياً وسياسياً.

ثانياً: هدم الوحدة الإسلامية

نشط المستشرقون اليهود في العمل على ضرب كل محاولات الالقاء والوحدة في العالم الإسلامي، لأنها تقف عائقاً عن تنفيذ مخططاتهم، لذا عملوا على إثارة النعرات الطائفية الجاهلية والقومية؛ لتفرق وحدة الأمة الإسلامية وتجزئها، كي يسهل السيطرة عليها^(٢٦١). جاء في

(256) كارل بروكلمان يهودي ألماني الأصل ومن محرري دائرة المعارف الإسلامية، صاحب أكبر موسوعة في تاريخ الآداب العربية في اللغة الألمانية، ومن مؤلفاته الهمامة: "تاريخ الشعوب الإسلامية" المترجم من الألمانية إلى الإنجليزية، كان عضواً بالمجمع العلمي العربي في دمشق، ولله أخطاء تاريخية وعلمية في مجلة الإسلام التي تصدر في باكستان بالإنجليزية، الفكر الإسلامي الحديث، ص ٥٤٢.

(257) الفكر الإسلامي وسموم التغريب والتبعية، أنور الجندي، دار الفضيلة، تاريخ الإبداع ١٩٩٩م، القاهرة، ص ١٣٦-١٣٧.

(258) الفكر الإسلامي وسموم التغريب والتبعية، أنور الجندي، ص ١٣٦.

(259) معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، بدون طبعة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢/٢.

(260) التحدي الصهيوني، يحيى الدجني عن أرض الإسراء، العدد (١٧٢) شباط، ١٩٩٣، ص ١٧.

(261) انظر المصدر نفسه، ص ٢٠٩.

بروتوكولاتهم "لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره في جميع أغراض الأمميين الشخصية والقومية. بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرناً"^(٢٦٢) فهم يريدون استنزاف قوى الإنسانية، وإلاكها بالانقسامات وأن نقشو بينهم الكراهات والمكابدات والحسد كما نقشو المجتمعات^(٢٦٣).

لقد كان لليهود دور كبير في إسقاط الخلافة الإسلامية وتحطيم الوحدة الإنسانية.

ثالثاً: نشر الفساد الخلقي:

إذا بحثت عن أي حركة هدامة في الوقت الحاضر تجد أن محورها الدعاية اليهودية، ولقد كان الشباب هدفاً محققاً للיהودية العالمية للعمل على أن تهتز أمامه كل المقدسات، وكل القيم الروحية. فعملت اليهودية العالمية على إشاعة الانحلال الخلقي في المجتمعات البشرية ومنها المجتمعات الإسلامية وكان ذلك جزءاً لا يتجزأ من المخططات اليهودية^(٢٦٤).

ويعد الفن من أخطر ما تحاول الصهيونية السيطرة به على العالم، فهم أصحاب مقوله: "يجب أن يخلق الجيل الذي لا يخجل من كشف عورته".^(٢٦٥)

وكان للتمثيل دوره في جعل الجنس هو المحور الرئيسي لاهتمامات الأجيال المسلمة، فالأفلام الرخيصة التي تدعوا إلى الدعاية، تتطلق في السينما والتلفزيون، وأصبحت شرائطها تغزو الأسواق إضافة إلى المسرحيات والمسلسلات والمجلات والكتب الرخيصة التي تقوض دعائم المجتمع، وتدعوا إلى اللهو والمجون^(٢٦٦).

وتؤكدأً لذلك ما يشاهد على مرأى ومسمع الجميع من الفساد والعربيّ، وفي فلسطين جندت المرأة اليهودية لإفساد الشباب وفتنته، وقتل عزائهم، واستغلت المجندة الإسرائيلية لнациذ المسلمين فحسب، بل وظفت أيضاً لإبعاد الشباب عن دينهم بعربيّهن وإغرائهن لهم في أماكن العمل وفي الشوارع والطرق وفي وسائل الإعلام بجميع أشكالها^(٢٦٧).

(262) الخطير اليهودي، ص ١٤٤.

(263) انظر: شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، أنور الجندي، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٩٨ـ١٩٧٨م، ص ٢٤.

(264) الفكر الإسلامي، وسموم التغريب، أنور الجندي، ص ١٣٥-١٣٩.

(265) نفس المصدر السابق، ص ١٣٥.

(266) شبهات التغريب، أنور الجندي، ص ٢٢، وانظر: التحدي الصهيوني، يحيى الدجني، ص ٢٠٩-٢١٠.

(267) انظر: مقال للدكتور صالح الرقب، بعنوان: (دور اليهود في إفساد البشرية في كافة النواحي وتحطيم أخلاقها)، ص ٥، موقع صيد الخاطر : www.saiedk.net

وانتخبت الصهيونية المرأة سلاحاً في معركتها ضد الأخلاق والقيم والفضائل وкосيلة للقضاء على نفوذ الدين، وسيطرته على الرجال. ولسان حالهم يقول لا بد أن نجعل المرأة رسولاً لمبادتنا ونخليصها من نفوذ الدين. يقول اليهودي د. مور بيرعز: "إن المرأة المسلمة هي أقدر فئات المجتمع الإسلامي على جرّه إلى التحلل والفساد أو إلى حظيرة الدين من جديد"^(٢٦٨)

رابعاً: غزو الثقافة الإسلامية، وطمس معالم التاريخ الإسلامي:

عمل اليهود على نشر الثقافات والمعارف التي تحمل دسائسهم وضلالتهم الفكرية، لتسوق المسلمين نحو مآربهم وأهدافهم الخبيثة، وقد نفثوا سمومهم في كثير من الموسوعات والمؤلفات، حيث طبع أكثر من ستة آلاف كتاب من الفكر الإسلامي، ملئت بالزيف والأباطيل، وعلى رأسها (دائرة المعارف الإسلامية) التي كتبت بعدة لغات مختلفة، وتعد مرجعاً هاماً لكثير من المسلمين في دراساتهم وأبحاثهم.

وقد قام بتحرير هذه الموسوعة مجموعة من المستشرقين اليهود والنصارى أمثال (جولد تسپير)، و(غ . فون جروبناوم)^(٢٦٩)، وشاخت.

ولو رجع كل دارس إلى دوائر المعارف العالمية، وكتب التاريخ الغربية لتيقن أن اليهود قاموا بجهد كبير في تزييف كثير من الحقائق الدينية والتاريخية، وإثارة الشكوك والشبهات فيها لزلزلة الناس في عقيدتهم، وطمس معالم تاريخهم الإسلامي، ومثال ذلك تصريحات السلطان عبد الحميد بشأن فلسطين والقدس والتي حجبت عن العالم أكثر من خمسين عاماً، لكن لما كشفت هذه التصريحات، غيرت مفهوم التاريخ العربي الإسلامي الحديث كله، هذا التاريخ الذي كان قد حجب منه جانب كبير من مؤامرة استيلاء الصهيونية العالمية على فلسطين، والمخطط الذي سارت فيه حتى حققت مؤامرة هدم الخلافة الإسلامية.

وقد جرت المحاولات العديدة مع السلطان عبد الحميد للحصول على موافقة منه على هجرة اليهود إلى فلسطين وإقامتهم فيها، لكنها باعت بالفشل، وقد سجل هرتزل ذلك في مذكراته من أن السلطان أدى بتصريح حاسم قال فيه "بلغوا الدكتور هرتزل ألا يبذل بعد اليوم شيئاً من المحاولة في هذا الأمر (أمر دخول فلسطين والتوطن فيها) فإني لست مستعداً لأن أتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد، لذهب إلى الغير، فالبلاد ليست ملكي، بل هي ملك شعبي، روى

(268) انظر: مقال د. صالح الرقب، ص ٦، بعنوان **الأساليب الصهيونية**، موقع صيد الخاطر.

(269) غ. فون جروبناوم من أصل ألماني، يهودي مستورد إلى أمريكا للتدريس بجامعاتها، وكان أستاذًا بجامعة شيكاغو، من ألد أعداء الإسلام، في جميع كتاباته تخطى واعتداء على القيم الإسلامية وال المسلمين، كثير الكتابة، وله معجبون من المستشرقين، ومن كتبه إسلام العصور الوسطى، صدر عام ١٩٤٦، والأعياد المحمدية، صدر عام ١٩٥١، الفكر الإسلامي الحديث، ص ٥٥٤.

ترابها بدمائه، فلتحتفظ اليهود بمالا ينهم من الذهب^(٢٧٠) وكان للرفض الحاسم من السلطان عبد الحميد أثره البالغ في القضاء عليه، وإنهاء الخلافة العثمانية، ولا شك أن انكشف هذه الحقائق تُعدّ تصحيحاً لأكبر خطأ في التاريخ الإسلامي العربي المعاصر، الذي صور لنا أن الدولة العثمانية استعمراً جاء يستولي على مقدرات المسلمين وثرواتهم.^(٢٧١)

مما سبق يتبيّن أن اليهود وراء كل فساد وفوضى وفتنة، ووراء كل حركة هدامة، وتعد الماسونية من الحركات الهدامة التي أنشأها اليهود، لتفويض الأديان وإفساد الأخلاق. ولذا كان لا بد من التعريف بها، والكشف عن حقيقتها، وبيان علاقتها بالغزو الفكري.

المطلب الثاني: علاقة الماسونية بالغزو الفكري:

الماسونية هي منظمة سرية هدامة إرهابية غامضة محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم، وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد، وتتستر تحت شعارات خداعية، جُلّ أعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم، يوتّهم عهداً متنبياً بحفظ الأسرار، ويقيّمون ما يسمى بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام، تمهدّاً لتأسيس جمهورية ديمقراطية عالمية - كما يدعون - وتنفذ الوصوصية والنفعية أساساً لتحقيق أغراضها في تكوين حكومة لا دينية عالمية.^(٢٧٢).

يقول بعض المؤرخين المحدثين معرفاً بها وكاشفاً عن حقيقتها: "الماسونية آلة صيد بيد اليهود، يصرعون بها كبار الساسة، ويخدعون بها الأمم الغافلة والشعوب الجاهلة... وهي يهودية الأصل والمنبت، تجيد المكر والخداع".^(٢٧٣).

نشأة الماسونية:

الماسونية جمعية سرية قديمة جداً، تحمل أهدافاً سرية غاية في الخطورة، إلا أنها في العصور الحديثة أخذت تعلن عن نفسها بمختلف الطرق، ومن باب الكذب والخداع أخذت تتبنّى أهدافاً وشعارات جديدة لا تمت إلى أهدافها الحقيقة.^(٢٧٤)

(270) شبهات التغريب، أنور الجندي، ص ٢٢-٢٣، وانظر: المخطوطات التلمودية اليهودية الصهيونية، ص ١٠١.

(271) انظر: شبهات التغريب، ص ٢٣-٢٤.

(272) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠، ٥١٠/١.

(273) الاتجاهات الفكرية المعاصرة، د. علي جريشة، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٠٧-١٤٠٩ هـ ١٩٨٦م، ط ٢، ٢٢٦، ص ١٩٨٦م، عن حقيقة الماسونية للزغبي.

(274) أوقفوا هذا السرطان، حقيقة الماسونية وأهدافها، د. سيف الدين البستاني، ص ٢٢.

والقول الراجح والأقرب إلى الحقيقة هو أن أصل الماسونية الحديثة هو جمعية القوة الخفية التي أسسها اليهود في عهد والي الرومان على فلسطين هيرودس الثاني اليهودي عام ٤٣ ميلادية لتمذير النصرانية والقضاء عليها، والإبقاء على الاتحاد اليهودي^(٢٧٥).

فالألب الشرعي والمؤسس الأول لل MASONIA هم اليهود، وأن الغرض من تأسيسها هو خدمة المصالح اليهودية، وتحقيق أهداف اليهود من السيطرة على العالم وإقامة ملك إسرائيل، وإعادة بناء هيكل سليمان^(٢٧٦).

ومن الأدلة التي تؤكد علاقة الماسونية باليهودية العالمية نشأةً وأهدافاً:

١ - الماسونية هي الاسم الجديد للشريعة اليهودية المقنعة ورموزها وتقاليدها يهودية "كابالا"^(٢٧٧) وأن ارتباطها مع اليهودية والتوراة المحرفة من الوضوح بحيث تستند إلى آيات التوراة المحرفة حيث ورد ذكر حيرام في الإصلاح السابع "أرسل الملك سليمان وأخذ حيرام من صور، وهو ابن امرأة أرملة"^(٢٧٨). وحيرام هذا تقدسه الماسونية، وتقدس المعبد الذي شيده وهو عريف البنائين في بناء هيكل سليمان في القدس، والذي اتخذ نموذجاً للمحافل الماسونية في العالم، وكفي هذا دليلاً على يهوديتها.

٢ - جاء في الصحفة ٧٤ من العدد الخامس للصحيفة اليهودية(لا فارينا إسرائيليت) عام ١٨٦١م "إن روح الماسونية هي الروح اليهودية في أعمق معتقداتها الأساسية، إنها أفكارها ولغتها وتسير في الغالب على نفس تظميماتها".^(٢٧٩)

(275) الاتحاد اليهودي العام أسسه اليهودي الباريس المحامي (Cremieux) وانتشرت فروعه في أنحاء العالم، ودستور الاتحاد هو: أن أبناء إسرائيل يتولى بعضهم بعضاً، انضم إليه أكثر الطبقات الراقية من اليهود، وانظر: بحث مختصر عن كتاب الماسونية أقدم الجمعيات السرية وأخطرها، ص ٢٠-١٠، وانظر: أسرار الماسونية، جود رفعت آلان، ترجمة نور الدين رضا الوعاظ وسلمان محمد أمين، الناشر مجلة الأزهر ومؤسسة دار العلوم، سنة ١٤٠٥هـ، ص ١٨.

(276) الماسونية: أقدم الجمعيات السرية وأخطرها، ص ١٠-٢٠.

(277) (كابالا) كلمة عبرانية، هي مزيج من الفلسفة والتعاليم الروحية والسحر والشعوذة متعارف عند اليهود منذ أقدم العصور، انظر: أسرار الماسونية، ص ١٧١٩.

(278) سفر الملوك الأول، الإصلاح السابع، الفقرة (١٢).

(279) أسرار الماسونية، ص ٢٩-٣١. وانظر: حركات ومذاهب في ميزان الإسلام، فتحي يكن، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، ٢٥، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، ص ٥٩، ٥٨. وانظر: حاضر العالم الإسلامي، د. صالح الرقب، ص ١٣٨-١٣٩. وانظر: الماسونية أقدم الحركات السرية وأخطرها، ص ٢١-٢٢.

٣- "توضع على طاولة رئيس الاجتماع في المحفل الماسوني نسخة من التوراة بصورة دائمة وتحل القسم على التوراة شرطاً لازماً لقبول الأعضاء الجدد ويعتمد الماسونيون على أقوال وتعاليم من التلمود والتوراة، والتلمود من الكتب المقدسة عند اليهود."^(٢٨٠)

دور الماسونية في الغزو الفكري.

يتبيّن دور الماسونية في الغزو الفكري من خلال معرفة أهدافها ووسائلها ومحاربتها للدين والقيم الروحية والخلقية، وموقفها من المرأة والأسرة.
أولاً: أهداف الماسونية.

- ١- الاستيلاء على العالم عن طريق بث أفكار الماسونية المسمومة.
- ٢- محاربة الأديان وتقويض القيم والأخلاق والأعراف، ومناهضة القوميات والتقاليد والنضال ضد الجمعيات والمؤسسات الدينية.
- ٣- تقويض الحكومات الشرعية وإلغاء أنظمة الحكم الوطنية والسيطرة عليها.
- ٤- إشاعة الجنس والإباحية والانحلال الخلقي، وتزويج الأفكار والفلسفات المادية الإلحادية كالشيوعية وأفكار فرويد ونيتشه وغيرهم.
- ٥- تسعى الماسونية إلى أن تكون هي سيدة الأحزاب السياسية لا خادمتها.
- ٦- تأسيس جمهورية ديمقراطية عالمية خفية لا دينية تسيطر على العالم كله^(٢٨١).
- ٧- إقامة المملكة اليهودية في فلسطين، وإعادة بناء هيكل سليمان - معبد الرب - على أنقاض المسجد الأقصى حيث جاء في إحدى الوثائق الماسونية "والهدف المقدس الذي تعمل الماسونية على تحقيقه هو إعادة تشييد هيكل سليمان، وهو أكثر من رمز، بل هو حقيقة مؤكدة ستبرز دون ريب إلى عالم الوجود عندما يستحصل العرب في فلسطين"^(٢٨٢)

ثانياً: وسائل الماسونية:

سلكت الماسونية عدة سبل ووسائل لتحقيق أهدافها، وهي تطور وتجدد وسائلها ومنها:

- ١- إباحة الجنس واستخدام المرأة كوسيلة للسيطرة.

(280) أحجار على رقعة الشترنج، وليام كار، ترجمة سعيد جزائري، ص ٣.

(281) حاضر العالم الإسلامي، ص ١٣٨-١٣٩.

(282) الماسونية أقدم الحركات السرية وأخطرها، ص ٥٥، وحاضر العالم الإسلامي، د. صالح الرقب، ص ١٣٨-١٣٩.

- ٢- إحياء الدعوات الجاهلية، والنعرات الطائفية العنصرية وبث الأفكار المسمومة.
- ٣- استعمال الرشوة بالمال والجنس مع أصحاب الجاه والمناصب السياسية لإسقاطهم في جياثل الماسونية، ومن ثم استخدامهم لخدمة الماسونية.
- ٤- تجرد الداخلين من الماسونية من الفضائل والأخلاق والروابط الدينية، والتجرد من الولاء للوطن، فالولاء يجب أن يكون للماسون فقط.
- ٥- السيطرة على رجال السياسة والحكم والفكر والأدب البارزين في بلدانهم، ثم استخدامهم صاغرين لتنفيذ المخططات الماسونية.
- ٦- السيطرة على أجهزة الدعاية والصحافة والنشر والإعلام، واستخدامها في تحقيق الأهداف الماسونية وبالفعل استطاعت الماسونية عبر رجالها وخاصة اليهود أن تسيطر على معظم وسائل الإعلام ودور النشر والصحافة في العالم، وأن تسيطر على معظم الجمعيات والمنظمات الدولية، ومنظمات الشباب، فنرى أن حكومات العالم، ومتبنّيها يهتمون بشؤون إسرائيل، ويدافعون عن سياستها ومصالحها، ويساعدون على مَ نفوذ اليهود إلى معظم الدوائر ذات الصبغة العالمية، مثل سيطرتهم على هيئة الأمم المتحدة، ومعظم المؤسسات والمنظمات التابعة لها.
- ٧- بث الأخبار المكذوبة والإشاعات والأباطيل، والتركيز عليها لتصبح كأنها حقائق من أجل طمس الحقائق أمام الجماهير.
- ٨- توفير سبل الإباحية والرذيلة بين الشباب والشابات، وتوهين العلاقات الزوجية والروابط الأسرية.
- ٩- الدعوة إلى تحديد النسل والعقم الاختياري بين المسلمين.
- ١٠- السيطرة على المنظمات والمؤسسات الدولية، كمؤسسات منظمة الأمم المتحدة التي أصبح معظمها تحت رئاسة يهودي ماسوني. (٢٨٣)

ثالثاً: محاربة الماسونية للدين:

حاربت الماسونية الأديان كلها ماعدا اليهودية، وقامت بترويج الإلحاد والعقائد الباطلة والفلسفات والأفكار المادية اللادينية وتبنّت أفكار وآراء الفلسفه والمفكرين الملحدين ولهم أقوال كثيرة تدل على بغضهم للأديان كلها باستثناء اليهودية.

(283) حاضر العالم الإسلامي، د. صالح الرقب، ص ١٣٨ - ١٤٠.

١- ما أعلنه الماسوني (لاف أرج) Lafarge في مؤتمر للطلاب انعقد عام ١٨٦٥ م في مدينة (لينج) التي تعتبر إحدى المراكز الماسونية قائلاً "وقال: "يجب أن يتغلب الإنسان على الإله، وأن يعلن الحرب عليه وأن يخرق السماوات ويمزقها كالأوراق...إن الإلحاد من عناوين المفاخر، ولعيش أولئك الأبطال الذين يناضلون في الصفوف الأولى وهم منهمكون في إصلاح الدنيا" (٢٨٤).

٢- من وثائق المحفل الماسوني الأكبر عام ١٩٢٢ م "سوف نقوى حرية الضمير في الأفراد بكل ما أوتينا من طاقة، وسوف نعلنها حرباً شعواء على العدو الحقيقي للبشرية الذي هو (الدين)" (٢٨٥).

٣- وجاء في النشرة الماسونية في الخامس عشر من كانون الأول عام ١٨٦٦ م : "يجب على الماسون أن يقيموا أنفسهم فوق كل اعتقاد بالله" (٢٨٦)

رابعاً موقف الماسونية من الأسرة والمرأة:

تبين مما سبق أن غاية الماسونية هي هدم المجتمعات ولا يتم ذلك إلا بتفكيك الأسرة إذ المجتمع يتكون في مجموعة من الأسر، فعمدت الماسونية إلى إحداث تمزق نفس وانحلال أخلاقي في الأسرة، من خلال إفساد علاقة الرجل بالمرأة وخاصة في مجال العلاقات الجنسية، ووجدت أن هذا لا يتم إلا بهدمها لقيم الأخلاقية وإطلاق الغرائز من قيودها، وإشاعة الإباحية ونشر الفجور والميوعة والتخت.

ورأت الماسونية أن المرأة هذه أقرب الطرق لنقويض الأسرة وهدم المجتمع، فالمرأة هي العنصر الضعيف والفعال معاً، لأنها الحاضن والمربي الأول للأولاد، وهي المدرسة الأولى التي يتربى ويتعلم الأطفال فيها، وفيها يتلقن النساء الحقائق الأولى عن خالقه والكون، وعن نفسه، وعن المجتمع الذي يعيش فيه (٢٨٧).

إن الانطباعات الأولى التي تتركها الأم في نفس طفلها، هي الانطباعات الأساسية التي تشكل الخطوط الرئيسية لمستقبل الطفل والمجتمع الذي يعيش فيه، لذلك قال أحد أركان الماسونية "إن الانطباعات الأولى لا تنسى، وعليه يجب أن تنتهي هذه الانطباعات على أساس

(284) أسرار الماسونية، ص ٣٣.

(285) نفس المصدر السابق، ص ٣٤.

(286) أوقفوا هذا السرطان، ص ١٠٧.

(287) نفس المصدر السابق، ص ١٢٤.

أفكارنا، ولا بد من تربية الأطفال بعيداً عن الدين^(٢٨٨) لذا كان همهم هو إفساد الأجيال بإفساد المرأة، وعلمنة التعليم.

وتحقيقاً لذلك شكل الماسون جمعيات ماسونية مختلطة أطلقوا عليها "ماسونية التبني" وذلك لإخضاع المرأة إلى نفس الأغراض التي تعمل الصهيونية لتحقيقها، حيث وردت مقوله لأصحاب مؤتمر (بولونيا) الماسون عام ١٨٩٩ م "يجب أن نكسب المرأة، فأي يوم مدت إليها فزنا بالمرام، وبدد جيش المنتصررين للدين"^(٢٨٩)

وفي المجتمع الماسوني عام ١٩٠٠ م قال الرئيس بوفريه: "لا بد أن نجعل المرأة رسولاً لمبادئنا، ونخلصها من نفوذ الدين"^(٢٩٠) وقال دورفويل أحد شيوخ الماسون: "ليس الزنا بإثم في شريعة الطبيعة، ولو بقى البشر على سذاجة طبيعتهم لكان النساء كلهن مشتركات بينهم"^(٢٩١) وقال راغون في كتاب رسوم إدخال النساء إلى الماسونية: "العفة المطلقة مرذولة عند الماسونين والماسونيات لأنها ضد ميل الطبيعة، ومن ثم تبطل كونها فضيلة"^(٢٩٢)

ومن الجمعيات النسائية المختلطة: جمعية الصلبان المزدهرة الماسونية، ومركزها في المحفل الماسوني في ميدان الأوبرا في القاهرة، وقد سألت مجلة آخر ساعة إحدى نسائها وهي راقصة عن الجمعية قالت: "إن الإنسان مخير، وإنه لا وجود لذلك الشيء الذي نسميه الشيطان، وإنها تمضي أوقاتها في قراءة كتب الجمعية"^(٢٩٣)

وقد خبرت إحدى النساء نتائج دخول المرأة في هذه الجمعية، وفضحت ما تتعرض له أخلاق المرأة، وبالتالي أوضاع الأسرة من شرور وماسٍ.

وقد تحقق للسيدة (جانيت)^(٢٩٤) ما لل MASONIE من أثر مدمر على حياة المرأة، وعلى أخلاقها وتربيتها أبنائها فوجئت نداءها إلى نساء العالم قائلة:

"إن المرأة بواسطة الماسونية قد خسرت هناءها وآدابها وسعادتها الزمنية والأبدية، وبهذه الخسارة خسر الكون نظامه الاجتماعي والعائلي والأدبي والديني والصحي والنسلـي،

(288) أسرار الماسونية، ص ٤٠ .

(289) أوقفوا هذا السرطان، ص ١٢٥ .

(290) نفس المصدر السابق، ص ١٢٥ .

(291) نفس المصدر السابق، ص ١٢٥ .

(292) نفس المصدر السابق، ص ١٢٦ .

(293) أوقفوا هذا السرطان، ص ١٢٨ .

(294) هي زوجة جوناس أحد البرازيليين الذي ساعد على نشر تاريخ الماسونية مع عوض الخوري في كتابه تبديد الظلم، انظر: أوقفوا هذا السرطان، ص ١٢٨ .

أجل...لقد فرحت المرأة بهذا التساهل، ولكن نتيجة فرحتها كان الشقاء والبكاء. ثم تابعت تقول: "فعليكن أنتن يا نساء العالم أن تستعملن كل ما لديكن من الوسائل في سبيل إقناع الرجال أن الماسونية هي يهودية بحثة، وهي التي زعزعت أركان الكون، وحققت الأديان، وهي التي ثبتت روح التمرد في رؤوس النساء، فانتشرت الخلاعة والفجور"^(٢٩٥)

وقد تدخلت الماسونية في شئون تنشئة الأولاد، فعمدت على تربيتهم على الفوضى والتحلل من القيم والأخلاق، وانتزاع الفضيلة في نفوسهم، وتدخلت في تعليمهم، وكان يجري ذلك على حسب البلدان التي طبقت فيها حيث كان كل بلد يتطلب نوعاً من الأساليب والوسائل، فاستخدمت الشيوعية والعلمانية والقومية، والعالمية والإنسانية، فلا يهمهم كم الشعارات التي يرفعونها كمبادئ، بقدر ما يهمهم تحقيق أهدافهم ومازفهم، جاء في نشرة (العالم الماسوني) عام ١٨٧٩ م "نحن الماسون في مقدمة التعليم العلماني"^(٢٩٦) ، وكان الماسون يفهمون أن العلمانية تعني الإلحاد والتحلل من القيود الخلقية، تحت شعار الدعوة إلى الحرية وإلى الطبيعة. ومن أراد أن يطلع على حقيقة المدارس العلمانية التي أنشأها الماسون، عرف ما يجري فيها من تحلل وفساد وجرائم جنسية على أيدي الشبيبة البريئة التي تهدمت في نفوسها المثل العليا، دون أن يحل محلها قيم جديدة أعلى منها، فانطافت الغرائز، وشاعت الفواحش، حيث جاء في مجلة الشرق الماسونية "إن حياة المدارس العلمانية تجاه التعليم الديني تمويه باطل، وإن أصحابها لا يطلبون سوى استئصال الدين من قلوب الغربيين والشرقيين"^(٢٩٧)

ما سبق تتضح الرابطة القوية بين الغزو الفكري والماسونية، حيث وجدت الماسونية كمنظمة تخريبية وجندى قوى مخلص لتنفيذ وتحقيق ما يهدف إليه قادة ورواد الغزو الفكري.

المطلب الثالث: علاقة التبشير بالغزو الفكري

التبشير هو إحدى وسائل الغزو الفكري الذي يستهدف التأثير في عقول وقلوب المسلمين، وفقاً لما يهدف إليه أعداء الإسلام، من خلال بث الأفكار والثقافات الغربية النصرانية ويطلق عليه النصارى اسم التبشير للعمل على نشر المسيحية بين غير المسيحيين ونجذب الناس إليها، واختاروا هذه الكلمة لأنها تلبس هيأة الرحمة وتتظاهر بالعطاف على الناس، وتدعى الإنقاذ ونشر المعرفة^(٢٩٨).

(295) أوقفوا هذا السرطان، ص ١٢٨ .

(296) المصدر السابق، ص ١٣١ .

(297) نفس المصدر، ص ١٣١-١٣٢ .

(298) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، صالح ذياب هندي، دار الفكر، عمان، ط٥، ١٤٠٤ هـ—١٩٨٤ م، ص ٢٦ .

أولاً: التعريف بالتبشير:

التبشير أو التنصير هو: "حركة دينية سياسية استعمارية بدأت في الظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة، وبين المسلمين وخاصة بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب"^(٢٩٩). فالتبشير أمر خطير لأنه يتستر تحت مظاهر براقة تخدع الكثرين، حيث تبدو على رجاله البراءة، كبراءة الحمل الوديع، ويفك ذلك ما قاله المبشر الأمريكي تشارلس واطسون حينما نصح المبشرين بالتلتون في سبيل تحقيق هدفهم التبشيري: "يجب أن يظلوها (أي المبشرون) براءة كالحمام، ولكن هذا لا يمنعهم أيضاً أن يكونوا حكماء كالحيات"^(٣٠٠).

إن الغزو التبشيري حرب كافرة تشن على الإسلام عقيدة وحضاره، وقد استقطب هذا الغزو كل القوى الاستعمارية ضد المسلمين لإخراجهم من الإسلام، أو جعلهم متذبذبين وهو نسخة مكررة من رسالة المحارب الصليبي الذي قدم إلى العالم الإسلامي في صورة حقد دفين وكراهة للإسلام والمسلمين للاستيلاء على بيت المقدس وانتزاعه من المسلمين.^(٣٠١) وبعد القدس الأسباني (ريمون لول) هو أول من تولى مهمة التبشير بعد فشل الحروب العسكرية الصليبية في مهمتها، لقد تعلم العربية بعد جهد طويل ومشقة، وأخذ يجول في بلاد الشام يبشر بالنصرانية، ويناقش علماء المسلمين.^(٣٠٢)

وهناك عوامل ساعدت المبشرين لشن هجمتهم الاستعمارية الجديدة وهي:

١. انتشار الجهل والفقر والمرض في معظم بلدان العالم الإسلامي.
٢. النفوذ الغربي في كثير من بلدان المسلمين.
٣. ضعف بعض حكام المسلمين الذين يسكنون عنهم، أو ييسرلون لهم السبل رغباً ورهباً من أجل التنافس على كراسي الحكم.
٤. اعتناق كثير من حكام البلدان الإسلامية للتصورات والعقائد المعادية للإسلام من علمانية وقومية وشيوعية، وضعف ولائهم للإسلام، وبالتالي للأمة.
٥. فساد حال كثير من الشعوب الإسلامية بسبب الأفكار الوافدة، وضعف التكوين الديني في نفوسهم^(٣٠٣).

(299) الموسوعة الميسرة في الأديان والأحزاب والمذاهب المعاصرة، ص ٦٦٥.

(300) التبشير والاستعمار، د. مصطفى الخالدي وعمر فروخ، ص ٥٢، دراسات في الثقافة الإسلامية، ص ٢٧.

(301) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، ص ٢٧، عن معركة التقاليد محمد قطب.

(302) انظر: الغارة على العالم الإسلامي، أ.ل. شانليه، ترجمة محب الدين الخطيب، ط٣، ١٩٨٠م، ص ١٢ - ١٣، والموسوعة الميسرة في الأديان والأحزاب والمذاهب المعاصرة، ص ١٧٣.

٦. يتبيّن دور المبشرين في الغزو الفكري من خلال معرفة أهدافهم، ومؤمناتهم، ووسائلهم التي استخدموها، واستغلالهم للمرأة، دون الحاجة إلى بذل النفوس وإزهاق الأرواح بالحروب الطاحنة، لذا سنتعرف على أهداف التبشير ووسائله، وكيف استغلت المرأة لتكون مبشرة بين قومها.

ثانياً أهداف التبشير:

١- إعداد جيل من المسلمين يحمل أفكار الغربيين وثقافتهم ليسهل الاتصال بهذا الجيل ومن ثم يتم التنسيق معه من أجل السيطرة على البلد الإسلامية، واستعمارها فكرياً وسياسياً.

٢- زعزعة العقيدة الإسلامية والتشكيك فيها، بحيث تخلو الأجيال المسلمة في المجتمعات الإسلامية من الثقافة الإسلامية، وتموت في نفوسهم مشاعر الغيرة والحمية الدينية^(٣٠٤).

وبذلك يبتعد المسلم عن دينه ويصبح مسلماً بشهادة الميلاد، وهذا الهدف أشد خطراً، وضرراً على الإسلام والمسلمين ويؤكده قوله تعالى «وَلَا يَزَّلُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرْدُوْكُمْ عَنْ دِيْنِكُمْ إِنِّي أَسْتَطَاعُوا»^(٣٠٥) كما يؤكده اعتراف القس المبشر زويمر بقوله: "إن الهدف من التبشير هو تحويل المسلمين عن التمسك بدينهم".^(٣٠٦)

وفي خطاب ألقاه البابا شنودة في الكنيسة المرقسية في الإسكندرية عام ١٩٧٣ ذكر فيه "أنه يجب مضاعفة الجهود التبشيرية التي وضعت وبينت على أساس هدف اتفق عليه للمرحلة القادمة وهو زحزحة أكبر قدر من المسلمين عن دينهم والتمسك به، على ألا يكون من الضروري اعتناقهم المسيحية، فإن الهدف هو زعزعة الدين في نفوسهم، وتشكيك الجموع الفقيرة منهم في كتابهم، وصدق محمد"^(٣٠٧)

٣- الإيحاء بأن المبادئ والمثل النصرانية أفضل من أي مبادئ أخرى، وأن تقدم الغربيةن الذين وصلوا إليه، إنما جاء بفضل تمسكهم بالنصرانية.

٤- تمكين الغرب النصراني من البلد الإسلامية، وهو مقدمة أساسية للاستعمار، وسبب مباشر لتوهين قوة المسلمين وإضعافها، والتحكم في مقدرات وإمكانات الشعوب حيث

(٣٠٣) انظر: دراسات في الثقافة، ص ٢٨، والموسوعة الميسرة، ص ٧٣.

(٣٠٤) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، صالح دياب هندي، ص ٢٦-٢٧.

(٣٠٥) سورة البقرة، الآية (٢١٧)

(٣٠٦) دراسات في الثقافة الإسلامية، ص ١٧، عن معركة التقاليد لمحمد قطب.

(٣٠٧) التبشير مفهومه، أهدافه، سبل مواجهته، علي إبراهيم النملة، الرياض، ١٩٩٣ م - ١٤١٣ هـ، ص

يقول القس (بيرس بيفر) "لقد أصبح يقال عن المبشرين إنهم عملاء للاستعمار، ولا يزالون يتهمون بأنهم أدوات لتعذيل النفوذ الأجنبي للتخرّب".^(٣٠٨)

٥- ترسیخ فکرة قیام دولة (وطن قومي) للیهود في أي مكان أولاً، ثم فلسطين المحتلة بعدها، آخذًا في الحسبان أن الإنجيل (العهد الجديد) بعد تحريفه بأيدي يهودية يتضمن تعاليم تدعو إلى هذه الفكرة، وأنها أصبحت واجباً مقدساً على النصارى، ومن ناحية أخرى التخلص من الجنس اليهودي من أوروبا ثم أمريكا الشمالية هدفاً فرعياً لهذا الهدف العقدي، الأمر الذي لم يتم رغم استمرار تجمع اليهود في فلسطين

ثالثاً: *وللملائكة التبشير*:

تعددت وسائل و مجالات أنشطة المبشرين وهي:

١- المناظرة والمجادلة لعلماء المسلمين. وهذه الوسيلة تستخدم في حالة تعذر إقناع الخصم. وقد اشتهر علماء الهند المسلمون بمناظراتهم وإبطال دعاوى المبشرين.^(٣١٠)

٢- مجال الخدمات الصحية: وذلك بتأسيس المستشفيات والمستوصفات التبشيرية وتوجيه الأطباء المتلقين، والمستوصفات المتنقلة، وقد تحملوا في ذلك مشقات الدخول في أصعب الأماكن الإفريقية وغيرها، واستثمرموا مؤسساتهم الطبية استثماراً اقتصادياً واسعاً مع قيامهم بمهمة التنصير. يقول القسيس أتانوليوكوس "إن من أهم الوسائل التي استخدمها المبشرون التبشير عن طريق الطب، لأن ذلك في مأمن عن مناؤة الحكومة له. والمسلمون يلجأون بأنفسهم إلى مستشفيات المبشرين ومستوصفاتهم"^(٣١١)، وكتب في صحيفة الرائد الهندية "ففي الواقع أن المستشفى (هرمل) أنسئ ليندفع إليه الناس طمعاً في إزالة أمراضهم وعلهم فإذا بهم يجدون أنفسهم قد وقعوا في حبائل نصبت لسلب عقيدتهم".^(٣١٢) ويقول المبشر أراهارتس: "يجب على طبيب إرساليات التبشير ألا ينسى ولا في لحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شيء ثم هو طبيب بعد ذلك".^(٣١٣)

٣- تأسيس الكنائس والأديرة، وذلك في كل بلد إسلامي يوجد فيه نصارى مهما كان عددهم، حتى لو لم يتجاوزوا أصابع اليدين، لتكون بؤرة للتنصير، ومسوغاً للادعاءات المستقبلية بحقوق تاريخية في بلاد المسلمين.

(308) التبشير والاستعمار، ص ٢٥٥.

(309) انظر: التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، ص ٣٣-٣٥.

(310) انظر: أجنة المكر الثالثة، ص ١٠٢، أخطار التبشير، ص ٢١.

(311) أجنة المكر الثالثة، ص ١٠٣.

(312) انظر: أخطار التبشير في ديار المسلمين، ص ١٩.

(313) الغارة على العالم الإسلامي، ص ٢٣.

٤- التعليم في الروضات والمدارس والكليات والجامعات.

لذا أكثروا من بناء المدارس في بلدان العالم الإسلامي ورياض الأطفال ودور الحضانة، ففي الأردن وحدها في السبعينيات أسس بها تقريرًا (١٤٠) مدرسة طائفية وأجنبية ومعظم طلابها من أبناء وبنات المسلمين، والمعلمون فيها معظمهم من غير المسلمين. (٣١٤) يقول (جون موط) المبشر النصراني: "إن الأثر المفسد في الإسلام يبدأ باكراً جداً، من أجل ذلك يجب أن يحمل الأطفال الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم الرشد، قبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية". (٣١٥) ولم يكتف هؤلاء بالمدارس الإرسالية، بل عدوا إلى فتح المدارس العلمانية، بغية إحكام السيطرة على تربية أبناء المسلمين، وتدمير عقيدتهم يقول زويمر: "مadam المسلمين ينفرون من المدارس المسيحية، فلا بد أن ننشئ لهم المدارس العلمانية ونسهل التحاقهم بها، هذه المدارس التي تساعدنا على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب" (٣١٦)، إضافةً لذلك كانت بعثات التعليم الصناعي والتدريب المهني، وبعثات التعليم العالي، وأيضاً تقدم المنح والقروض للطلاب الذين يتم إرسالهم إلى الغرب لتعلم التقافة الأوروبية التي تذوب فيها شخصية المسلم ليصبح نموذجاً غربياً.

٥- مجال الخدمات وال العلاقات الاجتماعية: ففي مجال الخدمات كانت دور الأيتام والعجزة والأرامل، والمطلقات وغيرها وفي مجال العلاقات الاجتماعية الصلات الودية والصداقات الشخصية، والزيارات العائلية، والعلاقات الاقتصادية، والثقافية المختلفة، واتخاذ هذه الأمور لافتتاح المسلمين.

٦ - المساعدات واستغلال الأزمات والكوارث الفردية:

وذلك بتصيد القطاء والمشردين وأصحاب الأزمات المختلفة من أبناء وبنات المسلمين، وكذلك الذين فقدوا أهليهم في الحروب والفتن والمجاعات والكوارث الطبيعية، لذا اهتموا بالمجتمعات الإسلامية النامية والنائية، حيث ينتشر الفقر والمرض والجهل، وتكثر الأمية، فيستغل المبشرون حاجات الناس للغذاء والدواء والكساء والعمل في الدعوة إلى النصرانية، كـبنتازل المسلم عن دينه مقابل الحصول على الرزقة^(٣١٧).

٧- تأسيس الإذاعات: اتجه التبشير المسيحي إلى استعمال الآذان في الفترة الأخيرة لسبعين هامن، وهذا:

أ- الاتصال بأعداد كبيرة من الناس

³¹⁴⁾ انظر : أحنة المكر الثلاثة، ص ١٠٣.

(315) التبشير والاستعمار ، ص ٦٨.

⁵⁰ (316) الغارة على العالم الإسلامي، ص.

³¹⁷⁾ انظر : أحنة المكر الثلاثة، ص ١٠٤-١٠٥.

ب- اختراق موجات الإذاعة لكل الحواجز والحدود ووصولها إلى الآذان، وقد بدأ البث الإذاعي للبرامج التصويرية عام ١٩٢٠ م في الولايات المتحدة، وبلغت عدد الإذاعات التصويرية اليوم خمسين إذاعة منها: إذاعات تخصص إرسالها إلى المناطق الإسلامية وعلى رأسها محطة (دبليوار) التي بدأ بثها من طنجة ثم انتقلت إلى (مونت كارلو) عام ١٩٦٠ م.^(٣١٨)

٨- تأليف الكتب وتوزيع المطبوعات والمنشورات التصويرية: حيث استغلوا إمكاناتهم المادية والعلمية، لطبع ملايين الكتب والرسائل والمنشورات، وتوزيعها بين المسلمين، كما قاموا بطبع أشرطة كاسيت وحشوها بما يريدون من أفكار وتوزيعها في أماكن و مجالات أنشطتهم، وقاموا بتأليف كثير من الكتب عن الإسلام وطبعوها بمطابعهم وبثوا فيها سموهم مثل دائرة المعارف وترجمات القرآن".^(٣١٩)

٩- تأسيس الجمعيات والمنظمات والنوادي ذات النشاط الاجتماعي أو الأدبي أو الثقافي أو الفني أو الرياضي، ومن هذه المنظمات منظمة (نداء الرجاء) بمدينة (شتوكارت) الألمانية ومنظمة (بعثة الصدقة) ولها فروع كثيرة و(مركز الشبيبة النصراني) بألمانيا الغربية وهذا غير المنظمات السرية التي تعمل في الخفاء.^(٣٢٠)

١٠- المساعدة على افتتاح أكبر عدد ممكн من دور الخمور في بلدان العالم الإسلامي لنشر معاقرة الخمور بين المسلمين، وقد تبين أن الكنيسة والمؤسسات التبشيرية هي وراء تعطيل أي مشروع لمنع الخمور في السودان، فعندما أعلن مجلس أم درمان تحريم بيع الخمور عارضت الكنيسة ذلك، ودفعت أمواياً طائلة لمنع تفويض هذا القرار.

١١- مجال المسابقات بأنواعها، حيث يتم الإعلان عن المسابقات عن طريق المراسلة و تتطلب هذه المسابقات التعرف على موضوعات تهم المبشرين، ويرصد لها جوائز مادية وعينية قيمة بغية شد انتباه الناس إليها، وتحريك ذوي المطامع للمشاركة فيها.

١٢- استغلال الفنادق العالمية الكبرى ذات الفروع في معظم عواصم العالم، ودس ما يمكن عن طريقها من غزو تبشيري صليبي، وسلوك غربي يخدم مصالح الاستعمار الغربي، واستغلوا الأسواق المجمعة أيضاً لترويج أفكارهم.^(٣٢١)

(318) انظر: أجنة المكر الثالثة، ص ١٠٥، وأخطار التبشير في ديار المسلمين، محمد عبد الرحمن عوض، دار الأنصار، إصدار مجلة الدعوة، المركز الإسلامي للدراسات والبحوث، ١٩٨٠ م، ص ٢١-٢٢.

(319) انظر: أخطار التبشير في ديار المسلمين، ص ٢١.

(320) انظر: أجنة المكر الثالثة، ص ١٠٥-١٠٦.

(321) انظر: أجنة المكر الثالثة، ص ١٠٦-١٠٨.

ومن المبشرين نفر أشغلو بالآداب العربية والعلوم الإسلامية ثم يوازنون بين الآداب العربية والأداب الأجنبية أو بين العلوم الإسلامية والغربية (النصرانية) ليخرجوا دائمًا بتفصيل الآداب الغربية على الآداب العربية الإسلامية، ثم إبراز نواحي النشاط الثقافي الغربي وفضليها على أمثالها في تاريخ العرب والإسلام، وما غایتهم في ذلك إلا خلق تخاذل روحي وشعور بالنقص في نفوس الشرقيين، وحملهم من هذه الطريق على الرضا بالخضوع للمدنية المادية الغربية.^(٣٢٢)

٤ - الاشتراك في المجالات العلمية الرسمية: فمن وسائلهم التغلغل في الماجامع العلمية لمحاولة السيطرة عليها أو توجيهها لصالحهم، وذلك بقصد التأثير على المثقفين، والخط الفكري في الدول الإسلامية، وحمل قادة الفكر العربي على أن ينفذوا مخطط الاستعمار والتبشير.^(٣٢٣)

٥ - والوسيلة الأخيرة والمهمة هي استغلال المرأة المسلمة وغير المسلمة في التبشير. فهم يعلمون أن المرأة لها دور مؤثر في الحياة كلها، ولها من القدرات ما يمكن استغلالها في تحقيق أهداف المنصرين وغير المنصرين.

لذا يقوم المبشرون بجهود مكثفة تعمل على نقل المرأة من بيئه إسلامية إلى بيئه غربية خالصة، من خلال التبرج والسفور والاختلاط، والاستغلال في الفن كالغناء والمسرح والسينما والثقافة والآداب، وفي الأعمال المهنية والحرفية الأخرى.^(٣٢٤)

تقول المبشرات المشتركات في مؤتمر القاهرة عام ١٩٠٦م: "لا سبيل إلا بجلب النساء المسلمات إلى المسيح، إن عدد النساء المسلمات عظيم جداً لا يقل عن مائة مليون، فكل نشاطٍ مجيء للوصول إليهن يجب أن يكون أوسع مما بذل إلى الآن، نحن لا نقترح إيجاد منظمات جديدة، ولكن نطلب من كل هيئة تبشيرية أن تحمل فرعها النسائي على العمل واضعةً نصب عينيها هدفاً جديداً هو الوصول إلى نساء العالم المسلمات كلهن في هذا الجيل".^(٣٢٥)
ومن أهم الأعمال التبشيرية للمرأة:

- تأسيس جمعيات نسائية كجمعية الشابات المسيحيات.
- تأسيس مدارس للبنات على نسق المدارس التي أسسوها للذكور.
- فتح المدارس الداخلية لأن فرص التأثير فيها أكثر.
- تشجيع التعليم المختلط.

(322) انظر: التبشير والاستعمار، ص ٢٤-٢٥.

(323) انظر: أخطار التبشير في ديار المسلمين، ص ٢٠.

(324) انظر: أجنة المكر الثالثة، ص ٧١-٧٣.

(325) انظر: التبشير والاستعمار، ص ٢٠٤.

- فتح دورات خاصة بالطالبات تشرف عليها طائفة من المبشرات.
- إقامة الأندية النسائية والمخيمات الكشفية النسائية، وإشاعة المجتمعات المختلطة بين المسلمين والムسلمات.

لقد صدق المبشرون ابتهاجاً وسروراً كثيراً عندما فتحت المرأة المسلمة أبوابها، وزرعت جلبابها، لأن ذلك قد أتاح لهم كل الفرص للتغلغل عن طريقها إلى داخل الأسرة المسلمة كي يبيتوا ما يريدونه من تعاليم تمليها عليهم مهماتهم التبشيرية، وأن أقصر طريق لذلك هو اجتذاب الفتاة المسلمة إلى مدارسهم، بكل الوسائل الممكنة، لأنها هي التي تتولى عنهم مهمة تحويل المجتمع الإسلامي وسلخه من مقومات دينه.

"وقد ابتكر المبشرون وسيلة لتصيد الفتيات الالتي يتعرضن لأزمات عاطفية أو عائلية أو اقتصادية، والتأثير عليهن وتبشيرهن، حيث عملوا على إنشاء بيوت للفتيات المطفلات، وللأرامل الصغار، توزع فيها النساء حسب أحوالهن وحاجاتهن فيمكن في هذه البيوت فترة يكنّ فيها تحت تأثير الإنجيل، ويدربن ليكنّ مبشرات فيما بعد"^(٣٢٦)

بمثل هذه الأهداف الخبيثة والوسائل الأخبث يتوجه النصارى بثياب المتوجعين على المرضى والمنكوبين والجهلة في عموم البلدان الإسلامية، يلبسون مسوح الرهبان وقلوبهم قلوب الذئاب. «يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمٌّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»^(٣٢٧)
والسؤال هنا؟ هل أحس كل منا بالخطر المحدق بالإسلام؟ وهل فكر في وسيلة لمنع هذه المصيبة؟؟ لذا لا بد من خطوات وسبل لمواجهة حملات التنصير، ولا بد أن تسير هذه الخطوات في خطين متوازيين:

الأول: دفع الخطر عن المسلمين واكتساح الفتنة التي تكاد تغرقهم في الفساد.
الثاني: تبصير هؤلاء الضالين من المبشرين بالحقائق المجردة بعيداً عن بريق وسائل الإعلام، وطغيان الثروة المادية^(٣٢٨) ويكون ذلك بعدة سبل:

سبل مواجهة التنصير

١ - الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة، وأساليب الدعوة متعددة ومتعددة، وهي تتطلب العلم الشرعي أولاً ثم الفقه فيه. لذا يجب إعداد دعاة مؤهلين للدعوة لمواجهة هؤلاء المنصرين والتصدي لهم، ولا بد من إرسال مزيد من الدعاء إلى الغرب ليرشدوهم إلى سواء السبيل مستثيرين بقوله تعالى «لَمْ تَعْظِمُنَّ قَوْمًا اللَّهُ مُهْكِمُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا

(326) أجنحة المكر الثالثة، ص ٧١-٧٢.

(327) سورة التوبة، الآية (٣٢)

(328) انظر: أحطر التبشير في ديار المسلمين، ص ٢٧.

قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقَوْنَ^(٣٢٩) ولا مانع من استخدام الوسائل الحديثة كالإنترنت الآن في الدعوة إلى الله .

- ٢- أن تتصدى الحكومات المسلمة للمنصرين، فلا تقدم لهم التسهيلات في المجتمعات المسلمة وأن توجد البديل الحق لما يتقدم به المنصرون من مساعدات وثقافات، وعليهم مسؤولية مراقبة البعثات الدبلوماسية الأجنبية، وإشعارها دائمًا بأنه يجب أن تقوم بمهامها المناطة بها فقط وعدم الإخلال بهذه المهام بالخروج إلى المجتمع ومحاولة تضليله دينياً وثقافياً واجتماعياً، وأن تقوم البعثات الدبلوماسية المسلمة بمهمة المواجهة بالأساليب المناسبة التي تحد من المد التصيري في المجتمعات المسلمة.
- ٣- أن تكتف الهيئات الإغاثية الإسلامية وجمعياتها ولجانها، أعمالها لمواجهة التنصير، والوصول إلى المنكوبين ومساعدتهم قبل أن تصلهم مساعدات المنصرين.
- ٤- أن يقوم العلماء وطلبة العلم بدورهم في الدخول إلى المجتمعات الإسلامية بتعليمهم مباشرة عن طريق الزيارات والأنشطة العلمية والثقافية الجماعية والفردية، وعن طريق المحاضرات والمؤلفات والرسائل القصيرة، والنشرات الموجزة المهمة والموجهة إلى العامة قصدًا، وهم مطالبون بالاستمرار في تنبيه الناس لأخطار التبشير، ودعوة الجميع من المسلمين لمواجهة الحملات التصيرية، بما عندهم من الإمكانيات المادية والبشرية.^(٣٣٠)
- ٥- مساهمة التجار ورجال الأعمال والموسيرين بالتصدي للتصير، سواء كانوا في أماكن عملهم، أو في البلاد التي يتعاملون معها، وهم مطالبون بأن يكونوا قدوة في أعمالهم ومعاملاتهم وتعاملهم مع الآخرين من مسلمين وغير مسلمين. واستقدام الطاقات البشرية الإسلامية للعمل معهم، وإن كان لا بد من غير المسلمين، فعليهم أن ينتبهوا إلى ضرورة المراقبة الدقيقة والمتابعة المستمرة، وعليهم أن يتاكدوا من أن العاملين من غير المسلمين لم يأتوا لأغراض فكرية أو ثقافية أو دينية أخرى تحت ستار العمل. ومن الضروري القيام بالإرشاد لهم بعقد الندوات أو المحاضرات أو كتابة المقالات والنداءات، وعليهم أن يقوموا بالبذل والدعم، وتبني المشروعات الاقتصادية النافعة قبل أن تتلقفها أيدي المبشرين^(٣٣١).
- ٦- أن يسخر شباب الأمة طاقاته وإمكاناته للتصدي للمنصرين عن طريق التطوع، فيكونوا سندًا للعاملين في مجالات الدعوة والإغاثة.

(329) سورة الأعراف، الآية (١٦٤)

(330) انظر: التصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، د. علي إبراهيم النملة، الرياض، ١٤١٣-١٩٩٣هـ، ص ٩٠-٩٢.

(331) التصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، علي النملة، ص ٩٠-٩٢.

٧- أن تسهم المؤسسات العلمية والتعليمية كالجامعات والمعاهد العليا، ومراكز البحث المنتشرة في أنحاء العالم الإسلامي في مواجهة التصوير، حيث تبين خطر الحملات التصويرية على الأمة عن طريق الكتاب، أو الندوات والمحاضرات، والمؤتمرات المحلية والإقليمية والدولية، لوضع الخطط والاستراتيجيات لمواجهة التصوير. وعلى هذه المؤسسات ترجمة الكتب النافعة والرسائل الموجزة، ونشرها بين الأقليات المسلمة، وبين المسلمين عموماً من لا يتحدثون اللغة العربية، وترجمة بعض ما ينشر من مؤتمرات المنصرين وواقع لقادتهم، وجهودهم في حملاتهم، حتى تطلع الأمة على ما يراد بها ويحاك لها^(٣٢٢).

- ٨- ينادى المسلمون المنظمات الإسلامية ببذل الجهود في مواجهة التصوير، ومنها:
- رابطة العالم الإسلامي.
 - الندوة العالمية للشباب الإسلامي.
 - منظمة المؤتمر الإسلامي والمنظمات المبنية عنها.
 - الجمعيات المحلية الإسلامية الطلابية، والمعنية بالجاليات والأقليات المسلمة في غير بلاد المسلمين.
 - الجماعات الإسلامية.

فعلى هؤلاء جميعهم أن يكتفوا أنشطتهم للتصدي لحملات التصوير، باستخدام كل الوسائل والإمكانات المتاحة.

- ٩- لابد من التعرف على عقائد النصارى واختلافها من كاثوليكية وبروتستانتية وأرثوذكسية، وما بداخلها من انقسامات، وموافقها من طبيعة المسيح عليه السلام وأمه الصديقة مريم، وموافقتها من عقيدة التثليث وغيرها من معتقداتهم قصدأً إلى التنبية لعدم الوقوع فيها، ورغبة في السيطرة على موضوع التصوير عند الحديث عنه.^(٣٢٣)
- ١٠- المساعدة في قيام مؤسسات طيبة خيرية إسلامية، تستثمر جهود الأطباء وتقطع من وقت فراغهم لتطبيب المسلمين في كل مكان، ويصاحب ذلك جهد دعوي، كلمة طيبة مع جرعة الدواء.

- ١١- إيجاد موقع على الانترنت ومنتديات خاصة بدراسة موضوع التصوير ومتابعته، وإعداد الدراسات والتقارير بشأنه وحفظ الوثائق المتعلقة به، وإصدار النشرات الدورية، التي تلتحق كل جديد ويمكن لهذه الموقع أو المنتديات أن تتولى أمر الدعوة إلى قيام

(332) التصوير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، علي النملة، ص ٣-٩٧..

(333) نفس المصدر السابق، ص ٩٧-٩٨.

- مؤتمر إسلامي عالمي يناقش موضوع التصوير، ويكون دوريًا سنويًا أو كل أربع سنوات، يناقش موضوع التصوير من جميع جوانبه، وتقدم فيه الدراسات والبحوث والاقتراحات.
- ١٢ - تصميم وعمل برامج حاسوب عن التصوير، وأخطره على الشريط المغнет، تتسم هذه البرامج بالسهولة والوضوح والاعتماد على المنهج الشرعي الصحيح المبني على الكتاب والسنة، ونشر هذه البرامج في مجال الحاسوب عن طريق الشبكات الدولية للحاسوب.
- ١٣ - العناية الخاصة بال المسلمين الجدد، باحتضانهم والتلطف بهم، وتعليمهم وتأليف قلوبهم على الخير، والتواصل معهم بالهدية والكلمة الطيبة.
- ٤ - محاربة أي منتجات تَمْتُ للتصوير بصلة أو تكون مبنية على فكرة تصويرية كلع الأطفال، والأدوات المنزلية أو الملابس وغيرها، وتشديد المراقبة عليها.
- ١٥ - المساعدة في إنشاء مراكز التوعية الإسلامية، لدعوة النساء غير المسلمات إلى الإسلام وتشرف على هذه المراكز بعض الأخوات المسلمات، وتنشط في أوساط المضيفات والممرضات.
- ٦ - التحذير والحذر من التيارات العلمانية والحركات الحديثة التي هي في حقيقتها الوجه الفكري والأدبي للتصوير.
- ١٧ - العناية بالأرياف والمناطق النائية كالقرى ومثلها الدول البعيدة عن مراكز العلم.

(٣٣٤)

المبحث الثالث

أهداف الغزو الفكري ومخاطرها

المطلب الأول: أهداف الغزو الفكري:

إن من أمعن النظر في أقوال الغزاة من المستعمرين والصهابين والمبشرين والمستشرقين، وجد أنهم يخافون من هذا المارد الإسلامي العظيم متمثلًا في نظامه وحضارته وقيمه، لذلك شنوا هجمتهم الفكرية الشرسة محاولةً منهم في وقف زحف المد الإسلامي، وتشوييه في نفوس أتباعه.

يقول المستشرق (لورانس براون): "ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام، وفي قدرته على التوسيع والإخضاع، وفي حيويته: إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار

(334) خطوات عملية لمواجهة التصوير، موقع صيد الفوائد ومستفاد من شريط التصوير لسلمان العودة، www.saaid.net

الأوريبي^(٣٣٥) ويقول رئيس الوزراء الصهيوني السابق بن غوريون: "نحن لا نخشى الاشتراكيات، ولا الثوريات، ولا الديمقراطيات في المنطقة، نحن فقط نخشى الإسلام هذا المارد الذي نام طويلاً، وبدأ يتململ من جديد"^(٣٣٦)، ويقول المبشر الصليبي غاردنر: "إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا".^(٣٣٧)

ولهذا لجأ الغزاة إلى أسلوب الغزو الفكري الذي هو أشد خطراً على المسلمين وأكثر نفعاً للغزاة من أي أسلوب آخر لأنه سيحقق أهدافهم الآتية:

أولاً: ضرب المسلمين من الداخل:

عن طريق شل فاعليته، وعزله عن التأثير في حياة المسلمين، وتحديد إقامته داخل دياره، ثم تحويله إلى دين كهنوتي لا يهتم بحياة الناس الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتشريعية أي فصل الدين عن الدولة والحكم وحياة الناس عامة. فنجاح الغزو الفكري للعقول والقلوب المسلمة معناه الإجهاز نهائياً، وبطريقة هادئة على كل أثر يمكن أن يصنعه الإسلام في حياة الفرد أو حياة الأمة، وهو أقصى ما يطمح إليه الغزاة وهو صرفهم عن التمسك بالإسلام نظاماً وسلوكاً.^(٣٣٨)

ثانياً: منع الإسلام من الانتشار خارج ديار المسلمين:

وحقن الشعوب الأخرى بكراهية الإسلام والمسلمين، بوسائل متنوعة تقوم أولاً وأخيراً على تشويه حقائق الإسلام، وإظهار أتباعه في أسوأ صورة وذلك لأن أعداء الإسلام تأكدوه أن الإسلام بالفعل يمكن أن يشكل خطراً عليهم، لهذا كان لابد من حصره والحد من تياره.^(٣٣٩)

لذا حاول الغرب تشويه صورة الإسلام من جميع جوانبه، وفي كل ركائزه، حتى يقطعوا الصلة بين المسلمين ودينه، ويحجبوا غير المسلمين عن الإسلام، فهم يريدون أن يطفئوا نور الله سبحانه وتعالى ولكنهم لن يستطيعوا أن يقيموا سداً منيعاً بين المسلمين ودينهم ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾^(٣٤٠)

(335) التبشير والاستعمار، ص ١٨٤.

(336) عداء اليهود للحركة الإسلامية، زياد أبو غنيمة، دار الفرقان، عمان، ط ٣، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ص ٤٦.

(337) التبشير والاستعمار، ص ٣٦.

(338) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية ص ٢٥، وحاضر العالم الإسلامي، د. صالح الرقب، ص ٣٣، وسائل مقاومة الغزو الفكري، حسان مرزوق، ص ٥١ - ٥٠.

(339) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، ط ٥، ص ٢٥، وانظر: وسائل مقاومة الغزو الفكري، حسان مرزوق، ص ٥٠ - ٥١.

(340) سورة التوبة، الآية (٣٢).

ثالثاً: التشكيك في تاريخ وحضارة الأمة الإسلامية:

فهم يريدون أن يقطعوا صلة هذه الأمة بتاريخها وحضارتها، لذا وجدوا أنه لابد من تشويه التاريخ والتشكيك في مفاخره، والتركيز على نقاط الضعف فيه، بحيث تتموأجيال لا تعرف منه إلا عصور الظلم والاستبداد، فترات القلق والاضطهاد، ومراحل ال欺ر والقطط. وبذلك يرى الناشئ تاريخ أمته مسلسلاً من العذاب وحلقات من السواد، ومن خلال النظر إلى العالم الإسلامي يلاحظ ظاهرتان:

- تشويه تاريخنا الإسلامي في كل المصادر والمؤلفات التي صدرّها الغزاة لنا وتلاميذهم.

- الإشادة بالتاريخ الأوروبي ودفع شأنه، وتجليّة انتصاراته.

فمثلاً في الجزائر بدأت دراسة التاريخ عام ١٨٣٠ مع بداية الاحتلال الفرنسي، فصورت الاستعمار الفرنسي بأنه سبب في تطويرها وتنميّتها وتخليصها من الجهل والتّخلف المرتّب بالإسلام والمسلمين. وأيضاً في فلسطين عندما فرضت السلطات الإسرائيليّة تغيير كتب المواد الاجتماعيّة في الأرض المحتلة عقب حرب ١٩٦٧، لكي تتحول هذه الكتب لما يُرضي أطامع الصهيونية، ويحقق أهدافهم، كما أنهم منذ عام ١٩٤٨ يدرّسون لطلاب فلسطين كتاباً لا تحمل إلا وجهة نظر الصهيونية في التاريخ الإسلامي والعربى، لها كثير من التّلفيق والتزوير وقليل من الإنّصاف. كما أن مئات من الكتب الدراسية والثقافية في أنحاء العالم، ما زالت مسماة بكثير من الاتجاهات ضد الإسلام والمسلمين تاريخاً وحاضراً.^(٣٤١)

رابعاً: التشكيك في حاضر الأمة:

لم يكتف الغرب تشويع التاريخ الإسلامي، بل أراد أن يشوه ويشكك في حاضر الأمة الإسلامية، حتى ينشأ جيل يكره هذا الحاضر، وينفر من تخلفه، ويقشعر من رجعيته، فيبحث له عن مخرج أو حاضر جديد أكثر رقياً وأعلى منزلة، فيتبني أفكار أمّة أخرى مما يؤدي إلى ضياع حاضر الأمة.^(٣٤٢)

خامساً: التشكيك في مستقبل الأمة:

فإذا كان الماضي رجعياً والحاضر عفناً فكيف سيكون المستقبل؟ لابد أنه ظلام وبارود خراب لذا فهم يريدون منا أن نغض الطرف عن ماضينا، وننصرف عن حاضرنا، ونندمج في غيرنا بحيث تتبنّى أفكارهم ليكون مستقبلنا زاهراً وضاءً، فالنّحيف الإسلامي لا علاج له إلا بالمستقبل الغربي. ويترتب على ذلك تبديد لمستقبل الأمة، وصرفها عن منهجها القويّم.

(341) انظر: وسائل مقاومة الغزو الفكري، ص ٥١-٥٤.

(342) انظر: نفس المصدر السابق، ص ٥٥-٥٦، والغزو الفكري في التصور الإسلامي، ص ٥٦.

سادساً: تذويب شخصية الأمة:

وتأتي مرحلة التذويب بعد التشويه والتشكيك، بحيث تفقد الأمة الإسلامية هويتها وتتذكر لأصالتها ويصبح النموذج العربي هو النموذج الثقافي الواجب الاقتداء به. من خلال الآتي:

أ- إحلال عناصر ثقافية جديدة:

ومن أهداف الغزو الفكري زراعة ثقافة جديدة توجه العقول، وتحكم السياسة، وتصنع القرارات، وتحرك الشخصيات، وتوجه الضمائر، وتلعب بالقيادات. فالغزاة عجزوا عن تغيير ديانة المسلمين، لكن لا مانع من أن يفهم المسلمون دينهم فهماً خاطئاً، فيتعاملون معه على أنه عقيدة أو شعار تعديلاً تربطهم بالسماء، فيحملون أسماء إسلامية، ويؤدون العبادات كاملة أو منقوصة، أما المعاملات ونظم الحياة المختلفة وتنظيمات المجتمع فلتتحول إلى نظم غربية تحمل قسماتها وتنبني فلسفتها وتصوراتها لمختلف جوانب الحياة.^(٣٤٣)

ب- إضعاف روح الأخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم:

عن طريق إحياء القوميات التي كانت قبل الإسلام والتي ظهرت بعده وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم، وسيأتي الحديث عنه لاحقاً عند تناول وسائل الغزو الفكري.

ج- تفريغ القلوب المسلمة من القيم الأساسية والأخلاق:

ودفع هذه القلوب عارية أمام عاصفة هوجاء تحمل معها السموم عن طريق الصحافة والمسرح والفيلم والأزياء والملابس، وبذلك تتفوق عندهم المثل الغربية على مثل الإسلام العليا.

د- تصوير تراث الأمة الإسلامية بصورة التخلف:

وعدم قدرته على إمداد الحضارة الإسلامية بشيء مفيد، وأنه لم يكن له فضل على الحضارات التي جاءت بعده، لتشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري فمثلاً عملوا على إحياء الجوانب الضعيفة في التراث الإسلامي خاصة فيما يتعلق بالخلافات السياسية التي وقعت بين المسلمين أنفسهم وركزوا عليها، وخرجوا بتصوير دعوات الحركات المعادية للإسلام بصورة جميلة مضيئة، ووصفها بأنها تحمل فكرًا عالياً وفلسفة عميقة.^(٣٤٤)

المطلب الثاني: أخطار الغزو الفكري:

بيّنت الباحثة فيما سبق أن الغزو الفكري أشد فتكاً بال المسلمين من الغزو المادي المسلح لأنه يستهدف أشرف ما في الإنسان: عقيدته وفكره، وقلبه وعقله، ذلك لأن الأمم تقاس بمقوماتها العقدية والفكريّة، وقيمها الأخلاقية^(٣٤٥). وبالتالي فإن الغزو الفكري يشكل أخطاراً

(343) انظر: وسائل مقاومة الغزو الفكري، حسان مرزوق، ص ٥٨-٦٦.

(344) انظر: الغزو الفكري في التصور الإسلامي، ص ٥٧-٥٨.

(345) انظر: نفس المصدر السابق، ص ٢٦.

متعددة يجب التنبئ إليها حتى يكون المسلمون على يقظة من أمرهم وفي مأمن من هذه الأخطار ويعدوا السبل لمواجهة هذه الأخطار، والتصدي لها وهي:

١- الغزو الفكري يفقد المعرضين للغزو الاستعداد مما يوقعهم في أحبائله بسهولة لأنه يسير في هدوء وروية ويحتاج إلى مدة أطول.

٢- يتتجنب جميع أسباب المقاومة التي يمكن أن يبديها المعرضون للغزو.

٣- يجد له أتباعاً وأنصاراً يتعاونون معه بسهولة، إما عن طريق اندلاعهم بأسلوبه أي ظنهم بأن خيانتهم لدينهم ووطنهم لن تكشف للناس.

٤- قليل التكلفة مع أن نتائجه وأثاره تبقى في عقول وقلوب الناس فترة طويلة.^(٣٤٦)

٥- يمضي بين الناس في صمت ونعومة وخفاء في الأهداف مما يجعل الناس يتقلبون كل جديد ولو خالف قيمهم وعقائدهم، وأفكارهم، دون معارضة، دون نفور، فيستجيبون إلى وسائله بأسرع ما يمكن لأنها لا تقوم على الدم والتضحيات أو استخدام القوة كالغزو العسكري.^(٣٤٧)

٦- يخفي دعاته ولا يكشف أمرهم للناس لأنهم يعملون من خلال عملياتهم من أبناء البلد المغزوة علينا وفي وضح النهار تحت سمع وبصر القانون، بل برعايته وحمايته.^(٣٤٨)

المبحث الرابع

وسائل الغزو الفكري

استخدم الغزاة وسائل كثيرة ومتعددة لترويج أفكارهم ولا بد من عرض هذه الوسائل بشيء من التفصيل.

المطلب الأول: التبشير:

وقد سبق أن تناولته الباحثة في المبحث الثاني عندما تحدثت عن علاقة التبشير بالغزو الفكري وأكدت على أن التبشير حركة دينية سياسية استعمارية وهو من أقوى وسائل الغزو الفكري حيث يستهدف نشر النصرانية في المجتمعات الإسلامية والوثنية والإلحادية، بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب ويستغل زعماء التبشير انتشار الجهل والفقر والمرض للتغلغل بين الشعوب متسللين بوسائل الإعلام بأنواعها والتعليم والطب، والأنشطة الاجتماعية الإنسانية، والإغاثية الموجهة لمنكobi الفتن والحروب، وساعدتهم تساهل حكام بعض الدول الإسلامية، ويعتمد في تحقيق أهدافه على تشويه صورة الإسلام وكتابه، ورسوله صلى الله

(346) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، ص ٢٥.

(347) انظر: الغزو الفكري في التصور الإسلامي، ص ٢٦.

(348) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، ص ٢٥.

عليه وسلم، مسخرين إمكاناتهم الضخمة لتحقيق مآربهم، حيث انطلقت أعداد كبيرة من المبشرين الداعين إلى النصرانية بين المسلمين، وقاموا بعملهم ذلك على أساس مدرسة، وبوسائل كبيرة عظيمة يجند لها مئات الآلاف من الرجال والنساء، وتعللها أضخم الميزانيات، وتسهل لها السبل، وتذلل لها العقبات. ^(٣٤٩)

ويعد زويمر من أكبر أعمدة التصوير في العصر الحديث، وقد وضع كتاباً تحت عنوان (العالم الإسلامي اليوم) ومن أقواله: "ولكن مهمة التبشير التي ندبكم لها الدول النصرانية في البلاد الإسلامية ليست في إدخال المسلمين في النصرانية، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم هي أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها". ^(٣٥٠) وقد نجح التبشير في موقع كثيرة، لأن إمكاناتهم هائلة، ولكونهم يعملون ويخططون ويترصّدون، لا بد من مواجهتهم بنفس أساليبهم، بل لا بد أن يكون عمل المسلمين أزيد من عملهم لإنقاذ المسلمين من براثنهم، وقد سبق ذكر السبل المقترحة لمواجهة المنصرين، فالمواجهة تحتاج إلى مخطط دقيق، ينفذ بحكمة وبصيرة. ^(٣٥١)

المطلب الثاني: الاستشراق:

ويقصد بالاستشراق ما كتبه الغربيون عن الإسلام وقضايا المختلفة، فهو وليد التبشير، حيث يليس هيأة البحث والعلم، ولكنه في الحقيقة حلقة الوصل بين التبشير والاستعمار لهذا أقبل الغرب في أوربا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة المبشرين وإرسالهم للعالم الإسلامي، فاللتقت هنا مصلحة المبشرين مع أهداف الاستعمار، فمكّن لهم واعتمد عليهم في بسط نفوذه وأفزع المبشرون زعماء الاستعمار بأن النصرانية ستكون قاعدة الاستعمار الغربي في الشرق، وبذلك سهل الاستعمار لهؤلاء مهمتهم، وبسط عليهم حمايته، وزودهم بالمال والسلطان، وهذا هو السبب في أن الاستشراق قام في أول مرة على أكتاف المبشرين والرهبان ثم اتصل بالاستعمار. ^(٣٥٢)

وللاستشراق دوافع تلقي مع أهداف الغزو الفكري، فهو إذن المحرض النفسي لاتخاذ الوسائل التي توصل إلى تحقيق الأهداف، وهي أمنية الغزاة وهي خمسة دوافع:

دوافع الاستشراق:

(349) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ص ٦٧٧.

(350) الغارة على العالم الإسلامي، ص ٣٠.

(351) انظر: الغزو الفكري في التصور الإسلامي، ص ٨٢-٨٣.

(352) الفكر الإسلامي الحديث، محمد البهبي، ص ٥٣٣، وانظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، ص ٢٩.

أولاً: الدافع الديني:

وهدفه إخراج المسلمين عن دينهم إما بتصيرهم أو بإيقائهم بلا دين مطلاً، لذا عمدوا إلى تحريف هذا الدين، وحمل الناس على كراهيته، وتشويه تاريخ وحضارة المسلمين، وتزيين ما في المسيحية من تعاليم وأحكام، واستدرج المسلمين للأخذ بالحضارات المادية الحديثة وما فيها من مغريات مدعين أن أحكام الشريعة الإسلامية لا تتلاءم مع التطور الحضاري^(٣٥٣) ومن الأمثلة على التحريف المتعمد للإسلام: ما نشرته مجلة (Atlantic Monthly) دراسة (برناردوليس) بعنوان جذور السخط الإسلامي، مزينة برسم مرعب لرجل مسلم منكب على تلاوة القرآن، وخلفه حية تسعى للانقضاض عليه، وجلدها مرقط بالعلم الأمريكي^(٣٥٤)، حتى تثير الحقد ضد كل ما هو إسلامي، سواء كان إنساناً أو قرآنًا أو مكاناً وسمى دعاة الاستشراق القرآن: توراة المسلمين، ويوم الجمعة سبت المسلمين، ويقابلون بين الإسلام والثورة الأمريكية أو الفرنسية، وكأن محمداً صلى الله عليه وسلم ليسنبياً مثل عيسى أو موسى أو إبراهيم، بل هو مجرد ثائر، ومن هنا يجردونه من صفة النبوة ليتحول إلى إنسان يصيب ويخطئ، وتحتاج الشريعة الإسلامية كلها بما فيها القرآن إلى نصوص بشرية خالية من خفة القداسة، وفي أحياناً أخرى يصفونه بأنه منشق على الكنيسة، وبأن هناك منشقين عليه.^(٣٥٥)

ثانياً: الدافع الاستعماري

وهدفه دراسة البلاد الإسلامية في كل شؤونها من عقيدة وعبادات أخلاق وثروات ولغات، وتاريخ، وغير ذلك مما يتعلق بها من جغرافيا وسكان، ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغتتموها، والغاية من ذلك هو تهيئ الشعوب المسلمة نفسياً لقبول السيطرة على بلدان العالم الإسلامي والشعوب الإسلامية طمعاً باستغلال الأرض واستعباد الناس^(٣٥٦).

ثالثاً: الدافع السياسي:

وهدفه الاتصال ب رجال السياسة والصحافة والفكر في البلاد الإسلامية، من قبل الملحقين الثقافيين الذين يتقنون اللغة العربية، والذين يلحقون بكل سفارات الدول الغربية وذلك بقصد التعرف على الأفكار والاتجاهات السياسية السائدة في البلاد الإسلامية،

(353) انظر: أجنة المكر الثالثة، ص ١٢٦-١٢٧.

(354) الاستشراق بين سندان الدفاع ومطرقة الاتهام، د. عبد الرحمن عباد، الإسراء، دار الفتوى والبحوث الإسلامية، القدس، العدد ٥١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص ٤٩، عن تعقيبات على الاستشراق إدوارد سعيد، ترجمة صبحي حيدري، دار الفارس، عمان، ص ٧.

(355) المرجع السابق، ص ٤٩.

(356) انظر: أجنة المكر الثالثة، ص ١٢٧-١٢٨.

وبث الفتن وإثارتها بين هذه الدول تحت ستار إيداء النصيحة، وإسداء المعونة لها، لتحقيق غaiات سياسية، ولتسهيل دول العالم الإسلامي كما يريد أصحاب هذه الدراسات.^(٣٥٧)

رابعاً: الدافع الاقتصادي:

وهدفه غزو البلاد اقتصادياً وذلك بالاستيلاء على الأسواق التجارية والمؤسسات المالية المختلفة، والاستيلاء على الثروات الأرضية واستغلال المواد الطبيعية والحصول عليها بأبخس الأثمان، وإimation الصناعات المحلية القديمة، لتكون بلاد المسلمين بلاد استهلاك لما تصدره المصانع الآلية الغربية.^(٣٥٨)

لذا وجهت المؤسسات الاقتصادية الغربية من يهتمون بالدراسات الاستشرافية ليكونوا وسطاءهم ورسلهم ومستشارיהם، والمترجمين لهم، في مهماتهم ومطالبهم الاقتصادية، فاتجه فريق من الغربيين لهذه الدراسات، طمعاً بأن يجدوا أعمالاً لهم لدى المؤسسات الاقتصادية. وظهر فريق من الباحثين العلميين اهتم بالدراسات الاستشرافية ليقوم بنشر كتب التراث الإسلامي، والاستفادة من نشرها في تحصيل الثروات التي يحصل عليها الناشرون عادة.^(٣٥٩)

أما قبل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين، كانت المؤسسات والشركات الكبرى، والملوك يدفعون المال الوفير للباحثين من أجل معرفة البلاد الإسلامية وكتابه تقارير عنها، مما يسهل تحرك الغرب فيما بعد.^(٣٦٠)

خامساً: الدافع العلمي النزيه

كان حب العلم دافعاً لبعض المستشرقين ولذا كان الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها، ويتمثل هذا الدافع في نفر قليل من المستشرقين الذين لم يتعمدوا الدس والتحريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق، وأمثال هؤلاء:

١ - (توماس أرنولد) الذي أنصف الإسلام في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) وهو من أدق وأوثق المراجع في تاريخ التسامح الديني في الإسلام.

٢ - المستشرق الفنان (دینیہ) الذي عاش في الجزائر، وأعجب بالإسلام، وأعلن إسلامه، وتسمى باسم ناصر الدين دینیہ حيث ألف مع عالم جزائري كتاباً اسم (أشعة خاصة بنور الإسلام) مات في فرنسا لكنه دفن في الجزائر، ومنهم أيضاً المستشرق عبد

(357) انظر: أجنة المكر الثالثة، ص ١٢٩، ودراسات في الثقافة الإسلامية، ط ٢، ص ٣٢.

(358) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، ص ٥٣٤-٥٣٣.

(359) انظر: أجنة المكر الثالثة، ص ١٢٨.

(360) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والأحزاب والمذاهب المعاصرة، ص ٦٩٢.

الكريم (جبرمانوس) وهو عالم مجرى اعتنق الإسلام عام ١٩٣٠م، ألف أكثر من مائة وخمسين كتاباً من الإسلام وغيرهم.^(٣٦١)

وسائل الاستشراق:

ويمكن تلخيص وسائل المستشرقين على النحو التالي:

- ١- نشر الأباطيل حول الشريعة الإسلامية قرآنًا وحديثًا وفقهاً، كزعمهم أن القرآن لم ينزل من عند الله وإنما افتراه محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه ليس سوى اقتباس من الشرائع والديانات السابقة كاليهودية والنصرانية، والتشكيك في صحة الحديث النبوي والتقليل من قدرة الفقه الإسلامي على مسايرة روح العصر.^(٣٦٢)
- ٢- تجسيم مظاهر الضعف في ديار المسلمين وحملها على الإسلام من أجل إعطاء أسوأ صورة عنه أمام أتباعه وغيرهم في الناس والإيحاء لهم أن الإسلام هو التخلف والعجز عن ممارسة أي دور حضاري.
- ٣- تصوير الإسلام على أنه دين العنف والدماء بغية تعطيل فريضة الجهاد بين المسلمين.
- ٤- تصوير مزايا الإسلام على أنها عيوب تصوير الطلاق، وتعدد الزوجات على أنه ضرب من الهمجية والفوضى الجنسية التي يبيحها الدين لأتباعه.
- ٥- اتهام الإسلام بضل قوى الإبداع والعلقانية بين أتباعه، حيث ادعى المستشرق الفرنسي كيمون في كتابه "باتولوجيا الإسلام" "أن الديانة المحمدية"^(٣٦٣) جذام تقسى بين الناس وأخذ يفتاك بهم فتكاً ذريعاً، بل هي مرض سريع وشلل عام وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخجل والكسل"^(٣٦٤)، ويقول: "وما قبر محمد إلا عمود كهرباء يبعث الجنون في صرع العامة، والذهول العقلي وتكرار لفظة (الله الله) إلى ما لا نهاية، والتعود على عادات تتقلب إلى رءوسهم، ويلجئهم إلى الإن bian بمظاهر طباع أصيلة ككراء لحم الخنزير والنبيذ والموسيقى"^(٣٦٥).
- ٦- التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي وتشكيكهـم في الأدب العربي تحقيقاً لمخططـات استعمارـهم الأـدبي والـثقافي.

(361) انظر: أجنة المكر الثلاثة، ص ١٣١-١٣٠، دراسات في الثقافة الإسلامية، ط ٢، ص ٣٢، وانظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، ص ٦٩٢.

(362) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، ط ٢، ص ٣٣.

(363) يسمونها محمدية للإيهام أنها من صنع النبي صلى الله عليه وسلم وليس ربانية، دراسات في الثقافة الإسلامية، ص ٣٣.

(364) دراسات في الثقافة الإسلامية عن الغزو الفكري، ط ٢، ص ٣٣، عبد الصبور مرزوق، ص ٣٣.

(365) المصدر السابق، ص ٣٣.

- ٧- تحريك ودعم إرساليات التبشير، وإلقاء المحاضرات وإنشاء الجمعيات العلمية وتأليف الكتب وإصدار المجالات في مواضيع إسلامية مختلفة يبدو فيها التحريف واضحاً^(٣٦٦).
- ٨- إنشاء الموسوعات العلمية الإسلامية والشرقية، واتخاذها وسيلة لدس الأفكار الاستشرافية السامة، وإقناع أجيال الشعوب المسلمة بها، كموسوعة دار المعارف الإسلامية، والموسوعة الفرنسية (لاروس) والموسوعة البريطانية وغيرها^(٣٦٧).
- ٩- تأسيس الجامعات العلمية في بلدان العالم الإسلامي لتخرير أجيال منسلحة عن دينها، ومستعدة لقبول المذاهب الفكرية المعاصرة الوافدة.
- ١٠- عقد المؤتمرات الاستشرافية لتبادل الرأي فيما يحقق أهداف الاستشراف.
- ١١- نشر المقالات في المجالات والصحف المحلية للبلاد الإسلامية، ليث أفكارهم عن طريقها، والترويج لأفكارهم، واستطاعوا أن يستأجروا عدداً من هذه المجالات والصحف لنشر مقالاتهم، واستطاعوا أيضاً أن يستأجروا كتاباً وأساتذة جامعيين وغير جامعيين، وأدباء وشعراء يحملون أفكارهم من أبناء الشعوب المسلمة، وينشرونها بأفلامهم وأسلوباتهم ليكونوا أكثر تأثيراً في الأجيال الناشئة.
- ١٢- وجّه المستشرفون عنایتهم لإفساد المرأة المسلمة عن طريق إطلاق دعوات تحريرها فأثاروا الشبهات حول أحكام الإسلام الخاصة بالمرأة، وافتراء أنواعٍ كثيرة من الأكاذيب حول مكانة المرأة المسلمة وحقوقها وأحكامها سيتم الحديث عنها بالتفصيل فيما بعد.^(٣٦٨)

المطلب الثالث: التغريب:

ويقصد به اقتقاء سيرة الأولياء وسلوك طريقة ومشاركتهم في جميع مناهجهم ومقاييسهم وأذواقهم وأحكامهم، حتى تصبح الحياة كلها صورة من حياتهم^(٣٦٩) أو هو "تيار فكري كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يوحى إلى صبغ حياة الأمم بعامة، وال المسلمين ب خاصة، بالأسلوب الغربي، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية"^(٣٧٠).

(366) نفس المصدر، ص ٣٣

(367) أجنة المكر الثلاثة، ص ١٣٢-١٣٣

(368) انظر: أجنة المكر الثلاثة، ص ١٣٢-١٣٣.

(369) دراسات في الثقافة الإسلامية، ط ٢، ص ٣٣.

(370) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ٦٨٩

ومن رواد هذا الاتجاه: الذين تخرجوا على أيدي الثقافة الغربية سواء في المراكز الثقافية الغربية أو في المراكز الثقافية التابعة للغرب في الشرق الإسلامي: طه حسين، رفاعة الطهطاوي، وقاسم أمين وغيرهم.

ويُسخر الغربيون الإستشراق والتبيير في خدمة دعوة التغريب، فالاستشراق هو المصنع الذي يثير الشبهات، ويضخم الأخطاء، ويشيع الأضاليل حول الإسلام، والمبشرون من جهة أخرى هم جنود هذه الدعوة وأدواتها المنفذة^(٣٧١).

ويعتبر التغريب من أخطر النتائج التي أعقبت الغزو الصليبي الجديد لبلاد المسلمين، وما أعقبه من تبعية ثقافية للغرب، وإعجاب بمدنيته، مما أشاع روح الانهزام الفكري وضياع روح الاعتزاز بالشخصية الإسلامية، لا سيما عند المثقفين الذين أصبحوا من أوائل الدعاة إلى التبعية الثقافية الغربية، والمرورجين لها، بل ومن الفارضين لها بما لهم من سلطة ونفوذ في البلاد الإسلامية.

وبالمقارنة بين حياة المسلمين في القرون الأولى وحياتهم الآن، نلاحظ مظاهر التبعية للغرب في طرائق معايشهم ومناهج حياتهم، حتى أصبح من الأمور المميزة لحياة المسلمين في هذا الزمان وأهم مظاهر هذه التبعية للغرب ما يأتي:

١ - المأكل والمشرب حيث تم هجر آداب الإسلام التي تنظم طريقة الأكل والشرب ولكنها هجرت، واستعيير بدلاً منها مفاهيم الغرب، فانتشرت في شوارعنا ثقافة محلات تقديم الوجبات السريعة (والسنديونتشات) والجلوس في أماكن للطعام على أنغام الموسيقى الصاخبة، والأغاني الهاابطة.

٢ - إطلاق الأسماء الأجنبية للمحلات التجارية، حتى أن السائر في الطرق يهوله هذا الكم الهائل من الإعلانات التي تحمل أسماء أجنبية، إما أن تكون مكتوبة باللغة العربية أو باللغة الإنجليزية مثل (الأفني موتورز) مثلاً، وهو يطلق على محل للسيارات بدلاً من أن يقال (الألفي للسيارات)، ومؤسسة تعليمية تسمى نفسها (مودرن أكاديمي) بدلاً من الأكاديمية الحديثة، ومحل للصرافة باسم (كونتيننتال للصرافة) ومطعم (بالميرا) وغيرها كثير من الأسماء التي تشعر المتوجه في الطرقات بأنه في بيئة غريبة غير التي يعيش فيها.

٣ - التقليد الأعمى لسلوكيات الغرب وعاداتهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، تجد الفتاة ترتدي الملابس على الموضة الغربية، فتمشي في الطريق شبه عارية، وكذلك الشاب في لبسه ومشيته وقصة شعره، وظهرت ظاهرة سيئة وهي مصاحبة الأولاد للبنات، وتشاهد ذلك بكثرة في مصر، سوريا، ولبنان، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال:

(٣٧١) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، ط٢، ص٣٢، ط٥، ١٩٨٢، ص٣٠.

"لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلکوا حجر ضب لسلكتموه. قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى؟، قال: فمن؟".^(٣٧٢)

قال ابن حجر العسقلاني في شرح هذا الحديث (ضب) دوبية معروفة. "والذي يظهر أن التخصيص إنما وقع لحجر الضب لشدة ضيقه ورداعته، ومع ذلك فإنهم لاقفائهم أثارهم واتباعهم طرائقهم لو دخلوا في مثل هذا الصغير لتبوعهم".^(٣٧٣)

٤ - وفي أسلوب الحوار نجدهم يحاولون إفحام بعض الكلمات الإنجليزية أثناء الحديث، حتى يبدو المتكلم وكأنه متفقاً، فلا يخلو الحديث من كلمات مثل (Ok) أو (Hi) أو (Bye) أو (Hello) أو صباح الخير وغيرها، وفي ذلك هجران للغتنا وتقليل شأنها، والبعد عن تحية الإسلام التي تشعر المسلم بالأمن والطمأنينة، خاصة مع وجود البدائل لكل تلك الكلمات والعبارات في ديننا وفي تقافتنا.

٥ - وفي أوقات الفراغ التي يحاولون قتلها فتجد معظم المسلمين أمام شاشات التلفاز يشاهدون المسلسلات أو الأفلام التي تبث القيم الغربية المنافية للإسلام أو يتبعون المباريات التي أصبحت تشغل أوقات واهتمامات كثير من الشباب والتي غالباً ما تتعارض أوقات إذاعتها مع مواقيت الصلاة، فتضيع الصلاة في سبيل إتمام المشاهدة والمتابعة.

٦ - وفي المجال الاقتصادي في التفكير والسلوك فقد هيمن النمط الغربي للسلوك على كثير من أفراد الأمة المسلمة، فتجد الكثيرين يغرقون في الديون طويلة الأجل من أجل شراء بيت كبير أو سيارة فارهة، أو غير ذلك من الكماليات ولا يهتمون بما إذا كانت هذه المجاملات تحرم لارتباطها بالربا أم لا، فإذا طلب من أحدهم صدقة للفقير أشاح بوجهه بعيداً عنك مبدياً تأفهه وتبرمه.^(٣٧٤)

وتعد مصر من أكثر الدول الإسلامية تأثراً بالغرب، حيث كانت بيئه صالحة لدعوة التغريب، ووجد فيها كتاب وأدباء دعوا دعوة سافرة إلى تقليد الحضارة الغربية، واتخاذها مثلاً يُحتذى ويُتبع.

ومن أبرز هؤلاء الكتاب والأدباء -دعاة التغريب- (طه حسين) الذي تلقى علومه على يد مجموعة من المستشرقين، أخذ طه حسين يدعو إلى اعتبار مصر جزءاً من الغرب،

(372) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، رقم الحديث (٢٦٦٩)، ٤/٢٠٥٤.

(373) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار أبي حيان، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ٨/٣٣٩.

(374) انظر: التغريب في ديار المسلمين، محمد حسن يوسف، www.saaid.net

فيقول: "نريد أن نحصل بأوروبا اتصالاً يزداد قوة من يوم إلى يوم، حتى نصبح جزءاً منها لفظاً ومعنى، وحقيقة وشكلًا"^(٣٧٥). لم لا يقول ذلك وهو قد تربى على أيديهم ومن صناعتهم؟!.

ويعتبر الشيخ محمد عبده أيضاً من مناصري هذا الاتجاه، والداعين إليه، لقد قام الرجل باعتماد أسلوب جديد يعتمد على توضيح الإسلام والدفاع عن الثقافة الإسلامية، والتأكيد على أنه دين التطور والتجدد، وأنه لا يتعارض مع المدنية الحديثة، ولذلك هاجم التقليد ودعا إلى الاجتهاد، وتطوير الإسلام، وإعادة النظر في وضع المرأة في المجتمع، والحجاب، وطالب بالحد من تعدد الزوجات، والحد من حرية الطلاق، والمناداة بالوطنية^(٣٧٦)، ومنهم:

رفاعة الطهطاوي، الذي ابتعث إلى باريس، وأقام فيها خمس سنوات من ١٨٢٦-١٨٣١ م.

وكذلك ابتعث خير الدين التونسي إليها وأقام فيها أربع سنوات من ١٨٥٢-١٨٥٦ م، وقد عاد كل منهما محملاً بأفكار تدعو إلى تنظيم المجتمع على أساس علماني عقلاني وفق الطراز الغربي^(٣٧٧).

ويعود محمد حسين هيكل رئيس تحرير جريدة السياسة في الفترة الأولى من حياته من أبرز المستغربين وقد أنكر الإسراء بالروح والجسد معاً، ثم عدل عن ذلك وكتب معبراً عن توجهه الجديد في مقدمة كتابه في منزل الوحي.

وكان الشيخ أمين الخولي وهو مدرس بالجامعة المصرية، يروج لأفكار طه حسين في الدعوة إلى دراسة القرآن الكريم دراسة فنية، بغض النظر عن مكانته الدينية^(٣٧٨). وغير هؤلاء كثير من تربوا على موائد الغرب، ثم جاءوا للبلاد الإسلامية من أجل طبع العالم الإسلامي بطبع الغرب الحضاري، وتشجيع القول بإيجاد فكر إسلامي متتطور يبرر الأنماط الغربية، ومحوا الطابع المتميز للشخصية الإسلامية بغية إيجاد علاقة مستقرة بين الغرب والعالم الإسلامي خدمة لمصالحة.

واستطاعت حركة التغريب أن تتغلغل في كل العالم الإسلامي، على أمل بسط بصمات الحضارة الغربية المادية الحديثة على البلدان الإسلامية بالغرب فكراً وسلوكاً.

(375) دراسات في الثقافة الإسلامية، ط٥، ص ٣٠، ط٥، عن طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، ١/٣٤.

(376) انظر: حاضر العالم الإسلامي والغزو الفكري، د. صالح، ص ٢٤.

(377) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، ص ٦٩٩.

(378) نفس المصدر السابق، ص ٧٠٢-٧٠٦.

لذا من واجب قادة الفكر الإسلامي كشف مخططات التغريب والوقوف بقوة أمام سمومه ومفتياته التي مازالت تبثها شخصيات مسلمة، وصحافة ذات باعٍ طويل في محاولات التغريب، وأجهزة وثيقة الصلة بالصهيونية العالمية والمسؤولية الدولية.

فليستيقظ الدعاة إلى الله سبحانه، ويقوموا بدورهم لمقاومة هذا الاتجاه، ليعيدوا بلادهم الهوية الثقافية الإسلامية^(٣٧٩).

المطلب الرابع: إحياء الدعوات الهدامة:

تعتبر الدعوات الهدامة من أبرز وسائل الغزو الفكري المعادي للمسلمين، حيث ترددت على ألسنة المبشرين والمستشارين تأكيداً عليها لخطورتها، ومن هذه الدعوات:

. ٧٠٦-٧٠٣ (379) المصدر السابق، ص

أولاً: إحياء النزعات القومية:

المعروف أن الإسلام قضى على العصبيات القبلية وأضعف شأنها، وتوحد المسلمين تجمعهم كلمة التقوى، فلم يعجب الأعداء من الغرب انصراف المسلمين في إطار الوحدة المتاجنة بفعل العقيدة الإسلامية، والثقافة والعلم، لذا اصطنعوا عصبيات جديدة متطرفة تتناسب ومستوى العصر، بهدف تفريق الأمة الإسلامية، وكان سببهم إلى ذلك إذكاء النعرات الإقليمية والمحلية عن طريق القوميات^(٣٨٠).

والقومية تعني الانتماء إلى عنصر أو جنس معين، والتعصب له على اعتبار أنه أفضل العناصر والأجناس، وصاحب السيادة عليها^(٣٨١).

وهي فكرة خبيثة خادعة لكثير من الناس، لأن ظاهرها يخالف باطنها، وظاهر القومية هو تأكيد استقلال الشعوب، وتميز شخصياتها، وباطنها هو تمزيق وحدة الشعوب المسلمة، وتحويلها إلى دويلات مترابطة، وهذا يشكل خطراً على المسلمين لما تسببه النعرات والنزعات الإقليمية بين المسلمين من إحساس بالعزلة، وإشعال للخلافات والفتنة^(٣٨٢).

ومثال ذلك: موقف دولة الخلافة الإسلامية (تركيا) التي كانت قبل النزرة القومية تمثل العالم الإسلامي وتظفر بولاء شعوبه، فلما ولى أمرها دعاة القومية الطورانية لم ينظروا إلى العالم الإسلامي باعتباره أمة كبرى هم جزء منها، وإنما نظروا إليه باعتباره مجموعة من القوميات يجب أن يسودها القومية الطورانية، ومنها كانت نزعة التترىك التي أدت إلى صدام حاد مع طبائع القوميات الأخرى.

ومثال ذلك أراده الغزاة لمصر التي حاولوا ردها إلى الإقليمية الفرعونية بحجة أن هذا يعني التأصيل وربط البلد بتاريخها الحضاري العريق، والحقيقة أنه ليس لهم هدف سوى عزلها عن بقية شعوبها، وكيف لا يحدث ذلك ودعاة القومية الفرعونية في مصر معظمهم من النصارى وبقيتهم ممن تربوا على أيدي الغربيين.

وهكذا يريدون من الشام أن ترتد إلى الفينيقية، والعراق إلى الآشورية، ويرتد شمال المغرب إلى البربرية، وإيران إلى القورشية أو الفارسية^(٣٨٣).

(380) دراسات في الثقافة الإسلامية، صالح هندي، ط٢، ص ٣٤.

(381) دراسات في الثقافة الإسلامية، صالح هندي، ط٥، ص ٣١.

(382) نفس المصدر السابق، ص ٣١.

(383) دراسات في الثقافة الإسلامية، صالح هندي، ط٢، ص ٣٤-٣٥.

والقومية هي تنفيذ لفكرة يهودية، ويؤكد ذلك ما نص عليه البروتوكول الخامس: "لقد بذرنا الخلاف في جميع أغراض الأمميين (غير اليهود) الشخصية، والقومية، بنشر العصبيات الدينية والقبلية خلال عشرين قرناً"^(٣٨٤) وهي نتاج ماسوني يستهدف فرض العلمانية، وفصل الدين عن الدولة.

مما سبق يتبيّن أن أهداف النزعـة القومـية هي:

- ١ - إضعاف أثر رابطة العقيدة في نفوس المسلمين، وإبعاد التشريع الإسلامي عن واقع الحياة، وإثارة النعرات العرقية والعصبية في المجتمعات الإسلامية، والعمل على تفريـق وحدة المسلمين، وبالتالي تفريـق وحدتهم، ومن ثم انقسامهم إلى دوـيلات متفرـقة، متـاصرة كما هو الحال في الدول العربية والإسلامـية الـيـوم^(٣٨٥).
- ٢ - تحقيق سيادة الفـوز الأـجـنبـي القـائـمة على سيـاسـة "فرق تـسد" تمـهـيداً للـسيـطـرة على بلـاد المـسـلمـين من جـديـد، وهذا ما حدـث فـعلـاً في العـراـق وـالـكـويـت، حيث انتهـت النـزـاعـات وـالـحـروـبـ بينـهـما إـلـىـ السـيـطـرةـ منـ قـبـيلـ الدـوـلـ الـأـجـنبـيـةـ.
- ٣ - أن يكون ولاء المسلم لوطنه قبل عقيدته، وتجعلـهـ يقدمـ الكـافـرـ إذاـ كانـ منـ بـنـيـ جـنـسـهـ علىـ المـسـلمـ إذاـ كانـ منـ جـنـسـ آخرـ، ثمـ يـسمـيهـ أـجـنبـياـ، وـيـعـاملـهـ مـعـاملـةـ الـأـجـانـبـ^(٣٨٦).

وهذا ما يحدث فـعلـاً الآنـ في دولـ الـخـليـجـ بالـذـاتـ، حيثـ يـعـاملـ المـسـلمـ (غيرـ المـواـطنـ) علىـ أـنـهـ أـجـنبـيـ، فلاـ يـعـطـىـ منـ الـحـقـوقـ وـالـامـتـياـزـاتـ التـيـ يـعـطاـهـاـ المـسـلمـ منـ نفسـ الـبلـدـ (المـواـطنـ) مماـ يـسـبـبـ الـأـسـىـ وـالـبغـضـ وـالـتـفـرـقـةـ وـالـتمـيـزـ، وهذاـ هوـ ماـ يـهـدـيـ إـلـيـهـ الـغـربـ.

فـأـيـنـ هـؤـلـاءـ الـمـسـلـمـونـ مـنـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: ﴿ وـأـعـتـصـمـوـ بـحـبـلـ اللـهـ جـمـيـعاـ وـلـاـ تـفـرـقـوـاـ وـأـذـكـرـوـاـ نـعـمـتـ اللـهـ عـلـيـكـمـ إـذـ كـنـتـ أـعـدـاءـ فـأـلـفـ بـيـنـ قـلـوبـكـمـ فـأـصـبـحـتـ بـنـعـمـتـهـ إـخـوـاـنـاـ وـكـنـتـ عـلـىـ شـفـاـ حـفـرـةـ مـنـ النـارـ فـأـنـقـذـكـمـ مـنـهـاـ ذـكـرـ يـبـيـنـ اللـهـ لـكـمـ آيـاتـهـ لـعـكـمـ تـهـتـدـوـنـ ﴾^(٣٨٧)

ثانياً - كتابة العربية بالحرف اللاتيني

تستهدف هذه الدعوة الهـدامـةـ القـضـاءـ عـلـىـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ عـنـ طـرـيقـ كـتـابـتـهاـ بـالـحـرـوفـ الـلـاتـينـيـةـ، وـقـدـ تـرـعـمـهـاـ (لوـيسـ مـاسـينـونـ)ـ أحدـ الـمـبـشـرـينـ الـفـرـنـسـيـنـ مـنـ أـجـلـ قـطـعـ صـلـةـ الـعـرـبـ

(384) الخطـرـ اليـهـودـيـ، صـ ١٤٤

(385) دراسـاتـ فيـ الثقـافـةـ الـإـسـلامـيـةـ، صالحـ هـنـديـ، طـ ٥ـ، صـ ٣ـ٢ـ، وـانـظـرـ: الـقـومـيـةـ فيـ مـيزـانـ الـإـسـلامـ، عبدـ اللهـ عـلـوانـ، دـارـ السـلـامـ، طـ ١ـ، ١٤٠٠ـهــ ١٩٨٠ـمـ، صـ ٣ـ٦ـ.

(386) نفسـ المـصـدرـ السـابـقـ، صـ ٣ـ٢ـ.

(387) سـورـةـ آلـ عمرـانـ، الآـيـةـ (١٠٣ـ)

وال المسلمين بالقرآن الكريم، والترا ث الإسلامى، وما فيه من ذخائر لغوية وأدبية و فكرية، وقد انتشرت هذه الدعوة في المغرب و سوريا ومصر ولبنان بشكل خاص، وأبرز دعاتها من المبشرين والمستشرقين، ومن تلهم على أيديهم^(٣٨٨).

ففي لبنان مثلاً جرت محاولات لهذا الغرض، حيث حاول (سعيد عقل) الذي ألف ديواناً من الشعر، وكتب باللغة اللاتينية، و (أنيس فريحة) الذي وضع كتاباً أسماه (ياره شو) صدر عام ١٩٦١م، وذلك استمراراً للمحاولة التغريبية في إحلال اللهجة اللبنانية محل اللغة العربية والهدف هو قطع الحاضر عن الماضي، وتحطيم وحدة اللغة بين العرب والوحدة الفكرية^(٣٨٩).

ثالثاً: إحلال العامية محل الفصحي:

والهدف من هذه الدعوة هو التشكيك في لغة العرب، والتقليل من قدرتها على تلبية حاجات العصر، وأصحاب هذه الدعوة هم أحد فريقين:

- إما شعوبيون مسيرون بالرغبة في القضاء على أهم دعامة من دعائم الوحدة العربية والثقافة العربية.
- وإما غافلون عن الأضرار الخطيرة التي تنتج عن تحقيق ما يريدون.

وقد استمات أصحاب هذه الدعوة من المستشرقين وتلاميذهم على الترديد بكل قوة أن لغة القرآن العربية الفصحي لا تساير حاجات العصر، وجند لذلك (سلامة موسى) الذي طالب بإحلال اللغة العامية محل اللغة العربية، حتى تصبح لغة الجرائد والمؤلفات^(٣٩٠).

وقد عنيت الحكومات الاستعمارية بهذا الموضوع عناية فائقة، ونشطوا لترويج هذه الفكرة، وقد كان لهذه الدعوة دويّ في مصر في القرن التاسع عشر أفزع كثيراً من المحبين للإسلام، حيث ألف أحد قضاة محكمة الاستئناف الأهلية في مصر من الإنجليز (ولمور) كتاباً أسماه لغة القاهرة، وضع فيه قواعد، واقتراح اتخاذها لغة العلم والأدب، كما اقترح كتابتها باللاتينية.

ويعد المستشرق وليم ولوكوكس أخطر من اضطلع بكبر الدعوة إلى إقصاء العربية الفصحي عن ميدان الكتابة والأدب، وإحلال العامية الشائعة محلها، والمستشرق (وليم ولوكوكس) عمل مهندساً للري في مصر، إبان الاحتلال البريطاني، فقد وفد إلى مصر سنة

(388) دراسات في الثقافة، ط٥، ص ٣٤-٣٥.

(389) دراسات في الثقافة الإسلامية، ط٢، ص ٣٥، وانظر: أجنة المكر الثالثة، ص ٣١٣.

(390) دراسات في الثقافة الإسلامية، صالح هندي، ط٢، ص ٣٦.

عام ١٨٨٣ مع أوائل عهد الاحتلال، وتولى الإشراف على تحرير مجلة الأزهر سنة ١٨٩٣، وقد ألقى محاضرة بعنوان "لماذا لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين" وقد تضمنت هذه المحاضرة الدعوة الملحة إلى الكتابة بالعامية، وهجر العربية الفصحى، ونشر هذه المحاضرة بالعربية في مجلة الأزهر، إذ كانت هذه المجلة تحت إشرافه، باعتباره ممثلاً لقوة الاحتلال الأجنبية.

وغرض المستشرقين من الدعوة إلى العامية هو القضاء على العربية الفصحى، ليحرم المسلم من الصلة بالقرآن الكريم، وتراثهم العظيم الديني والعلمي والأدبي، تنفيذاً للخطة الماكروة التي تهدف إلى طعن الإسلام في الصميم^(٣٩١).

وقد أشاد سالم موسى بالمستشرق "وليم ولوكسي" وأيده، فثارت لذلك ثائرة الناس من جديد، وعادوا لمحاجمة الفكر والتنديد بما يكمن وراءها من الدوافع السياسية^(٣٩٢).

ومن كان أداة لتنفيذ خطة العدو الماكر عميد الأدب العربي (طه حسين) حيث دعا إلى تطوير اللغة العربية من خلال تبديل الخط العربي أو إصلاحه، وتهذيب قواعد النحو والصرف، ولا يخفى ما في ذلك من مكر يقوم على أسلوب التدرج في التحويل، لتحقيق الهدف الذي دعا إليه غزارة الفكر الغربي من المستشرقين وغيرهم^(٣٩٣).

رابعاً: الدعوة إلى تحرير المرأة وترجها:

تستهدف هذه الدعوة تخريج جيل من الفتيات المسلمات لا يعرفن من دينهن وتاريخهن شيئاً، ويتعلقن بالحياة الغربية تعلقاً كاملاً، يتيح لهن أن ينطلقن في آداب الإسلام وضوابط الشرع باسم التحرير والمساواة والتعليم.

فظاهر هذه الحركة هو الحرث على تحرير المرأة ومسواتها بالرجل، ولكن حقيقة هذه الدعوة هي تحرير المرأة من الآداب والأحكام الشرعية الخاصة بها مثل الحجاب، وآداب الخروج من البيت، ومنع تعدد الزوجات، والمساواة في الميراث وغيرها، ونشرت هذه الحركة دعوتها من خلال الجمعيات والاتحادات النسائية في العالم العربي، سيأتي الحديث عنهم لاحقاً^(٣٩٤).

(391) انظر: أجنة المكر الثلاثة، ص ٣٥٩-٣٦٣، و دراسات في الثقافة الإسلامية، ط٢، ص ٣٦.

(392) دراسات في الثقافة الإسلامية، صالح هندي، ط٢، ص ٣٦.

(393) أجنة المكر الثلاثة، ص ٣٥٩-٣٦٣.

(394) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، ط٥، ص ٣٥، وانظر: الموسوعة الميسرة في الأديان المذاهب والأحزاب المعاصرة، ص ٤٥٣.

ويعتبر رفاعة الطهطاوي أول رائد لحركة تحرير المرأة، وإن كان ينطلق من مرجعية إسلامية نادى بها من خلالها بحقوق المرأة الشرعية إلا أنه كان متأثراً للغاية بطبيعة الحياة الفرنسية التي بدأ يدعو إليها بكل ما فيها من اختلاط وسفور.

ويأتي بعده قاسم أمين الذي نادى بتحرير المرأة في كتابه: *تحرير المرأة* عام ١٨٩٩، والمرأة الجديدة سنة ١٩٠٠، ويعتبر هذان الكتابان من أهم الكتب التي تدعو إلى السفور والخروج على أحكام الدين، وفي كتاب المرأة الجديدة دعوة صريحة لمحاكاة المرأة الأوروبية في جميع أشكال حياتها زاعماً أن ذلك يحقق التقدم والتحضر للمرأة الشرقية.

وقد تدخل كل من سعد زغلول ومحمد عبده في دعم كتابات قاسم أمين، وكان سعد زغلول أول من نزع الحجاب، وذلك عندما تذكر من مفاهيم ١٩٢١م ونزع حجاب زوجته صفية زغلول، ثم تبعتها هدى شعراوي، وسوزانا نبراوي، ونبوية موسى، فخلعن الحجاب ووطئنه بالأقدام بعد عودتهن من روما في مؤتمر دولي لتحرير المرأة عام ١٩٢٣هـ، وسمى بفعلهن ميدان التحرير^(٣٩٥).

ومن الذين أخذوا بهذه الدعوة الخديوي إسماعيل الذي وعد ملوك أوروبا إن أيدوه في انفصاله عن الدولة العثمانية، أن يبدل أحكام القرآن فيما يتصل بالحياة السياسية والاجتماعية ويفصل السياسة عن الدين، ويطلق الحرية للنساء ليسرن في أثر المرأة الغربية، وينقل إلى مصر معلم المدنيّة الأوروبيّة^(٣٩٦). وكان الدعم الغربي لدعوى تحرير المرأة المسلمة ثلاثة أنواع:

١- الدعم الفكري: وقد تجلّى في الكتابات الغربية التي تهجمت على وضع المرأة في الإسلام، ودافعت عن حقوقها المسلوبة، وأبرز من كتب في هذا المجال هو (الكونت داركور) الفرنسي الذي كتب عام ١٨٩٤ كتاباً تناول فيه نساء مصر، وهاجم الحجاب الإسلامي، وهاجم المتفقين على سكتهم، كما تجلّى هذا الدعم في الناحية الإعلامية وخاصة المكتوبة منها، فانبرت الصحف الغربية تدافع عما يسمى بـ "قضية تحرير المرأة المسلمة"، وتفتح صفحاتها لدعم المرأة العربية المتفرنجة^(٣٩٧).

(٣٩٥) دراسات في الثقافة الإسلامية، ط٢، ص٥٥، ٣٥-٣٦، وانظر: الجذور العلمانية لحركة تحرير المرأة العربية، د. نهى خاطرجي، ص ٣٦-٣٧ . www.saaid.net

(٣٩٦) دراسات في الثقافة الإسلامية، ط٢، ص٣٧، ٥٥، ٣٦.

(٣٩٧) الجذور العلمانية لحركة التحرير المرأة العربية، نهى قاطرجي، www.saaid.net .

ومن نماذج هذا الدعم ما قامت به الصحف البريطانية من ترحيب بـ "درية شفيق" زعيمة حزب النيل وتصويرها بصورة الداعية الكبرى إلى تحرر المرأة المصرية من أغلال الإسلام وتقاليده.

-**الدعم المعنوي:** ويظهر ذلك في تشجيع الدوافع الغربية لحركة ما يسمى بتحرير المرأة العربية، ومدحها الدائم لنشاط الجمعيات النسائية في الشرق، وكان البعض يأتي مباشرةً إلى مصر للتهنئة بنشاط الحركة النسائية والبعض الآخر كان يكتفي بإرسال بطاقات تهنئة^(٣٩٨)، ومن نماذج هذا النوع من الدعم:

أ- الدعم المعنوي الذي ثلقته هدى شعراوي لدى حضورها المؤتمر الدولي الأول للمرأة في روما سنة ١٩٢٣ م مباشرةً بعد عودتها من المؤتمر، وكان من أهم أهدافه تعديل قوانين الطلاق، ومنع تعدد الزوجات، والمطالبة بالحقوق الاجتماعية والسياسية للمرأة، ومنها المساواة في الميراث.

ب- حضور الدكتورة (ريد) رئيسة الاتحاد النسائي الدولي إلى مصر لتدريس عن كثب برقية تأييد للمؤتمر النسائي عام ١٩٤٤ م.

ج- إرسال حرم الرئيس روزفلت رئيس الولايات المتحدة برقية جمعية (سان جيمس) الإنجليزية إلى زعيمة حزب بنت النيل، تهنئها على نجاحها الجديد في القيام بمظاهرات للمطالبة بحقوق المرأة.

-**الدعم المادي:** أرسلت بعض الدول الغربية الأموال إلى الجمعيات النسائية العربية، وقد فضحت كثير من هذه الممارسات على العلن، ومنها فضيحة أخذ "حزب النيل" الأموال من الدول الغربية^(٣٩٩).

خامساً: الادعاء بأن الحضارة الإسلامية أصلها يوناني:

وقد تبنيَّ هذه الدعوة المبشرون والمستشرقون، والمضللون من الشرقيين، وتهدف هذه الدعوة الهدامة إلى النيل من الحضارة الإسلامية والتشكيك في أصلاتها، لذا ادعوا أن الحضارة الإسلامية ليست أصلية، وإنما هي مقتبسة من الحضارات السابقة لها كالحضارة اليونانية والرومانية والفارسية وغيرها، وقد تبنوا فرضياتهم الخاطئة على ما اعترف المسلمون به من أن حضارتهم استفادت من هذه الحضارات بعض الشيء، وفي الجرئيات وليس في الكليات.

(398) الجنوبي العلمانية لحركة التحرير المرأة العربية، نهى قاطرجي، www.saaid.net

(399) نفس المصدر، www.saaid.net

فاستغل الأعداء هذا الاعتراف ليشكوا في أصالة الحضارة الإسلامية، فخر جوا بتعيم باطل مفاده: أن الحضارة الإسلامية مقتبسة من الحضارة اليونانية وغيرها من الحضارات السابقة.

إن الحضارة الإسلامية فتحت جسوراً ثقافية مع الفكر الذي سبقوها، واستفادت من هذه الحضارات، لكن بعد الترجمة والتمحیص والفحص، فأخذت الشيء القليل الذي تم تحويله وإذابته في جسمها الإسلامي، وهذا لا ينفيها في شيء، ولا ينفي عنها أصلتها، فرغم أنها احتكت بالحضارات الأخرى لكنها ظلت إسلامية خالصة، محافظة على أصولها ومبادئها، فضل أصلها ثابتًا وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بأمر ربها، ولا يخفى على أحد أن الإسلام أزال من العقول والنفوس كل آثار الأمم والأديان والمذاهب السابقة، وأقام منهاجاً وحضارة أصيلة اعترف بها الأعداء قبل الأصدقاء^(٤٠٠).

سادساً: تأسيس أو دعم الأفكار والنظريات والحركات المعادية للإسلام:

ومن هذه الأفكار (العلمانية) ولا بد من وقفة للتعرف على العلمانية وبيان أثرها على المجتمعات الإسلامية والعربية مما ساعد وبشكل كبير على إفساد العقول والقلوب وإبعادها عن الدين والأخلاق والعلم الحقيقي الذي يقوم على التطبيق، ويقوم على البراهين والأدلة القطعية.

تعريف العلمانية: كلمة العلمانية هي ترجمة لكلمة سيكولاريزم Secularism الإنجليزية، وهي مشقة من الكلمة سيكولوم Saeculum وتعني العالم أو الدنيا، وترجمتها الصحيحة اللادينية أو الدنيوية. وهي دعوة إلى إقامة الحياة على أساس من الواقع المعاصر والأخلاق الطبيعية، ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين، وهي تعنى في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم Science^(٤٠١) فالعلمانية اصطلاح خادع استخدم بدلاً من عبارة اللادينية، وقد نسبت إلى العلم من أجل التمويه على المسلمين، وهي تعبير عن الحركة المناهضة للدين، والعلمي SECULAR هو ما يتعلق بالحياة الدنيوية وليس له قداسة مقابل الشئون الدينية^(٤٠٢).

(400) دراسات في الثقافة الإسلامية، ط٢، ص٣٧، ودراسات في الثقافة الإسلامية، ط٥، ص٣٦.

(401) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، د. علي جريشة، دار الوفاء المنصورة، ط١، سنة ١٩٨٦، ط٢، سنة ١٩٨٨، ص٧٦، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ص٦٧٩، والعلمانية بقلم عبد الوهاب المسيري www.islamonline.

(402) دراسات في الثقافة الإسلامية، ص٣٦.

وخلالصتها فصل الدين عن الدولة والمجتمع أو عن الحياة، ولا تعني كما يظن البعض إنكار الدين، فذلك هو الإلحاد والكفر، ولكنها تعني تضييق دائنته وحصر سلطانه داخل جدران الكنيسة أو المسجد.

فلا يتعدّاها إلى المجتمع أو الدولة، أي حصر نطاق الدين في أماكن العبادة، وقصر معناه على الجانب التعبدِي فقط، ولا يتجاوز العلاقة الخاصة بين الإنسان وربه، وقد اختيرت كلمة علمانية لأنها أقل إثارة من كلمة لادينية^(٤٠٣).

والصواب أن لا صلة للعلمانية بالدين ولا بالعلم ولا بالأخلاق.

فأما بالنسبة للدين فالعلمانية كما ظهر من التعريف تزيد إبعاد الدين عن مجالات الحياة، وتقصله عن الدولة والمجتمع، ويسعى العلمانيون لقيام الدولة وحياة المجتمع على أساس دنيوية لا صلة لها بالأنظمة والتشريعات الدينية، فهي منهج حياة يبعد الدين عن أن يكون مصدراً للتشريعات والأنظمة والأحكام التي تنظم شئون الدولة والمجتمع، وهي ترفض الاحتكام لشرع الله.

أما بالنسبة للعلم فالعلم هو ما قامت عليه البراهين والأدلة القطعية، لكن العلمانية تعتمد على الظنون والافتراضات والاحتمالات، ولا علاقة لها بالعلم اليقيني، فقد تُقبل وقد تُرَفَض.

أما بالنسبة للأخلاق فالعلمانية قد تسمح بالأخلاق والفضائل وترحب بها، لكنها ترفض وبشدة أن تربط الأخلاق بالدين، فلا ترى أن الدين ينبع الأخلاق والفضائل، بل تقيمه على أساس فلسفى ومصلحي.

لذاك فهي تسمح بكثير من الرذائل تحت عنوان الحرية الشخصية والتمدن والحضارة الجديدة، وتعتبر أن أحكام الإسلام في هذا الشأن متزمتة جامدة لا تناسب روح العصر والمدنية، بل وتشريع العلمانية من القوانين التي تحمي الرذيلة ودعاتها^(٤٠٤).

انتشرت هذه الدعوة أو هذه الفكرة في أوروبا، ثم انتقلت إلى أقطار العالم الإسلامي بحكم النفوذ الأجنبي الغربي والتغلغل الشيعي.

المبحث الخامس

رواد الغزو الفكري

(٤٠٣) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ص ٧٣، والموسوعة الميسرة في الأديان، ص ٦٧٩.

(٤٠٤) انظر: حاضر العالم الإسلامي والغزو الفكري، د. صالح الرقب، ط١، ص ٧١-٧٣.

تذكر الباحثة في هذا المبحث رواد الغزو الفكري من أبناء الأمة العربية الذين كانوا مخلصين في ولائهم وتبعيتهم لقاعدة الغزو الفكري.

تم إرسال طلاب في بعثات إلى البلاد الأوروبية، واستقدم أيضاً أساتذة وخبراء غربيون للتدريس في المعاهد العلمية في البلاد الإسلامية، فتأثر أعضاء البعثات بما شاهدوه في المجتمع الأوروبي، وتأثر أبناء المسلمين مما سمعوه من أساتذة وخبراء الغرب، ويظهر ذلك من خلال كتابات هؤلاء المتأثرين.

وتعتبر مصر من أهم مراكز التأثير في العالم الإسلامي كله، لما لها من موقع متميز لوجود الأزهر الشريف بها، ولكونها أكبر دول العالم العربي عدداً في السكان يسهل عن طريقه انتقال الأفكار والموافق.

وقد تباهى الغربيون بذلك، فحرضوا على أن تكون مصر مسرحاً لقضايا خطيرة، ومن بينها لكثير من المواقف والأفكار ومخرجة للقيادات التي أثرت في عالمنا الإسلامي والعربي أعظم تأثير.

وقضايا المرأة هي أحد القضايا الخطيرة التي كانت مصر منطلقاً لها، حيث خرج منها مجموعة كبيرة من رواد الغزو الفكري الذين كان لهم أسوأ الأثر على المرأة المسلمة، وأشهرهم: رفاعة الطهطاوي، مرقص فهمي، قاسم أمين، سعد زغلول، هدى شعراوي، سوزانا نيراوي، درية شفيق، أمينة السعيد، نوال السعداوي، وغيرهم من كانوا سبباً في سفور المرأة وتبرجها، وانحرافها عن المنهج القويم^(٤٠٥).

وتكتفي الباحثة بذكر بعضًا منهم تفصيلاً، وآخرين على سبيل الإجمال.

المطلب الأول - رواد الغزو الفكري في مصر:

أولاً: رفاعة الطهطاوي:

شيخ مصرى من أركان التحديث فى بلده، ولد فى طهطا، أرسلته الحكومة المصرية ليكون إماماً للبعثة التى أوفدتها محمد على إلى باريس عام ١٨٢٦م، وهو تلميذ الشيخ حسن العطار، وخريج الأزهر، أقام فى باريس من خمس إلى ست سنوات حتى سنة ١٨٣١م، وكان قد رافق البعثة المصرية كواعظ وإمام لها، وشهد الثورة الفرنسية عام ١٨٣٠م، وتعلم الفرنسية، ودرس الجغرافيا والتاريخ، أنشأ بعد عودته من باريس مدرسة الألسن، وتولى

(٤٠٥) حجاب المسلمـة بين انتـحال المـبطـلين وتأـويل الجـاهـلين، د. محمد فؤـاد البرـازـي، ص ٣٩٧ - ٤٠٥.
(يتصرف)

تحرير الواقع المصرية ١٨٤٢م، كما ترأس مجلة روضة المدارس عام ١٨٧٠م، ومن كتبه (قلائد المفاحر في غرائب عادات الأوائل والأواخر)، و(تعريب القانون المدني الفرنسي).

وحين عاد إلى مصر حمل معه ثقافة الثورة الفرنسية وعادات الفرنسيين خصوصاً فيما يتعلق بالمرأة، وبدأ رفاعة الطهطاوي يضع البذور الأولى لكتير من الدعوات الدخيلة على البيئة المصرية المسلمة، تلك الدعوات التي حمل جراحتها معه من فرنسا، مثل الدعوة إلى فكرة (الوطنية القومية) بمفهومها المادي المحدود المنابذ للرابطة الإسلامية بين المسلمين، مما تباعدت أوطانهم، وكتب رفاعة الطهطاوي ثلاثة كتب كانت هي بذور الدعوة الأولى لما يسمى بتحرير المرأة^(٤٠٦).

وهذه الكتب هي:

- ١ - تخليص الإبريز في تلخيص باريز.
- ٢ - مناهج الألباب المصرية في مباحث الآداب العصرية.
- ٣ - المرشد الأمين للبنات والبنين.

إن دعوة رفاعة الطهطاوي تحمل في طياتها أموراً إيجابية وأخرى سلبية، لكن السلبية طغت على الإيجابية فأعمتها. فكونه ترجم الفكر الغربي هذا عمل نافع ودور إيجابي، ولكن مجموعة آرائه لم تكن الفكرة الإسلامية فيها واضحة، بل شابها لون من الإقليمية والانبهار بالفكر الغربي، فهو لم يستطع أن يتعقد في الفكر الغربي، ولم يتبيّن له انحرافه وفساده، فقد خدع إذ ظن أنه هو الفكر الإسلامي المترجم للفرنسية، لذلك وقع في أخطاء كثيرة منها:

- تنازلاته بالنسبة لللهجة العالمية على حساب الفصحي.
- ترجماته المطلقة لل الفكر الغربي، دون أن تحاط بقيود من التعريف والتحذير، ومعرفة الوجهة، والتقرير بينه وبين الفكر الإسلامي.
- ترجم كتاباً عن مصر الفرعونية، وحاول أن يؤلف عن مصر قبل الفتح الإسلامي، وعرفت له كتابات وقصائد، وامتلأت بمشاعر الفخر بأمجاد قدماء المصريين، وما فعل

^(٤٠٦) الإعلام، خير الدين الزركلي، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٨٠، ٢٩/٣. وانظر: إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة، بدون طبعة وبدون تاريخ، تم إيداعه بدار الكتب سنة ١٩٨٥، ص ١١٠، وانظر: عودة الحجاب، محمد أحمد إسماعيل المقدم، دار طيبة للنشر، السعودية، الرياض، ط١٢٦، سنة ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ط١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م، ص ٢٦-٢٥.

ذلك إلا إرضاءً لمحمد علي الذي كان على خلاف مع الدولة العثمانية، وإرضاءً لأنسانته من مستشرق فرنسا^(٤٠٧).

- استوحى رفاعة من واقع الحياة الفرنسية أفكاراً عن المرأة هي أبعد ما تكون عن شرائع الإسلام وأدابه، وبدأ يدعو إليها بكل قوّة وتضمنت الآتي:

أ- ادعى أن السفور والاختلاط بين الجنسين ليس داعياً إلى الفساد، أو دليلاً على التساهل في العرض، حيث يقول في كتابه تخلص الإبريز في تلخيص باريز: "ولا تظن بهم أنهم لعدم غيرتهم على نسائهم لا عرض لهم في ذلك... لأنهم وإن فقدوا الغيرة لكنهم إذا علموا عليهن شيئاً كانوا شر الناس عليهم وعلى أنفسهن، وعلى من خانهم في نسائهم، غاية الأمر أنهم يخطئون في تسليم القيادة للنساء وإن كانت المحسنات لا يخشى عليهن"^(٤٠٨).

ب- ادعى أن الرقص على الطريقة الأوروبية ليس من الفسق في شيء بل هو أناقة، وفتاة، وأنه لا يخرج عن قوانين الحياة.

ج- دعا المرأة إلى التعلم حتى تتمكن من تعاطي الأشغال والأعمال التي يتعاطاها الرجال^(٤٠٩).

ولكونه أول من أثار قضية تحرير المرأة في مصر في القرن التاسع عشر الميلادي، فقد سنَ بذلك لمن جاء بعده أسوأ السنن، وبذر الأفكار الدخيلة في التربية الإسلامية التي تنتهي إلى نبذ الدين والخروج على حدوده، وتسفيه علمائه.

وكانت دعوة رفاعة جديدة لم يجد لها معارضًا، وأن محمد علي حاكم البلاد قد بارك دعوته، وبارك أول كتبه، وهو تخلص الإبريز الذي أبرز فيه تقدم الغرب وحسن لمواطنيه الاننقاع بتقديمه، وقدقرأ محمد علي الكتاب قبل نشره -بناءً على تزكية شيخه حسن العطار - فأمر بطبعه، وأصدر أمره بقراءته في قصوره، وتوزيعه على الدواوين، والمواظبة على تلاوته والاننقاع به في المدارس العصرية، بل إنه أمر به بعد ذلك بترجمته إلى التركية^(٤١٠).

(407) إعادة النظر، أنور الجندي، ص ١١٠-١١١.

(408) انظر: عودة الحجاب، ص ٢٥، وحجاب المسلمة، ص ٤٠٧ عن تخلص الإبريز، ص ٣٠٤.

(409) انظر: عودة الحجاب، ص ٢٦، عن الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين: ص ٣٦.

(410) انظر: نفس المصدر السابق، ص ٢٦-٢٧، عن: المؤامرة على المرأة المسلمة، السيد أحمد فرج، ص

وكتاب المرشد الأمين ألفه رفاعة بناءً على طلب الخديوي إسماعيل، وذلك عام ١٨٧٢، قبل افتتاح أول مدرسة ترعاها الحكومة بعام واحد، وقبل موت رفاعة بأعوام قليلة، ولما كان الخديوي إسماعيل يقود في بداية تلك المرحلة - حركة التحديث وفق الطريقة الغربية في كل الميادين السياسية والفكرية والاجتماعية فقد حاول بعد ذلك أن يقنع أهل الرأي بتأليف كتاب في الحقوق والعقوبات يطبقه في المحاكم، مرتب على نحو ترتيب القوانين الأوروبية ولكن رفض أهل الرأي من مشايخ الأزهر هذه الدعوة فطلب الخديوي من الشيخ رفاعة إقناعهم بقبول ذلك، ولكنه اعتذر عن ذلك بقوله: "إنني يا مولاي قد شخت، ولم يطعن أحد في ديني، فلا تعرضني لتكفير مشايخ الأزهر إبّا في آخر حياتي، وأقلني من هذا الأمر، فأقاله"، ويعد رفاعة الطهطاوي أستاذًا للطفي السيد، وطه حسين، وسلمة موسى، وتوفي بالقاهرة^(٤١١).

ثانياً: الأميرة (نازلي فاضل):

وهي ابنة الأمير مصطفى فاضل باشا أخ (الخديوي إسماعيل) وولي عهده وكلاهما نجل (إبراهيم باشا الكبير)، اهتم والدها بتربيتها تربية غربية، فدرست على أيدي مجموعة من الأساتذة الأوروبيين، ولما رافقت والدها إلى الأساتذة تزوجت من (خليل باشا) وزير خارجية السلطان الذي عين بعد ذلك سفيراً للدولة العثمانية في بعض العواصم الأوروبية.

وكانت (نازلي) تتقن الإنجليزية والفرنسية والألمانية والتركية إلى جانب العربية، فأفسحت لها الصالونات الأوروبية في مجالسها، والتقت من خلالها بكتاب رجال السياسة ولكنها عادت بعد وفاة زوجها إلى مصر في عهد الخديوي توفيق، وقد نقلت معها فكرة الصالونات المختلطة^(٤١٢).

فونقت علاقتها مع (اللورد كروم) وفتحت ناديها (سعد زغلول) و(قاسم أمين) وغيرهما لتنظيم جهودهم ضد الآداب والتقاليд الإسلامية، حيث كانت هي الوحيدة التي تختلط بالرجال وتجالسهم في صالونها الذي افتتحته آنذاك ليكون مركزاً تبث منه الدعوة إلى (التغريب) عامة وإلى تحرير المرأة على وجه الخصوص، ولما كانت أول امرأة تجالس الرجال سافرة، لذلك أطلق عليها لقب (زعيمة حزب السفور) وقد اتخذت من المعتمد البريطاني أداة لحماية رواد هذه الدعوة، وتعبيتهم لتوجيه حركة التحرير^(٤١٣).

. ٢٨/٢٧ (٤١١) نفسه، ص

(٤١٢) انظر: حجاب المسلمة، ص ٤٨-٤٠، وانظر: عودة الحجاب، ص ٢٩.

(٤١٣) انظر: الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار والصهيونية العالمية، محمد فهمي عبد الوهاب، دار الاعتصام، ودار العلوم للطباعة، القاهرة، سنة الإيداع بدار الكتب ١٩٧٩، ص ١٢-١٣.

وأما سلوك هذه الأميرة الشخصي فقد كان مختلفاً من ضوابط الدين وعادات المجتمع، وكان لها شغف بالضباط الإنجليز، وكانت تحب الليالي الموسيقية، وتكثر من شرب الخمر، واستمرت على دعاتها وجمع أصحاب النفوذ من حولها حتى ماتت يوم ٢٨/١/١٩١٤م^(٤١).

ثالثاً: مرقص فهمي:

وهو محامٌ نصراني مت指控 كأن مواليًا لكرور، ومعتمداً في حمايته على النفوذ البريطاني، مما سهل له الطريق لطعن الإسلام في عقر داره، لهذا أصدر كتاباً سنة ١٨٩٤م، بعد الاحتلال الإنجليزي لمصر بحوالي اثنتي عشرة سنة، وهو بعنوان (المرأة في الشرق) دعا فيه إلى الاختلاط والقضاء على الحجاب، وتقيد الطلاق وتقيد تعدد الزوجات، وإباحة الزواج بين المسلمات والأقباط.

وما أن ظهر هذا الكتاب حتى أحدث ضجة عنيفة، خاصة وأن أحكام الإسلام صار يتحدث عنها صليبي حاقد، في رباب الاستعمار، وصديق اللورد كرور، فلجاً الاستعمار إلى صالون "نازلي فاضل" لتعلن شيئاً يشد من أزر "مرقص فهمي" خاصة وقد ظهر من خلال هذه الضجة كتاب ألفه (اللورد داركير) حمل فيه على نساء مصر والإسلام، وهاجم الحجاب الإسلامي، وقرار المرأة المسلمة في البيت، واقتصر وظيفتها على تربية النساء ورعاية الزوج.

كما هاجم فيه المثقفين من أبناء مصر على سكوتهم، وكان من أثره أن انتهز قاسم أمين فرصة اختلافه مع الأميرة نازلي فاضل، فتصدى للرد عليه مبيناً فضائل الإسلام على المرأة المصرية، وطعن الأميرة فوصلها الأمر بسرعة، ثم تم إقناع قاسم أمين بضرورة إصلاح خطأه بكتاب ينشره وحدث ذلك فعلاً^(٤٢).

رابعاً: قاسم بن محمد أمين:

كاتب مصرى، اشتهر بدعوه إلى تحرير المرأة، ودافعه عن حريتها وتطورها، تركى الأصل، وقيل أنه كردي، لأن أباه ولی السليمانية من أعمال العراق، ومكث بها مدة، وكان أبوه قد أخذ رهينة في الأستانة على إثر خلاف، ثم جاء إلى مصر في عهد إسماعيل باشا، وانضم في الجيش المصري ورقى إلى مرتبة أمير الای، وتزوج بكريمة لأحمد بك خطاب،

(٤١٤) حجاب المسلمة، ص ١١٤ عن مذكرات محمد فريد، نقاً عن كتاب: سعد زغلول، ودوره في السياسة المصرية، عبد الخالق شاهين، ص ٣٠.

(٤١٥) الحركات النسائية، محمد فهمي عبد الوهاب، ص ١٣-١٥، وانظر: عودة الحجاب، ص ٢٨-٢٩، وحجاب المسلمة، ص ٤١٢-٤١٣.

شفيق إبراهيم باشا خطاب، فولدت له أولاداً كان أكبرهم (قاسم) فولد بمصر في بلدة (طرة) في أول ديسمبر عام ١٨٦٣م، انتقل إلى الإسكندرية فنشأ بها وتعلم بها وانتقل إلى القاهرة، نال إجازة الحقوق سنة ١٨٨١م، ثم عمل بمكتب صديق والده التركي مصطفى فهمي، ثم رحل إلى فرنسا ليتم تعليمه^(٤١٦). وهناك انبهر بالحياة الأوروبية حتى أنه خرج بقوله: "لعل أكبر الأسباب في انحطاط الأمة المصرية، تأخرها في الفنون الجميلة: التمثيل والتصوير والموسيقى، هذه الفنون ترمي جميعها إلى غاية واحدة وهي تربية النفس على حب الجمال والكمال، فإذا هما هو نقص في تهذيب الحواس والشعور"^(٤١٧).

تعرف إلى فتاة تسمى (سلافا) التي كانت تصاحبه إلى التجمعات الفرنسية والخلافات، وأخذ يقرأ عن حكم (لاروشفوكو)^(٤١٨) وشعر (لامارتين)^(٤١٩) وفلسفة (فولتير)^(٤٢٠) وأعمال (روسو)^(٤٢١) و(سبنسر)^(٤٢٢)، واضطرب وضع قاسم في هذا الوسط الغربي، والتقي في فرنسا بالأفغاني ومحمد عبdo، وانضم إلى جمعية (العروة الوثقى) واتخذه محمد عبdo مترجماً

(416) انظر: الإعلام للزركلي، ٣٦ / ٣، وانظر: عودة الحجاب، ص ٣٣-٣٥.

(417) قاسم أمين، د. ماهر حسن فهمي، مؤسسة المصرية، ص ٤٠، من كلمات لقاسم أمين، ص ٢٤، وانظر: عودة الحجاب، ص ٣٤.

(418) لاروشفوكو (١٦١٣-١٦٨٠) (LaRocheFoucauld): سياسي وأديب فرنسي من أنصار كوندّة المתחمسين، ومن أعضاء النادي الأدبي للسيدتين سابله، ودولافيفيت، اشتهر بديوانه حكم وأمثال، عبر فيه عن فرقه وأشجاره من مجتمع فاسد، تسيطر فيه الأنانية على تصرفات الإنسان، غالباً ما تكون أبل المشاعر مظاهر خادعة تملّيها تلك الأنانية، المنجد في الأعلام، ص ٤٨٧.

(419) لامارتين (Lamartine) (١٧٩٠-١٨٦٩) من مشاهير الشعراء الفرنسيين وزعيم الحركة الرومنطية، زار الشرق وشغف به، من مؤلفاته الشعرية (التأملات) (جوسلين) والنشرية (رحلة إلى الشرق)، المنجد في الأعلام، ص ٤٨٩.

(420) فولتير (Voltaire) (١٦٩٤-١٧٧٨) ولد في باريس، مؤلف فرنسي من نواعي زمانه، أقام بروسيا وسويسرا، تزعم حركة الفلسفة المادية، وقاوم رجال السلطة الدينية، والمدنية، ونقدّهم بقلمه اللاذع، كتب في الشعر والتاريخ، والمسرح والمراسلة والفلسفة، وأجاد في أكثرها من مؤلفاته المحاورات الفلسفية، كنديد- زئير (محمد) (شارل ١٢)، المنجد في الأعلام، ص ٤٢١.

(421) روسو - جان جاك (Rousseau) (١٧١٢-١٧٧٨) كاتب فرنسي وفيلسوف اجتماعي، ولد في جنيف، نادى بطبيعة الإنسان، والعود إلى الطبيعة، له (العقد الاجتماعي) (أمييل) (اعترافات) تأثرت بمبدأه الثورة الفرنسية، المنجد في الأعلام، ص ٢٦٩.

(422) سبنسر - هربرت (Spencer) (١٨٢٠-١٩٠٣) فيلسوف وعالم اجتماعي إنجليزي، ولد في دربي، صاحب مذهب قائم على التطور الطبيعي، أي مذهب النشوء والارتقاء، المنجد في الأعلام، ص ٢٩٥.

له، وبعد أن أتم دراسته طلب إليه أستاذه "الرنود" أن يعمل معه بضعة شهور يكتسب فيها خبرات عملية فوافق^(٤٢٣).

وعاد قاسم أمين إلى مصر بعد إتمام دراسته في فرنسا سنة ١٨٨٥م، فعمل وكيلًا للنائب العمومي بالمحكمة المختلطة، فمستشارًا لمحكمة الاستئناف، توفي بالقاهرة^(٤٢٤).

ومن كتبه: كتاب بعنوان: (المصريون) الذي كتبه قاسم أمين ردًا على كتاب (داركير)، ودافع فيه عن المصريين والإسلام، وألف ردًا بالفرنسية، حاول فيه تفنيد اتهاماته لمصر والمصريين، وبين فضائل الإسلام على المرأة المصرية، ورفع من شأن الحجاب، وعده دليلاً على كمال المرأة، وحاول شرح الحكمة الإيجابية في قوانين الشرع الإسلامي، إلا أن دفاعه هذا بدا تبريراً، وشرحه قد اتسم بالخنوع والذلة^(٤٢٥) فيقول وكأنه يناشد داركير أن يعتبر الإسلام في مرتبة النصرانية والمجوسية: "إن الإسلام دين خلقي لا يقل عن المجوسية ولا عن المسيحية، وإن روح القرآن لا تختلف عن الروح الإنجيلية"^(٤٢٦) ويقول أيضًا: "ولهذا كان أمامها أي مصر طريقان: العودة إلى نقاليد الإسلام أو محاكاة أوروبا"^(٤٢٧).

استذكر قاسم في كتابه (المصريون) خطة بعض السيدات المصريات اللاتي يتشبهن بالأوربيات، فوشى به أحد خصومه إلى الأميرة نازلي، متهمًا قاسماً بأنه يقصد بهذا التعرض ذم المصريات اللاتي يقدن الإفرنجيات ويسرن سيرتهن، فغضبت الأميرة مما فعله قاسم أمين، وقالت للشيخ (محمد عبده) قولاً شديداً بعد أن هددت وتوعدت، ونشرت ست مقالات في جريدة (المقطم) وهي لسان حال الإنجليز في مصر في ذلك الوقت تعقبت فيها آراء قاسم أمين في كتابه (المصريون) وفندت أخطاءه في دفاعه عن الحجاب، واستتكاره الالتحام بين الجنسين^(٤٢٨).

لكن سرعان ما ألغيت هذه الجملة بسبب إقناع قاسم أمين بضرورة تصحيح خطأه، وتقدم قاسم أمين إلى الأميرة واعتذر لها فقبلت اعتذاره، ثم أخذ يتتردد على صالونها وارتفاع مقامها لديه واتفق معه سعد زغلول، ومحمد عبده على أن ينشر كتاباً يصحح فيه خطأه، ويؤيد

(423) قاسم أمين، ماهر حسن فهمي، ص ٤٠-٥١، وانظر: عودة الحجاب، ص ٣٤-٣٥.

(424) الإعلام، الزركلي، د.ت. ص ٣٩/٣.

(425) عودة الحجاب، ص ٣٥.

(426) الأعمال الكاملة، قاسم أمين، تحقيق: د. محمد عمار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٦م، ٢١٧/١، وانظر: عودة الحجاب، ص ٣٥.

(427) عودة الحجاب، ٣٦/١-٣٧.

(428) عودة الحجاب، ص ٣٥-٣٦، وانظر: الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار، ص ١٤-١٥. وانظر: قاسم أمين، د. ماهر حسن فهمي، ص ٣٦.

فيه الدوق داركير، ويواصل مناصرته لكتاب (المرأة في الشرق) للقبطي مرقص فهمي، فألف قاسم أمين الكتاب الثاني بعنوان (تحرير المرأة) دعا فيه إلى نفس ما دعا إليه ذلك الصليبي، إلا أنه لم يتعرض لمسألة زواج المسلمات من الأقباط، وقد ألغى فيه أفكاره الدفاعية التي أوردها في كتابه السابق^(٤٢٩)، حيث زعم في كتابه أن: "الدين هو السبب الوحيد في انحطاط المسلمين وتأخرهم عن غيرهم، وأن حجاب المرأة بوضعه السائد ليس من الإسلام، وأن الدعوة إلى السفور ليس فيها خروج على الدين أو مخالفة لقواعد"^(٤٣٠).

وقد تناول في كتابه هذا أربع مسائل، وهي الحجاب، واحتلال المرأة بالشئون العامة، وتعدد الزوجات، والطلاق، ويدرك في كل مسألة من هذه المسائل إلى ما يطابق مذهب الغربيين، زاعماً أن ذلك هو مذهب الإسلام فيقول: "سيقول قوم إن ما أشره اليوم بدعة، فأقول: نعم أتيت ببدعة، ولكنها ليست في الإسلام، بل في العوائد وطرق المعاملة، التي يحمد طلب الكمال فيها"^(٤٣١).

وذهب بعض الباحثين من أن الشيخ محمد عبده شارك في كتابة فصولاً كاملة بنصوصها في كتاب "تحرير المرأة" ومن هؤلاء الدكتور (محمد محمد حسين) في كتابه الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر^(٤٣٢)، وداود برگات رئيس تحرير الأهرام^(٤٣٣)، ود. محمد عمارة في كتابه جامع الأعمال الكاملة لقاسم أمين ومحققها^(٤٣٤).

وقد لقي هذا الكتاب ردود فعل كثيرة، كان أكثرها مقالات صحفية، وقد اتهمه المعارضون بالهذيان، وهاجمه علماء الدين هجوماً عنيفاً، وحكم الفقهاء بأنه افترى، ومرق من الدين، واتهمه آخرون بالجناية على الدين، والمبالغة في تقليد الغربيين، وأنه ينذر أمنية من أمني الأمم الصليبية التي تزيد بها هدم الإسلام، وتقويض الآداب والأخلاق، وتحريض النساء على الفساد^(٤٣٥).

وتتابع قاسم أمين في الكشف عن وجيه الحقيقى في كتابه الثالث (المرأة الجديدة) وكشف في جرأة عن أهدافه الخبيثة في هذا الكتاب الذي بدأ فيه أثر الغزو الفكري الغربي

(429) الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار، ص ١٥، وانظر: عودة الحجاب، ص ٣٧-٤٠.

(430) الأعمال الكاملة، قاسم أمين، ٢٢/٢، وانظر: عودة الحجاب، ص ٤٠.

(431) عودة الحجاب، ص ٤٠، عن تحرير المرأة، محمد زكي الدين، بالقاهرة، ١٣٤٧هـ، ص ٥.

(432) ارجع إلى المجلد الأول، ص ٢٨١-٢٨٢، عودة الحجاب، ص ٤٤.

(433) عودة الحجاب، ص ٤٤-٤٥، عن الأهرام، مايو، ١٩٢٨م.

(434) عودة الحجاب، ص ٤٥-٤٦، عن دراسة في فكر قاسم أمين، ص ١٤٤.

(435) قاسم أمين، د. ماهر حسن فهمي، ص ١٧٢-١٨٠.

واضحاً، فاللتزم فيه مناهج البحث الأوروبيّة الحديثة التي ترفض كل المسلمات والعقائد السابقة، سواء منها ما جاء عن طريق الدين أو ما جاء من غيره، ولا تقبل إلا ما يقوم عليه دليل من التجربة أو الواقع (المنهج العلمي) كما يزعمون.

ويدعو في هذا الكتاب إلى:

- ترك حرية النساء للنساء، أي لا يقبل بزعمه حق قوامة الرجال على النساء، ولو أدى الأمر إلى إلغاء نظام الزواج، حتى تكون العلاقات بين الرجل والمرأة حرة لا تخضع لنظام ولا يحددها قانون.
- أراد من المرأة المصرية أن تحول إلى المرأة الأوروبيّة الجديدة وتحتذها مثلاً أعلى^(٤٣٦).

ولقد لقي في هذا الكتاب معارضة شديدة، حتى أن الخديوي (عباس حلمي) في ذلك الوقت استنكره كسابقه لمنافاته للإسلام وأبى قبول كتاب المرأة الجديدة عندما ذهب قاسم أمين لتقديمه إليه، ثم أصدر أمراً بمنعه من دخول القصر في أي مناسبة، مع أنه مستشار في الدولة^(٤٣٧).

ويقال أن قاسم أمين عدل عن رأيه عام ١٩٠٦م، بعد أن تبين له أنه ضل الطريق، وأنه كان مخطئاً في توقيت الدعوة إلى تحرير المرأة، ولكن عباراته لم تكن صريحة في توبته عن ضلاله بالكلية، ولكنه ادعى أن خطأه كان فقط في التوقيت لها، وما يضعف احتمال رجوعه عن مذهبه ما قالته هدى شعراوي في حفل تكريم ذكرى رحيله بأنه آخر كلمات نطق بها قاسم أمين وتوفي بعدها في نفس اليوم حيث قال وهو يحيى الطلبة الرومانيين: "كم أكون سعيداً في اليوم الذي أرى فيه سيداتنا يزينن مجالسنا كما تزين باقات الزهور مقامات الجلوس"^(٤٣٨)، وقال أيضاً: "ولي شوق عظيم أن أشاهد ذلك اليوم الذي أرى فيه حظ فتياتنا المسلمات المصريات كحظ هاته الفتيات السائعات من التربية والتعليم، وذلك اليوم الذي نرى فيه المسلمات جالسات جنباً إلى جنب مع الشبيبة المصرية في اجتماع أدبي، كاجتماع اليوم، فيشاركننا في لذة الأدبيات والعلوم التي هن منها محرومات، وبقي أن نحقق الآمال حتى يرتقين فيرتقى بهن الشعب المصري"^(٤٣٩).

(436) عودة الحجاب، ص ٦٢-٦٣.

(437) المصدر السابق، ص ٦٢.

(438) الحركات النسائية في الشرق، ص ١٩، وانظر: عودة الحجاب، ص ٣/٧٤.

(439) نفس المصدر السابق، ص ١٩، ٧٤.

توفي قاسم أمين ليلة الثالث والعشرين من أبريل سنة ١٩٠٨، فطلب الإنجليز إلى شعبهم بإقامة حفل تأبين له، فأقاموا هذا الحفل، وأشادوا فيه بدعوته إلى السفور ومقابل ذلك دعا الحزب الوطني بإقامة احتفال كبير للدعوة إلى الحجاب وإبراز أصابع الإنجليز في فتنة السفور^(٤٤٠).

خامساً: روّاد آخرون:

وإن توفي قاسم أمين، فإن دعوته ظلت بعده، حيث وجد على الساحة السياسية من يستأنف الدور، ويحمل نفس اللواء، وحزب الأمة وزعامتها أمثال (أحمد زغلول) عضو محكمة دنشوانى، و(الهباوى) جلادها وسفاحها، ولطفي السيد الذي حمل على عانقه الدعوة إلى خروج النساء باسم التحرير، والذي اشتهر بأستاذ الجيل وهو الذي يتحدى المسلمين، ويدخل على الفتيات طالبات الجامعة مختلطات بالطلاب، سافرات الوجوه ولأول مرة في تاريخ الجامعة المصرية.

ومن الزعماء السياسيين سعد زغلول باشا المنفذ العملي لدعوة قاسم أمين، فهو الذي أعاد قاسم أمين على إظهار كتابه تحرير المرأة أو شجعه على احتمال ما لقيه من معارضيه، وأرغم زوجته صفية زغلول على نزع الحجاب وبعد عودته من المنفى استقبله الناس رجالاً ونساءً فلما دخل على النساء المحجبات استقبلته هدى شعراوى بحبابها، فمد يده فنزع الحجاب عن وجهها وهو يضحك فصفقت هدى وصفقت النساء المحجبات لهذا الهتك المشين ونزع عن الحجاب، وهو بذلك حق آمال قاسم أمين الذي كان يرى أن آراءه في المرأة لن تأخذ شكلها العملى إلا على يد سعد زغلول^(٤٤١).

وتعد هدى شعراوى أول مصرية مسلمة تتمرد علانية على أحكام الشريعة الإسلامية فتخلع الحجاب، وتنشط في تكوين الاتحاد النسائي المصري، الذي يدعو إلى منع تعدد الزوجات، وتقييد الطلاق وإلغاء بيت الطاعة، وسارت (سيزا نبراوى) جنباً إلى جنب مع هدى شعراوى، وكانت تقوم بدور السكرتيرة الخاصة لها، ومستشاراً لها، وكانت رفيقة لها في أسفارها ومؤتمراتها، ومشاركة لها في جميع نشاطها، وساعدتها في تأسيس الاتحاد النسائي المصري.

(٤٤٠) نفسه، ص ١٩.

(٤٤١) انظر: عودة الحجاب، ص ٨١-٧٩، وانظر: حجاب المسلمة، ص ٤٦٦، الحركات النسائية في الشرق، ص ٢١-٢٢.

وفي نفس الدرس سارت أمينة السعيد التي تأثرت بالمستغرب (طه حسين) أشد التأثر وراحت تهاجم المحجبات، وتزدرى بالحجاب حيث وصفت المرأة المحجبة بأنها ثعلب ترتدي ثياب الناسكين، وتنطاط على قانون الأحوال الشخصية، وكانت تزيد إصدار تشريع جديد يمنع تعدد الزوجات ومساواة المرأة بالرجل في الميراث، وأخذت تحرض النساء على النشوز، والفتيات على الانحلال، حتى هلكت وهي تعاني من سرطان في فمها الذي كثيراً ما عابت به عديداً من الفضائل، وتنطاط على أهل العلم ورواد الفكر.

ومن رواد الغزو الفكري نوال السعداوي التي زعمت أن الحجاب استعباد للمرأة، وإذلال لها، وطالبت بانتساب الإنسان لأمه لا لأبيه لأن الأبوة على زعمها مشكوك فيها دائماً، واعتبرت نوال السعداوي على جعل الطلاق في يد الرجل، وزعمت أنها فكرة نشأت في التاريخ البدائي القديم لأسباب صحية ووقائية.

ومنهم درية شفيق: التي أنشأت حزب (بنت النيل) والذي كان من أهدافه:

- منح المرأة حق الاقتراع وحق دخول البرلمان.
- إلغاء تعدد الزوجات، وإدخال قوانين الطلاق الأوروبية في مصر.

وهناك مثيلات لمن تقدم ذكرهن: سهير القلماوي، وفاطمة السعيد، وسعاد صيري، ومي شاهين، وسمحة ظاهر، وغيرهن ممن تأثرن بعادات الغرب وأخلاقهم، وظهرت فيهن بصماتهم الفكرية عن طريق المحاضرات والندوات والمقالات، والمجلات^(٤٤٢).

المطلب الثاني: رواد الغزو الفكري في البلاد الإسلامية والعربية الأخرى

تبين مما سبق أن المرأة المسلمة في مصر استهدفت، ونجح دعاء السفور في التأثير على المرأة المصرية المسلمة، فخلعت حجابها، وهتك عرضها، ولكن لم يبق الحال على ذلك في مصر فقط، بل انتقلت عدوى السفور من مصر إلى البلاد الإسلامية بفعل هؤلاء الذين تربوا على الحقد على الإسلام، والإفساد للمجتمعات الإسلامية عامة وإفساد المرأة المسلمة خاصة، فكان لتلك الدعوة إلى السفور أصداء واسعة ووصلت إلى العراق والشام والجزيرة العربية وغيرها من الدول الإسلامية والعربية، لذا كان لابد من عرض سريع لبعض من قاد هذه المهمة لإخراج المرأة من طهرها وعفافها.

أولاً: معروف الرصافي:

(442) انظر: حجاب المسلمة، ص ٤٠٤ - ٤٠٥، ٤٦٦، ٥٠١ - ٥٠٥، وانظر: عودة الحجاب، ص ١١٢ -

ولد في العراق ونشأ بها، وولع بالشعر، ونظم الكثير من القصائد، في مختلف أغراضه، تناول في شعره قضية المرأة، وأكثر من الحديث عنها، حتى أفرد لها في ديوانه باباً خاصاً أطلق عليه النسائيات، كان صدىً لدعوة قاسم أمين لما سماه (تحرير المرأة) حيث نظم قصيدة أطلق عليها (المرأة في الشرق) أرجع فيها تأثر الشرقيين واضطراب أحوالهم وتدهور أوضاعهم إلى سلب حرية المرأة، وجلوسها في بيتها، وتمسكها بحجابها بحيث غدت هذه العادات أغلاً تقيد المرأة^(٤٤٣) حيث قال:

يعيشون في ظلِّ به وشقاء بمنزلة الأقیاد للأسراء عليهم في حبسِ وطول ثواء عليهم إلا خرجَةُ بغطاء يغرون من نورِ به وهواء لغير قرارٍ في البيوت وباء ^(٤٤٤)	ألا ما لأهلِ الشرق في بُرخاءِ لقد حكّموا العادات حتى غَدَتْ لهم لقد غمطوا حقَّ النساء فشدوها وقد ألموهنَّ الحجابَ وأنكروا أضافوا علَيْهِنَّ الفضاءَ كأنَّهم وقد زعموا أنَّ لَسْنَ يصلاحُ في الدُّنْـا
--	--

وحين رأى الرصافي أن الرجال يقومون بدور المرأة على المسرح لعدم بروزها للرجال، تألم لهذا الحال، وعدها من باب التضييق على المرأة والحجر عليها لإلزامها بالحجاب فقال:

تمثّلُ حالِي عزَّةٍ وإباءٍ على مسرح التمثيل زَيَّ نساء ^(٤٤٥)	وما العارُ أن تبدو الفتاة بمسرحٍ ولكن عاراً أن تزيّا رجالكم
--	--

وفي قصيدة (نساؤنا) يشبه المرأة بالحمامة، ويعتبر حجب وجهها كنف ريشها، ومن كانت كذلك فهل يطيب لها التغريد بعد حرمانها من أعز ما تملك !!

أفي الشرع إعدام الحمامَة ريشها

وإسكاتها فوق الغصون عن السجع^(٤٤٦)

وفي قصيدة أخرى بعنوان (حرية الزواج عندنا) يلوم فيها من تمسّك بالحجاب بدعوى الصون والعنف، واعتبر أن الحجاب الحقيقي للمرأة حياؤها لا نقابها، فقال:

شرف المليحة أن تكون أدبية

(443) انظر: حجاب المسلمة، ص ٥٣٤-٥٣٥.

(444) انظر: ديوان الرصافي، دار مكتبة الحياة، محمود حلمي، بيروت، ط٦، ١٨٧٥هـ-١٩٤٥م، ص ٣٤٢.

(445) المصدر السابق، ص ٣٤٢.

(446) ديوان الرصافي، ص ٣٤٦.

وحجابها في الناس أن تتهبها

والوجه إن كان الحياة نقابه

أغنى فتاة الحي أن تنتقبا

ولم يكتف بهذا بل أنشأ قصيدة بعنوان: (التربيبة والأمهات) اتهم فيها المجتمع المسلم بقبر البنات قبل الممات، ورمى طباع المسلمين باللوم لحجبهن النساء وأثني على الأعراب الذين تبرز نساؤهم حاسرات بحكم البداوة التي يعيشون فيها.

وفي معظم ما قال من قصائد يعتبر المرأة مظلومة، مهضومة الحقوق في كل شيء حتى في الميراث والأدبه من ذلك أنه في قصيدة له كشف عن عقيدته التي لا ترى الدين قائماً على وحي نزل على الأنبياء، ولكنها من اختلاق قوم دهاء، يريدون بذلك هم ودهائهم الكذب على الناس، وغروهم وخدعوهم بدعوى النبوة، وزعم أن ما يتوفهم به كان بوعي من الله، وهو ينكر أيضاً عروج الأرواح إلى السماء، فهو إن صرّح بذلك فعلاً فلا بد أن يوضع مع زمرة الكافرين الملحدين والعياذ بالله^(٤٤٧).

ثانياً: جميل صدقي الزهاوي:

وهو كردي الأصل، ولد عام ١٨٦٣م، أبوه مفتى العراق (الشيخ محمد فيضي الزهاوي) ولقب بالزهاوي نسبة إلى بلدة في إيران تسمى: (زهاو)، أما والدته فهي كردية الأصل أيضاً تعلم كثيراً من علوم الأولين فلم تشبع عقله، فنهل كثيراً من علوم الغربيين التي ترجمت إلى التركية والعربية، غير أن الفلسفة قد استأثرت اهتمامه، فأحبها وتوسع فيها. بدأ في نظم الشعر بالفارسية، ثم بالعربية، ونشرت له الصحف والمجلات في مصر وببروت والشام وبغداد مقالات كثيرة، وقصائد كثيرة، تناول في بعضها السلطان عبد الحميد، وخصص المرأة بعد آخر فيها، عُين أستاذاً للفلسفة الإسلامية بالجامعة الملكية، وأستاذاً للآداب العربية وتقلّب في مناصب عديدة، ثم انتخب نائباً في البرلمان العثماني.

وبعد إعلان الحرب العالمية الثانية، واحتلال الإنجليز بغداد، عُين عضواً في اللجنة التي تدير أمور المعارف، ثم رئيساً للجنة تعريب القوانين التركية، ثم ألغيت اللجنة، وجاء الملك فيصل الأول وتوج ملكاً على العراق، فعينه في مجلس الشيوخ... وبعد اكتمال شبابه أنشب المرض فيه أظفاره، فأصيب بالأمراض العصبية التي برّحت به آلامها، وشلت أصابع قدمه اليسرى ولازمته حتى آخر حياته^(٤٤٨).

مرّ بأطوار مختلفة في مراحل حياته حتى قال عن نفسه: "كنت في صباه أدعى بالمجنون لحركاتي غير المألوفة، وفي شبابي بالطائش لخفتي وإيغالني في اللهو، وفي كهولتي

(447) نفس المصدر السابق، ص ٢٣٦

(448) حجاب المسلمة، ص ٥٢١-٥٢٢

بالجريء لمقاومتي الاستبداد، وفي شيخوختي بالزنديق لمحاجرتني برأي الحرية الفلسفية المخالفة لآراء الجمهور".^(٤٩) لم يقتصر في كتاباته على الفلسفة والعلوم الطبيعية التي تغيب إلحاداً وكفراً إنما تناول قضية المرأة في شعره ونثره، وأكثر من الحديث عنها دفاعاً عن حقوقها المهمضومة كما يزعم، وانتقد الأحكام الإسلامية الخاصة بها فقال: "ليست المرأة مهمضومة من جهة واحدة، بل مهمضومة من جهات عديدة.
ولو كان رمحاً واحداً لانقيته

ولكنه رمح وثاني وثالث

فهي مهمضومة لأن عقدة الطلاق بيده يحلها وحده، وهي مهمضومة لأنها لا ترث من أبيها إلا نصف ما يرث أخوها الرجل! وهي مهمضومة لأنها وهي في الحياة مقبرة في حجاب كثيف يمنعها من شم الهواء، ويعنها من الاختلاط ببني نوعها، والاستئناس بهم، والتعلم منهم في مدرسة الحياة الكبرى!!، وليس المرأة مهمضومة في الدنيا فقط، بل هي مهمضومة كذلك في الأخرى".^(٤٥٠)

فهذا كفر صريح وجراوة على الله سبحانه وتعالى عما يقولون علوًّا كبيراً فهو يتهم الله سبحانه وتعالى بالظلم، ويقول أن الحجاب سبب من أسباب الجهل، ويعزو عدم اكتشاف المسلمين اليوم لأمر جديد إلى حجاب النساء، ويدعو إلى كسر سلاسل العادات ورفع الحجاب، وختم مقاله بقوله: "ليس ذلك بتقبيل إذا أتوه من باب الحكمة، فأشاعوا مضاره، ودفعوه تدريجياً، وإلا دارت عليهم الدائرة، وانحط المجتمع فلم يقدر أن يزاحم الغربيين المشمررين للسعى في طريق الارتقاء، ثم أنسد":

آخر المسلمين عن أمم الأرض حجابُ تشقى به المسلمات^(٤٥١)

نتيجة لذلك احتاج الناس على ما جاء في كلامه من كفر صريح، وشاع لعنه على السنة الناس، فعزله الوالي (ناظم باشا) من وظيفته في مدرسة الحقوق ببغداد، ومكث في داره أسبوعاً خوفاً من اغتيال الناس له، لكنه لم يقف عند هذا الحد، بل نظم قصيدة قال فيها:

أسفري فالحجاب يا بنة فهر هو داء في الاجتماع وخيم

واعتبر حجب النساء غياً فقال في قصيده (ابنة يعرب)

القوم يا ابنة يعرب من جهلهم وأدوك وأداً

حجبوك عن أبناء نوعك حاسبين الغيّ رشدًا

(449) حجاب المسلمة، ص ٥٢٢، عن (ترجمة حياتي)، الزهاوي، نشرها عبد الحميد الرشودي في (الزهاوي دراسات ونصوص)

(450) نفس المصدر السابق، ص ٥٢٣-٥٢٢

(451) حجاب المسلمة عن مقال للزهاوي، بعنوان (المرأة والدفاع عنها) ص ٥٢٧-٥٢٨.

وفي قصيدة أخرى، أُعلن فيها حربه على الحجاب، وتحريضه على السفور الذي اعتبره عنوان الطهر والعفاف فقال:

وأسفري فالحياة تتبع انقلاباً	مزقي يا ابنة العراق الحجابا
فقد كان حارساً كذاباً	مزقيه واحرقيه بلا ريث
في المهاوي وأن فيه خراباً	زعموا أن في السفور سقوطاً
ليس يلقي معراة وارتباياً ^(٤٥٢)	كذبوا فالسفور عنوان طهر

فلما اطلع العلماء على هذا الشعر الذي وصف فيه الحجاب الحارس الكذاب، وصممه بالزندقة، ونعتوه بالإلحاد وقال عنه شيخ الإسلام مصطفى صبري: والإلحاد جميل معروف أكثر من معروف، أي أن الإلحاد الزهاوي معروف أكثر من معروف الرصافي، هذا بالإضافة إلى أنه كان أيضاً ينكر البعث وينكر وجود الخالق عز وجل، حيث نظم ديواناً كاملاً أطلق عليه (نزغات الشيطان) مما يؤكد ويدلل على كفره والإلحاد حيث قال فيه ما لا يصح أن يقال:

توقفت لا أدرى تجاه الحقائق ءأَنِّي خَلَقْتُ اللَّهَ أَمْ هُوَ خَالقِي

وصدق فيه قول الله تعالى: «أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْفَهَارُ»^(٤٥٣)

فكيف تعتبر الأمة الزهاوي أدبياً من أدبائها، أو واحداً من شعرائها، وتعتمد بعض قصائده في مناهجها، وتبرزه شاعراً من أبرز مجدها، وهو الذي انسلاخ عن عقيدة هذه الأمة، وتمرد على قيمها، واتخذ من أعدائها مثلاً أعلى لها.

فهل يكون هذا وأمثاله حريراً على المرأة المسلمة ورسالتها، وهو يعزز تأخر المسلمين إلى حجابها؟ !!!^(٤٥٤).

ثالثاً: نزار قباني:

وهو عربي سوري شاعر، وهو من عصابة المجان الكارهين لما أنزل الله، المحرضين على الفساد والفاحشة، ومن أقواله: "لو كنت حاكماً لأنغيت مؤسسة الزواج وختمت أبوابها بالشمع الأحمر"^(٤٥٥)، ويقول مستهزئاً "العربي أكثر حشمة من التستر"^(٤٥٦).

(452) حجاب المسلمة، عن (الزهاوي، دراسات ونصوص) الرشودي، ص ٥٢٨.

(453) سورة الرعد، الآية (١٦).

(454) حجاب المسلمة، ص ٥٢٩.

(455) الصحافة والأفلام المسمومة، أنور الجندي، دار الاعتصام، ط١، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م. ص ١٦٧ - ١٦٨.

(456) نفس المصدر السابق، ص ١٤٦.

وهو القائل: "مع حبيبي لا أخرج من الغرفة ومع زوجتي لا أدخل الغرفة أساساً"^(٤٥٧)، وقد حمل لواء الرفض لكل ما يمت إلى الإسلام والعروبة بصلة، ويعده المتحررون من أعمدة الدعوة إلى تحرير المرأة، قال الأستاذ أنور الجندي: "أما شعر (نزار قباني) الذي أوسعته له الصحافة العربية الصفحات فيكتفي في التعريف به ما كتبه محمد سالم غيث في كتابه (الحب والجنس في شعر نزار قباني) يقول: "لقد خلع (نزار) ثياب الرجل كثيراً، وليس ثياب المرأة، وتقمص شخصيتها وتحدى بلسانها، فهل صحيح أنه يفعل ذلك دفاعاً عن المرأة التي حكم عليها هذا الشرق الغبي بالإعدام"^(٤٥٨) حتى إنه يقدم كتاب يوميات امرأة لامبرالية إلى طالبات الجامعة الأمريكية ويقول: "إنه كتابك، كتاب كل امرأة حكم عليها هذا الشرق الغبي الجاهل بالإعدام، ونفذ حكمه فيها قبل أن تفتح فمها، ولأن هذا الشرق غبي وجاهل ومعقد، يضطر رجل متى أن يلبس ثياب امرأة ويستعير كحلها وأساورها ليكتب عنها، أليس من مفارقات القدر أن أصرخ أنا بلسان النساء ولا تستطيع النساء أن يصرخن بأصواتهن الطبيعية؟"^(٤٥٩) ويكمل الجندي قائلاً: "هذه هي المفاهيم التي يقدمها نزار قباني في شعره الذي تحفل به الصحافة العربية"، ولعل من أبرز سيدات نزار قباني قصيدة: "افتتح صندوق أمي" تلك التي أعلنت فيها الرفض لكل ما هو عربي وإسلامي، وقد سمى سيف الدولة "مغورراً" وهو الذي قضى حياته مجاهداً في سبيل الله حتى جمع من غبار ثيابه في معاركه مع الروم ما جعل منه وسادة أوصى بوضعها تحت خده بعد موته^(٤٦٠).

رابعاً: ماري إلياس زيادة

وهي سورية الأصل، أدبية، متحررة سافرة، اشتهرت (بالأنسة مي) وكان لها محفل في دارها يشبه محافل الباريسيات يختلط فيه الرجال مع النساء، يجتمع في محفلها الذي أسسه سنة ١٩١٣ أهل الأدب والسياسة والفن، ورجال الأعمال، والصحافيون، وكان المحفل يضم رجالاً ونساءً من الأوروبيين والمصريين والعرب المقيمين بمصر، خاصة النصارى منهم، وكان يؤمه الشيخ مصطفى عبد الرزاق من شيوخ الأزهر المفتونين بالغرب، وكان يضم أيضاً طائفة من العلمانيين، والليبراليين والمساونيين أمثال يعقوب صروف، وشibli شميلي، وأنطوان فرح، وإدريس راغب وغيرهم، وكانت (مي) مغالبة في تحررها، وقد أثر محفلها على طبقة محصورة من الرجال والنساء الأوروبيين والمصريين، وبحمد الله لم يؤثر على أغلبية نساء

(457) نفس المصدر السابق، ص ١٦٧-١٦٨.

(458) نفس المصدر ، ص ١٤٦.

(459) نفسه، ص ١٦٧-١٦٨.

(460) نفسه، ص ١٦٨.

المجتمع المصري، وإن كان هذا المحفل أحد العوامل المساعدة في سير الحركة النسائية المصرية نحو التحرر^(٤٦١).

خامساً: جورجي زيدان

وهو لبناني نصراني، له روایات الإسلام التي خدعت كثيراً من الشباب والشابات، حيث اتبع في تأليفها الأسلوب القصصي الذي كان يغريهم بالقراءة، ثم يدس لهم سموماً كثيرة من شأنها أن تغير نظرتهم كمسلمين إلى زعماء الإسلام وأبطاله، وتجعلهم يحسون نحوهم بانتقاد شديد، يزيل من هيبيتهم، ويقلل من مكانتهم ويصورهم على أنهم كانوا يتصارعون على منصب أو جاه أو مال، وهذه هي الأهداف الخطيرة التي يستهدفها الكاتب أساساً، وإن أخفاها وراء مظاهر براقة من التصوير الفني والعاطفي، غايتها من ذلك تحفيز الأمة العربية وإبداء مسوئتها وتشويه التاريخ الإسلامي، اعتمدت عليه المخابرات الأجنبية، وكان عضواً في الجمعيات الماسونية في الشرق العربي، ورافق الحملة النيلية إلى السودان سنة ١٨٨٤، بصفة مترجم في قلم الاستخبارات، ثم عاد إلى بيروت فدرس فيها اللغتين العبرانية والسريانية، ورحل إلى لندن سنة ١٨٩٠، ثم رجع إلى مصر، فأنشأ مجلة الهلال، وكانت أغلب دراساته تاريخية، وقد خدم فيها الاستشراق والتغريب، أظهر الكراهية من السلطان عبد الحميد، والجامعة الإسلامية، ألف كتاب تاريخ الماسونية الذي ما زال أكبر مراجع الماسونيين، وقد كانت مهمة مجلة الهلال نقل مفاهيم الفلسفة الماسونية الملحدة الإباحية إلى أفق الفكر الإسلامي بذكاء ومكر شديدين^(٤٦٢).

ألف جورجي زيدان عدداً من القصص تحت اسم روایات الإسلام دسّ فيها كثيراً من الدسائس والمؤامرات والأهواء وحاول إفساد مفهوم الشخصية الإسلامية والبطولة الإسلامية، فأساء فيها إلى أعلام من الصحابة والخلفاء الراشدين، وأبطال المسلمين أمثال صلاح الدين الأيوبي، هارون الرشيد، السلطان عبد الحميد، المأمون وغيرهم، وقد أقام تصوره على أساس خطير:

أولاً: تصويره للخلفاء والصحابة والتابعين بصورة الوصوّلين الذين يريدون الوصول إلى الحكم بأي وسيلة، ولو كان على حساب الدين والخلق القويم، مع تجريحهم واتهام بعضهم بالحق وتدبير المؤامرات.

ثانياً: تزييف النصوص التي نقلها عن المؤرخين القدماء، وحولها عن هدفها تحويلًا أراد به السخرية والاستخفاف بال المسلمين، وبنى عليها قصصاً غرامية باطلة.

(461) الصحافة والأفلام المسمومة، أنور الجندي، ص ١٢٥، (عن رجال عرفتهم) عباس محمود العقاد، فصل (رجال حول مي)، والمؤامرة على المرأة المسلمة، د. السيد أحمد فرج، ص ٢١.

(462) انظر: إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، أنور الجندي، ص ١٦٩.

ثالثاً: حشد القصص الغرامية داخل روایات تاريخ الإسلام بهدف إثارة غريزة الشباب وتحريك شهوة المراهقين مع الاستشهاد بالأبيات الشعرية المكتشوفة الساقطة التي تحرك الغرائز الدينية.

رابعاً: تحريفه لمعظم الأحداث التاريخية في روایاته، فبنيت على أساس فاسد، حيث مزج فيها الحق بالباطل، وقدمه في أسلوب براق جذاب، اعتمد فيه على فن القصة والرواية، فلم يكن حريصاً على تحري الحقائق التاريخية بقدر حرصه على الحبكة القصصية، وابتداع الحوادث المثيرة وقد عمل جاهداً على طمس التاريخ الإسلامي وتشويه معالمه.^(٤٦٣)

خامساً: أعطى نفسه الحرية المطلقة في تفسير أحداث التاريخ في معظم روایاته استناداً إلى موقف الأديب من التاريخ وكانت تفسيراته متغيرة متكلفة في محاولة لإثارة مشاعر السخط في نفوس المسلمين^(٤٦٤).

ومن الأمثلة على ذلك:

١ - في روایة (عدراء قريش) أقام منطقه على تجريح الصحابة، واتهام بعضهم بالخذل وتدمير المؤامرات، واتهم السيدة عائشة بالميل إلى سفك الدماء والنزوح إلى الشر، ووصف الخليفة عثمان بأنه رجل إمّعة، وذليل ومستسلم لابن عمّه، وافتوى على عليّ بن أبي طالب وفسر الفتنة تفسيراً مغرياً، واتهم علياً بالتهاون في المطالبة بدم عثمان.

٢ - في روایات (شارل وعبد الرحمن) زعم أن القواد وأمراء الجند المسلمين كانوا مشغولين بحب فتيات النصارى، وقد فتنوا بجمالهن وإن هذا الحب قد صرفهم عن أمر الفتح، فتركوا جنودهم في ساحة القتال، وادعى أنهم كانوا يهتمون بالغنائم، أكثر من اهتمامهم بما عادها وجرى على تصوير حروب الإسلام على أنها حروب غنائم.

٣ - في روایة (فتاة القيروان) حاول التشكيك في أنساب الكثريين من حكام المسلمين، واعتمد في قصصه الغرامية على الخيال، إذ لا يوجد ذكر لكل هذه المواقف في جميع كتب التاريخ، ونسب الفضل لليهود في إزالة الدولة الأخشيدية، وإقامة دولة الفاطميين مقامها.

٤ - في روایة (صلاح الدين) تلفيق وتزوير وإفساد للمجتمع حيث يبين فيها أن صلاح الدين نقض العهد، ونسب له قصصاً غرامية كاذبة، بهدف السخرية والاستخفاف بال المسلمين.

(463) إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، أنور الجندي، ص ١٧٤-١٧٥.

(464) نفس المصدر، ص ١٧٤-١٧٥.

٥- في رواية شجرة الدر حاول أن يصور نساء السلطان الصالح نجم الدين أيوب بصورة النساء اللاتي يتاجرن بأعراضهن في سبيل الحصول على ما يتطلعن إليه، وليس معه أي دليل من التاريخ، وهذه الدعاوى التي أوردها حول شجرة الدر تختلف عن الحقائق الواردة في كتب التاريخ الأصلية^(٤٦٥).

(465) انظر: إعادة النظر، ص ١٧٦-١٧٨.

الفصل الثاني

أساليب الغزو الفكري للمرأة المسلمة

المبحث الأول: نظرة الغرب إلى المرأة المسلمة

المبحث الثاني: الجمعيات والاتحادات النسائية

المبحث الثالث: المؤتمرات الدولية والإقليمية والندوات

المبحث الرابع: وسائل الإعلام

المبحث الخامس: التعليم والمطبوعات

المبحث السادس: إثارة الشبهات حول قضايا المرأة

المبحث الأول

نظرة الغرب إلى المرأة المسلمة

سبق أن تحدثت الباحثة عن مكانة المرأة في الإسلام، وبينت كيف ارتفعت المرأة المسلمة إلى قمة العز والكرامة، وأن الإسلام يزيد المرأة تشريفاً وتكريماً وإحساناً، حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل التوصية بإكرامهن من أركان خطابه الجامع يوم الحج الأكبر، بينما المرأة الغربية ما زالت تقاسي صنوفاً من الذل والهوان، والظلم والحرمان، فهي مازالت محرومة من الميراث في كثير من البلدان، ومطالبة بكفالة نفسها متى بلغت سناً معيناً، لا حماية لعرضها إلا في سن القصور، ولا عقوبة على من يغير بها بعد ذلك أو يعتدي عليها، ليس لها أية حقوق إذا طلت، فضلاً عن مسؤوليتها في الإنفاق على أولادها مناصفةً مع مطلقها.

وعلى الرغم من دعوى تحرير المرأة في الغرب ومساوتها بالرجل، فإنها تحيى في كثير من الأحيان حياة البوس والشقاء، تعمل في المصانع والمؤسسات لكسب رزقها، وفي المراقص والحانات متاجرة بعرضها، وفي ميادين القتال تشارك في المعارك وتستغل في الترفية عن الجنود، وترتب على ذلك تفكك الأسرة، وزيادة الجرائم، وإدمان المخدرات، واغتصاب الأعراض، وشذوذ الجنس الذي سرى مجرى العرف العام، مما جعل بعض الدول الغربية تطالب بتطبيق بعض النظم الإسلامية كحل مشكلات المجتمع الغربي في الحياة الاجتماعية، فـإيطاليا - مهد الكاثوليكية - تبيح الطلاق خضوعاً لواقع ومجاراة لاحتياجات الإنسانية^(٤٦٦).

المطلب الأول: نظرة المنصفين من الغرب إلى المرأة المسلمة:

وكثر من عقلاً الغرب وقفوا موقف الإنصاف والتقدير من تعاليم الإسلام وتقاليده، فوضعوا الأمور في نصابها، وأعلنوا لبني قومهم ما في الإسلام من سمو وحكمة، وما في تعاليمه من تكريم وإعلاء ل شأن المرأة.

وكثر من إحصاءات وتقارير الهيئات الدولية جاءت مؤكدة لعظمة الإسلام، ومعلنة أن تقاليده في الأسرة كانت خيراً علاجاً للمشاكل المعقّدة التي عجز المجتمع الغربي عن حلها، مثل نقش الزنا في مختلف الأوساط، وارتفاع الزيادة في الأولاد غير الشرعيين، حتى بلغت نسبتهم في بعض البلاد الأمريكية مثل (بناما) خمسة وسبعين في المائة (٧٥٪) من جملة المواليد، أي أن ثلاثة من طريق الحرام من كل أربعة مواليد، وارفع نسبة لهؤلاء الأطفال غير الشرعيين موجودة في أمريكا اللاتينية.

(466) انظر: أهداف الأسرة المسلمة والتيارات المضادة، ص ١٥-١٦، ٣٧.

وجاء في النشرة الإحصائية لهيئة الأمم المتحدة لعام ١٩٥٩ م ما نصه: "إن البلدان الإسلامية محفوظة من هذا الوباء - وباء انتشار الفاحشة وكثرة أبناء الزنا - لأنها تتبع نظام تعدد الزوجات، وتثبت هذه النشرة أيضاً أن نسبة هؤلاء الأطفال أقل من واحد في المائة في جمهورية مصر العربية مع أنها أكثر البلدان الإسلامية تأثيراً بالحضارة الغربية" ^(٤٦٧).

والعالم الفرنسي المشهور (جوستاف ليبيون) يشيد بمزايـا تعدد الزوجات ويقول إنه أشرف من تعدد الزوجات الريـائي عند الأوروبيـين، ويعترـف بـسمـو مكانـة المرأة في الإسلام فيقول: "إن الإسلام قد أثر تأثيراً حسـناً في رفع مقـام المرأة أكثر بكـثير من قـوانـينـا الأورـبية، وخـير طـرـيقـة لنـقـدر التـأـثير الـذـي أحـدـثـه الإـسـلام فـي تـحـسـينـ حـالـ المرأةـ فـي الشـرقـ، أـنـ بـحـثـ عـماـ كـانـ عـلـيـهـ حـالـهـ قـبـلـ القرآنـ" ^(٤٦٨).

ويقول الفيلسوف الأيرلندي (برناردى) في المستقبل العاجـل: "عـندـماـ يـرـيدـ الرـجـالـ المـفـكـرونـ أـنـ يـلـجـأـواـ إـلـىـ دـيـنـ يـحـمـيـ الفـضـيـلـةـ وـيـقـيـ المـجـتمـعـ، وـيـكـونـ سـبـباـ لـلـحـيـاةـ السـعـيـدةـ فـيـ الـبـشـرـ، سـيـجـدـونـ إـلـىـ دـيـنـ الـوـحـيدـ الـذـيـ يـضـمـنـ لـهـمـ ذـلـكـ مـعـ التـقـدـمـ وـالـنـجـاحـ، إـنـ إـلـاسـلامـ هوـ دـيـنـ الـذـيـ تـجـدـ فـيـ حـسـنـاتـ الـأـدـيـانـ كـلـهـاـ، وـلـاـ تـجـدـ فـيـ الـأـدـيـانـ حـسـنـاتـهـ" ^(٤٦٩).

وتـتـمنـىـ الكـاتـبـةـ (مسـ إـنـيـ روـدـ) أـنـ تـكـوـنـ بـلـادـهـاـ مـثـلـ بـلـادـ الـمـسـلـمـينـ فـتـقـولـ: "أـلـاـ لـيـتـ بـلـادـنـاـ كـبـلـادـ الـمـسـلـمـينـ فـيـهـاـ الحـشـمـةـ وـالـوـقـارـ، وـفـيـهـاـ الـخـادـمـ وـالـرـقـيقـ يـنـعـمـانـ بـأـرـغـدـ الـعـيشـ، وـيـعـاملـانـ كـمـاـ يـعـاملـ أـوـلـادـ الـبـيـتـ، وـلـاـ تـمـسـ الـأـعـراـضـ بـسـوءـ. إـنـهـ لـعـارـ عـلـىـ بـلـادـ إـلـفـرنـجـ أـنـ تـجـعـلـ بـنـاتـهـاـ مـثـلـ لـلـرـذـائـلـ، بـكـثـرـةـ مـخـالـطـةـ الـرـجـالـ وـمـاـ بـالـنـاـ لـاـ نـسـعـيـ وـرـاءـ مـاـ يـجـعـلـ الـبـنـتـ تـعـمـلـ بـمـاـ يـوـافـقـ فـطـرـتـهـاـ الطـبـيـعـيـةـ مـنـ الـقـيـامـ فـيـ الـبـيـتـ، وـتـرـكـ أـعـمـالـ الـرـجـالـ سـلـامـةـ لـشـرفـهـاـ" ^(٤٧٠).

المطلب الثاني: نظرـةـ الـحـاقـدـينـ مـنـ الـغـربـ لـلـمـرـأـةـ الـمـسـلـمـةـ:

ورغم قول المنصفين من الغـربـ فيـ الـمـرـأـةـ الـمـسـلـمـةـ وـمـدـحـ تـعـالـيمـ إـلـاسـلامـ الـذـيـ كـرـمـ الـمـرـأـةـ، إـلـاـ أـنـ هـنـاكـ تعـصـبـاـ وـحـقـداـ دـفـيـنـاـ مـنـ بـعـضـ الـكـتـابـ الـغـرـبـيـيـنـ جـعـلـهـمـ يـقـوـنـ مـنـ إـلـاسـلامـ مـوـقـفـ التـحدـيـ وـالـعـدـاءـ، خـاصـةـ فـيـمـاـ يـتـعـلـقـ بـنـظـامـهـ الـاجـتمـاعـيـ، وـمـاـ يـتـصلـ بـذـلـكـ مـنـ أـوـضـاعـ الـأـسـرـةـ الـمـسـلـمـةـ" ^(٤٧١).

لـقـدـ بـلـغـ الـحـقـدـ بـالـدـوقـ (دارـكورـ الـفـرـنـسـيـ) أـنـ بـعـدـ زـيـارـتـهـ لـمـصـرـ عـامـ ١٨٩٤ـ اـنـتـقدـ نـظـامـ الـأـسـرـةـ الـمـسـلـمـةـ، وـصـورـ الـمـرـأـةـ الـمـسـلـمـةـ بـعـيـدةـ عـنـ الـوـاقـعـ حـيـثـ قـالـ: "لـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـجـدـ النـاسـ

(467) الإسلام يتحدى، وحـيدـ الدـيـنـ خـانـ، دـارـ الـبـحـوثـ الـعـلـمـيـةـ، طـ٣ـ، ١٩٧٩ـ، صـ ١٦٩ـ ١٧١ـ.

(468) أـهـدـافـ الـأـسـرـةـ وـالـتـيـارـاتـ الـمـضـادـةـ، صـ ٣٧ـ ٣٨ـ، عـنـ إـلـاسـلامـ وـالـحـضـارـةـ الـعـرـبـيـةـ، مـحـمـدـ كـرـدـ.

(469) نفسـ المـصـدـرـ السـابـقـ عـنـ مـجـلـةـ الـوـعـيـ، عـدـ يـونـيـةـ ١٩٦٩ـ، مـنـ مـقـالـ "عـالـمـيـةـ إـلـاسـلامـ" لـأـنـورـ الـجـنـديـ.

(470) نفسـ المـصـدـرـ السـابـقـ، صـ ٣٨ـ ٣٩ـ .

(471) انـظـرـ: أـهـدـافـ الـأـسـرـةـ وـالـتـيـارـاتـ الـمـضـادـةـ، صـ ٣٩ـ ٤٠ـ .

طريقة أشنع ولا أفعع لتعذيب المجرمين من الحكم عليهم بان يعيشوا عيشة النساء المصريات^(٤٧٢). فوجه الحاقدون من أعداء الإسلام سهامهم ضد الأسرة المسلمة التي مازالت تحفظ بكيانها رغم الضربات التي وجهت لل المسلمين، والماسي والنكسات التي حلت بهم لأن معنى ذلك في نظرهم هو أن النواة الأصلية للمجتمع الإسلامي مازالت بعيدة عن سهامهم، آمنة من غزوهم الأمر الذي أفلق بالهم وأقض مضاجعهم وحملهم على تعبئة الجهود للنيل منها والقضاء عليها، فوقفوا موقف المتربص من الأسرة المسلمة، فبدأوا بالهجوم على المرأة المسلمة بآرائهم وأقوالهم المغرضة^(٤٧٣): ومنها:

١- زعم الغرب أن المرأة المسلمة تأتي في مرتبة أدنى من تلك التي يتمتع بها الرجل الشرقي، وأنها لا تتمتع بالحقوق والامتيازات التي يتمتع بها الرجل كالتعليم والعمل والميراث والملكية والسفر .^(٤٧٤)

فهذه الصحفية (باربرا كروست) التي تعمل في صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية تقول: "المرأة المسلمة محرومة من التعليم والملكية والميراث والعمل وأضافت نقول إن المرأة المسلمة تطلق دون سابق إنذار من قبل زوجها الذي يأخذ منها أطفالها ويحرمها من حقها في السفر، ويتركها كالماشية ليتزوجها أحد أقاربه"

فهذه الأقوال تؤكّد على أنّهم يخلطون بين العادات والتقاليد وواقع المجتمعات الإسلامية التي لا يلتزم فيها الرجل بتعاليم الإسلام وأنظمته من ناحية، والقيم الدينية من ناحية أخرى ويلقون اللوم على الإسلام الذي صان الحقوق كاملة فالعيب فيمن يحمل اسم الإسلام ولا يطبقه، وليس العيب في الإسلام، وبالتالي سرعان ما تتغيّر هذه النّظرة لدى الشعوب الغربية عند رؤيتها مثلاً حيّاً لامرأة مسلمة تتمتع بكافة الحقوق والامتيازات التي يُظنّ أنها محرومة منها. (٤٧٥)

٢- زعم بعض الرحالة الغربيين أن الحرير هو ذلك الجزء المنعزل من البيت، حيث لا يسمح للرجال الأغراب بالدخول وقد ذكر بعض الرحالة بأن النساء المحجبات هن بالضرورة

⁴⁷²⁾ أهداف الأسرة والتغيرات المعادية، ص ٣٩ - ٤٠.

^{٥٢} (473) انظر : نفس المصدر السابق، ص ٥٢.

(474) انظر: المرأة الفلسطينية إلى أين، يوم دراسي، دائرة العمل النسائي، حزب الخلاص الوطني الإسلامي، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، الكلمة بعنوان المرأة الفلسطينية في منظور الغرب، آسيا عبد الهادي، ص ٩.

(475) المصدر السابق، ص ٩.

أشد اضطهاداً وسلبيةً وجهاً من السافرات" ومنهم من قال أن "نساء الشرق أشبه بالسجينات قياساً بما تتمتع به النساء في أوروبا من تحرر كامل"^(٤٧٦).

ويررون أن السبب الأوحد لاضطهاد النساء المسلمات هو دينهن، وأن النساء المسلمات يعانين من الاضطهاد ما لا يعانيه غيرهن من النساء.

ويرد عليهم ويدحض قولهم ما رواه أحد المراسلين لصحيفة الغارديان البريطانية عندما قام بتحقيق عن حالة تلمذتين في [أولترنفشم] ارتدىا غطاء الرأس، فطلب مقابلة والدهما لاقتناعه أن الإسلام دين يهيمن فيه الرجال، وأن النساء كائنات سلبية لا حول لها ولا قوة، غير أن إحدى الفتاتين قالت له: إن والدها مشغول، وعرضت عليه أن تساعدته هي بنفسها ويقول هذا المراسل "ومن ثم فقد ساعدتني فاطمة طوال أربعين دقيقة كاملة مع أنها لم تتجاوز الخامسة عشرة من عمرها، فإن طلاقتها وثقتها بنفسها لو وجدتا لدى شخص في ضعف سنها لكانتا لافتتين للانتباه، فهي سيدة نفسها وتعرف ما تريده"^(٤٧٧)

٣ - جاء في تقرير قدمه أحد الباحثين الغربيين إلى مؤتمر بعنوان (الإسلام كأدلة لاستبعاد المرأة) ما نصه:

"إن مخلفات الدين الإسلامي التي تتطوي على السلوك الإقطاعي تجاه المرأة لا تزال باقية في بعض الجهات، وتتمثل بصورة رئيسية في عدم تعين اشتراك النساء في الحياة الاجتماعية والسياسية، وفي تعدد الزوجات، ومهر العروس، وهي تقاليد تتناقض مع مذهبنا"، ثم يتابع في تقريره فيقول: "ولهذا من الضروري أن نخوض كفاحاً مجرداً من كل رحمة أو تسامح ضد جميع هذه المخلفات، ليس فقط عن طريق توقيع العقوبات الصارمة وفقاً للقانون، بل والقيام في كل مناسبة بخلق رأي عام ساخط يندد بأولئك الذين يتمسكون بهذه العادات والتقاليد الضارة"^(٤٧٨)

يتضح من مزاعمه الباطلة على المرأة المسلمة أن الإسلام يستبعد المرأة ويعذبها وأنها متختلفة باتباعها تعاليم الدين الإسلامي، التي صورها أنها مخلفات الدين. فأمنية الغرب هي إخراج المرأة من بيتها وعفتها وإعادتها عن رسالتها الفطرية، ومن ثم هدم الأسرة المسلمة، فبهمها يهدمون الإسلام، وليس عرضهم هو الشفقة والرحمة للمرأة المسلمة. يقول طلعت باشا حرب: "إن رفع الحجاب أمنية تتمناها أوروبا من قديم الزمان لغاية" في النفس

(476) مقال بعنوان: تصورات الرحلات الغربية عن النساء في الشرق الأوسط، بقلم: جودي مابرووا من موقع إسلام أون لاين، ص ٢ / ١، www.islam-online.com

(477) نفس المصدر السابق، ص ٣.

(478) أهداف الأسرة في الإسلام والتغيرات المضادة، ص ٥٣.

يدركها من وقف على مقاصد أوروبا بالعالم الإسلامي^(٤٧٩) ويقول أيضاً: "إن إرادة الوصول إلى تغيير حال المرأة المسلمة شيء كامن في نفوس الفرنج، لذلك كانوا يطالبون به كل من حادثهم من أدباء الشرق وعلمائه، حتى أنه نرى الواحد منهم متى نظرته مشفقاً على المرأة المسلمة إشفاقاً غريباً، ويرثى لحالها، ويصور عنه من الأقوال ما يدل على جهله بحالة المرأة وحقوقها في الإسلام"^(٤٨٠)

٤ - زعم الغرب أن حجاب المرأة وعدم احتلاطها بالرجال يعود إلى عدم ثقة الرجل بالمرأة وخوفه منها، الأمر الذي جعلهم يرون أن المرأة مظلومة قد ظلمها الرجل عندما فرض عليها الحجاب وحرمها من إنسانيتها ويعتبرون محافظه المرأة على حشمتها مثلاً للرجعية والتخلف. ولكن الغرب يتناسى قصداً أن الرجل ليس هو الذي فرض الحجاب على المرأة، فترفع المرأة قضيتها ضده، لتتخلص من الظلم الذي أوقعه عليها، وإنما الله سبحانه أمرها به صوناً لعفتها وكرامتها وأن التبرج والسفور والاحتلاط بالرجال هو الذي يكون دافعاً لغيره الرجل عليها فتعدم الثقة بينها وبينه.^(٤٨١)

٥ - يدعى الغرب أن سفور المرأة واحتلاطها وخروجها يكسر شهوة الرجل نحو المرأة، وشهوة المرأة نحو الرجل، ويخفف من النتائج المترتبة على مخالفة ما يدعو إليه الإسلام من وجوب الحجاب ومنع الاحتكاك، واختصار كل من الجنسين على عالمه الخاص ووظائفه الخاصة دون جور أو حيف أو هضم حق.

فهم يجاجوننا بتلك الحجة الداحضة في نظر الإسلام، وكانوا يباهون بتحضرهم وتقديمهم وإدراكيهم لوجوب التطور ومسيرة الأمم المتحضرة^(٤٨٢).

٦ - ينتقد العديد من الكتبة والصحفيين الغربيين الفصل بين الذكور والإناث في عدد من الجامعات الفلسطينية، حيث تقول جيرالدين بروكس الأمريكية في كتابها (العالم المخفي للمرأة المسلمة) الذي صدر في عام ١٩٩٣م "الانتقال من جامعة بيروت العربية إلى بوابة الجامعة الإسلامية بغزة كالسفر إلى الوراء، وفي الحقيقة إنَّ حرم الجامعة الإسلامية هو الذي يعطي نظرة دقيقة للمستقبل، بينما يزيد نفوذ الجامعات الإسلامية".^(٤٨٣)

(479) أهداف الأسرة، ص ١٠، عن تربية المرأة والحجاب، محمد طلعت حرب، ص ٣-٥.

(480) المصدر السابق، ص ١٠.

(481) انظر: المرأة بين التغريب والتحرر، مقال: د. نهى قاطرنجي، www.khayma.com

(482) انظر: المرأة بين نظرتين، صالح محمد جمال، رابطة العالم الإسلامي ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ص ٧١.

(483) ورقة عمل (المرأة الفلسطينية في منظور الغرب)، آسيا عبد الهادي، مقدم لمؤتمر لحزب الخلاص،

دائرة العمل النسائي، ص ١١

وتشير بروكس إلى أن النساء في إيران يتمتعن بوضع أكثر مرونة إزاء التعليم المختلط وتقول: "الزهراء إينة الخميني علّمت الفلسفة للذكور والإناث في جامعة طهران" وتقارن بروكس بين الجامعة الإسلامية وجامعة بيرزيت وتصف بيرزيت على أنها الأكثر تحرراً وعلمانيةً حيث لا يتمتع المسلمين بنفوذ قوى، غير أنه بدأ يلاحظ ...^(٤٨٤).

ولم يعجب هذه الكاتبة الفصل بين الذكور والإناث فتقول: "كنت أأمل أن أجده شيئاً مختلفاً في جامعة غزة، ربما بروز المساواة بين الرجل والمرأة في الإسلام، فقد اعتبر الفلسطينيون دائماً أكثر الشعوب تقدمية فيما يتعلق بقضايا المرأة، واعتقدت أن الإسلام المتشدد من الممكن أن ينتج شيئاً أكثر متعة، إن فكرة الفصل بين الطلبة والطالبات في الدراسة الجامعية لم يكن على الإطلاق جزءاً من الثقافة الفلسطينية، وإنما استورد من السعودية".^(٤٨٥)

يتضح أن بروكس تدعو إلى التعليم المختلط، تحقيقاً لرغبة الأعداء من الغرب، واليهود لجر المجتمع الإسلامي إلى التحلل والفساد. ويقال في الرد عليها إن فكرة الاختلاط ليس لها علاقة بأي ثقافة إسلامية بل هي مستوردة من الغرب حيث تنتشر الإباحية، وحالات الحمل في المدارس والجامعات.

يقول د.مور بيرغر وهو يهودي في كتابه العالم العربي اليوم: "إن المرأة المسلمة هي أقدر فئات المجتمع الإسلامي على جره إلى التحلل والفساد أو إلى حظيرة الدين من جديد"^(٤٨٦) ويقول القس الأمريكي زويمر "فحن عرفنا أن الثغرة تقع في قلوب نساء المسلمين فالنساء هن اللواتي يصنعن أولاً المسلمين".^(٤٨٧) ولهذا أخذ المبشرون يأتون بالنساء المبشرات ليتصلن بالنساء المسلمات وهم يصيرون: "لقد ساحت لنا فرصة جديدة".^(٤٨٨)

ومن أقوال الغربيين عن المرأة: "كأس وغانيه تعلن في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع، فأغرقوها في حب المادة والشهوات".^(٤٨٩)

هذه الأقوال مجتمعة للغربيين تؤكد أن المرأة المسلمة مستهدفة في دينها وقيمها ومغرر بها لتقبل بعض أنماط من السلوك والأوضاع الغربية المتناقضة مع الفطرة السوية

(484) المرجع السابق، ص ١١ .

(485) نفس المرجع السابق، ص ١١ .

(486) جاهلية القرن العشرين، محمد قطب، ص ٢٧٧ .

(487) التبشير والاستعمار، ص ٣٠ .

(488) نفس المصدر السابق، ص ٣٠ .

(489) المرأة والمكاييد الغربية، د. صالح الرقب، موقع صيد الخاطر، وانظر: المؤامرة على المرأة، طالب علم، موقع صيد الخاطر، ص ٣ .

والمناقضة لقيم الإسلام، والمخالفة لشريعة الله، لذا فهي في نظر الغرب توصف بالتطرف والجمود والرجعية إذا التزمت بدينها مظهراً ومحبراً، فهي متطرفة في زيها الواسع الفضفاض، ومتطرفة في رفضها الاختلاط والتبرج والسفور ومتعصبة في دفاعها عن قضايا المسلمين، ومتزمنة في حرصها على تقين أولادها مفاهيم الإسلام بينما يكون النموذج الغربي هو الاعتدال المقبول الذي يجب على نسائنا الالتزام به، ولذا فعلى المرأة المسلمة أن تحذر من هذه الخداعات والأوهام، ولتعلم جيداً أن هذا هو الاستعمار الفكري بعينه، ي يريد أن يصنع في بلاد المسلمين أجياً بعيدة عن هدي الإسلام وأخلاقه الفاضلة لتضع المرأة حبلها على غاربها، حتى تثبت وجودها وتبرز كالرجل وما يدعو للأسف أن الغزو الفكري قد نجح في إدخال المرأة كسلاح رهيب في معركته ضد الإسلام، لذا جاءت أجيال توجه ولاءها للغرب والشرق، ولا تحمل من الإسلام إلا اسمه، ولا تصرف همها إلا في الشهوات^(٤٩٠).

يقول القس زويمر: " جاء النساء الإسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار، لا يهتم بعظام الأمور، ويحب الراحة ولا يصرف همه في دنيا إلا في الشهوات"^(٤٩١)

ولتعلم المرأة المسلمة أنها تتحمل جزءاً كبيراً في إيجاد جيل مؤمن بعقيدته قوي في أخلاقه، كما أنها تتحمل المسئولية في إخراج جيل بعيد عن هدى الله وأخلاق الفاضلة، طبقاً لما يريد الغرب الكافر منها.

(490) انظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، د. يوسف القرضاوي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦، ص ٥٦.

(491) الداعية زينب الغزالى، إعداد ابن الهاشمى، تصدر: محمد الغزالى، دار الاعتصام، القاهرة، ١٤٠٩هـ، ص ٥٨-٥٩.

المبحث الثاني

الجمعيات والاتحادات النسائية

من أساليب الغزو الفكري للمرأة المسلمة، إنشاء التنظيمات والجمعيات والاتحادات النسائية والتي انتشرت في طول بلاد المسلمين وعرضها، وذلك بمساعدة الاحتلال الأجنبي الذي أيدهم، ودعمهم مادياً وسياسياً في جميع الدول التي احتلها عسكرياً أو لم يحتلها ولكن دخلها بالغزو الفكري والثقافي، فمن هذه الجمعيات ما هي تصيرية، هدفها إخراج المرأة من دينها أو تصيرها، وتم الإشارة إليها في الفصل الأول عند الحديث عن علاقة التبشير بالغزو الفكري، ومنها ما هي علمانية، ومنها ما هي شيوعية أو يسارية.

المطلب الأول: نشأة الاتحادات النسائية العربية:

بدأت هذه الاتحادات والجمعيات نشاطها في مصر، عندما سافرت هدى شعراوي إلى روما لحضور المؤتمر الدولي الخاص بالمرأة، والذي عقد عام ١٩٢٣م، وبعد عودتها من المؤتمر، ترعمت الحركة النسائية في مصر، ودعت إلى تحرير المرأة، ثم أُسست الاتحاد النسائي العربي الأول سنة ١٩٢٤م في مصر، وعقد المؤتمر الأول لها هذا الاتحاد، حيث دُعي إليه كبار نساء البلد، ولأهمية هذا المؤتمر لدى الدوائر الأجنبية حضرته د. ريد رئيسة الاتحاد النسائي الدولي، وأرسلت زوجة (روزفلت) رئيس الولايات المتحدة برقيه للمؤتمر تشجع أعضاءه على خطى شقيقاتها في العالم، ومن أهم القرارات التي صدرت عن هذا المؤتمر: المطالبة بحذف نون النسوة وتاء التأنيث الساكنة من المجمع اللغوي، ثم قامت بعد ذلك (درية شفيق) بإنشاء حزب النيل، الذي تلقى الدعم أيضاً من الخارج، ثم توالى الأحزاب بعد ذلك في مصر، حتى أن (هدى شعراوي) أُسست وحدتها أكثر من خمس وعشرين جمعية نسائية.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر خفت الحركات النسائية في البداية، ثم عادت للظهور في نهاية الستينات والسبعينات الميلادية، لتشمل أكثر البلاد الإسلامية، وانتشرت مئات الجمعيات النسائية الداعية لتحرير المرأة في جميع المدن والقرى، لتمارس نشاطها المدعوم من هيئات دولية وإقليمية^(٤٩٢).

(٤٩٢) انظر: المؤامرة على المرأة المسلمة، طالب علم موقع صيد الخاطر، ص ٣٥-٣٦، وانظر: حقوق المرأة في ظل المتغيرات المعاصرة، مكتبة صيد الفوائد، ص ١٠.

ثم أنشئت فروع عن الاتحاد النسائي تشمل جميع الدول العربية والإسلامية، وهذه الاتحادات النسائية تضم في عضويتها كثيراً من الجمعيات النسائية، أي أن الجمعيات النسائية كلها منظمة من خلال الاتحاد النسائي العام في الدولة.

وتأسس أول اتحاد نسائي في القدس سنة ١٩٢٩م، وأول اتحاد نسائي في رام الله سنة ١٩٣٩م وفي بيت لحم سنة ١٩٤٧ وفي نابلس ١٩٥٥، وفي غزة سنة ١٩٦٤، وتأسس أول اتحاد نسائي في الإمارات سنة ١٩٧٥، وفي الكويت أول اتحاد نسائي تأسس سنة ١٩٩٤.

وقد تبين أن أخطبوط الاتحاد النسائي الدولي أو العالمي الذي تترأسه (ريد) زحف إلى البلاد العربية حتى أصبح يوجد في كل بلد عربي اتحاد نسائي، وفي كل المناطق فروع لهذا الاتحاد اليساري الأصل والنشأة، والذي يهدف إلى تغريب المرأة المسلمة.

وعندما يعقد مؤتمر عالمي خاص بالمرأة يرسل إليه وفد من الاتحاد النسائي لكل دولة، وهذا الوفد يضم ممثلات عن الجمعيات النسائية في الدول المشاركة في المؤتمر، فمثلاً في مؤتمر المكسيك العالمي أرسلت فاطمة بنت المبارك زعيمة أكبر حركة نسائية في دول الخليج ومؤسسة الاتحاد النسائي العام لدولة الإمارات سنة ١٩٧٥م وفداً من الاتحاد النسائي، وهذا الوفد ضم خمس جمعيات نسائية هي:

١. جمعية النهضة النسائية في دبي، وقد تأسست عام ١٩٧٣م.
٢. جمعية نهضة المرأة الطيبانية في أبو ظبي، وقد تأسست عام ١٩٧٣م.
٣. جمعية الاتحاد النسائية في الشارقة، وقد تأسست عام ١٩٧٣م.
٤. جمعية النهضة النسائية في أم القيوين، وقد تأسست عام ١٩٧٣م.
٥. جمعية نهضة المرأة النسائية رأس الخيمة، تأسست سنة ١٩٧٤.

وهكذا يكون وفد كل دولة عند حضور المؤتمرات النسائية العالمية^(٤٩٣).

وهذه الجمعيات والاتحادات النسائية في كل البلاد العربية والإسلامية ظاهرها نشر الوعي الثقافي، والإصلاح، وتقديم المساعدات، وتعليم المرأة بعض المهن، كالشك، والتطريز والخياطة، والضرب على الآلة الطابعة واستخدام الحاسوب وغير ذلك، ولكن باطنها سم زعاف، فتعلّم المرأة الأفكار والقيم الغربية، التي تتقنها من فكرها الإسلامي المستمد من الكتاب والسنة إلى الفكر العلماني المستمد من الغرب الكافر^(٤٩٤)، ولأن المجال لا يتسع

(493) انظر: موقع الأمير زايد www.uaezyed.com

(494) انظر: أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة، د. بشر بن فهد البشر، ص ٥٦

للتفصيل عن كل المؤسسات والجمعيات في البلاد الإسلامية والعربية ستكتفي الباحثة بالحديث عن الجمعيات والاتحادات الفلسطينية.

المطلب الثاني: الجمعيات والاتحادات النسائية الفلسطينية:

يتمثل النشاط الأهلي للنساء في قطاع غزة والضفة في أنماط متعددة من أقدمها وأكثرها شيوعاً، الجمعيات الأهلية النسائية: وهي الجمعيات التي ترتبط عادة بوجوه البر والإحسان والخدمات الاجتماعية، والدعوة إلى إصلاح العادات والتقاليد، ومعالجة المشكلات النسائية، ومن خلال ذلك تبث أفكارها الغربية على التصور الإسلامي، ومبادئها العلمانية.

وهناك جمعيات واتحادات نسائية مرتبطة بأحزاب في السلطة أو خارجها، فإن كانت هذه الأحزاب خارج السلطة، فإنها ترتبط بالحركة الوطنية، وترتبط نظرتها للمرأة بموقفها الأيديولوجي، أما تلك المنظمات التابعة لأحزاب السلطة فهي تتحرك في إطار الحزب^(٤٩٥).

لقد بدأت التنظيمات النسائية في فلسطين بعدد من الجمعيات الأهلية التي تقدم خدمات متنوعة للجمهور النسائي، بالإضافة إلى الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، الذي نشا عام ١٩٦٤م، كأحد القواعد الشعبية لمنظمة التحرير الفلسطينية، ونشأ بمبادرة النساء أنفسهن، ويقرع عنه لجان اتحاد المرأة للعمل الاجتماعي، حيث انتشرت اللجان في جميع أنحاء الضفة الغربية وقطاع غزة، تحت شعار (نحو حركة نسائية موحدة) وهو يضم اتحادات الجمعيات الخيرية في الضفة والقطاع، وقد بلغ عدد العضوات في اتحاد لجان العمل النسائي في أحد المؤتمرات (٢٥٠٠ سيدة) موزعات على أربعين لجنة تنتشر في القرى والمخيمات والأحياء الشعبية، وكذلك ظهر عدد من الجمعيات النسوية الجماهيرية المرتبطة عضوياً بالأحزاب السياسية وفي إبان الانقسام ظهر عدد من المراكز النسوية المتخصصة، وتتوزع تلك الجمعيات في المدن وبدرجة أقل في القرى، ويدبرها عادة مجالس إدارة منتخبة من جمعيات عمومية، تشمل أعضاء وعضوات الجمعية، ورسمياً هذه الجمعيات مسجلة، ولها صفة قانونية حسب قانون الجمعيات، وتتبع لوزارة الشئون الاجتماعية منذ عام ١٩٩٤م^(٤٩٦).

(495) ورقة عمل حول دور المرأة الفلسطينية في الهيئات والمنظمات غير الحكومية، الهيئة الفلسطينية لحماية حقوق اللاجئين. www.pnic.gov.ps

(496) انظر: المرأة والسياسة، د. إصلاح جاد، موقع مركز المعلومات الوطني الفلسطيني www.pnic.gov.ps/arabic/map

قائمة بأسماء بعض الجمعيات والاتحادات النسائية في الضفة والقطاع^(٤٩٧):

١. جمعية الاتحاد النسائي في القدس تأسست سنة ١٩٢٩م، وكانت أول نواة لتجتمع نسائي في فلسطين، والعمل على رفع شأن المرأة الفلسطينية ولها فروع في بيت لحم وبيت ساحور، ورام الله، ونابلس، والبيرة، وطولكرم، وغزة، وخانيونس ورفح.
٢. جمعية الهلال الأحمر، القدس، لتنظيم وحماية الأسرة: أنشئت سنة ١٩٦٤م ثم أصبح لها فروع في جنين وعرابة ونابلس وغزة.
٣. جمعية السيدات العربية: القدس تأسست سنة ١٩٢٩م في وادي الجوز، ولها فروع في بيت لحم، وبيت صفافا، وجفنا، وبيرزيت، وحلحول، والعروب، والخليل.
٤. جمعية النهضة النسائية في رام الله وهي أول جمعية نسائية في الضفة أنشئت عام ١٩٢٥م.
٥. الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية تأسس عام ١٩٦٥م في غزة.
٦. جمعية اتحاد الكنائس تأسست عام ١٩٥٢م في غزة.
٧. اتحاد لجان المرأة الفلسطينية ١٩٨١م، واتحاد نضال المرأة ١٩٨٤م في خانيونس.
٨. اتحاد لجان المرأة العاملة تأسس سنة ١٩٨١م واتحاد لجان كفاح المرأة تأسس سنة ١٩٨٧م في غزة.
٩. مركز شئون الأسرة وقد تأسس سنة ١٩٩١م، وطاقم شئون الأسرة تأسس سنة ١٩٩٢م.
١٠. مؤسسة البيت الصامد تأسس سنة ١٩٨٩م.
١١. مؤسسة مشرقيات سنة ١٩٩٨م.
١٢. جمعية سنابل النسائية للعمل النسائي تأسست سنة ٢٠٠٢م في دير البلح.
١٣. جمعية أميرة لتعليم وتطوير المرأة الفلسطينية تأسست سنة ١٩٩٧م في خانيونس.

أنشطة الجمعيات النسائية العلمانية واليسارية:

(497) انظر: كتاب اتحاد الجمعيات الخيرية نشاطات وخدمات الجمعيات الخيرية في محافظة القدس لعام ١٩٨٥م، إشراف يوسف البكري، دائرة الأبحاث والدراسات، وانظر: المنظمات غير الحكومية، موقع مركز المعلومات الوطني الفلسطيني.

لقد قامت هذه الجمعيات بعدة أنشطة تهدف إلى إفساد المرأة المسلمة وتغريبيها عن قضيائها، وإبعادها عن رسالتها الفطرية ومن ذلك:

١. الدعوة إلى السفور والتبرج والاختلاط، اقتداءً بهدى شعراوي، لجعل المرأة صورة مشابهة للمرأة الغربية، حيث تتلقى هذه الجمعيات الدعم المادي من المؤسسات الأجنبية مثل (اليونيسيف)، ومؤسسة (تمكين) وغيرها من المؤسسات التي سبق ذكرها، وهذه المؤسسات لا تدعم إلا المشاريع التي تنفذ برامجها التي تدعو إلى الاختلاط كالمخيمات المختلطة مثلاً، والسفور، وترفض الدعم عن أي مؤسسة إسلامية.

وكتاب (اتحاد الجمعيات الخيرية) في محافظة القدس يعرض صوراً كثيرة لبعض أنشطة الاتحاد والجمعيات الخيرية التي تبدو فيها المرأة سافرة، تجلس بجانب الرجل دون حياء، مكشوفة الذراعين والساقين.

٢. فتح باب المشاركة للمرأة المسلمة في المؤتمرات العالمية النسائية والإقليمية التي تحطم الحواجز الأخلاقية، وتعارض القيم الدينية، وتنشر الإباحية باسم الحرية، حيث يتم تشكيل لجنة تحضيرية للمؤتمرات العالمية من كل دولة لتشارك فيها.

٣. عقد المؤتمرات والندوات وورشات العمل تتفيداً لقرارات و الوثائق التي تصدرها الأمم المتحدة في مؤتمراتها، وأهم هذه المؤتمرات مؤتمر عقد في المغرب بمناسبة مرور مائة عام على قضية تحرير المرأة، حيث نوقش فيه أكثر من مائتي بند، على مدار ستين جلسة، وكان المؤتمر يدور حول أن الدين ومبادئ الإسلام التي تتمسك بها المجتمعات الدينية تقييد حرية المرأة، ودعوا إلى التمسك بقوانين الأمم المتحدة.

ومؤتمر القمة النسائية الأول الذي عقد في القاهرة سنة ٢٠٠١م، ولا تزال المؤتمرات تقام سنوياً، تحت رعاية زوجات ورؤساء حكومات الدول العربية وبتخطيط من الجمعيات ولجان الاتحادات النسائية، وذلك لأهمية المؤتمرات ولضمان تفزيذ قراراتها^(٤٩٨).

٤. المطالبة بتغيير قانون الأحوال الشخصية، وسن قوانين جديدة لا تعيق تقديم المرأة كما في الأحكام الشرعية في نظرهم، ظهر للوجود مشروع (البرلمان الصوري) بعد (اتفاقية أوسلو) ثم تلاها مشروع (قانون العقوبات) التي تسعى الآن بعض المؤسسات لتنفيذها على الواقع.

(498) انظر: المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٣٧-٣٨

وقد كان لهذه المنظمات والجمعيات غير الحكومية دورها في كل ما أنجز من مواثيق دولية، كما كان لها دور أيضاً في السعي للتغيير القوانين المحلية، فاتفاقية القضاء على صور التمييز ضد المرأة التي صادق عليها لبنان وقعت نتيجة جهود هذه الجمعيات، كما أن قانون الزواج المدني الاختياري الذي وقع عليه عشرة نواب منذ فترة عرض أيضاً بجهود هذه الهيئات والجمعيات النسائية.

وتتركز الجمعيات على تغيير القوانين المحلية حتى لو كان هذا التغيير لا يتحقق مع القيم والأخلاق والأعراف السائدة في المجتمعات.

تقول السيدة الغربية (لورمغيلز): "لا يكفي تعديل النصوص القانونية لرفع التمييز ضد المرأة، لا بد من استحداث نصوص تحظر التمييز تحت طائلة عقوبات رادعة فتساهم في تغيير الذهنيات، بما للقانون من تأثير جازم في هذا الأمر، كما لا بد من تدابير أخرى تربوية وسياسية واجتماعية واقتصادية وغير ذلك تجعل من النصوص القانونية ليس مساواة شكلية، بل واقعاً معاشاً تقييد منه، ليس قلة معينة من النساء، بل النساء جميعهن ولا سيما النساء الأشد حاجة".^(٤٩٩)

٥. تقديم الخدمات الصحية والاجتماعية والإنتاجية لفئات مختلفة مثل ذوي الاحتياجات الخاصة من الأيتام والأرامل والفقراء، وأبناء الشهداء والمعتقلين، بهدف جذب المرأة، وكسب أعضاء جدد للجمعية، حتى أصبح التردد على هذه الجمعيات من أجل كسب

منفعة مادية، ومن خلال تقديم هذه الخدمات، تقدم لهم النشرات، وتعرض عليهم أنشطة الجمعية، ويُعلن عن ندوات خاصة، تبث فيها أفكارهم تبدأ بالوعي الصحي والغذائي والتربوي ثم يكون الوعي القانوني والنسوي لتنظيم كوادر قيادية نسائية^(٥٠٠).

٦. إنشاء النوادي المختلفة، وتنظيم الرحلات والمخيمات المختلفة بين الذكور والإناث، مثل: نادي الشباب والرياضة والذي أسس سنة ١٩٩٥م وهو يقدم الدعم للنشاطات التي يخالط بها الذكور والإناث.

٧. إنشاء مراكز للدراسات والابحاث، حيث تطرح في هذه الدراسات والابحاث القضايا الاجتماعية، كالزواج المبكر والطلاق، ومشكلات عمل المرأة وسبل حلها مثل مركز الدراسات النسوية في غزة، ومركز شؤون المرأة سنة ١٩٩١م في غزة، ومركز

(499) المرأة في الاتفاقيات الدولية، د. نهى قاطرجي، www.saad.net/daeyat/nohakatergi/3.htm

(500) انظر: المرأة المسلمة والسياسة، إصلاح جاد، موقع مركز المعلومات الوطني.

بيسان للبحوث والإنماء في رام الله، ومركز القدس للنساء، ومركز المرأة للإرشاد، القانوني والاجتماعي في غزة، وأهم أهداف هذه المراكز:

- تقديم رؤية بديلة عن دور المرأة في المجتمع الفلسطيني وتوضيح دورها الفاعل والمبدع في عملية التنمية والتغيير الاجتماعي، غالباً ما تكون هذه الرؤية ذات صبغة غربية بعيدة عن التصور الإسلامي.
- تمكين النساء من اقتحام ميادين عمل الرجال التي حرمت منها تاريخياً بحجة نقص المهارة والتوجه الاجتماعي السائد.
- مطالبة صانعي القرار في المجتمع الفلسطيني تحقيق المساواة في الحقوق بين المرأة والرجل^(٥٠١).

(٥٠١) انظر: طاقم شئون المرأة، الصفحة الإلكترونية www.palwac.org، وانظر: مركز شئون المرأة، www.aldalil.com، www.wacgaza.org

المبحث الثالث

المؤتمرات الدولية والإقليمية والندوات

لقد أصبح موضوع المرأة محوراً أساسياً ومهماً من محاور التجمعات والفعاليات الاجتماعية في العالم، ولدى كثير من المنظمات والجمعيات الحكومية وغير الحكومية أيضاً والتي ترفع شعار الحرية والمساواة وحقوق الإنسان.

وقد بذلت الحركات النسائية من الشرق والغرب أقصى جهدها من خلال جمعياتها ومؤسساتها، وجمعيات حقوق الإنسان، من نقل أفكارها وتصوراتها من حيز الكلام والتنظير إلى حيز التطبيق العملي، وذلك بإقامة مؤتمرات وندوات من خلال هيئة الأمم المتحدة، بعضها خاص بالمرأة، وبعضها الآخر تكون فيه المرأة جزءاً مهماً من قضاياها.^(٥٠٢)

المطلب الأول: المؤسسات والهيئات العالمية المعنية بالمرأة:

وهناك مؤسسات وهيئات تابعة للأمم المتحدة معنية بالمرأة، تشارك في التجهيز والإعداد لهذه المؤتمرات والندوات منها:

١ - لجنة مركز المرأة التابعة للأمم المتحدة: وهي هيئة رسمية دولية تتالف من خمس وأربعين دولة، تجتمع سنوياً بهدف عمل مسودات ووصفات وتقارير خاصة بمكانة المرأة، وتقويم تلك الأعمال^(٥٠٣)

٢ - صندوق الأمم المتحدة للسكان: وبدأ هذا الصندوق أعماله في عام ١٩٦٦م، لتحقيق الأغراض الآتية:

أ - إيجاد برامج الصحة الإنجابية، بما في ذلك تنظيم الأسرة، والصحة الجنسية، أي الدعوة إلى الحرية الجنسية المأمونة طبياً.

ب - حل المشاكل المترتبة بسرعة النمو السكاني.

ج - مساعدة البلدان النامية، بناء على طلبها، في حل مشاكلها السكانية.

د - العمل على تحسين الصحة الإنجابية.

٥ - تحقيق المساواة بين الجنسين، وتمكين المرأة، والسعى إلى تثبيت^(٥٠٤) تعداد سكان العالم. ويشرف هذا الصندوق على الإعداد للمؤتمرات العالمية السكانية.

(١) انظر: قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، رسالة دكتوراه د. فؤاد بن عبد الكريم بن عبد العزيز العبد الكريم، مكتبة صيد الفوائد، موقع الدرر السنفية، www.dorar.org، ص ٢٠-٢١.

(٢) المصدر السابق، عن نشرة صادرة عن إدارة شؤون الإعلام بالأمم المتحدة، ص ٢٠-٢١.

- ٣ - جامعة الأمم المتحدة.
- ٤ - معهد الأمم المتحدة لبحوث التنمية الاجتماعية.
- ٥ - اللجنة المعنية بالقضاء على التمييز ضد المرأة.
- ٦ - صندوق الأمم المتحدة الإنمائي للمرأة، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي.
- ٧ - المعهد الدولي للبحث والتدريب من أجل النمو ضد المرأة.
- ٨ - منظمة الأمم المتحدة للمستوطنات للطفولة.
- ٩ - مفوضية الأمم المتحدة لشئون اللاجئين.
- ١٠ - منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة وتعرف باسم (منظمة اليونسكو) ولها دور فاعل ومميز في هذه المؤتمرات، وتم إنشاء لجنة استشارية معنية بالمرأة في هذه المنظمة^(٥٠٥).
- وهناك منظمات ومؤسسات متخصصة شاركت في هذه المؤتمرات ومنها:
- منظمة العمل الدولية.
 - منظمة الصحة العالمية.
 - البنك الدولي.
 - صندوق النقد الدولي.
 - الصندوق الدولي للتنمية الزراعية.
 - لجنة الصليب الأحمر الدولي.
- وغيرها من اللجان والهيئات والمنظمات الدولية المختلفة^(٥٠٦).

المطلب الثاني: نشاطات الأمم المتحدة فيما يتعلق بقضايا المرأة:

١ - في عام ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦ بدأت هيئة الأمم المتحدة تهتم بالمرأة فأنشأت لجنة مركز المرأة، وكان قد أكَد دستور هيئة الأمم المتحدة وميثاقها قبل عام من هذا التاريخ في سان فرانسيسكو على بدء عدم التفرقة بين الناس بسبب الجنس، فجعل للرجال والنساء حقوقاً متساوية، كما ورد في نصوص موادها الأولى والثامنة.

ويلاحظ أن الأمم المتحدة في اتفاقياتها وصكوكها ومؤتمراتها تركز على قضية المساواة بين المرأة والرجل (بالمفهوم الغربي) القائم على مفهوم التماثيلية التامة لا (التكاملية)

(٥٠٤) انظر: موقع الصندوق <http://www.unfpa.org>، وانظر: قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية بتصرف، ص ١٢٩-١٣٠.

(٥٠٥) انظر: قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، ص ١٣٠.

(٥٠٦) نفس المصدر السابق، ص ١٣٢.

بين الرجل والمرأة دون اعتبار لأي فروق بينهما سواء كانت فروقاً جسدية أو نفسية أو عقلية. وقضية المساواة مسلم بها عندهم ولا مجال للنقاش فيها، واستغلت الأمم المتحدة هذه القضية في تمرير كثير من قضايا المرأة من جميع النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية... الخ، كما أكدت الأمم المتحدة ضمن بنود ميثاقها رقم (ل) و (م) على حقوق المرأة السياسية والاجتماعية، وحقها في الزواج والاتفاق على الرضا بالزواج والتوصية بذلك، بالإضافة إلى حماية النساء والأطفال في حالات الطوارئ والمنازعات المسلحة.

٢ - في عام ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م صدر (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان) وهو يشمل كافة حقوق الإنسان المدنية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية التي يجب أن يتمتع بها كل فرد رجلاً كان أو امرأة. ^(٥٠٧)

٣ - وفي عام ١٣٧١هـ - ١٩٥١م اعتمد المؤتمر العام لمنظمة العمل الدولية (اتفاقية المساواة في الأجور بين العمال والعاملات).

٤ - وفي عام (١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م) أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة (الاتفاقية الخاصة بالحقوق السياسية للمرأة) وذلك بناء على توصية اللجنة الخاصة بمركز المرأة.

٥ - وفي عام (١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م) أصدرت الأمم المتحدة (العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية) المتفق عليه، الذي يتكون من إحدى وثلاثين مادة موزعة على خمسة أجزاء. وكذلك في نفس هذا العام صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة (العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية).

٦ - وفي عام (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م) صدر (الإعلان الخاص بالقضاء على التمييز ضد المرأة)، وقد أقرته الأمم المتحدة، وأوصت الأمم المتحدة الحكومات والمنظمات غير الحكومية ببذل أقصى جهدها لتنفيذ المبادئ الواردة في هذا الإعلان، والذي ينص على حق المرأة الدستوري في التصويت، والمساواة مع الرجل أمام القانون، وعلى حقوقها في الزواج والتعليم وميادين الحياة الاقتصادية والاجتماعية مع الرجل سواءً بسواء.

٧ - وفي عام (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) عقد في طهران مؤتمر دولي لحقوق الإنسان تحت إشراف الأمم المتحدة وسمى (إعلان طهران ١٩٨٦م).

ثم بعد ذلك بدأت الأمم المتحدة في عقد مؤتمراتها الخاصة بالمرأة ستذكرها الباحثة، بالتفصيل فيما يلي ^(٥٠٨).

(١) قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية ص ١٣٢ - ١٣٤ بتصرف، عن كتاب حقوق الإنسان محمود بسيوني، ٩٣/١

(٥٠٨) قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، ص ٤، ١٣٤، عن كتاب حقوق الإنسان، محمود بسيوني، ٩٣/١

المطلب الثالث: المؤتمرات الخاصة بالمرأة:

المؤتمر الأول: (مؤتمر مكسيكو لعقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلم)

عقد عام ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، حضره أكثر من ألف شخص يمثلون مائة وثلاثة وثلاثين دولة وهو أول مؤتمر عالمي خاص بالمرأة، واعتبر ذلك العام [العام العالمي للمرأة]، واعتمد في ذلك المؤتمر أول خطة عالمية متعلقة بوضع المرأة على المستوى الحكومي وغير الحكومي، في المجالات السياسية، والاجتماعية، والتدريب والعمل على حماية الأسرة، وتم اعتماد خطة العمل العالمية لهذا المؤتمر، وهي مدة تسع سنوات من سنة ١٩٧٦م إلى سنة ١٩٨٥م.^(٥٠٩)

المؤتمر الثاني: (مؤتمر القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة):

تم عقده عام ١٩٧٩م من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة، وخرج المؤتمرون باتفاقية تتضمن ثلاثين مادة، وردت في ستة أجزاء، للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، وهذه الاتفاقية جاءت لأول مرة بصيغة ملزمة قانونياً للدول التي توافق عليها، إما بتصديقها أو بالانضمام إليها، وقد بلغ عدد الدول التي انضمت إلى هذه الاتفاقية مائة وثلاثة وثلاثين دولة إلى ما قبل مؤتمر بكين عام ١٩٩٥م وكان من أبرز مواد هذه الاتفاقية:

- ١ الاعتراف بتساوي الرجل والمرأة في الميادين السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والمدنية، أو في أي ميدان آخر، بغض النظر عن حالتها الزوجية.
- ٢ تعديل الأنماط الاجتماعية، والثقافية، للقضاء على العادات القائمة على فكرة تفوق أحد الجنسين، أو على أدوار نمطية للرجل والمرأة.
- ٣ القضاء على أي مفهوم سائد عن دور الرجل والمرأة على جميع مستويات التعليم وفي جميع أشكاله عن طريق تشجيع التعليم المختلط وغيره من أنواع التعليم.
- ٤ تمنح الدول (الأطراف) المرأة في الشؤون الدينية أهلية قانونية مماثلة لأهلية الرجل، ونفس فرص ممارسة تلك الأهلية.
- ٥ أن يكون للمرأة نفس الحقوق في أن تقرر بحرية وبشعور من المسؤولية عدد أطفالها، والفترة بين إنجاب طفل وآخر، ونفس الحقوق والمسؤوليات فيما يتعلق بالولاية والقوامة والوصاية على الأطفال وتبنيهم^(٥١٠)

(٥٠٩) نفس المصدر السابق، ص ١٣٤ - ١٣٥.

(١) نفس المصدر السابق بتصرف ص ١٣٥، ١٧٤ - ١٧٥ عن منشورات الأمم المتحدة، وانظر مؤتمر بكين... خطوة باتجاه مجتمع التحلل العالمي، ماجد بن جعفر الغامدي موقع صيد الفوائد، ٣/٦/١٤٢٦م

المؤتمر الثالث: (المؤتمر العالمي لعقد الأمم المتحدة، للمرأة: للمساواة والتنمية والصحة)

وهو المؤتمر الثاني الخاص بالمرأة، عقده الأمم المتحدة عام ١٩٨٠ م وذلك لاستعراض وتقدير ما تم تنفيذه من توصيات المؤتمر العالمي الأول للسنة الدولية للمرأة والذي عقد عام ١٩٧٥ م في المكسيك، ولتعديل البرامج المتعلقة بالنصف الثامن من العقد العالمي للمرأة مع التركيز على الموضوع الفرعي للمؤتمر: العمالة والصحة والتعليم.

المؤتمر الرابع: (المؤتمر العالمي لاستعراض وتقدير منجزات عقد الأمم المتحدة للمرأة، الذي عرف باسم (المساواة والتنمية والسلم))

عقد في نيروبي بكينيا وهو المؤتمر الثالث الخاص بالمرأة، والذي عرف باسم (استراتيجيات نيروبي المرتبطة للنهوض بالمرأة وذلك من عام ١٩٨٦ م حتى عام ٢٠٠٠ م)، وقد شارك فيه مائة وخمس وسبعين دولة، وبين هذا المؤتمر الحاجة إلى التغلب على العقبات من أجل إنجاز وتحقيق أهداف وغايات المؤتمر في مدة الأربع عشر عاماً الماضية.

المؤتمر الخامس: (المؤتمر العالمي الرابع المعنى بالمرأة)

عقدته الأمم المتحدة عام ١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م في (بكين) بالصين، وقد دعت فيه إلى مضاعفة الجهود والإجراءات الرامية إلى تحقيق أهداف استراتيجية نيروبي للنهوض بالمرأة نهاية القرن الحالي.

ويعتبر هذا المؤتمر متيناً عن المؤتمرات الأخرى التي تبنتها الأمم المتحدة، حيث دعت فيه بصرامة وبوضوح إلى العديد من الأمور التي فيها مخالفة الشريعة الإسلامية، بل مخالفة للفطرة التي فطر الله الناس عليها.^(٥١)

ومن هذه الأمور:

١ - الدعوة إلى الحرية والمساواة بمفهومها المخالف للإسلام، والقضاء التام على أي فوارق بين الرجل والمرأة، ومعنى ذلك فرض فكرة حق الإنسان في تغيير هويته الجنسية من ذكر إلى أنثى أو العكس.

٢ - الدعوة إلى فتح باب العلاقات الجنسية المحرمة شرعاً، ومن ذلك: السماح بحرية الجنس، والتفريح من الزواج المبكر، والعمل على نشر وسائل منع الحمل، والحد من خصوصية الرجال، وتحديد النسل، والسماح بالإجهاض المأمون، والتركيز على التعليم المختلط بين الجنسين في سن مبكرة، وتسخير الإعلام لتحقيق هذه الأهداف، والاعتراف رسمياً بالشواذ والمختلطين والمطالبة بإدراج حقوقهم ضمن حقوق الإنسان.

(٥١) قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، ص ١٣٥ - ١٧٦ (بتصرف)، وانظر: مؤتمر بكين... الغامدي، صيد الفوائد.

٣ - التركيز على الخدمات الصحية التنازلية والجنسية، وكيفية معالجة الأمراض الجنسية وبخاصة (الإيدز) ومنع الحمل، والحصول على أطفال بالتبني أو تأجير الأرحام.

٤ - إعلان الإباحية، وسلب قوامة الإسلام على العباد، وسلب ولاية الآباء على الأبناء، وقوامة الرجال على النساء. (٥١٢)

وهنالك مؤتمرات أخرى لم تكن خاصة بالمرأة، أقامتها الأمم المتحدة خاصة بالسكان، إلا أنها ناقشت من ضمن وثائقها قضايا متعلقة بالمرأة وهي:

١ - المؤتمر العالمي الأول للسكان أقيم في (بوخارست - رومانيا)، عام (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م)، وقد اعتمدت في هذا المؤتمر خطة عمل عالمية.

٢ - المؤتمر الدولي المعني بالسكان في (مكسيسيتي بالمكسيك) عام ١٤١٤هـ - ١٩٨٤م.

٣ - المؤتمر الدولي للسكان والتنمية في القاهرة بمصر عام ٢٠٠٢م وقد نوقشت في هذه المؤتمرات قضايا شبيهة تماماً بالقضايا التي سبق ذكرها في مؤتمر بكين، فقد أكد على قضية المساواة بين الجنسين وهو يبيح الممارسات الجنسية بين الأولاد، إناثاً وذكوراً في بيت الأسرة وتحت سمع آبائهم وأمهاتهم وبصرهم! وعرف فيه الزواج على أنه عقد بين شخصين، لا بين رجل وامرأة؟!

وأما التنمية فإن عنوان المؤتمر أشار إلى ذلك، فضلاً عن قضايا تمية المرأة التي نوقشت في ثانياً المؤتمر. ومؤتمراً السكان والتنمية هذا يعد من المؤتمرات التي أثارت وثيقته ضجة واسعة في العالم الإسلامي وغير الإسلامي، بسبب مخالفتها للشرع السماوي والفطرة السليمة. (٥١٣)

كما أقيمت مؤتمرات أخرى للأمم المتحدة تم فيها مناقشة بعض قضايا المرأة ومن هذه المؤتمرات.

- المؤتمر العالمي لتوفير التعليم للجميع، والمنعقد في (جومتیان - تایلاند) عام ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- مؤتمر القمة العالمي من أجل الطفل، والمنعقد في (ريو دي جانيرو - البرازيل) عام ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٥١٢) نفس المصدر السابق، ص ١٣٥-١٧٦-١٧٧ (بتصريف)، وانظر: مؤتمر بكين... ماحد بن جعفر الغامدي، صيد الفوائد.

(٥١٣) قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، ص ١٣٦-١٧٧، وانظر: خطورة مبادئ مؤتمر السكان والتنمية على المسلمين، لفضيلة الأستاذ محمد راتب النابلسي، موقع إسلام أون لاين.

- المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان في (فينا - النمسا)، أو ما يسمى إعلان وبرنامج عمل فيينا عام ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م. وطالب هذا المؤتمر الأمم المتحدة بالتصديق العالمي من قبل جميع الدول على اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة بحلول عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

- مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية، الذي أقيم في (كونهاجن - الدنمارك) عام ١٤١٥هـ - ١٩٩٦م.

- مؤتمر الأمم المتحدة للمرأة عام (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) المساواة والتنمية والسلام في القرن الحادي والعشرين الذي انعقد في (نيويورك - الولايات المتحدة).

وكان أهم هدف لهذا المؤتمر هو: الوصول إلى صيغة نهائية ملزمة للدول بخصوص القضايا المطروحة على أجenda هذا المؤتمر، التي صدرت بحقها توصيات ومقررات في المؤتمرات الدولية السابقة، تحت إشراف الأمم المتحدة.^(٥١٤)

ولأهمية هذه المؤتمرات فقد أقيمت عدة مؤتمرات إقليمية لمتابعة توصيات مؤتمر بكين والتمهيد للمؤتمر الجديد المسمى (المؤتمر التنسيقي الدولي للنظر في نتائج وتطبيق قرارات المؤتمرات الأممية للمرأة):

ومن هذه المؤتمرات الإقليمية:

١ - اجتماع في نيويورك في شهر مارس عام ٢٠٠٠م تحت شعار [بكين + ٥] إشارة إلى السنوات الخمس التي مضت على مؤتمر بكين، وتم في هذا المؤتمر إدخال تعديلات على وثيقة مؤتمر بكين.

٢ - المؤتمر النسائي الإفريقي السادس في نوفمبر ١٩٩٩م في أديس أبابا نظمته المركز الإفريقي التابع للجنة الأمم المتحدة الاقتصادية.

٣ - مؤتمر شبيه لما سبق - في (عمان بالأردن) وفي (بيروت) وذلك أواخر عام ١٩٩٩م نظمته اللجنة الاجتماعية والاقتصادية لغرب آسيا، التابعة للأمم المتحدة. وكثيرة هي الندوات التي عقدت لنفس الغرض في كل البلاد العربية والإسلامية حيث تستغل المناسبات والذكريات لتحريض المرأة، وتشويه صورة الإسلام في نظرها، ويطالبها بالثورة على الرجل، مستذلين ببعض التجارب الناتجة عن سوء فهم وتطبيق حقوق المرأة على الرجل، وحقوق الرجل على المرأة.^(٥١٥)

(٥١٤) قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، ص ١٣٦-١٣٧.

(٥١٥) قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، ص ١٣٧-١٣٨.

وهكذا يلاحظ من خلال هذا العدد الكبير من المؤتمرات والندوات، الاهتمام الزائد بقضايا المرأة، لذا لا بد من عرض الأخطار والأثار السلبية الناتجة عن هذه المؤتمرات من أجل إفساد المرأة عامةً والمرأة المسلمة خاصةً، مع بيان أهم جوانب الخطورة في هذه المؤتمرات على الحياة الاجتماعية خاصةً.

المطلب الرابع: الآثار السلبية والأخطار الناتجة عن المؤتمرات العالمية والإقليمية:

أولاً: أهم السلبيات التي دعت إليها المؤتمرات العالمية والإقليمية:

١ - الجانب الأخلاقي والاجتماعي:

- أ- الدعوة إلى حرية العلاقة الجنسية المحرمة، واعتبار ذلك من حقوق المرأة الأساسية.
- ب- توفير خدمات الصحة الجنسية وإنجاحية للمرأة تشجيعاً للعلاقات الجنسية الآثمة.
- ج- نشر وسائل منع الحمل ذات النوعية الجيدة، ومنع حالات الحمل غير المرغوب فيه، والدعوة إلى منع حالات الحمل المبكر.
- د- إهمال دور الأسرة في البناء الاجتماعي وتهميشه.
- هـ- الدعوة إلى تحديد النسل.
- و- الاعتراف بالشذوذ الجنسي، والحقوق المزعومة للشواذ.
- ز- السماح بأنواع الاقتران خارج دائرة الزواج الشرعي.
- ح- التتفير من الزواج المبكر، وسن قوانين تمنع حدوث ذلك.
- ط- إنهاء تبعية المرأة والبنت من الناحية الاجتماعية لوليها أباً كان أو أماً.
- ي- سلب قوامة الرجال على النساء.
- آ- سلب ولادة الآباء على الأبناء.^(٥١٦)

٢ - الجانب التعليمي:

- أ- تشجيع التعليم المختلط.
- ب- الدعوة إلى المساواة في مناهج التعليم.
- ج- الدعوة إلى التنقيف والتربية الجنسية.

٣ - الجانب الصحي:

أ- الأمراض الجنسية ويتعلق بها ما يلي:

- الدعوة إلى أن يكون السلوك الجنسي المأمون والوقاية من الأمراض المنقوله بالاتصال الجنسي، جزءاً لا يتجزأ من خدمات الصحة الجنسية وإنجاحية مع ضمان السرية والخصوصية للمرأهقين والمرأهقات في هذا الجانب.

(١) قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، ص ١٦٥-١٦٦

- تيسير انتشار وتوزيع الواقيات الذكرية (الرفالات) بين الذكور على نطاق واسع وبأسعار زهيدة.

- القضاء على التمييز ضد الأشخاص المصابين بالإيدز.

- ضمان عدم تعرض المصابات بالإيدز للنبذ والتمييز، بما في ذلك أثناء السفر.

- تقديم ما يلزم من الرعاية للرجال والنساء المصابين بالإيدز، والتعاطف معهم.

- الاعتراف بشرعية هذه العلاقة الجنسية المحرمة، التي تسبب هذه الأمراض الجنسية.

ب - الإجهاض ويتعلق به ما يلي:

- الدعوة إلى أن يكون الإجهاض غير مخالف للقانون، وأن يكون مأموناً طبياً.

- الدعوة إلى إلغاء القوانين التي تنص على اتخاذ إجراءات عقابية ضد المرأة التي تجري إجهاضاً غير قانوني.

- الدعوة إلى أن يكون الإجهاض حقاً من حقوق المرأة، وتيسير حصولها على الحق، عندما تزيد إنتهاء حملها.

- الدعوة إلى إنشاء مستشفيات خاصة للإجهاض.

- الدعوة إلى قتل الأجنة داخل الأرحام، بحجة أن هذا الحمل غير مرغوب فيه.

ج - خطر ختان المرأة ومن ذلك:

- حث الحكومات على حظر بتر أجزاء من الأعضاء التناسلية للإناث.

- أن يكون التغير الفعال من الممارسات الضارة مثل بتر أجزاء من الأعضاء التناسلية للأنثى، وبيان أن هذا يشكل انتهاكاً لحقوق المرأة، ومن العنف والتمييز الواقع عليها.

- أن يكون جزءاً لا يتجزأ من برامج الرعاية الصحية الأولية.

- سن قوانين لمواجهة مرتكبي ممارسات العنف ضد المرأة ومنها ختان الإناث.

(٥١٧)

د - الجانب الاقتصادي:

- التقليل من عمل المرأة داخل المنزل، فهو سبب فقر المرأة، لأنه بدون مقابل.

- الدعوة إلى مساواة المرأة بالرجل فيما يتعلق بالعمل.
- دعوة الحكومات للقيام بإصلاحات تشريعية وإدارية، لتمكين المرأة من الحصول على كامل حقوقها من الموارد الاقتصادية، كحقها في الميراث بالتساوي مع الرجل.
- تيسير حصول المرأة على القروض الربوية.

٥- الجانب السياسي:

- الدعوة لاتخاذ الإجراءات من أجل مشاركة المرأة في الأنشطة السياسية.
- ضمان حق المرأة في التصويت والانتخاب.
- تشجيع الأحزاب السياسية على تعيين مرشحات من النساء من أجل انتخابهن على قدم المساواة مع الرجل.
- الدعوة لإصدار تعليمات حكومية خاصة، لتحقيق تمثيل منصف للمرأة في مختلف فروع الحكومة.
- الدعوة لتمثيل المرأة تمثيلاً منصفاً على جميع المستويات العليا في الوفود الحكومية والدولية التي تعالج المسائل السياسية والقانونية ونزع السلاح وغيرها من المسائل المماثلة.

وحق المرأة أن تكون رئيسة دولة أو رئيسة وزراء أو وزيرة.^(٥١٨)

ثانياً: أهم جوانب الخطورة في هذه المؤتمرات وهي تمثل في التالي:

- ١- إن القاسم المشترك بينهما هو المرأة ومسواتها التامة بالرجل، في كافة مجالات الحياة المختلفة، وكذلك الجنس والحرية المطلقة.
- ٢- إنها تستظل بمظلة الأمم المتحدة، وتستثمر شعارات العولمة وأدبياتها.
- ٣- إنها توظف سلطان الدول الكبرى سياسياً واقتصادياً وحضارياً، لفرض تنفيذ توصياتها، والالتزام بما وُقّع عليه.
- ٤- إنها سلسلة متصلة ومتواصلة من المؤتمرات الأممية العالمية، والمجتمعات الإقليمية.
- ٥- ممارسة الإرهاب بفرض العقوبات الدولية على الدول التي لا تلتزم، وممارسة الإغراء في قبولها وتطبيقاتها بمنح معونات أو قروض أو ما شابه.
- ٦- إن الهدف النهائي لهذه المؤتمرات هو عولمة الحياة الاجتماعية بالمفهوم الغربي الإباحي.^(٥١٩)

(1) قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، ص ١٦٨-١٦٩

(2) نفس المصدر السابق، ص ١٦٨-١٦٩، وانظر مؤتمر بكين... خطوة باتجاه مجتمع التحلل، ماجد بن جعفر الغامدي م ٤٢٦/٦/٣ موقع صيد الفوائد.

المبحث الرابع

وسائل الإعلام

الإعلام هو أكبر مؤثر في صنع الآراء وتكييف العقول، وتجييه الرأي العام، خاصة إذا كانت هذه العقول فارغة، لم تُملأ ولم تحصن بما أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم.

ولقد كان لليهود والصلبيين دور كبير في توجيه الإعلام لمحاربة المرأة المسلمة وذلك لتمكنهم من السيطرة على معظم وسائل وذور الإعلام في العالم.

ولنறع على دور وسائل الإعلام في إفساد المرأة المسلمة وتغريبيها نذكر ما يلى:

المطلب الأول: الصحف والمجلات:

لقد كانت الصحافة من أخطر وسائل التوجيه والتقييف، فهي الزاد اليومي الذي يصل إلى أيدي الناس جميعاً، وهي نوع من الإعلام ذي الجرعات المنتظمة، وهي بأبوابها المختلفة قادرة على تقديم مناهج تقنع القراء وتحمّلهم على تقبّلها، عن طريق الصورة والخبر، والكارикاتير والتعليق، وكانت الصحافة العربية من بداية إنشائها واقعة تحت تأثير الفكر الغربي^(٥٢٠). وكشف عن ذلك (هاملون جب) بقولهم "إن معظم الصحافة العربية اليومية واقعة تحت تأثير الآراء والوسائل الغربية، فالصحافة العربية لا دينية في اتجاهها"^(٥٢١).

لذا أولت الصحافة (اليومية والأسبوعية) اهتماماً كبيراً بالمرأة، وظهرت صحف كثيرة متخصصة بقضايا المرأة، منها: (حواء)، (الشرقية) وهي تحمل مفاهيم مضللة عن حرية المرأة وعملها، كما تنشر مجموعة من المفاهيم الخاطئة، وتركز على كل ما يتصل بالسفور والتبرج والأزياء والزينة والإغراء، وتشن حملات ظالمة، على كل قيم الإسلام وأدابه.

وركزت الصحافة على إفساد المرأة المسلمة على عدة محاور^(٥٢٢):

١. في مجال الدعاوة إلى حريتها الزائفة والتهليل والتصفيق لكل عمل خاص بالرجال اقتحمته المرأة مثل أن تعمل سائقة تاكسي، وكناسة في الشارع، وحارسة وعاملة

(٥٢٠) انظر: أساليب العلمانيين في تغريب المرأة، د. بشر بن فهد البشر، ص ٣٥، وانظر: المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٢٤، وانظر: فتياتنا بين التغريب والعنف، د. ناصر العمر، ص ١٨، موقع المسلم

. www.almoslem.net

(٥٢١) المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٢٥

(٥٢٢) انظر: الصحافة والأقلام المسمومة ، أنور الجندي، ص ٣٩-٣١

مصنع... إلخ، فالصحافة تستغل عواطف المرأة وتدفعها إلى مجموعة من الأفكار والمفاهيم التي تتعارض مع الشرع.

٢. الدعوة إلى السفور والتبرج والخروج عن الفطرة بالدعوة إلى الموضة، كما عرفتها المرأة الغربية، حيث تدفع بيوت الأزياء كل يوم صنفاً جديداً أكثر تبرجاً وإبرازاً لمحاسن المرأة ومقاتها، وقد ثبت أنه وقف وراء بيوت الأزياء، ووسائل الزينة والإغراء والدعائية مجموعة من اليهود وسماسرة الجنس.

٣. دمج الرجلة في الأنوثة، وتحويل الأنوثة إلى رجلة والعكس، وذلك فيما يطلق عليه الجنس الثالث وذلك بالدعوة إلى إغراء الشباب بإطلاق الشعر وتسرি�حة بطريقة تشبه النساء، وفي نفس الوقت دعوة المرأة إلى قص الشعر وبمواضيع مختلفة.

٤. إغراء المرأة باتخاذ حبوب منع الحمل والذي يؤدي إلى انتشار الصلات الجنسية الشاذة والمحرمة والعزوف عن الزواج الشرعي، مما يؤدي إلى زعزعة الحياة الاجتماعية في البلدان الإسلامية.

٥. إيجاد مجموعة من الفتيات يتاجرن بأعراضهن كالممثلات والراقصات وعارضات الأزياء وفتيات المسارح والحانات وغيرهن.. وما يؤسف له أن كثيراً من مديري تلك المسارح والحانات يشترطون في الفتيات اللائي يستخدمنهن ألا يرفضن بيع أعراضهن إذا طلب منها ذلك، وقد يتمادون إلى حد أن يشترطوا عليهم ذلك كتابة في عقود استخدامهن^(٥٢٣).

٦. الحرص على تقديم وتمجيد النماذج الفاسدة من الممثلات والراقصات والغنيات وجعلهن مثلاً عالياً للنساء المسلمات.

٧. نشر عشرات الحوادث والقصص العاطفية اللاواقعية وذلك لتسهيل العلاقات المحرمة شرعاً بين الرجال والنساء بل يزعم كثير من كتاب القصة وأصحاب المقالات القصصية في الصحافة بأن الشرف والفضيلة والعرض والحياء مسائل تافهة لا يتمسّك بها إلا السذج والبساطاء.

٨. تصوير دعاة تحرير المرأة بأنهم أنصارها الحريصون على إعطائهما حقوقها التي حرمت منها.

٩. فساد نظرة الصحافة إلى الأمور المتعلقة بعمل المرأة.

(٥٢٣) انظر: الصحفة والأقلام المسمومة، أنور الجندي، ص ٣٧-٤٥ (يتصرف).

والأمثلة على استخدام هذه المحاور كثيرة منها:

(أ) فتاة غلاف المجلة:

والتي أصبحت أمراً لازماً لا تفرّط فيها أي من تلك المجالات، وهي لا تتكرر، إذ توضع صورة امرأة على الغلاف ويؤتى في كل أسبوع أو في كل شهر بفتاة جميلة، ويركز على فتاة سافرة كاشفة مفاتنها وزينتها بطريقة تثير الغرائز وتفسد الأذواق، وهذا إذلال للمرأة وظلم واستعباد، إذ تعامل كجسم ليس له روح مقابل دريهمات معدودات^(٥٢٤).

(ب) إظهار الصور الماجنة الخليعة:

بحجة الجمال والرشاقة أو بحجة تخفيف الوزن، أو إظهار ملكات الجمال، مع ما فيها من مواضيع الحب والغرام، وهذا يهدف إلى تهويين أمر الفواحش وقلب المناهج الراشدة، وإحلال مفاهيم جديدة مستغربة بعيدة عما تعرفه هذه الأمة الإسلامية ومما يدل على ذلك:

- في مجلة (سيدتي السعودية) في عدد ٥١٠ قالت: "من عيوب الزوج العربي: الغيرة!!"
- في مجلة (كل الناس) عدد ٥٨ وهي سعودية قالت إحدى الكاتبات: "ماذا لو قالت المرأة هذا الرجل صديقي"
- في مجلة (الحسناء) عدد ٨١ ذكرت إحدى الكاتبات: "الفضيلة والكرامة تعترضان مسيرة النجاح"
- في مجلة (سلوى) عدد ١٥٣٢ تحت عنوان لقاء مع راقصة شابة تقول هذه الرقصة: "في حياتنا اهتمامات لا داعي لها، وعليها أن تستغني عنها، ثم تقول ... "سوف نستفيد كثيراً لو أنشأنا مدرسة للرقص الشرقي تتخرج منه راقصة متقدمة لجلب السياح"
- في مجلة (فرح) عدد ٤٣ عبارة تقول: "الزواج المبكر إرهاق للمرأة وصداع للرجل" ولا يمكن نسيان مجلة (روز اليوسف) التي تعتبر من أوائل مصادر التغريب النسائي في العالم العربي وهي من أخبث المجالات العربية وب مجرد تصفح أحد الأعداد تجد العجب العجاب !!.

كذلك مجالات (اليقظة، والنهاية، صباح الخير، هي، الرجل، فرح) وغيرها من المجالات التافهة^(٥٢٥).

(524) انظر: الصحافة والأفلام المسمومة، ص ٣٩-٥٥ (بتصرف).

(525) انظر: أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة، ص ٣٥-٣٨، والمؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٤٨، والصحافة والأفلام المسمومة، ص ٢٥-٢٦.

(ج) صفحة المشكلات:

حيث تقوم الصحف والمجلات بفتح الباب لمن لديه مشكلة عاطفية اجتماعية جنسية بإرسالها للمجلة لعرض على مختصين بزعمهم - ويكون الحل دائماً بعيداً عن التصور الإسلامي، يدعو المرأة إلى الاستمرار في البعد عن الله، ويسهل عليها كثيراً من تهدي الحدود الشرعية^(٥٢٦).

ويوضح يوسف ادريس الكاتب في صحيفة (الجمهورية ١٩٦٦-٥-٢١) فتاة تشكو من حبها المصحوب بالحرمان إلى أن تخفف من حرمانها كوسيلة للتخلص من شدة عاطفتها، أي أن يدعوها إلى اقتراف المنكر، وهو يسخر منها لأنها رفضت قبلة صديقها وفتاه، ويقول لو أنها قَبَّلت لاستراحت وبقي عليها مقاومة الحياة^(٥٢٧).

(د) الاستطلاعات:

وباب الاستطلاعات في بعض المجالات، وخاصة مجلة العربي، يعتبر من أخطر الأبواب حيث يحرص الصحفي على إظهار المرأة المتبرجة في البلدان التي يستطلعها ويثير عليها وعلى تحررها وعلى جهودها في التحرر من الفضيلة، ويتهجم على المرأة المحجبة ويستهزئ بها ويقلل من شأنها، ففي استطلاع عن مدينة الطائف بالسعودية تحت عنوان (المرأة تعمل رغم القيود) يقول الصحفي: "على أن الحديث عن الفتاة موضوع لا يزال يحاط بالقيود والتحفظ تشبثاً بالتقاليد القديمة، وهي ظاهرة لمسناها في كل مكان زرناه في السعودية وليس في الطائف فحسب"^(٥٢٨).

وتحرص بعض الصحف والمجلات على عمل مقارنة بين صورتين للمرأة، فتمدح المتحررة وتنتقص المحجبة، ففي مجلة المصور العدد (١٦٩١/٨/٦) تعلق على صورة لامرأتين إحداهما محجبة والأخرى سافرة، التعليق "التقاليد تتصارع أمامك.. فتاتان في فصل درسي في الجامعة الشعبية بالخرطوم إحداهما مؤمنة بالسفور والأخرى أسيرة الحجاب"^(٥٢٩).

وهناك أبحاث منشورة عن حقيقة الدور الذي تقوم به هذه المجالات الهدامة، ففي دراسة عن مجلة (سيدتي) تقول: "إنها يقصر طرحها على شرائح اجتماعية بعينها، وكثيراً ما

(٥٢٦) المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٢٦.

(٥٢٧) الصحافة والأفلام المسمومة، ص ٤٨-٤٩.

(٥٢٨) المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٢٧.

(٥٢٩) نفس المصدر السابق، ص ٢٧.

تحمل الطابع الأوروبي المبهر في طياتها، وتقدم الحسنات والشقاوات كنماذج تحتذى، وإذا ما حاولت معالجة مشكلات المرأة العربية تعمد في أغلب الأحيان إلى استعارة النموذج الغربي^(٥٣٠).

ويياع في بلاد المسلمين عدد هائل من هذه المجالات حيث يقول الداعية السعودي د. ناصر العمر: "يدخل إلى أسواقنا أكثر من أربعين صحيفة أسبوعياً أو شهرياً في غلافها فتاة لا تتكرر أبداً، وبلغ عدد الصحف الوافدة إلى أسواقنا شهرياً ما يزيد عن خمسة ملايين نسخة شهرياً، بل إن إحدى المجالات النسائية وهي مجلة يقصد بها تغريب المرأة توزع شهرياً أربعين ألف نسخة"^(٥٣١)

المطلب الثاني: الإعلام المرئي والمسموع (التلفزيون والإذاعة)

يعتبر الجهاز المرئي من أخطر الوسائل الإعلامية المرئية لما له من تأثير على المشاهدين، باختلاف أعمارهم من الذكور والإناث، وذلك لقدرته على جذب الانتباه، وتركيزه على دقائق الصور والحركة والكلمة واللقطات الحية، وفي تقرير اليونسكو وهي منظمة تابعة للأمم المتحدة وخاصة للتوجيه اليهودي - ثبت أن "الإنسان يحصل على تسعين في المائة من معلوماته عن طريق النظر"^(٥٣٢) الجهاز المرئي يحرص على إظهار المرأة بصورة العاطفية من خلال الأغاني والأفلام والمسرحيات والرقص واللقاءات المحرمة، ومشاهد الإثارة الجنسية.

وومما يدل على تأثيره الشديد ما يلي:

١. ما جاء في تقرير اليونسكو: "إن إدخال وسائل إعلام جديدة وبخاصة الجهاز المرئي في المجتمعات التقليدية أدى إلى زعزعة عادات ترجع إلى مئات السنين وممارسات حضارية كرسها الزمن"^(٥٣٣).
٢. ما قالته فتاة سورية من دمشق في سن الثامنة عشرة من عمرها: "أني أفكر بالانتحار كل دقيقة بل في كل ثانية، لأنه لا تمضي ساعة واحدة دون أنأشعر بالعاطفة الجنسية

(530) أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة، ص ٤٠.

(531) فتياتنا بين التغريب والعنف، د. ناصر العمر، ص ١٨-١٩، يقصد مجلة سيدتي السعودية، موقع المسلم.

(532) المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٢٨.

(533) فتياتنا بين التغريب والعنف، ص ٢٠، أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة، ص ٤٣.

الجامعة تخترق أحشائي كما يخترق الرصاص جسم الإنسان ويقتله، وكلما شاهدت فيلماً عاطفياً أو قرأت قصة غرامية تثور عاطفي وغرائزي^(٥٣٤)

٣. وفي تحقيق صحفي لجريدة الأنباء السعودية حول ظاهرة الرسائل الغرامية أجرته في ٢٩-٣-١٣٨٨هـ لمعرفة أسباب هذه الظاهرة، وحين سُئل بعض الممارسين لهذه الظاهرة عن أسبابها فقال: "وأظن أن من أهم أسباب قبول البنات بتكوين علاقات عاطفية مع الشباب هو تأثيرهم بالمسلسلات العربية التي غالباً ما تتحدث عن عذاب الحب..."^(٥٣٥).

وقال آخر: "بصراحة التلفزيون جعلنا نتقن (لغة العيون) في مخاطبة البنات وهي لغة صامدة لا يفهمها إلا المحبون"^(٥٣٦).

وتبيّن من خلال إحدى الدراسات التي أجريت على خمسينيَّة فيلم طويل أن موضوع الحب والجريمة والجنس يشكّل ٧٢% منها.

ويقول الباحث الأمريكي (د. هوب أمبلور): "إن الأفلام التجارية التي تنتشر في العالم تثير الرغبة الجنسية في موضوعاتها، كما أن المراهقات من الفتيات يتعلمن الآداب الجنسية الضارة"^(٥٣٧) ويعلق الكاتب متوجهاً^(٥٣٨): "من الذي يقول ضارة؟ فإذا كانت ضارة في عقل هذا الأمريكي فكيف بميزان الشرع الإسلامي" ثم يتبع الأمريكي فيقول: "وقد ثبت للباحثين أن فنون التقبيل والحب والمغازلة والإثارة الجنسية والتدخين يتعلّمها الشباب من خلال السينما والجهاز المرئي"^(٥٣٩).

وكما كان للتلفزيون دور على المشاهد كان للإذاعة دور كبير في التأثير السلبي على المستمع عن طريق بث برامج عاطفية وجنسية موجهة للشباب الذكور والإناث، لتبادل الرسائل الغرامية بحجة التعارف والصداقه، وبث البرامج الغنائية وأخرى لاختيارها وإرسالها للأصدقاء.

(٥٣٤) المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٢٨.

(٥٣٥) المصدر السابق، ص ٢٨.

(٥٣٦) المصدر السابق ص ٢٨.

(٥٣٧) فتياتنا بين التغريب والعفاف، ص ٢٠.

(٥٣٨) الدكتور ناصر العمر.

(٥٣٩) فتياتنا بين التغريب والعفاف، ص ٢٠-٢١.

وسبق أن ذُكر قول أحد قادة الغرب وهو الجنرال الفرنسي غورو: "كأس وغانية تعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع"^(٥٤٠) حيث استغل أعداء الإسلام الغناء ليتسللو من خلاله إلى مقدسات الدين والأخلاق، ولم يكف بالغناء المسموع، إنما صار الآن ما يسمى (فيديو كليب) الغناء المصور، حيث يأتي الشاب (الحبيب) مع (حببته) في صورة مخزية (رقص - تبادل القبلات - عري - خلوة ... إلخ) وغيرها من المناظر التي تشعر لها الأبدان، ويخلل من وصفها أهل الحياة.

وللأسف أصبح كثير من المسلمين مقلدين، فلا تخلو أفراحهم من المجون، ومن مشاهد خليعة أمام مسمع ومرأى جميع الحاضرين دون خجل وحياء^(٥٤١).

المطلب الثالث: السينما والفيديو

وهي من الوسائل التي لا تقل خطورة عن الإذاعة والجهاز المرئي حيث تكمن خطورة هذه الوسائل في:

١. تعدد مصادر نقل الأفلام، مما يجعلها تستورد أنماطاً من السلوك والأخلاقيات لكافة شعوب العالم.
٢. سهولة الحصول على أجهزة عرض منها خاصة الفيديو وشبكة المعلومات الدولية فأصبح من السهل أن يحصل أي شاب أو شابة على شريط فيديو أو قرص مدمج، حيث تباع بأسعار زهيدة.
٣. سهولة تداول الأفلام بين الشباب والفتيات.
٤. يغلب على أفلامهم الخلاعة الجنسية والعلاقات الآثمة والمناظر البذيئة^(٥٤٢).
٥. سهولة المشاهدة والمتابعة بلا رقيب من الأهل أو المربين.

فالسينما تقدم أخطر النماذج السيئة للشباب في تلك الصور الخليعة المجانية، وفي ممارسة الحب والجنس والخمر والعربدة، فلا يرون في القبلة ما يخدش الحياء أو يجافي الأخلاق، ولا يرون في الرقص إلا تحضراً ورقياً، ولا يرون في الخمر منافاة للشرع، والعريّ في عرف السينما مقبول، تصح به الأجسام، وما هو إلا رغبة من رجل التقت برغبة

(٥٤٠) المؤامرة على المرأة، ص ٣.

(٥٤١) انظر: ظاهرة المعاكسات للأخت منار، موقع صيد الفوائد.

(٥٤٢) المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٢٧.

المرأة، ابغاً من الغرائز، ومن ينكر شيئاً من ذلك، فهو رجعي مختلف، حتى خافهم كثير من الناس فسكتوا راضين أو راضخين^(٥٤٣).

ومن النماذج التي تبئها السينما بیننا: أن ترى الرجل يقدم زوجته لمراقبة رجل آخر، ليترك له الرجل الآخر زوجته، يفرّط في زوجته بقدر ما يطمع في الأخرى، والمرأة أيضاً تحب التغيير، وإلا لامتنعت عن الاستجابة لهذه الفوضى.

وتتكرر هذه الأمثلة أمام الشباب والشابات، فترتيد الفساد عمقاً وتأثيراً، بحيث تسوقهم إلى امتحالها في سلوكهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، لتحقيق ما انغرس في نفوسهم.

وقد تحالف البت على أهلها في زيارة شاب يستهويها، كما تلقن الشباب الطرق التي يحتال بها على فتاته لينال منها مأربه، وهذه الأمثلة وغيرها كثيرة، جعلت المرأة بعيدة كل البعد عن حيائها وأخلاقها وثقافتها ودينهما، وأصبحت هذه النماذج هي حياتها وأخلاقها وثقافتها ودينهما^(٥٤٤).

المطلب الرابع: القنوات الفضائية:

ولا يخفى على الجميع أن القنوات الفضائية أصبحت تخترق كل البيوت، وهي التي جمعت شرور ووسائل الإعلام جميعاً، نقلت جميع القنوات الفضائية العالمية إلى العالم الإسلامي بما فيها القنوات الإباحية، وقد تركت أثراً كبيراً على المسلمين في الحياة الاجتماعية، والخلقية، والثقافية، وإن كان التأثير على الحياة الاجتماعية خاصة فيما يتعلق بالمرأة أعظم وأشد، خاصة بعض القنوات المتخصصة، وقد قتلت هذه القنوات الغيرة لدى الرجال بما تعرضه على مدار الساعة من مناظر وصور، ومن خطورة هذه القنوات أنها قامت عن طريق برامجها بشد النساء والرجال تجاه الممثلين، والمغنيين، واللاعبين، وغيرهم من الذين يسمونهم (نجوماً)، مما أدى إلى ظهور جيل مقداد تقليداً أعمى لهؤلاء المفسدين في الأرض^(٥٤٥).

المطلب الخامس: شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)

وهي شبكة لا تحتاج إلى الدخول فيها سوى حاسب آلي فيه ما يسمى بالمودم وبرامج خاصة، واشتراك بالشركة المزودة بالخدمة، وهذه الشبكة فيها نفع وخير كثير لمن أحسن استخدامها، حيث توجد فيها شبكة معلوماتية ضخمة ومن خلالها يتم الاتصال، وتبادل

(543) انظر: المرأة بين التبرج والتحجب، محمد السباعي، ص ١٠٦-١٠٧.

(544) انظر: المصدر السابق، ص ١٠٧-١٢٩.

(545) انظر: المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٢٠.

المعلومات بين كثير من الجهات والأشخاص والمؤسسات، ويشمل الاتصال بالكتابة وسماع الأصوات، ورؤية الصور الثابتة والمحركة، كما يمكن عبرها المراسلة بالبريد الإلكتروني لأي شخص أو مكان في العالم، وتصل الرسالة في ثوانٍ معدودة بتكلفة رخيصة جداً، تغريك عن البريد العادي، ويمكن الدعوة إلى الله عبر هذه الشبكة ونشر العقيدة الصحيحة، ومناقشة الكفار من النصارى وغيرهم، ودحض شباهتهم، وهناك فوائد أخرى كالبحوث العلمية، ومواقع الأخبار والصحف، والتجارة الإلكترونية وعقد المؤتمرات بالصوت والصورة وغيرها من الفوائد الأخرى.

ولكن في المقابل هذه الشبكة العالمية لها جانب سلبي مظلم يتمثل في كثير من المساوى والأضرار.

فعلى هذه الشبكة تظهر الواقع الإباحية والجنسية التي تنشر الرذيلة، وتهدم الفضيلة حيث قدر وجود مليوني موقع جنسي تعمل خلال هذه الشبكة، إضافة إلى مواقع المخدرات والقامار والسرقة والكذب والمراسلات المحرمة بين الشباب والفتيات، ومواقع العنف والعنصرية وغيرها من المساوى والمفاسد الكثيرة، وهي في تطور وازدياد مستمر ففي كل يوم ينطلق في مسار الشبكة ما لا يقل عن مائة موقع إباحي جديد.

وللأسف الشديد جاءت آخر الإحصاءات بأن ٩٥٪ من مستخدمي الإنترنت في العالم العربي يستخدمونه من أجل الترفيه والتسلية، وليس بحثاً عن الفائدة والمعلومات، وانتشرت بكثرة مقاهي الإنترنت في مجتمعاتنا الإسلامية، والتي يخصص لها قسماً لدخول النساء، تشجيعاً منها لفتياتنا على الانحراف وتضييع الوقت، والبحث عن المنكرات^(٥٤٦).

المطلب السادس: الدعاية

امتلأت الصحفة والإعلام (بأنواعه) بهذا البلاء (الدعاية) بسبب سوء التعامل معها، وقد تم إعداد دراسة حول برامج الإعلانات في التلفزيون كما يراها المشاهد والمعلنون، توصلت فيها صاحب الدراسة إلى ما يلي:

- ٩٨,٦٪ من الأطفال الذين يشاهدون الإعلانات بصفة منتظمة، ويطمئن الآباء لهذه التوجهات لدى أبنائهم.

- ٩٦٪ قالوا أن هناك إعلانات يحبونها، ولذلك يحفظون نص الدعاية المعلن فيها.

(٥٤٦) حوار هادئ مع أختي المسلمة حول الفضائيات والإنترنت، مريم السالم، موقع صيد الفوائد، تاريخ: ١٤٢٤/٨/١٢، ص ٢.

لذا تعتبر الدعاية من أخطر البرامج المقدمة، لأنها قصيرة ومسليّة، وتحمل رسالتها بسرعة إلى الأوتار العقلية فتوقظها^(٥٤٧).

علاقة الإعلانات بقضية المرأة:

أجريت دراسة (رسالة ماجستير) بعنوان "صورة المرأة في إعلانات التلفزيون" اعتمد الباحث فيها على مضمون ٣٥٦ إعلاناً تلفزيونياً بلغ إجمالي تكرارها ٣٤٠٩ مرات أي تسع مرات خلال ٩٠ يوماً فقط، ثم توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

- (١) استخدمت صورة المرأة وصوتها في ٣٠٠ إعلان من ٣٥٦ إعلاناً وطبعاً هذه نسبة هائلة جداً.
- (٢) ٤٢% من الإعلانات التي ظهرت فيها المرأة لا تخص المرأة فلا تعجب إذا رأيت دعاية لإطارات سيارات بجوارها امرأة أي ليس بالضرورة أدوات تجميل أو أزياء.
- (٣) ٧٦% من الإعلانات اعتمدت على مواصفات خاصة في المرأة كالجمال والزينة والجاذبية.
- (٤) ٥١% من الإعلانات تعتمد على حركة جسد المرأة.
- (٥) ١٢% من الإعلانات استخدمت فيها ألفاظ جنسية^(٥٤٨).

(547) انظر: فتياتنا بين التغريب والغافف، د. ناصر العمر، ص ٢١.

(548) انظر: نفس المصدر السابق، ص ٢٣-٢٢.

المبحث الخامس التعليم والمطبوعات

المطلب الأول: التعليم

إن التعليم أساس حياة الأمم، بسببه تنهض الأمة وتتقدم، وبسببه تذل وتتأخر وقد أدرك أعداء الإسلام خطورة التعليم، فاتخذوا منه أسلوباً لاستبعاد الأمم والأفراد، وإبعادهم عن دينهم وأخلاقهم وعقيدتهم.

وقد عبر عن ذلك المعتمد البريطاني في مصر اللورد كرومرو بقوله: "إن المصري الذي خضع للتأثير الغربي فإنه يحمل الاسم الإسلامي، لكنه في الحقيقة ملحد وارتيابي، والفجوة بينه وبين عالم أزهري، لا تقل عن الفجوة بين عالم أزهري وبين أوربي".^(٥٤٩)

فهو يصور الجيل المصري الجديد الذي نشأ في أحضان التعليم الجديد، وآمن بسيادة الغرب وفضل حضارته ومبادئه تصويراً صادقاً دقيقاً، فهو يفقد إسلاميته، ويتجدد عن عقيدة دينه الأساسية.

ولقد اهتم الأعداء بتعليم المرأة بالذات، لأنها أقصر طريق يؤدي إلى حض المرأة والأسرة والمجتمع الإسلامي، والمرأة تسهل عليهم نقل الأفكار والفساد، لأن فسادها يترب على فساد الأجيال الناشئة والأسرة والمجتمع.^(٥٥٠)

وكانت حماور جهودهم في وسائلتين أساسيتين وهما:

١ - فتح المدارس والجامعات الأجنبية.

٢ - وضع المناهج.

أولاً: فتح المدارس والجامعات الأجنبية:

لقد اهتم الأعداء بفتح المدارس العلمانية والتبريرية لغزو العقلية الإسلامية بأفكارهم وثقافاتهم الاجتماعية والخالية، وبث سمومهم تحت ستار العلم.

لهذا قام المنصرون بالذات بإنشاء المدارس والكليات والجامعات الأجنبية المختلطة وهم على يقين أن هذه المدارس سيكون لها أثر كبير في تخريج جيل لا صلة له بالدين ولا بالأخلاق، خاصةً عندما يتعلم اللغات الأوروبية والفاليد والأخلاق الالدينية، وأن هذا الجيل في المستقبل سيكون معولاً هاماً لمجتمعه. قال المبشر (جون كاتلس) "يجب أن نشجع إنشاء

(٥٤٩) الصراع بين الفكرنة الإسلامية والفكرنة الغربية، أبو الحسن علي الحسيني الندوى، دار الأنصار، القاهرة، ط٣، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ص ١٠٦.

(٥٥٠) انظر: نفس المصدر السابق، ص ١٠٦ - ١٠٧، وانظر: المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ١٩.

المدارس على النمط الغربي العلماني، لأن كثيراً من المسلمين قد رزع ع اعتقدهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية وتعلموا اللغات الأجنبية^(٥٥١). وأول مدرسة فتحت في بيروت عام ١٨٣٠ وهي التي قال عنها المستشرق "إن مدرسة البنات في بيروت هي بؤؤ عيني، لقد شعرت أن مستقبل سوريا إنما هو بتعليم بناتها ونسائها"^(٥٥٢). ثم فتح المبشرون مدارس كثيرة للبنات في مصر والسودان، وسوريا ولبنان والهند وأفغانستان، وتركيا، ففي سوريا وحدها مائة وأربع وستون مدرسة.^(٥٥٣) وما يدعو للأسى والحزن أن المسلمين يرسلون أبناءهم وبناتهم للتعلم في تلك المدارس بحجة أنها أقوى، والتعليم فيها أجدى، خاصة أنها تركز على اللغات الأجنبية وكأنهم يتتجاهلون أن أصحاب هذه المدارس غير مسلمين، لا بل أعداء للإسلام.

كما اهتم المُتصرون بفتح المدارس الخاصة ذات الأقسام الداخلية، لأنه يجتمع بها الكثير من بنات المسلمين، ولأنها توثق الصلة بين الطالبات، ولأنها تتنزع الطالبات من نفوذ أوليائهن، وترجهن من حياتهن الإسلامية، حتى يعشن الحياة العصرية الغربية^(٥٥٤).

وقد صرّحت المبشرة (أنا ميلغان) عن هدف هذه المدارس و مهمتها في بلاد العرب والمسلمين فقالت "إن المدارس أقوى قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي، وهذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوماً ما قادة أوطانهم"^(٥٥٥). ويفرح المبشرون إذا اجتمع في مدارسهم الداخلية بنات من أسر معروفة، لأن نفوذهن يكون في بيتهن أعظم، تقول إنا ميليان: "في صفوف كلية البنات في القاهرة بنات آباءهن باشوات وبكونات، وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي، وليس ثمة طريق إلى حصن الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة"^(٥٥٦).

(551) المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٢٠، وانظر: الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا د. يوسف القرضاوي مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٣، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ص ٢٣.

(552) التبشير والاستعمار، ص ٨٦-٨٧.

(553) المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٢٠-١٩، وانظر: الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمين، أنور الجندي، دار الاعتصام، ص ٢٧-٢٨.

(554) انظر: التبشير والاستعمار، ص ٨٧.

(555) الحلول المستوردة وكيف جنت مع أمتنا، ص ٢١.

(556) التبشير والاستعمار، ص ٨٧.

لذا طلب المبشرون الأميركيون منذ عام ١٨٧٠ مبلغ ثلاثة ألف دولار لمدرسة دينية للبنات في بيروت وعلوا طلبهم هذا بقيمة المرأة في الحياة البيئية وأن تلك المدرسة ستساعد على تصدير سوريا في المستقبل^(٥٥٧).

وإن من أشهر المؤسسات التعليمية في الشرق العربي:

- ١- جامعة القديس يوسف في لبنان وهي جامعة بابوية كاثوليكية، وتعرف الآن بالجامعة اليسوعية.
- ٢- الجامعة الأمريكية في بيروت التي كانت تسمى من قبل "الكلية السورية الإنجيلية" ثم كلية بيروت، وقد أنشئت عام ١٨٦٥ م وهي جامعة بروتستانتية.
- ٣- الكلية الأمريكية بالقاهرة التي أصبحت فيما بعد (الجامعة الأمريكية) وكانقصد من إنشائها أن تكون قريبة من المركز الإسلامي الكبير وهو الجامع الأزهر^(٥٥٨). حيث قال اللورد (لويد) المنذوب السامي في مصر بعد (كروم): "إن التعليم الوطني في مصر عندما قدم الإنجليز كان في قبضة الجامعة الأزهرية الشديدة التمسك بالدين والتي كانت أساليبها الجافة تقف حاجزاً في طريق أي إصلاح تعليمي، وكان الطلبة الذين يخرجون من هذه الجامعة يحملون معهم قدرأً عظيماً من غرور التعصب الديني" ثم تابع يقول "فلو أمكن تطوير الأزهر وكانت هذه خطوة جليلة الخطر فليس من اليسير أن يتصور لنا أي نقدم طالما ظل الأزهر متمسكاً بأساليبه هذه ولكن إذا بدا أن مثل هذه الحظوة غير متيسر تحقيقها فعندئذ يصبح الأمل محصوراً في إيجاد التعليم اللاديني الذي ينافس الأزهر حتى يتاح له الانتشار والنجاح"^(٥٥٩).
- ٤- كلية روبرت في "استبول" التي أصبحت تسمى "الجامعة الأمريكية".
- ٥- الكلية الفرنسية في "lahor" وأُسست في لاهور باعتبار أن هذا البلد يكاد يكون البلد الخالص في تكوينه في شبه القارة الهندية.
- ٦- الجامعة الأمريكية في كراتشي، وكمبالا، وكلية (ماكريري) في يوغندا.
- ٧- كليات البنات الأمريكية في القاهرة وأسيوط والأقصر وبيروت وسوريا.
- ٨- المعاهد مثل المعهد الشرقي ومعهد دار السلام والمعهد الفرنسي^(٥٦٠).

(٥٥٧) التبشير والاستعمار، ص ٨٧.

(٥٥٨) الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، ص ٢٢.

(٥٥٩) الخنجر المسموم، أنور الجندي، ص ٣٠.

(٥٦٠) انظر: الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، ص ٢١، وانظر: المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٢١.

والهجمة موجهة الآن للتعليم في الدول العربية بصورة عامة: ويظهر هذا في المشروع الأمريكي الجديد وهو (مشروع مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة الأمريكية والشرق الأوسط بناء الأمل للستين القادمة). وقد جاء هذا في الخطاب الذي ألقاه وزير الخارجية الأمريكي كولن باول في مؤسسة التراث بواشنطن يوم الخميس الموافق ٢٠٠٢/١٢/١٢ م والذي أعلن فيه أن الحكومة ستخصص لهذا المشروع دعماً مالياً بمقدار (تسعة وعشرين مليون دولار) لكي تطلق المبادرة بقوة، وسيتبعه دعم إضافي بمقدار (ألف مليون دولار) كمساعدة اقتصادية للعالم العربي كل عام، وتركز المبادرة على حرب الإرهاب في الشرق الأوسط، والاهتمام بالإصلاح التعليمي حسب الرؤية الأمريكية، وتحديث التعليم، وتغيير المناهج وتغيير نمط المدارس، والتركيز على تعليم الفتيات، وتوفير منح دراسية لإبقاء الفتيات في المدارس، وتوسيع التعليم لهن وتدريب المعلمين، وتعليم اللغة الإنجليزية ^(٥٦١).

وُوضِّعت خطة تعليمية ويعمل على متابعة ذلك مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأدنى (وليام بيرنز) ونائبه (إيزابيل تشيني) ابنة نائب الرئيس (ديك تشيني).

ومن أهم النقاط التي وردت في هذه الخطة:

- ١ - إنشاء مدارس أمريكية في مختلف البلدان العربية لكل مراحل التعليم الأساسي (الابتدائي والإعدادي والثانوي) تؤهل طلابها للالتحاق بالجامعات الأمريكية.
- ٢ - في المراحل الأولى يتم الاعتماد على الخبراء والأكاديميين الأمريكيين، لإدارة تلك المدارس مع تعليمها بأكبر عدد ممكن من خبراء التعليم في الدول العربية.
- ٣ - عقد دورات تأهيلية للتدريس في هذه المدارس لعدد كبير من المدرسين والمدرسات والموظفين من أبناء هذه الدول للمشاركة في تحمل مسؤوليات هذه المدارس.
- ٤ - تخفيض رسوم الالتحاق لهذه المدارس حتى يتم الإقبال عليها، مع تخفيض أسعار المناهج الأمريكية التي ستدرس في المدارس الأمريكية.
- ٥ - لن تقتصر المناهج التعليمية على المحتوى فقط، وإنما جزء كبير منها سيتم تكريسه لتشجيع المشاركة السياسية والديمقراطية، وأسلوب اتخاذ القرارات السليمة، وإدارة الانتخابات والمشاركة فيها.
- ٦ - سيتم إنشاء نوادي في هذه المدارس يطلق عليها (نوادي الحرية الأمريكية)، تكون محضناً لممارسة التطبيقات الديمقراطية، وأسلوب الحياة الأمثل بعيداً عن العنف

^(٥٦١) انظر: مناهجنا بين التطوير والتغريب، إعداد القسم التربوي. موقع المسلم، مشرف الموقع: د. ناصر بن سليمان العمر ٦٠٥٩، www. Almoslim. Com

والإرهاب، كما أنها ستعطي فرصة لنشر ثقافات تتعلق بقيود الآخرين، وتشجع البناء على ممارسة السياسة واتخاذ قراراتها بعيداً عن التحصّب الديني.^(٥٦٢)

أهداف مشروع الخطة التعليمية:

- ١ - يضمن إيجاد فرص عمل لخريجي هذه المدارس والجامعات الأمريكية برواتب مغربية مما يؤدي إلى زيادة الإقبال عليها وهذا يحقق غرضهم في ربط أبناء الدول العربية بأنماط الثقافات الأمريكية.

- ٢ - تولية خريجي هذه المدارس مناصب سياسية في بلادهم، وبذلك ستتضمن الولايات المتحدة الأمريكية ولاءهم، وسيكون هؤلاء دعامتين أساسية لتأييد السياسات الأمريكية وتلافي خطر الإرهاب ونتائجها.

- ٣ - سيتحقق هذا المشروع فائدة كبيرة لتوسيع الاقتصاد الأمريكي.

بدأ طرح هذا المشروع أول عام ٢٠٠٣م، وتستمر خطوات التنفيذ والإعداد والإنشاء حتى عام ٢٠٠٥م، والدراسات الفعلية تبدأ من عام ٢٠٠٥م.
(٥٦٣)

ثانياً: وضع المناهج

اهتم أعداء الإسلام بوضع المناهج التي تخدم مصالحهم الاستعمارية، لذا فإن مناهج التعليم في معظم بلاد العالم الإسلامي تربى الجيل على التفكير للدين والإباحية، وإن المناهج الدينية في المدارس كافة أقرب إلى الانقباض وقد اهتموا كثيراً بمناهج المرأة، فجعلوها كمناهج الرجال، ومراحل التعليم للمرأة كمراحل الرجال، وهي خطوة في سبيل المساواة بينهما، وهي تدفع المرأة إلى المناداة بتحرير المرأة، وتطوير حياتها الاجتماعية لتكون صورة طبق الأصل عن المرأة الغربية^(٥٦٤). وبما هي الدكتور طه حسين أحد تلامذة المستشرقين الذي تولى يوماً منصب وزير التربية والتعليم بسلوك المنهج الأوروبي في التعليم فيقول: "التعليم عندنا على أي نحو قد أقمنا صروحه ووضعنا مناهجه وبرامجه منذ القرن الماضي على النحو الأوروبي الخالص وما في ذلك شك ولا نزاع، نحن نكون أبناءنا في مدارسنا الأولية والثانوية والعالية تكويناً أورياً لا تشوهه شائنة"^(٥٦٥).

⁵⁶²) انظر : مناهجنا بين التطوير والتغيير، ص ٦٠.

⁶¹⁻⁶⁰) انظر: المصدر السابعة، ص (563)

(564) انظر : المعاشرة على المأة المسلمة ، ص ٢١ ، انظر : أساليب العلمانيين في تغريب المأة ، ص ٤٥ - ٤٦ .

(565) حاضر العالم الاسلام، د. صالح الرقب، عن: مستقبل الثقافة في مصر لطه حسين، ص ٣٨.

وكان الغزو الفكري عن طريق المنهاج ذو وجوه متعددة منها:

- ١- تشويه مضمون المواد أو الموضوعات بالتحريف والتغيير، أو الزيادة والنقص وبث الأفكار العلمانية في ثنايا المواد الدراسية في مختلف مراحل التعليم.
- ٢- اختيار المسائل التي كثر الخلاف فيها، وكانت مثار جدل ونزاع بين المسلمين، كمسائل علم الكلام، وأفكار بعض غلاة الصوفية، وحشو المناهج بالأفكار والفلسفات المعادية للعقيدة الإسلامية دون نقد أو تمحیص.
- ٣- منع تدريس نصوص معينة لأنها واضحة صريحة في كشف باطلهم، وحذفها من المناهج واختيار أوجه النقص والضعف أو الانحراف من تاريخ المسلمين وتجميعها من مختلف العصور، وجعلها هي المثل لتاريخ الأمة الإسلامية، مع طمس صور الأمجاد العظيمة أو تجاهلها والإعراض عنها، ومن ذلك التركيز على التاريخ السياسي، وإهمال التاريخ الاجتماعي العلمي، والحضاري الإسلامي بوجه عام.
- ٤- تصيد الآراء الشاذة أو المذاهب المنحرفة التي أخذت لها بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام واعتبارها مفاهيم إسلامية، وحشد الأدلة المزعومة لتأكيدها.
- ٥- اختيار الموضوعات والمسائل التي يصعب فهمها على التلاميذ ولا تناسب مع المستوى الدراسي الذي يوضع له المنهاج. ^(٥٦٦)
- ٦- اختيار الموضوعات التي غدت من الآثار التاريخية، وليس لها في الواقع العلمي أي تطبيق.
- ٧- انتقاء النصوص، والتي يصعب جداً فهمها وحفظها من الطلاب، فتكرис الطالب الجهد على المادة العلمية، ليجتاز الاختبار في المقرر، ثم بعد ذلك يتم نسيانها، فحفظها من أجل الامتحان فقط.
- ٨- توجيه الاهتمام الكبير وبشكل مركز لمناهج المواد العلمية التي لا تتضمن تأسيساً أو شرحاً أو دعماً للعقائد والأخلاق والشريعة والنظم الإسلامية، أو أمجاد المسلمين، حتى تطغى دراسة هذه المواد على غيرها من المواد، فتستهلك الأوقات الالزمة لها، وتصرف الطالب عنها، وذلك لأن المواد الأخرى قد اقتضت كل اهتماماته ومعظم طاقات دراسته. ^(٥٦٧).

(٥٦٦) انظر: غزو في الصميم، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم—دمشق، ط٤، ١٤١٧ هـ—١٩٩٦ م، ص٥٧-٥٨، وانظر: العلمانية وثمارها الخبيثة، محمد شاكر الشريف، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١١ هـ، ص٢٢-٢٣.

(٥٦٧) غزو في الصميم الميداني، ص٥٨.

- ٩ - تقليل الفترة الزمنية المتاحة للمادة الدينية، وإسناد تدريسيها إلى غير المتخصصين وجعلها مادة هامشية حيث يكون وقتها آخر اليوم الدراسي، وهي في نفس الوقت لا تؤثر في تقدير الطالب.
- ١٠ - إبعاد الأساتذة الملتزمين بدينهم عن التدريس، ومنعهم من الاختلاط بالطلاب، وذلك عن طريق تحويلهم إلى وظائف إدارية، أو عن طريق إحالتهم إلى المعاش.
- ١١ - إدخال التمثيل والرقص والتصوير والفنون الخليعة ضمن مناهج التعليم.
- ١٢ - فرض اللغة الأجنبية وجعل حصصها وساعاتها مساوية لحصص اللغة العربية.
- ١٣ - إدخال المفاهيم الغربية في مناهج التعليم، والتي تخدم الغزاة مثل [حقوق الإنسان، والمجتمع المدني وقضايا المرأة، وحقوق الأقليات، والحريات العامة والديمقراطية]^(٥٦٨).
- ١٤ - فتح تخصصات وإقرار مناهج لا تناسب فطرة المرأة ورسالتها في الحياة.
- ١٥ - الازدراء بالتعليم الديني، والسخرية والاستهزاء من دارسيه ومعلميه من خلال الكلمة السيئة، والمسرحية، والفيلم والتمثيلية السخيفة.
- ١٦ - الدعوة إلى الاختلاط في التعليم، حيث قام المتأثرون بالثقافة الغربية من العلمانيين وغيرهم بالتقليص من خطورة الاختلاط وآثاره المدمرة للقيم والأخلاق، وزعموا أنه من ضرورات التقدم والتمدن، وتعزيز الصداقة البريئة والروح الجامعية بين الجنسين.
- ١٧ - إيجاد التنافس في الدراسة بين المناهج العلمانية والدينية، وذلك عند توظيف الطالب الذي يخرج من المدارس أو الجامعات الأمريكية أما الطالب الذي يخرج من الكليات الشرعية يُحرّم من الوظيفة، أو تقتصر وظيفته على الوعظ والمأذونية وإماماة الناس في الصلاة، مما يشجع بعد ذلك على ارتياح المدارس والكليات والجامعات العلمانية.^(٥٦٩).
- ١٨ - التمييز في إعداد الكتب الدراسية: فتوجه العناية الفائقة للكتب غير الإسلامية أو التي ليس فيها تقرير للعقيدة الإسلامية أو النظام والتشريع الإسلامي، وذلك بإيجاده تأليف هذه الكتب وإتقان طباعتها وصياغتها بأسلوب عصري، وتزويدها بالصور والخرائط والجدالات والوسائل التعليمية المؤثرة الجذابة، وإهمال كتب التربية الإسلامية، أو الكتب التي تشتمل على موضوعات أو معلومات أو أفكار تخدم الدين، أو التاريخ والحضارة

(٥٦٨) انظر: العلمانية وثمارها الخبيثة، ص ٢٢-٢٣، حاضر العالم الإسلامي، د. صالح الرقب، ص ٨١-٨٢ مناهجنا بين التطوير والتغيير، ص ٦١.

(٥٦٩) غزو في الصميم الميداني، ص ٦١-٦٢.

الإسلامية. ويسبب ذلك تصرف نفوس الطلاب إلى الكتب العصرية المعتمى بها، وتعلق قلوبهم بها، وتزهد بالكتب الأخرى التي أهملت ولم يُعْتَن بها. (٥٧٠)

ولم يكتف الأعداء بذلك، فوجّهوا هجمة لمناهج الدول العربية والإسلامية كالسعودية ومصر وفلسطين واليمن، يطالبون بتغييرها بما يخدم المخططات الاستعمارية حيث قدم النائب (حيم دافس) من الحزب الديمقراطي من ولاية فلوريدا في مجلس النواب الأمريكي مشروع قرار في (يونية عام ٢٠٠٢م) حول المناهج السعودية، طالب فيه الحكومة الأمريكية بالتدخل المباشر لتغيير مناهج التعليم السعودية، لأن التعليم السعودي يقوم على الإسلام، والدراسات الإسلامية تشكل جزءاً رئيساً في الكتب المقررة، والكتب العلمية تشير إلى الإسلام، وأن المناهج السعودية لا تعترف بأي حق للليهود في فلسطين (أرض إسرائيل)، وأنها ترفض إلغاء الجهاد، وأنها تركز على فصل النساء عن الرجال، وتركز على حجاب المرأة، وأن النساء المتبرجات اللاتي يكشفن أجسامهن للرجال الغرباء عليهن ذنب كبير، ولأسباب أخرى يرفضونها في المناهج السعودية (٥٧١).

أما بالنسبة للمناهج في مصر: فقد عقدت ندوة في جامعة تل أبيب بعنوان (دراسة تأثير القرآن الكريم في عرقلة التطبيع مع إسرائيل) وشارك فيها مصطفى خليل رئيس وزراء مصر في عهد السادات، وبطرس غالى، وقد طالب رئيس وزراء دولة العدو (بيجن) بإغلاق دور القرآن الكريم في مصر وتأميم المساجد، وقد تم تنفيذ الكثير من ذلك عملياً وحذفت بعض آيات القرآن الكريم من المناهج التي يدرسها الطلاب (٥٧٢).

ونشر (موقع الأسبوعية ٣) يوم الاثنين الموافق ٤/١٦/١٤٢٣هـ تقريراً عن المنحة الأمريكية في مجال التعليم في مصر، ووافق عليها مجلس الشورى ولجنة التعليم بمجلس الشعب، بموجب الاتفاقية توافق الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية على منح مصر ثلاثة وعشرين مليوناً وأربعة آلاف دولار أمريكي، وتهدف الاتفاقية إلى تحسين كفاءة ونوعية التعليم الأساسي مع التركيز على الفتيات.

كما أن المنحة تشمل برامج أخرى وموضوعات تمس الحياة والعادات حيث جاء في الاتفاقية: أن البرامج تؤدي إلى تنمية تعليم الفتيات، وتقديم نماذج إيجابية للفتيات والفتىان، وعادات صحية وبيئية، وتنمية المهارات الحياتية، والتوعية بالموضوعات الصحية الحرجة.

(٥٧٠) المصدر السابق، ص ٦٢-٦١.

(٥٧١) انظر: مناهجنا بين التطوير والتغيير، ص ٦٣-٦٢.

(٥٧٢) المصدر السابق، ص ٦٤.

ولم تحدد الاتفاقية نوعية هذه الموضوعات، هل هي تدريس الجنس وما تدعو إليه أمريكا من ممارسات جنسية بعيدة عن الزواج، وبالمفهوم الغربي الذي يبيح الشذوذ والحرية الجنسية؟^(٥٧٣) !!!

أما المناهج في فلسطين: فقد أفادت دراسة لمنظمة أمريكية غير حكومية نشرت يوم الأربعاء ٢٠٠١/١١/٢١ أن البرامج الجديدة التي اعتمتها السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة لا تدرس مبادئ السلام والمصالحة مع إسرائيل، حتى أنها ترفض وجودها، وهذا لا يتفق مع المبادئ التي حدتها (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة يونسكو). وأعربت الدراسة عن الأسف لأن اللغة العبرية لا تعتبر من اللغات المستخدمة في البلاد، كما أعربت عن أسفها، بأن توصف إسرائيل (بالمغتصبة) و(المحتلة) منذ قيامها سنة ١٩٤٨م، وأنها لا تظهر على أي خارطة، وأكدت الدراسة على أن الكتب الدراسية تقدس الشهيد والجهاد مع أنها لا تعرب مباشرة عن دعمها للإرهاب.^(٥٧٤).

فمناهجنا إذن لا تتناسب أهواهم وأهدافهم الاستعمارية، مع أن المنهج الدراسي في أي بلد لابد أن يقوم على أسس ومنطلقات عقدية وفكرية واجتماعية يؤمن بها ذلك البلد، لذا فلا بد أن يكون المنهج صادقاً في تمثيلها وتحقيقها، لأنه من أهم الوسائل التي تحدد شخصية المجتمع، وتحدد شخصية كل فرد ينتمي إليه، وأي تدخل في مناهج أي دولة يعتبر تعدياً على حدودها وسيادتها.^(٥٧٥)

المطلب الثاني: الكتب والمطبوعات

من أخطر أساليب الغزو الفكري التأليف والكتابة في موضوع المرأة، لذا نجد كثرة في الأبحاث والدراسات التي تكتب عن المرأة، وكذلك تأليف الكتب وكتابة القصص، وطبع النشرات التي تتضمن التوصيات والمقترنات، والحلول في زعيمهم لقضايا المرأة ومشاكلها، ولكنها في الحقيقة ملئت بالشبهات التي يحاولون بها نقض المفاهيم الدينية، وترويج النظريات الفاسدة، والدعوة للسفرور والتبرج والاختلاط، بأنهم يستغلون الأحداث ويحوّلونها إلى ظاهرة عامة في المجتمعات الإسلامية، وينقلونها إلى مجال القصة التافهة التي تثير الغرائز، فيركّزون على المرأة تركيزاً شديداً، ومن ذلك أكاذيبهم وأضاليلهم حيث يصفون المرأة القائمة على تربية أسرتها وأولادها بأنها المرأة التي سجنها المجتمع، وجعل وظيفتها في الحياة إنجاب الأطفال وتربيتهم وهذا يستدعي مهاجمة المجتمع الذي يظلمها، ويطالب الكتاب بحقها في

(٥٧٣) انظر: مناهجنا بين التطوير والتغيير، ص ٦٤-٦٥.

(٥٧٤) المصدر السابق، ص ٦٤-٦٥.

(٥٧٥) نفس المصدر السابق، ٢٠.

الحرية والمساواة والحب والخروج... إلخ، وما الحرية التي يطلبونها للمرأة إلا دعوة للفساد والإباحية^(٥٧٦).

تكتفي الباحثة في هذا المبحث بذكر بعض النماذج مما ورد في كتبهم ودراساتهم وقصصهم ونشراتهم، فمنها:

١- جاء في أحد الكتب التي تصدرها مؤسسة (فرنكلين الأمريكية) التي تنشرها في بعض الدول الإسلامية، دعوة إلى الاختلاط وتشجيع الانحلال فتقول: "إن خروج الفتيات في صحبة الفتى من الأمور الطبيعية التي يستطيع معظم الآباء تقبلها في الوقت المناسب على أي حال باعتبارها جانباً من جوانب النمو الجسمي للمرأة.. ثم يقول الكاتب: "وفي كل علاقة بين فتى وفتاة يشعر كل منها في بعض الأحيان بدافع يحفزه على التعبير عن حبه وتقديره للأخر بلمسة أو ضغطة على اليد أو قبلة، والكشف عن المشاعر بهذه الطريقة والاستجابة لها أمر طبيعي!!، فالسوق إلى القبلة، أو بعض الغزل الرقيق، أو الإنصات إلى قصة فيها تلميحات جنسية هذه ليست أموراً شائنة"^(٥٧٧).

٢- إحدى الكاتبات في رسالتها للدكتوراه والتي عنوانها (التنمية الاقتصادية وأثرها في وضع المرأة في السعودية) تقول وهي تعد المبادئ الإسلامية التي هي ضد مصلحة المرأة فتذكر منها:

- إن شهادة المرأة نصف شهادة الرجل.
- قوامة الرجل على المرأة .
- التضييق على المرأة في مجال اتخاذ القرار مثل عدم السفر إلا بموافقة الزوج.
- وأخيراً الحجاب.

ثم تشن هجوماً على هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسعودية، وتنتهي على مخططات أرامكو وهي شركة أمريكية لدعم المرأة السعودية من خلال ابتعاثها، وتوظيفها، وتهيئة الاختلاط فيها، ثم تُعرّج باللوم على الرئاسة العامة لتعليم البنات لموقفها من الابتعاث إلى الخارج، ثم بعد ذلك تنتهي في دراستها أو في رسالتها للدكتوراه إلى التوصيات التالية:

- أ. ضرورة الإقلال من الصعوبات التي تواجه قضية إنصاف المرأة.
- ب. الإقلال من عمليات الفصل بين الجنسين يعني التعليم المختلط.
- ج. إنشاء أقسام للنساء في كل مؤسسة حكومية، وإنشاء مصانع للصناعات الخفيفة.

(٥٧٦) انظر: أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة، ص ٦٤، وانظر: الصحافة والأقلام المسمومة، أنور الحندي، ص ٨٠

(٥٧٧) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ص ١٠٩ ، وانظر: حاضر العالم الإسلامي، د. صالح الرقب، ص ٨٣

د. نادت بفتح مجالات دراسة مهنية للمرأة، وفتح دور للحضانة^(٥٧٨).

٣- قدمت امرأتان من الخليج (دراسة استقصائية بشأن البحوث المعدة عن المرأة في منطقة الخليج) هذه الدراسة قدمت لمؤتمر عقد في تونس عام ١٩٨٢م، بإشراف اليونسكو، حضر المؤتمر كما تقول مقدمة الكتاب سبع عشرة عالمة اجتماعية من اثني عشر بلد عربي، ونشرت اليونسكو سبع دراسات مما قدم للمؤتمر بعنوان (الدراسات الاجتماعية عن المرأة في العالم العربي)، وقد خرجت هذه الدراسة بوضع الحلول المقترنة للعقبات الرئيسية التي تواجه المرأة في المجتمع، ومنها:

١- ذكرتا اقتراحًا بتخطيط السياسات التعليمية من أجل تشجيع المزيد من النساء للانضمام للميادين العلمية والمهنية بدلاً من تركيزها على الميادين الإنسانية والعلوم الاجتماعية.

٢- أيضاً ذكرتا أنَّ دراسةً أعدتها الاتحاد الوطني لطلبة البحرين تطالب بالتعليم المختلط حتى يمكن التغلب على الحواجز النفسية بين الجنسين.

٣- ثم تنقلان عن باحثين آخرين قولهما بضرورة أن تعتبر المرأة في الخليج تحررها بمثابة تحرير وطني، وعليها أن تتاضل من أجل هذا التحرير الوطني^(٥٧٩).

٤- في كتاب (الخطيئة والتکفیر) للدكتور عبد الله الغذامي -وهو ناقد أدبي سعودي، حداثي علماني- يعرض قصة لزوجة خانت زوجها ويشبه ذلك بقصة آدم وحواء، ويضع المرأة هي الأساس الذي يختاره فيقول: "وبرزت لي المرأة في هذه الخطوة كأقوى الأضواء إشعاعاً حيث وجدتها تحتل مكاناً خطيراً في هذه النصوص..." ثم يقول "وفي مواجهتها يقف الرجل بين مقبل ومدبر، وبين راج وخائف" ثم يقول: "وهي صورة لا يملك القارئ وهو يتأملها إلا أن يتذكر تاريخ البشر الأزلي في قضية الوجود الأولى كما رسماها القرآن ممثلة في حادثة ألينا آدم عليه السلام مع حواء"^(٥٨٠). وتصور العلاقة بين آدم وحواء على أنها علاقة صراع ومعترك، ويقدم لنا صورة أخرى فيقول "فحواء كانت هي اللحظة الحساسة في تاريخ البشر منذ تواجه معها آدم على مشهد التفاحة وهي تقدمها ليأكل منها، وهو يضعف أمامها ناسياً تحذير الله سبحانه وتعالى من الفاكهة المحرمة، وأخيراً ينسى نفسه فيأكل الحرام، ويائماً، وعندئذ يحكم الله بالهبوط إلى المنفى (الأرض)"^(٥٨١).

(578) انظر: المرأة وكيد الأعداء، د. عبد الله بن وكيل الشیعی، دار الوطن للنشر، الرياض، ص ٣٧، وانظر: أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة، ص ٤٦-٤٧، وانظر: المؤامرة على المرأة، ص ٤٧.

(579) انظر: أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة، ص ٤٨-٤٩، وانظر: المؤامرة على المرأة، ص ٤٧.

(580) الحادثة في منظور إيمان، د. عدنان على رضا النحوي، دار النحوي، الرياض، ط ٤، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، ص ١٥٩.

(581) نفس المصدر السابق، ص ١٦٠.

إن قصة آدم وحواء، والشيطان والشجرة من علم الغيب، وهو ليس له إلا مصدر واحد هو المنهاج الرباني، ولو لا أن الله أعلمنا عن ذلك لما عرفنا شيئاً. وكتب التفسير لم تذكر النقاحة ولا شجرتها، ولا الفاكهة التي تصورها الكاتب، وما جاء عن طريق الوحي هو أن الله سبحانه وتعالى نهى آدم وحواء معاً من الأكل من شجرة لم تُبين ما هي، وما رواه د. الغذامي في قصة آدم واقترانه بحواء وتعلقه بها، وبها خطئ آدم فخطئ ذريته، ليست لها ذكر في القرآن ولا في السنة، ولكنها روایات تعددت عن أهل الكتاب الذين يعتقدون أن المرأة هي سبب خطيئة آدم لذلك يحتقرنها، مع أن حواء ليس هي السبب وإنما الشيطان هو الذي أغواهما معاً فأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عنها وكذلك النقاحة ليس لها ذكر، إنما ذكر القرآن شجرة فقط، ولكن د. عبد الله الغذامي يصر على أن يصور دور المرأة هو دور الإغراء الذي توهם الدكتور أن القرآن الكريم رسمه لحواء، ويبيّن أن العلاقة بين الرجل والمرأة هي علاقة صراع، والمرأة هي أساس هذا الصراع، مع أن القرآن الكريم رسم العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة بناء الحياة، وعلاقة التعاون والبذل، في أندى عاطفة وأجمل مودة، وأكرم رحمة، جعلها آية من آيات الله، وهي سكن للرجل، وطمأنينة ونعمـة^(٥٨٢).

(582) انظر: نفس المصدر، ص ١٦١-١٦٢

المبحث السادس

إثارة الشبهات حول قضايا المرأة

وهذه الوسيلة من أثبت الوسائل، إذ حرص الغزاة على إثارة قضايا المرأة، في الإذاعة والتلفزيون، وفي المؤتمرات، فيركزون على قضايا تحرير المرأة والمساواة مع الرجل، خاصة في الأوقات الحساسة التي تواجهها الأمة مع إثارة الشبهات، والشكوك حول كثير من قضايا المرأة.

فحاول أدعية انصار المرأة من العلمانيين وأتباع الغزو الفكري أن يشوّهوا صورة المرأة المسلمة وإظهارها مسلوبة الحقوق، ليس لها في الإسلام مكانة أو منزلة، وفرق الإسلام بينها وبين أخيها الرجل في الحقوق، وجعل العلاقة بينهما تقوم على الظلم والاستبداد، لا السكن والمودة، الأمر الذي يستدعي من وجهاً نظرهم قراءة الدين قراءة معاصرة، تقوم على مراعاة الحقوق التي أعطتها الاتفاقيات الدولية للمرأة، ومحاولة تأويل النصوص الشرعية الثابتة كي تتوافق مع هذه الاتفاقيات^(٥٨٣).

ولما كان الحجاب مصدر عز وفخار للمرأة المسلمة، ودليل على حيائها نجد أنهم عملوا على إبعادها عنه، زاعمين أنه من عادات الجاهلية، وأنه تخلف ورجعية، ولا يناسب القرن العشرين حيث قال قاسم أمين: "إن الحجاب بوصفه السائد ليس من الإسلام، وأن الدعوة إلى السفور ليس فيها خروج على الدين أو مخالفة لقواعد"^(٥٨٤).

وقد استحوذ موضوع الحجاب على صحف ومجلات الكويت في الخمسينات، ومن المقالات الداعية إلى السفور: "إن المرأة الكويتية يجب أن تزود بالعلم، ونريد لفتاة الكويتية أن تثور ضد التقاليد وفي مقدمتها العباءة السوداء"، ثم يتتابع ويقول "والحجاب في نظري هو السد الكبير الذي يفصل المرأة عن المجتمع"^(٥٨٥).

ومن داعيات السفور من قالت: "إن الفتاة الكويتية قد فقدت الأمل في إقناع ذويها بفوائد السفور، ومضار الحجاب، وكذلك فهي حتماً ستثور على هذه التقاليد الرجعية"^(٥٨٦).

وصاروا يتهمون على الحجاب فقالوا: "الحجاب تقييد من التقاليد البالية العتيقة، وأنه لا يصلح إلا في مجتمع قبلي جاهلي، وأنه رمز مذلة المرأة"^(٥٨٧).

(583) انظر: المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٤٠، وانظر: شبهات حول حقوق المرأة في الإسلام، د. فني قاطرجي، موقع صيد الفوائد .www.Said.net

(584) عودة الحجاب، ص ٤٠ .

(585) المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ١٣ .

(586) المصدر السابق، ص ١٣ .

(587) المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٢٩ .

وغيرها من الأقوال التي تدعو إلى خلع الحجاب والتبرج والسفور.

ولم يكتفوا بالسفور والتبرج بل دفعوا المرأة إلى الاختلاط في الدراسة والعمل ومزاحمة الرجال متجاهلين أضرار الاختلاط، لأنه كلما تلقي الرجل والمرأة، كلما ثارت الغرائز، وكلما انبعثت الشهوات الكامنة في خفايا النفوس كلما وقعت الفواحش، ولكنهم يزينون الاختلاط للمرأة والرجل مدّعين أن له فوائد كثيرة، فهو يهذب الأخلاق، ويحسن المعاشرة، ويلطّف الحديث^(٥٨٨).

ولا زال الأعداء يطالبون بالمزيد، فهم يسعون إلى دفع المرأة إلى العمل حتى تستقل عن الرجل استقلالاً تاماً، ثم تلغي قوامة الرجل فتعمل المرأة، وتتحرر من الرجل، ولقد دفعوها إلى العمل بصرف النظر عن حاجتها إليه أم لا، وأخرجوها من بيتهما بدون ضمانات أخلاقية، زاعمين أن المرأة نصف المجتمع، ونصف الاقتصاد وبنطعيل هذا النصف لا يمكن أن يتقدم هذا المجتمع^(٥٨٩).

وخرجت المرأة تطلب بالمساواة في الميراث، وتنساعل: لماذا جعلت شهادة المرأة نصف شهادة الرجل، ثم اتهمت الإسلام أنه ظلمها وأجحف في حقها.

ولم يكتف الأعداء بذلك، بل حرضوا المرأة لأن تتمرد على زوجها لأن الله سبحانه وتعالى جعله قيماً عليها، فصوروا لها أن البيت سجن مؤبد، والزوج سجان قاهر، والقوامة سيف مصلت، والأمومة تكاثر رعوي، حتى أوجد ذلك في نفوس النساء أنفة واشمئزازاً، وبحثاً عن الانطلاق بلا قيود، وأخذت تصرخ مطالبة أن تكون العصمة بيدها، وقالت: "إن المرأة لن تحصل على المساواة إلا إذا حصلت على حق الطلاق كالرجل تماماً" وطلبت بتقييد الطلاق، ومنع التعدد وتقييد الزواج بواحدة، واعتراضوا على الزواج المبكر وطالبوها بوضع سن قانوني للزواج^(٥٩٠).

واستمروا في طرح قضايا ومواضيعات المرأة، وما زالت تعقد المؤتمرات والندوات، وتسخر وسائل الإعلام بأشكالها المتعددة، لإثارة الشبهات والشكوك حول قضايا المرأة، لذا سيتّم تناول هذه القضايا والشبهات التي دارت حول المرأة في الفصل التالي وسيتّم تقديرها والرد عليها بالتفصيل.

(588) المصدر السابق، ص ٣٠-٣١.

(589) انظر: المؤامرة على المرأة، ص ٣٤.

(590) انظر: المؤامرة وكيد الأعداء، د. عبد الله بن وكيل الشيخ، ص ٢٤.

الفصل الثالث

تفنيد الدعاوى والشبهات المثارة

حول قضايا المرأة المسلمة

المبحث الأول: الحجاب والاختلاط والخلوة

المبحث الثاني: الميراث والديمة والشهادة

المبحث الثالث: المساواة

المبحث الرابع: القوامة والطلاق والخانع

المبحث الخامس: تعدد الزوجات والزواج المبكر

المبحث السادس: خروج المرأة من البيت وعملها وسفرها بدون قيد

الفصل الثالث

مقدمة:

الحق شمس ساطعة قوية، يحاول أعداؤه أن ينفثوا حوله السموم، ليطفئوا بها هذا النور؛ ولكن الله سبحانه وتعالى يحق الحق ولو أبى أهل الباطل، فهم وسفاهاتهم ومؤامراتهم على المرأة خاصة كالغيبة التي يمكنها أن تحجب النور للحظات لكن سرعان ما تنتهي.

وللإسلام حراس يذودون عنه، ويصدون التغرات التي يحاول المضللون أن ينفذوا منها ليهدموا بنائه العظيم.

من هنا جاءت الردود حول شبهات أثيرت حول المرأة، والتي أحيرت من قبل أعداء الحق بأوهام وأباطيل ادعوها، يخدعون بها المرأة لتضل الطريق وتتحرف عن دينها، ولكن الله لهم بالمرصاد، وإن أهل الحق من المؤمنين على ثقة بربهم ودينهم الذي لا يأتيه الباطل. لذا نقول لهؤلاء المضللين: الحق باق، مهما حاولتم تضليل العقول عنه، أما الباطل فهو إلى زوال.

لذا سيتم الرد والجواب على ألسنة دعاة الحق ، والله نسأل أن يرزقنا اتباع الحق وأن يرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه.

المبحث الأول

الحجاب والاختلاط والخلوة

المطلب الأول: الحجاب

الشبهة الأولى:

يدعى بعض دعاة التبرج والسفور بأن الحجاب تزمر في الدين، والدين يسر لا تزمر فيه ولا تشدد، وإباحة السفور مصلحة يقتضيها مشقة التزام الحجاب في عصرنا⁽⁵⁹¹⁾.

المناقشة:

١. إن تعاليم الدين الإسلامي وتكلاليفه الشرعية جميعها يسر ولا عسر فيها، قال تعالى: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ»⁽⁵⁹²⁾ وقال: «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ»⁽⁵⁹³⁾ وقال: «لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا»⁽⁵⁹⁴⁾ فهذه الآيات صريحة في التزام مبدأ التخفيف والتيسير، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن هذا الدين يسر، ولن يشد الدين أحد إلا غالبه، فسدوا وقاربوا وأبشروا".⁽⁵⁹⁵⁾

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال: "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تتغزوا"⁽⁵⁹⁶⁾.

فالشارع لا يقصد أبداً إعنات المكلفين أو تكليفهم بما لا يطيقون، فكل ما ثبت أنه تكليف من الله للعباد فهو داخل في مقدورهم وطاقتهم⁽⁵⁹⁷⁾.

٢. أما دعوى أن إباحة السفور (مصلحة) معتبرة نظراً لمشقة الالتزام بالحجاب خاصة في البلاد التي شاع فيها التبرج والانحلال، وحتى لا يرمى الإسلام بالتشدد وال المسلمين بالتطرف، فهي باطلة لأن المصلحة الشرعية لها ضوابط يجب على كل مسلم ملتزم مراعاتها وهي:

(591) عودة الحجاب، محمد أحمد إسماعيل، ٣٩١/٣.

(592) سورة البقرة، الآية (١٨٥).

(593) سورة الحج، الآية (٧٨).

(594) سورة البقرة، الآية (٢٣٣).

(595) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، رقم الحديث (٣٨)، ٢٩/١.

(596) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي يتخلوهم بالموعضة والعلم كي لا ينفروا، رقم الحديث (٦٨)، ٣٨/١.

(597) انظر: عودة الحجاب، ٣٩٣/٣.

أ- أن تكون هذه المصلحة متدرجة في مقاصد الشرع، وهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، فكل ما يحفظ هذه الأصول فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول أو بعضها فهو مفسدة، ولاشك أن الحجاب مما يحفظ هذه الكليات، وأن التبرج والسفور يؤدي إلى الفساد.

ب- أن لا تعارض هذه المصلحة الكتاب والسنة، فلا تعارض القرآن الكريم، لأنه لو عارضت المصلحة كتاب الله لاستلزم ذلك أن يعارض المدلول دليلاً، وهو باطل، وكذلك السنة، فإن المصلحة إذا عارضتها اعتبرت رأياً مذموماً. ولا يخفى مناقضة هذه المصلحة المزعومة الكتاب والسنة.

ج- أن لا تعارض هذه المصلحة القياس الصحيح في حالة عدم وجود النص.

د- أن لا تفوت هذه المصلحة مصلحة أهم منها أو مساوية لها^(٥٩٨).

٣. أما قاعدة "المشقة تجلب التيسير" معناها أن المشقة التي قد يجدها المكلف في تنفيذ الحكم الشرعي سبب شرعي صحيح للتخفيض فيه بوجه ما.

وهذا لا يتناقض مع ضوابط المصلحة السابقة، فلا بد للتخفيض أن لا يكون مخالفًا لكتاب الله وسننه، ولا يخالف قياساً صحيحاً ولا مصلحة راجحة.

ومن المصالح ما نص على حكمه الكتاب والسنة كالعبادات والعقود والمعاملات وهذا القسم لم يقتصر الشارع فيه على العزائم فقط، بل ما من حكم من أحكام العبادات إلا وقد شرع إلى جانبه سبل التيسير فيه.

فالصلاوة مثلاً شرعت أركانها وأحكامها الأساسية، وشرع إلى جانبها أحكام ميسرة لأدائها عند لحوق المشقة كالجماع والقصر في الصلاة، وكالصوم شرع إلى جانب أحكامه الأساسية رخصة الفطر بالسفر والمرض، والطهارة من النجاسات في الصلاة، شرع معها رخصة العفو عما يشق الاحتراز منه.

والحجاب أوجبه الله على المرأة، ثم نهى عن النظر إلى الأجنبية وأرخص في كشف الوجه والنظر إليه عند الخطبة، والعلاج، والتقاضي، والتعليم، والمعاملة، والإشهاد.

(598) عودة الحجاب، ٣٩٣/٣، وإثارة الشبهات والشكوك حول قضايا المرأة، موقع صيد الفوائد، عن موقع المنبر www.saaid.net.

ولا يجوز الاستزادة في التحقيق على ما ورد به النص لأن يقال: إن مشقة الالتزام بالحجاب في بعض المجتمعات تقضي أن يباح للمرأة التبرج بدعوى عموم البلوى^(٥٩٩).

الشبهة الثانية:

قالوا: "إن الحجاب كان من عادات العرب في الجاهلية، لأن العرب طبعوا على حماية الشرف ووأد البنات خوفاً من العار، فألزموا النساء بالحجاب تعصباً لعاداتهم القبلية التي جاء الإسلام ينفيها ويبيطلاها، حتى إنه أبطل الحجاب، فالالتزام بالحجاب رجعية، وتختلف عن ركب الحضارة والتقدم^(٦٠٠)".

المناقشة

١. إن الحجاب الذي فرضه الإسلام على المرأة لم يعرفه العرب قبل الإسلام، بل ذم الله تبرج نساء الجاهلية، فوجه نساء المسلمات إلى عدم التبرج حتى لا يتتبّهن بنساء الجاهلية الأولى، فقال جل شأنه: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرُّجْ جَاهِلِيَّةَ الْأُولَى»^(٦٠١).

كما أن الأحاديث الشريفة التي ذمت تغيير خلق الله، أوضحت أن وصل الشعر والتتمص كان شائعاً في نساء اليهود قبل الإسلام، ومن المعروف أنه مما تستخدمه المتبرجات.

صحيح أن الإسلام أبطل عادات ذمية للعرب، ولكن بالمقابل كانت لهم عادات جميلة أقرها الإسلام كإكرام الضيف والجد والشجاعة وغير ذلك، وكان من ضمن عاداتهم الذمية خروج النساء متبرجات كاشفات الوجوه والأعناق بadiات الزينة، ففرض الله الحجاب على المرأة بعد الإسلام ليرتقي بها ويصون كرامتها، ويمنع عنها أذى الفساق والمغرضين^(٦٠٢).

٢. إذا كانت النساء المسلمات راضيات بلباسهن الذي لا يجعلهن في زمرة الرجعيات والمخالفات بما الذي يضرر دعوة التقدم والتحرر في ذلك؟! وإذا كان يلبسن الحجاب ولا يتافقن منه بما الذي حشر هؤلاء في قضية فردية شخصية بهذه؟^(٦٠٣).

(599) انظر: عودة الحجاب، ٣٩٥/٣٩٦، وإشارة الشبهات والشكوك حول قضايا المرأة . www.said.net

(600) انظر: المتبرجات، فاطمة بنت عبد الله، مكتبة السنة، القاهرة، ط٣، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، ص ١١٨ . إشارة الشبهات www.said.net

(601) سورة الأحزاب، الآية (٣٣).

(602) انظر: المتبرجات، ص ١١٨ - ١٢٠.

(603) انظر: الرائقون على جراحتنا، يمان السباعي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، ص ١٣ .

ومن العجب أن تسمع منهم الدعوة إلى الحرية الشخصية وتقديسها، فلا يجوز أن يمسها أحد، ثم تجدهم يتحكمون في حرية غيرهم في ارتداء ما شاعوا من الثياب؟^(٦٠٤).

ومنذ متى كان التقدم والتطور مرتبطين بلباس الإنسان؟! إن الحضارة والتقدم والتطور كان نتيجة أبحاث توصل إليها الإنسان بعقله وإعمال فكره، ولم تكن بثوبه ومظهره. لقد دفع المفسدون المرأة المسلمة إلى الحضيض عندما زعموا أنّ ما هم عليه من تأخّر وجمود كان بسبب التزامها بالحجاب، حتى خلعت ثيابها شيئاً فشيئاً أمام تشجيعهم وتحمّيلهم بدءاً من كشف وجهها، وانتهاءً بظهورها شبه عارية في الملاهي، والنادي، والمرافق، وشواطئ البحار، والمتزهات، والمطاعم، والشوارع، وفي كل مكان^(٦٠٥).

الشبهة الثالثة:

يقول بعضهم: "إن الحجاب يسهل عملية إخفاء الشخصية، فقد يتستر وراءه بعض النساء اللواتي يقترن الفواحش، وهذا يعني أن الحجاب لم يردع الفاسدة عن فسادها بل ساعدها على إخفاء ما تفعله"^(٦٠٦).

المناقشة

١. شرع الإسلام للمرأة أن تستر وجهها لأن ذلك أذكي لها وأطهر، والعاقل الذي يدرك من سلوك المرأة التي تبالغ في ستر نفسها، أن هذا دليل الاستعفاف والصيانة، أما التي تتبرج وتتظاهر زينتها فهذا دليل وقاحتها، وقلة حيائها، وهوانها على نفسها، ومن ثم فهي الأولى أن يُساء الظن بها، وبسلوكها، حين تعرض زينتها كالسلعة، فتجرّ على نفسها وصمة خبث النية، وفساد الطوية، وطعم الذئاب البشرية^(٦٠٧).

٢. إن المسلمة التقية الملزمة بالحجاب هي التي جاء ذكرها في كتاب الله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاسِعِينَ وَالْخَاسِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجُهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٦٠٨)

(٦٠٤) انظر: المترجات، ص ١٢٠-١٢١.

(٦٠٥) انظر: المصدر السابق، ص ١٢١.

(٦٠٦) انظر: عودة الحجاب، ٤١٢/٣، وانظر: موسوعة المرأة المسلمة، ص ٤٦.

(٦٠٧) انظر: نفس المرجع السابق، ٤١٣-٤١٢/٣.

(٦٠٨) سورة الأحزاب، الآية (٣٥)

فالإسلام كما يأمر المرأة بالحجاب يأمرها أن تكون ذات خلق ودين، إنه يربى من تحت الحجاب قبل أن يسدل عليها الجلباب، ويقول لها «وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ»^(٦٠٩). حتى تصل إلى قمة الستر والاحتجاب، ولا يمكن لامرأة نضع الحجاب على رأسها أن تحجب عن الناس أخلاقها وتعاملها، واللاتي يحاولن أن يتسترن على أعمالهن يسئن للحجاب، ولا أحد يذكر ذلك ولكن لا يمكن أن نأمرهن بنزع الحجاب، وليس معنى ذلك أن الحجاب سيء بسوء أصحابه، وحسن بطيب أصحابه، بل من الواجب علينا النصح لسائر المسلمين بالالتزام الصحيح بالحجاب، فربما كانت هذه جاهلة بأهمية الحجاب وحقيقة.

وإذا كان التخوف من سوء استغلال الحجاب مخטרة محتملة، إلا أن المخطرة في التبرج والسفور بنشر الفاحشة، وفتح ذرائعها أكيدة، وهذا ما يلاحظه ويقطع به كل عاقل^(٦١٠).

لو أن رجلاً اتتحل شخصية قائد عسكري كبير، وارتدى زيه، وتحايل بذلك، واستغل هذا الثوب فيما لا يباح له كيف تكون عقوبته؟! وهل يصلح سلوكه أن يكون مبرراً للمطالبة بإلغاء الذي المميز للعسكريين مثلاً خشية أن يسيء أحد استعماله؟!.

ولو خان الجندي بلاده هل نطالب بتسريح الجيش كله وإلغاء شيء يسمى القوات المسلحة؟ الجواب لا، فإذا كان الجواب لا، فلماذا يقف أعداء الله من الحجاب هذا الموقف المعادي؟! ولماذا يثيرون حوله الشائعات الباطلة المغرضة.

فوضع الحجاب إذن من بعض الجاهلين به والمسين له لا يعني أن تتخل عن النساء!! فما ذنب الحجاب إذا حاولت فاسقة مستهترة أن تتجلب بجذب الحياة، وتتوارى عن الأعين بارتداء شعار العفاف ورمز الصيانة، وتستر عن الناس آفاتها وفجورها^(٦١١).

الشبهة الرابعة:

يقول بعض دعاة السفور: "إن عفة الفتاة حقيقة كامنة في ذاتها وليس في غطاء يلقي ويبدل على جسمها، وكم من فتاة متتجبة عن الرجال في ظاهرها وهي فاجرة في باطن سلوكها، وكم من فتاة حاسرة الرأس كاشفة المفاتن لا يعرف السوء سبيلاً إلى نفسها ولا إلى سلوكها"^(٦١٢).

(٦٠٩) سورة الأعراف، الآية (٢٦)

(٦١٠) انظر: موسوعة المرأة المسلمة، ص ٤٦-٤٧، وانظر: عودة الحجاب، ٣/٤٥.

(٦١١) انظر: موسوعة المرأة المسلمة، ص ٤٧، وانظر: عودة الحجاب، ٣/٤٨٤، ٤١٥، وانظر: إلى كل أب غيره يؤمن بالله، عبد الله علوان، ط ٧، دار السلام، ١٩٨٦م، ص ٤٤، ٤٥، ط ١٩٧٥م.

(٦١٢) إلى كل فتاة تؤمن بالله، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ط ٢، ١٩٩٠م، ص ٩٧.

المناقشة

إن هذا صحيح فما كان للثياب أن تتسرج لصاحبتها عفة مفقودة، ولا أن تمنحه استقامة معودمة، ورُبّ فاجرة ستربت فجورها بمظهر سترها.

ولكن لماذا يزعمون أن الله سبحانه وتعالي شرع الحجاب لجسم المرأة ليخلق الطهارة في نفسها أو العفة في أخلاقها؟!، ومن هذا الذي زعم أن الحجاب إنما شرعه الله ليكون إعلاناً بأن كل من لم تلتزم به فاجرة؟

إن الله فرض الحجاب على المرأة المسلمة محافظة على عفة الرجال الذين قد تقع أبصارهم عليها وليس حفاظاً على عفتها من الأعين التي تراها فقط، ولئن كانت تشتراك معهم هي الأخرى في هذه الفتنة، إلا أن فائدتهم من ذلك أعظم وأخطر، وإلا فهل يقول عاقل تحت سلطان هذه الحجة المقلوبة: "إن الفتاة أن تبرز عارية أمام الرجال كلهم ما دامت ليست في شك من قوة أخلاقها وصدق استقامتها؟ فالحل الإلهي هو حجاب المرأة وسترها حتى لا تقع أبصار الرجال على مغريات النساء وفتنهن" ^(٦١٣).

الشبهة الخامسة:

زعم آخرون أن حجاب النساء نظام وضعه الإسلام، فلم يكن له وجود في الجزيرة العربية، ولا في غيرها قبل دعوة الإسلام وهذه الشبهة مناقضة لشبهة سابقة حيث ادعى أصحابها أن الحجاب كان عادة من عادات العرب في الجاهلية ^(٦١٤).

المناقشة

١. إن القارئ لكتب العهد القديم وكتب الأنجليل يتيقن أن حجاب المرأة كان مفروضاً في جميع الأديان السماوية السابقة من عهد إبراهيم عليه السلام، إلى ما بعد ظهور المسيحية، وتكررت الإشارة إلى البرقع في غير كتاب من كتب العهد القديم، وكتب العهد الجديد ^(٦١٥).

فقد جاء في سفر التكوين قصة طويلة عن امرأة تسمى (رفقة) أنها رفعت عينيها فرأت إسحاق، فنزلت عن الجمل وقالت للعبد: منْ هذا الرجل الماشي في الحقل للقائنا، فقال العبد: هو سيدِي، فأخذت البرقع وتغطت به" ^(٦١٦).

. (٦١٣) المصدر السابق، ٤٨٤-٤٨٥/٣

(٦١٤) انظر: شبهات حول المرأة، صيد الفوائد عن يا فتاة الإسلام، اقرأي حتى لا تخدعني، صالح البليهي، ص ١٢٤

(٦١٥) انظر: حجاب المسلمة بين انتقال المبطلين وتأويل الجاهليين، ص ٦٦

(٦١٦) سفر التكوين الإصلاح الرابع والعشرون، ٦٣-٦٦

وفي الإصلاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين أيضاً أن "ثامار مضت وقعدت في بيت أبيها، ولما طال الزمان خلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلفت"^(٦١٧).

وجاء في رسالة بولس الأولى إلى أهل (كورنثوس) "إن النقاب شرف للمرأة، وكانت المرأة عندهم تضع البرقع على وجهها حين تلتقي بالغرباء وتخلعه حين تتزوّي في الدار بلباس الحداد"^(٦١٨).

فكتب العهد القديم والجديد التي عند اليهود والنصارى نصّت على حجاب المرأة، وذكرت البراقع والمصابب، وحرّمت على النساء كل ما يتناهى مع الحشمة والعفاف أو يدعو إلى الإثارة والفتنة.

٢. كان الرومان يسنون القوانين التي تحرم على المرأة الظهور بالزينة في الطرقات قبل الميلاد بمائتي سنة، ومنها قانون عرف باسم "قانون أوبيا" يحرم عليها المغالاة بالزينة حتى في البيوت^(٦١٩).

٣. وأما في الجاهلية فنجد أن الأخبار الواردة في تستر المرأة العربية كثيرة، وانتهاك ستراها كان سبباً في اليوم الثاني من أيام حروب الفجار الأولى، إذ إن شباباً من قريش وبني كانانة رأوا امرأة جميلة وسيمة من بنى عامر في سوق عكاظ، وسألوها أن تسفر عن وجهها فأبّت، فامتنهنها أحدهم فاستغاثت بقومها. وقد ذكر أن المرأة كانت تلتقي خمارها لحسنها وهي على عفة.

٤. لم يكن الخمار مقصوراً على العرب وإنما كان شائعاً لدى الأمم القديمة في بابل وآشور وفارس والروم والهند^(٦٢٠).

الشبهة السادسة:

قالوا: إن الطاقة الجنسية في الإنسان طاقة كبيرة وخطيرة، وخطورتها تكمن في كبتها، وزيادة الضغط يولد الانفجار، وحجاب المرأة يغطي جمالها، وبالتالي، فإن الشباب يظلون في كبت جنسي يكاد أن ينفجر أو ينفجر أحياناً على شكل حوادث الاغتصاب وغيرها، والعلاج لهذه

(617) سفر التكوين، الإصلاح الثامن والثلاثون، ١١-١٤.

(618) الرسالة الأولى.

(619) انظر: حجاب المسلمة، ص ٥١-٧١.

(620) شبّهات حول المرأة، عن المرأة بين الجاهلية والإسلام، محمد الناصر وخولارتش، ١٦٩-١٧١، موقع صيد الفوائد.

المشكلة إنما يكمن في تحرير المرأة من هذا الحجاب لكي ينفس الشباب الكبت الذي فيهم، وبالتالي يحدث التشبع لهذه الحاجة، فيقل طبقاً لذلك خطورة الانفجار بسبب الكبت والاختناق^(٦٢١).

المناقشة

١. لو كان هذا الكلام صحيحاً ل كانت أمريكا والدول الأوروبية وما شاكلها هي أقل الدول في العالم في حوادث الاغتصاب والتحرش الجنسي في النساء وغيرها من الجرائم، وذلك لأن أمريكا والدول الأوروبية قد أعطت هذا الجانب عناية كبيرة بحجة الحرية الشخصية، فماذا كانت النتائج التي ترتب على الانفلات والإباحية؟ هل قلت حوادث الاغتصاب؟ هل حدث التشبع الذي يتحدثون عنه؟ وهل حُمِّيت المرأة من هذه الخطورة؟.

جاء في كتاب "الجريمة في أمريكا" إنه تتم جريمة اغتصاب بالقوة كل ستة دقائق في أمريكا، ويعني بالقوة أي تحت تأثير السلاح. وقد بلغ عدد حالات الاغتصاب في أمريكا عام ١٩٧٨ م إلى مائة وسبعة وأربعين ألف وثلاثمائة وتسع وثمانين حالة، لتصل عام ١٩٨٧ م إلى مائتين وواحد وعشرين ألف وسبعمائة وأربع وستين حالة، وهذه الإحصائيات تكذب هذه الدعوى^(٦٢٢).

٢. إن الغريزة الجنسية موجودة في الرجال والنساء، وهي سر أودعه الله في الرجل والمرأة لحكم كثيرة، منها: استمرار النسل، ولا يمكن لأحد أن ينكر وجود هذه الغريزة، فكيف يطلب من الرجال أن يتصرفوا تصرفاً طبيعياً أمام مناظر التكشف والتعرّي دونما اعتبار لوجود تلك الغريزة!!!^(٦٢٣).

٣. إن الذي يدّعي أنه يمكن معالجة الكبت الجنسي بإشاعة مناظر التبرج والتعرف ليحدث التشبع فإنه بذلك يصل إلى نتيجتين:

الأولى: أن هؤلاء الرجال الذي لا تثيرهم الشهوات والغورات البدنية من فئة المتخصصين فانقطعت شهوتهم بما عادوا يشعرون بشيء من ذلك الأمر.

(621) شبّهات حول المرأة، أولاً الحجاب عن أخي غير المحجبة، ما المانع من الحجاب، عبد الحميد البلّاعي، ص ١٠-٨ (بتصرف) موقع صيد الفوائد.

(622) موقع صيد الفوائد، شبّهات حول المرأة، أولاً الحجاب عن أخي غير المحجبة، ما المانع من الحجاب، عبد الحميد البلّاعي، ص ٧.

(623) نفس المصدر السابق، ص ١٢.

الثانية: أن هؤلاء الرجال الذين لا تثيرهم العورات الظاهرة من الذين أصابهم مرض البرود الجنسي فهل الذين يدعون صدق تلك الشبهة يريدون من رجال أمتنا أن يكونوا ضمن إحدى هاتين الطائفتين من الرجال^(٦٢٤).

الشبهة السابعة:

قالوا: إن حجاب المرأة يعطى نصف المجتمع إذ أن الإسلام يأمرها أن تبقى في بيتها.

المناقشة

١. إن الأصل في المرأة أن تبقى في بيتها، قال الله تعالى «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى»^(٦٢٥)، ولا يعني هذا الأمر إهانة المرأة وتعطيل طاقاتها، بل هو التوظيف الأمثل لطاقاتها.

٢. ليس في حجاب المرأة ما يمنعها أو يعيقها عن العمل المسموح به لها، ولا يحول بينها وبين اكتساب المعرفة والعلوم، بل إنها تستطيع أن تقوم بكل ذلك مع المحافظة على حجابها وتجنبها الاختلاط المشين.

وأمثلة حية كثيرة من طالبات الجامعات اللاتي ارتدين الثوب الساتر، وابعدن عن مخالطة الطلاب كن المتفوقات، وحذرن على تقدير واحترام من جميع المدرسين والطلاب.

٣. إن خروج المرأة ومزاحمتها الرجل في أعماله وتركها الأعمال التي لا يمكن أن يقوم بها غيرها هو الذي يعطى نصف المجتمع، بل هو السبب في انهيار المجتمعات، وفساد الفساد وانتشار الجرائم، وانفكاك الأسر، لأن مهمة رعاية النساء وتربيتهم والاهتمام بهن وهي من أشرف المهام وأعظمها وأخطرها أضحت بلا عائل ولا رقيب^(٦٢٦).

الشبهة الثامنة:

قال أعداء الحجاب أن التبرج أمر عادي لا يلفت النظر، وبالتربيبة السليمة يتعود الناس عليه. فادعوا أن التبرج الذي تبدو به المرأة كاسية عارية لا يثير انتباه الرجل بينما ينتبه الرجال عندما يرون المرأة المتحجبة حجاباً كاملاً يستر جسدها كلها، فيريدون التعرف على شخصيتها، ومتابعتها لأن كل ممنوع مرغوب.

(٦٢٤) نفس المصدر السابق، ص ١٢-١٣.

(٦٢٥) سورة الأحزاب، الآية (٣٣).

(٦٢٦) انظر: موقع صيد الفوائد، شبهات حول المرأة عن أخيه غير المحجبة، ص ٦٤، وبافتاة الإسلام، ص ٣٩-٤٠.

المناقشة

١. ما دام التبرج أمراً عادياً لا يلتف الأنظار ولا يستهوي القلوب فلماذا تبرجت، ولمن تبرجت؟ ولماذا تحملت ثمن أدوات التجميل وأجرة الكواشير، ومتابعة الموضات.
٢. وكيف يكون التبرج أمراً عادياً ونرى أن الأزواج -مثلاً- تزداد رغبتهم في زوجاتهم كلما ترین وتجملن، كما تزداد الشهوة إلى الطعام كلما كان منسقاً متنوعاً جميلاً في ترتيبه ولو لم يكن لذذ الطعم^(٦٢٧).

تقول السيدة: نعمت صدقى: "لقد غفل الناس وخدعوا أنفسهم، فزعموا أن التبرج قد أصبح أمراً عادياً مأولاً لا يؤثر في الأخلاق، ولا يثير دفائن الشهوات، ثم تقول:

إن الرجلة هي الرجلة والأنوثة هي الأنوثة وإن الجاذبية بين الرجل والمرأة هي الجاذبية الفطرية، لا تتغير مدى الدهر، وهي شيء يجري في عروقها، وبينه في كل من الجنسين ميوله وغرائزه الطبيعية، فإن الدم يحمل الإفرازات الهرمونية من الغدد الصماء المختلفة، فتؤثر على المخ والأعصاب وغيرها من الأعضاء، بل إن كل جزء من كل جسم يتميز بما يشبهه في الجنس الآخر، ولذلك تظهر صفات الأنوثة في المرأة في تركيب جسمها كله وفي شكلها وفي أخلاقها وأفكارها وميلتها، كما تظهر مميزات الذكورة في الرجل في بدنها وهيئته وصوته وأعماله وميله.

وهذه قواعد فطرية طبيعية لم تتغير من يوم خلق الله الإنسان، ولن تتغير حتى تقوم الساعة^(٦٢٨).

فالإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف لا تهاج فيه الشهوات في كل لحظة ولا تستثار عمليات (الاستثارة) المستمرة تنتهي إلى سعار شهوانى، لا ينطفئ ولا يرتوى، والفطرة الخائنة، والحركة المثيرة والزينة المتبرجة، والجسم العاري، كلها لا تصنع شيئاً إلا أن تهيج ذلك السعار الحيواني المجنون.

وما نراه في بلاد الغرب من الاختلاط والإباحية والتقلت لم ينته بتهدب الدوافع الجسدية، وترويضها إنما انتهى إلى سعار مجنون لا يرتوى ولا يهدأ إلا ريثما يعود إلى الظماء والاندفاع. وانتشرت الأمراض النفسية، والعقد التي كان مفهوماً أنها لا تنشأ إلا من الحرمان، شوهدت وشوهدت معها الشذوذ الجنسي بكل أنواعه، كثمرة مباشرة لـ(الاختلاط) الذي لا يقيده قيد، ولا يقف عند حد.

(٦٢٧) انظر: المترجلات، ص ١١٣.

(٦٢٨) انظر: التبرج، نعمت صدقى، دار الاعتصام، ١٩٧٥م، ص ٢٣-٢٤.

إذن الميل الفطري بين الرجل والمرأة ميل عميق، وإثارته في كل حين تزيد من عرامته، فالنظرة تثير والحركة تثير، والضحكة تثير، والدعاية تثير، والطريق المأمون هو تقليل هذه المثيرات وذلك هو المنهج الذي يختاره الإسلام، مع نهذيب الطبع، وتشغيل الطاقة البشرية بهموم أخرى في الحياة، غير تلبية دافع اللحم والدم.

أما أن العيون تتبع المتحجبة السائرة لوجهها ولا تتبع المتبرجة، فإن المتحجبة تشبه كتاباً مغلفاً لا تعلم محتوياته وعدد صفحاته، وما يحمله من أفكار، فطالما كان الأمر كذلك فإنه مهما نظرنا إلى غلاف الكتاب ودققنا النظر فإننا لا نفهم محتوياته، ولن نعرفها، بل ولن نتأثر بها، وبما تحمله من أفكار، وهذا المتحجبة غلافها حجابها، ومحتوياتها مجهرة بداخله، وإن الأنوار التي ترتفع إلى نورها لترتدى حسيرة خاسئة، لم تظفر بشروى فقير ولا بأقل القليل.

أما تلك المتبرجة فتشبه كتاباً مفتوحاً تتصفحه الأيدي، وتتداوله الأعين سطراً سطراً وصفحة صفحة، وتتأثر بمحتوياته العقول، فلا يترك حتى يكون قد فقد رونق أوراقه، فتثبت بل تمزق بعضها، إنه يصبح كتاباً قدیماً لا يستحق أن يوضع في واجهة مكتبة بيت متواضعة، مما بالنسبة لنا بواجهة مكتبة عظيمة؟!.

إن هذه المتبرجة كتاب منحرف لا يحمل علمًا فاضلاً ولا فكراً مستقيماً، وإن كان يعطي تأثيراً معيناً لدى ضعاف النفوس، فإن هذا الكتاب، وأمثاله مصيرهم معروف لدى كل إنسان عاقل مهذب مستقيم شريف^(٦٢٩).

الشبهة التاسعة:

زعموا أن السفور حق للمرأة، سلبها إياه المجتمع، أو سلبها إياه الرجل الأناني المتحجر المتزمت، ويرون أن الحجاب ظلم لها وسلب لحقها^(٦٣٠).

المناقشة

١. لم يكن الرجل هو الذي فرض الحجاب على المرأة فترفع قضيتها ضده ولتتخلص من الظلم الذي أوقعه عليها، كما كان وضع القضية في أوروبا بين المرأة والرجل، إنما الذي فرض الحجاب على المرأة هو ربها وخلوقها الذي لا تملك -إن كانت مؤمنة- أن تجادله سبحانه فيما أمر به أو يكون لها الخيرة في الأمر، حيث قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ

(٦٢٩) انظر: المتبرجات، ص ١١٤-١١٧.

(٦٣٠) انظر: شبهات حول المرأة موقع صيد الفوائد، عن قضية تحرير المرأة لمحمد قطب، ص ٢١.

**لَمُؤْمِنٌ وَلَا مُؤْمِنَةٌ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ
الَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا** ﴿٦٣١﴾

٢. إن الحجاب في ذاته لا يشكل قضية، فقد فرض الحجاب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفذ في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستمر بعد ذلك ثلاثة عشر قرناً متواالية وما من مسلم يؤمن بالله ورسوله يقول: إن المرأة كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مظلومة. فإذا وقع الظلم عليها بعد ذلك حين تخلف المسلمين عن عقيدتهم الصحيحة ومقتضياتها فلم يكن الحجاب - بداهة - هو منبع الظلم ولا سببه ولا قرينه، لأنه كان قائماً في خير القرون على الإطلاق، وكان قريباً النظافة الخلقيّة والروحية، وقريباً الرفعة الإنسانية التي لا مثيل لها في تاريخ البشرية^(٦٣٢).

الشّبهة العاشرة:

ادعت بعض النساء أن طهارة القلب وسلامة النية، وأن الصوم والصلوة والصدقة والخلق الحسن يغنين عن الحجاب، إذا التزرت بهن المرأة، فلا داعي للحجاب، فهو مظهر من المظاهر الجوفاء وليس له أهمية ولا ضرورة، ومنهن من زعمت أن حب الله ورسوله كفيلان برضاء الله عنها دون عمل^(٦٣٣).

المناقشة

١. إن التي تخرج عن تعاليم الإسلام ثم تدعى طهارة القلب وسلامة النية كافياً لرضا الله عنه بغير حجاب ولا صلاة أو غير ذلك من الأمور الشرعية التي لا يصح الإسلام إلا بتطبيقها، تعتبر جاهلة، فكان الله تعالى يوزع رحمته على الناس بمشيئتهم لا بمشيئته، أو أن الله العدل الذي حرم الظلم على نفسه، وجعله محراً بين الناس، قد تخلى عن صفاته والعياذ بالله فأعطى المقصر والمسيء كالمحسن العامل ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلُهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(٦٣٤). مما فائدة الجزاء والحساب؟ ولم خلقت الجنة والنار^(٦٣٥)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

(٦٣١) سورة الأحزاب، الآية (٣٦).

(٦٣٢) شبهات حول المرأة، موقع صيد الفوائد عن قضية تحرير المرأة، محمد قطب، ص ٢٠-١٩.

(٦٣٣) انظر: المتبرجات، ص ١٠٢، ١٠٥، ١٠٧.

(٦٣٤) سورة التوبة، الآية (٣٠).

(٦٣٥) انظر: المتبرجات، ص ١٠٣-١٠٢.

خَيْرًا يَرَهُ ﴿٦٣٦﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٦٣٧﴾ فالرحمة تناول بالعمل الصالح، والنقوى والإحسان، وليس القلب قبرًا يدفن فيه الإيمان، ولا يظهر على صاحبه آثاره ﴿٦٣٨﴾.

٢. الصوم والصلوة والصدقة والخلق الحسن لا يغدون عن الحجاب للمرأة، فهو فريضة من الله تعالى على المرأة، ونبذ التبرج أيضاً فريضة والله سبحانه وتعالى عندما نهى عن التبرج قرنه بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله، وذلك في قوله ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْ الْجَاهْلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقْمَنَ الصَّلَاةَ وَآتَيْنَ الزَّكَاةَ وَأَطْعَنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ﴿٦٣٩﴾. فالحجاب يميز المسلمة المؤمنة عن غيرها من الفاسقات المترجلات، بل الالتزام بالصلوة والعبادات يجب أن يلزمها بفرضية الحجاب لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ ﴿٦٤٠﴾.

٣. وإن حال التي تستجيب لبعض أوامر الله، وتترك بعضها هي حال من ذمهم الله بقوله: ﴿أَفَقُوْمٌ نُونَ بِيَعْصِيْنَ الْكِتَابَ وَتَكَفَّرُونَ بِيَعْصِيْ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعُلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خَزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٦٤١﴾.

٤. لو كان الحجاب مظهراً أو جوفاً لما توعد الله المترجلات بالحرمان من الجنة وعدم شرمها، ولما لعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال ﴿٦٤٢﴾.

الشَّبَهَةُ الْحَادِيَّةُ عَشْرٌ:

احتاجت بعض النساء أن الحجاب يسبب لصاحبته السخرية والخجل من الناس، ومنهن من تدعى أنها تخشى على نفسها الجنون إذا تحجبت ﴿٦٤٣﴾.

المناقشة

١. عجباً لمن تخجل من الحجاب، ولا تخجل من نظرات الرجال إلى جسدها، ولا تخجل من عرض مفاتنها رخيصة أمام البر والفاجر، أتخجل من الفضيلة والشرف والحياء، ولا تخجل من الوقاحة والاستهانة.

(636) سورة الزلزلة، الآية (٧، ٨)

(637) انظر : المترجلات، ص ١٠٣.

(638) سورة الأحزاب، الآية (٣٣).

(639) سورة العنكبوت، الآية (٤٥)

(640) سورة البقرة، الآية (٨٥)

(641) انظر : المترجلات، ص ١٠٦.

(642) انظر : المترجلات، ص ١٠٦، ١٠٥، ١٠٧.

إن كل من استهزأ بحجاب المرأة المسلمة فهو بمقام من استهزأ بالله وآياته ورسوله حتى لو كان على سبيل المزاح لأنه اعتذار يبررون به فعلهم الذيء، قال جل وعلا ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِلَّهُ وَآيَاتِهِ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾^(٦٤٣). فمن ترتدى الحجاب ترتبىء مرضاه لله سبحانه وتعالى، لذا يجب عليها أن لا تأبه لكلام وسخرية المستهزئين، فلا يثنيها ذلك عن عزمها، وتتصمّم أذنها عن سماعهم، وتستمع لنداء الله لأن فيه سعادتها ونجاتها^(٦٤٤).

٢. أمّا من تخشى على نفسها الجنون، لو التزمت بأوامر الله، فلم نسمع أياً من الأخوات الملتزمات بأوامر الله بالحجاب وغيرها أن أصابها الجنون أو مس من الشيطان.

وتنظر فاطمة الزهراء بنت عبد الله موقفاً حدث معها عندما زارتتها سيدة متقدمة في السن فرأتها تحمل كتاباً ضخماً من كتب الفقه تبحث فيه عن مسألة فقهية، فقالت لها مشفقة محذرة بعد أن أخذت تحدّق فيها لفترة طويلة: كفاك يا ابني تقليلياً في هذا الكتاب، ومن التعمق في الدين وإلا خشينا على عقلك من الضياع.

فحاولت إفهامها أن التعمق في الدين وفهمه، والعمل به، يصلح العقول ولا يذهبها، لكنها لم تقنع وأخبرتها عن إنسان جنٌّ من الدين، يسير في الشوارع، والأماكن متمتماً ومهرولاً ولا ينظر إلى أحد، فلما سألت عن ذلك الرجل عرفت أنه كان يدرس الفلسفة في شبابه وتعمّق فيها حتى فقد عقله، والفلسفة ليست من الدين، بل إنها تشکك في الدين أحياناً.

٣. إن الجنون آفة نطرأ على العقل، فتغير السلوك والتصرفات، وكل إنسان معرض للإصابة به، ولا دخل لذلك بدينه أو معتقداته^(٦٤٥).

الشبهة الثانية عشر:

الاحتجاج بقاعدة "تبديل الأحكام بتبدل الزمان"

فهم أداء الحجاب من قاعدة تبدل الأحكام بتبدل الزمان وقاعدة "العادة محكمة" أنه ما دامت أعرافهم متطرفة بتطور الأزمان فلا بد أن تكون الأحكام الشرعية كذلك^(٦٤٦).

(٦٤٣) سورة التوبه، الآية (٣٠).

(٦٤٤) انظر: المtribقات، ١٤٠-١٤١.

(٦٤٥) انظر: نفس المصدر السابق، ص ١٤٤-١٤٥.

(٦٤٦) انظر: عودة الحجاب، ٤١٠-٤٠٨/٣.

المناقشة

لا ريب أن هذا الكلام لو كان مقبولاً على ظاهره لاقضى أن يكون مصير شرعية الأحكام كلها، هنا بيد عادات الناس وأعرافهم وهذا لا يمكن أن يقول به مسلم، لكن تحقيق المراد من هذه القاعدة أن ما تعارف عليه الناس وأصبح عرفاً لهم لا يخلو من حالات:

١. إما أن يكون هو بعينه حكماً شرعاً أيضاً بأن أوجبه الشرع، أو كان موجوداً فيهم فدعا إليه وأكده مثل ذلك: الطهارة من النجس، والحدث عند القيام إلى الصلاة، وستر العورة فيها، وحجب المرأة زينتها عن الآجانب، والقصاص والحدود وغيرها، فهذه كلها أمور تعد من أعراف المسلمين وعاداتهم وهي في نفس الوقت أحكام شرعية يستوجب فعلها التواب وتركها العقاب.

٢. وإنما أن يكون حكماً شرعاً ولكن تعلق به الحكم الشرعي بأن كان مناطاً له، مثل ذلك: ما يتعارفه الناس من وسائل التعبير وأساليب الخطاب والكلام، وما يتواصرون عليه من الأعمال المخلة بالمرءة والأداب، وما تفرضه سنة الخلق والحياة في الإنسان مما لا دخل للإرادة والكيف فيه كاختلاف عادات الأقطار في سن البلوغ، وفترة الحيض والنفاس إلى غير ذلك.

فهذه الأمثلة أمور ليست بحد ذاتها أحكاماً ولكنها متعلقة ومناط لها، وهذه الصورة من العرف هي المقصودة من قول الفقهاء "العادة محكمة" فالأحكام المبنية على العرف والعادة هي التي تتغير بتغيير العادة، وهنا فقط يصح أن يقال: لا ينكر تبدل الأحكام بتبدل الزمان

وهذا لا يعد نسخاً للشريعة لأن الحكم باق، وإنما لم تتوافر له شروط التطبيق، فطبق غيره، يوضحه أن العادة إذا تغيرت فمعنى ذلك أن حالة جديدة قد طرأت تستلزم تطبيق حكم آخر، أو أن الحكم الأصلي باق، ولكن تغير العادة استلزم توافر شروط معينة لتطبيقه^(٦٤٧).

وهكذا تم دحض شبكات أعداء حجاب المرأة المسلمة، ولتعلم أي المسلمة أن حجابك هو سترك وأدبك وعفتك وطهارتكم، فإياك أن تجري وراء كلمات محسوبة، ثبت زيفها والتزمي حيث أمرك الله بلباس الحشمة والوقار، قال تعالى: ﴿ولِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾^(٦٤٨).

(647) انظر: عودة الحجاب، ٤١٠ - ٤٠٩/٣.

(648) سورة الأعراف، الآية (٢٦).

المطلب الثاني: الاختلاط والخلوة

الشبهة الأولى:

قال دعاة الاختلاط إن المرأة في حاجة إلى أن تخرج للمجتمع لتعلم، ولتعمل وللSHARE في أتراح الحياة وأفراحها، وكل هذا يفرض عليها الاختلاط بالرجل، الذي قد يكون زميلاً لها في الدراسة أو العمل، أو معلماً في المدرسة، أو أستاذًا في الجامعة، أو رئيساً في العمل أو مرعوباً أيضاً، أو طبيباً في العلاج وغيره.. وقالوا: كيف يمكن أن تعيش المرأة بغير الرجل في عصر تشابكت فيه العلاقات وتعقدت، ولم يعد ممكناً أن تسجن المرأة في قفص المنزل حتى لو كان هذا القفص من ذهب، فلن يعود كونه سجناً!

ويتساءلون لماذا يباح للرجال ما لا يباح للنساء؟ لماذا يستمتع الرجل بالهواء الطلق، وتحرم المرأة منه؟ ولماذا نسيء الظن بالمرأة، وهي ليست دون الرجل ديناً وعقلاً وضميراً؟؟؟
ولم يشدد الإسلام على المرأة، ولم كل هذه القيود على الاختلاط؟^(٦٤٩)

المناقشة:

١. لقد ظلم هؤلاء المستغربون المرأة وأرادوا أن يفرضوا عليها التقاليد الغربية بما فيها من فساد، وتحلل من القيم، وانحراف عن سواء الفطرة، وبعد عن منهج الله القويم، وهم يريدون من المرأة أن تتبع سنن المرأة الغربية شبراً بشبر وذراعاً بذراع متغافلين ما تشتكى منه المرأة الغربية، وما جرّ عليها الاختلاط من سوء العاقبة وعلى الأسرة وعلى المجتمع كله، وقد توالت في الآونة الأخيرة صيحات هؤلاء الغرب من الكتاب والعلماء والأدباء والمصلحين الذين يطالبون بعودة المرأة إلى البيت وأظهروا مخاوفهم على الحضارة كلها من جراء إلغاء القيود في الاختلاط بين الجنسين، وتناسى هؤلاء المقلدون من أبناء المسلمين أن لكل أمة شخصيتها المستقلة، التي تكونها عقائدها وتصوراتها للإله والكون والحياة والوجود، وأن لها قيمها وتراثها وتقاليدها، وأنه لا يجوز أن يكون مجتمع ما صورة مكررة من مجتمع آخر^(٦٥٠).

٢. إن الناظر في هدى الإسلام يرى أن المرأة لم تكن مسجونة ولا معزولة، بل كانت تخرج من بيتها، فتشهد الجماعة وال الجمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عليه الصلاة والسلام يحثهن على أن يتذدن مكانهن من الصفوف الأخيرة خلف صفوف

(٦٤٩) انظر: فتاوى للمرأة المسلمة، د. يوسف القرضاوي، طبعة الفرقان الأولى، ١٤١٧هـ—١٩٩٦م، ص ٤٩-٥٠.

(٦٥٠) نفس المصدر السابق، ص ٥١-٥٢.

الرجال، ولم يكن بين الرجال والنساء أي حائل من بناء أو خشب أو غيره، وكانوا في أول الأمر يدخل الرجال والنساء من أي باب اتفق لهم، فيحدث نوع من التراحم عند الدخول والخروج فخصص بعد ذلك باب لهن وسمى باسم(باب النساء) .

وكان النساء يحضرن صلاة العيددين، ويشاركن في هذا المهرجان الإسلامي الكبير، الذي يضم الكبار والصغار، والرجال والنساء، في الخلاء مهليين مكبرين^(٦٥١).

وكان النساء يحضرن دروس العلم، مع الرجال عند النبي صلى الله عليه وسلم، ويسألن عن أمر دينهن مما قد يستحي منه الكثيرات اليوم.

ولم يشبع ذلك نهمهن لمزاحمة الرجال، واستئثارهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، فطلبن لهن يوماً يكون لهن خاصة، لا يغالبهن فيه الرجال ولا يزاحمونهن وقلن في ذلك صراحة. ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، فقال: "اجتمعن في يوم كذا وكذا، في مكان كذا وكذا"، فاجتمعن فأناهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمهن مما علمه الله^(٦٥٢)

وتتجاوز هذا النشاط النسائي إلى المشاركة في المجهود الحربي في خدمة الجيش والمجاهدين والتمريض وللإسعاف ورعاية الجرحى والمصابين وكتب السيرة مليئة بقصص النساء المشاركات في الجهاد والتعليم والتمريض، وقد عقد البخاري باباً في صحيحه في غزو النساء وقتلهن.

وفي الحياة الاجتماعية شاركت المرأة داعية إلى الخير، آمرة بالمعروف، ناهية عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَائِءِ بَعْضٌ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٦٥٣)

٣. إن إمساك المرأة في البيت، وإيقاعها بين جدرانه الأربع لا تخرج منه، اعتبره القرآن عقوبة بالغة لمن ترتكب الفاحشة من نساء المسلمين، وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَاللَّاتِي

(651) انظر: الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة، البهـيـ الخوليـ، ص ١٨١-١٨٢، وفتـوىـ المرأةـ المـسلـمةـ، القرضاـويـ، ص ٤٥٥-٥٥٤ـ.

(652) صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنـةـ، بـابـ تعـلـيمـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـمـتـهـ منـ الرـجـالـ وـالـنـسـاءـ مـاـ عـلـمـ اللهـ لـيـسـ يـرـأـيـ وـلـاـ تـمـثـيلـ، رـقـمـ الـحـدـيـثـ (٧٣١٠)، ٤/٣٩٣ـ .

(653) سورة التوبـةـ، الآيةـ (٧١)

**يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوَا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ
فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا**

(٦٥٤).

فكيف يستقيم في منطق القرآن والإسلام أن يجعل الحبس في البيت صفة ملزمة لل المسلمة الملتزمة المحترمة، والحبس عقوبة دائمة لها من غير ذنب؟^(٦٥٥).

٤. إذن اللقاء بين الرجال والنساء ليس محظياً، بل هو جائز أو مطلوب إذا كان القصد منه المشاركة في هدف نبيل، من علم نافع أو عمل صالح، أو مشروع خير، أو جهاد لازم، أو غير ذلك مما يتطلب جهوداً متضادة من الجنسين، ويطلب تعاوناً مشتركاً بينهما في التخطيط والتوجيه والتنفيذ ولكن بحدود وقيود شرعية ضابطة لكل لقاء بين الطرفين وهي:^(٦٥٦)

أ- الالتزام بغض البصر من الرجل والمرأة، فلا ينظر إلى عورة، ولا ينظر بشهوة ولا يطيل النظر في غير حاجة قال تعالى: «**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكِيَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴿٦٥٧﴾ **وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُبْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ** ﴿٦٥٨﴾».

ب- الالتزام من جانب المرأة باللباس الشرعي المحتشم الذي يغطي البدن ولا يشف ولا يصف، قال تعالى: «**وَلَا يُبَدِّلِنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَيُضْرِبَنَ بِخُمْرِهِنَ عَلَى جُبُوبِهِنَّ** ﴿٦٥٨﴾» وقال تعالى: في تعليق الأمر بالاحتشام «**ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرَفْ فَلَا يُؤْذِنُ** ﴿٦٥٩﴾».

فهذا الذي يميز المرأة حرّة العفيفة الجادة من المرأة اللعوب المستهترة، فلا يتعرض أحد للعفيفة بأذى، لأن زيها وأدبها يفرض على كل من يراها احترامها.

ج- الالتزام بأدب المسلمة في كل شيء وخصوصاً في التعامل مع الرجال، فلتلتزم في الكلام فيكون بعيداً عن الإغراء والإثارة، وفي المشي والحركة فلا تتكسر

(٦٥٤) سورة النساء، الآية (١٥)

(٦٥٥) فتاوى للمرأة المسلمة، ص ٥٦، ٧١، ٦٤.

(٦٥٦) فتاوى المرأة المسلمة، ص ٦٥، وانظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ١٨٥.

(٦٥٧) سورة النور، الآيات (٣٠-٣١)

(٦٥٨) سورة الأحزاب، الآية (٥٩)

(٦٥٩) سورة الأحزاب، الآية (٥٩)

ولا تتمايل، حيث قال الله تعالى ﴿وَلَا يَضْرِبُنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيَعْلَمَ مَا يُخْفِنُ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾^(٦٦٠).

- د- أن تتجنب كل ما شأنه أن يثير الغرائز ويغرى الرجال من الروائح العطرية، وألوان الزينة التي ينبغي أن تكون للبيت لا للطريق، ولا للقاء مع الرجال.
- هـ- الحذر من أن يختلي الرجل بأمرأة وليس معها محرم، فعند الخلوة يكون ثالثهما الشيطان.

و- أن يكون اللقاء في حدود ما تفرضه الحاجة، وما يوجبه العمل المشترك دون إسراف أو توسيع يخرج المرأة عن فطرتها الأنوثية، أو يطعن في عرضها، أو يعطيها عن واجبها المقدس في رعاية البيت وتربية الأجيال^(٦٦١).

الشبهة الثانية:

يدعى دعاء الاختلاط أن اختلاط الرجال بالنساء يكسر الشهوة ويهذب الغريزة ويزيل حدة إثارة الدافع الجنسي ويخفف من الكبت ويبعد الفساد لدى كل من الرجل والمرأة، وأن الفصل يؤجج الشهوة، ويلجئ إلى طلب الجنس ولو من المثل^(٦٦٢).

المناقشة:

١. هذه الدعوى ضرب من الإرهاب الفكري المقيت، يحصر فيه الناس بين خيارين، إما الاختلاط أو الشذوذ، ولا اعتبار للحلال والطيب عندهم ويقول الدكتور إبراهيم الأزرق: "إن الشرف ليس جوهراً قائماً منفصلاً أو متبعضاً عن غيره، وكذلك العفة ليست كائناً يمشي على الأرض ويمسّك باليدي، بل هي قائمة في النفوس، وإن الصفات والأعراض قابلة للتتأثر إذا لم تُصن، فالخفرات الخوذ^(٦٦٣) إذا خرجن فأكثرن التعرض لأشعة الشمس الحارقة، مالت نحو السواد أبشارهن وقلوبهن البيضاء"، ثم يتبع ليبين أثر الاختلاط قائلاً:

(٦٦٠) سورة النور، الآية (٣١)

(٦٦١) انظر : فتاوى المرأة المسلمة، القرضاوي، ص ٦٥-٦٨.

(٦٦٢) تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية، والاختلاط المستهتر، محمد بن لطفي الصباغ، مكتبة العلم ١٤٠٠هـ - ١٩٩٨م، ص ٢٢، وانظر: الاختلاط بين الواقع والتشريع، إبراهيم بن عبد الله الأزرق، محرر ١٤٢٥هـ، مكتبة صيد الفوائد، ص ٦٥.

(٦٦٣) معنى الخفرات الخوذ: والخفارة الجارية استحيت أشد الحياة من خفر وخفرة وخور المرأة الشابة، انظر: المنجد في اللغة، ص ١٩٨، ١٨٨.

"وكم رأيت إنساناً ينقططر الحياة من محياه، فعاد إليك بعد أن خالط أقواماً لم يتركوا في وجهه قطرة ماء" (٦٦٤).

٢. إن الاختلاط يزيد من شدة إثارة الدافع الجنسي، ولو أنَّ اختلاط الرجل بالمرأة غير المحرمة عليه يخفف من حدة الدافع الجنسي لدى كل من الرجل والمرأة لتبيَّن أنَّ هذا الدافع يخف تدريجياً، ثم يصل إلى درجة الانعدام عند كل واحد من الزوجين بعد فترة زواجهما، لشدة اختلاط أحدهما بالآخر بشكل دائم، ولكن الواقع عكس ذلك، إذ يستمرُّ هذا الدافع لدى كلِّ منها ما دام أنه سويٌّ في صحته الجسمية والعقلية (٦٦٥).

٣. لقد ظهر زيف هذه الدعوى يوماً بعد يوم في المجتمعات التي يتزايد فيها الاختلاط، ففي كل يوم يزداد فيه الاختلاط، تزداد فيه سعار الشهوة الجنسية، ويزداد الفساد، وإليك مقالاً واحداً على أنَّ حياة الغرب ترد إلى الحضيض: فقد ذكرت جريدة الشرق الأوسط أنَّ الطالب الأمريكي (جوفوتس) والبالغ من العمر (١٩) عاماً قد أطلق النار على أستاذته (جيمس بونجي) داخل إحدى قاعات الدراسات في مدرسة (سانتا مونيكا) في كاليفورنيا فأرداه قتيلاً على الفور، وذكر بيان لرجال الشرطة صدر في وقت لاحق أنَّ خلافاً قد نشب بين الطالب وأستاذته بسبب التناقض على حب إحدى طالبات (٦٦٦).

وتشير بعض التقارير إلى أنَّ أكثر من تسعين بالمائة من النساء غير المتزوجات في أوروبا وأمريكا يمارسن الزنا إما بطلاق أو من حين إلى آخر.

إذن قد ثبت في الواقع خطر اختلاط الرجال بالنساء، وأنَّ ذلك مداعاة للفاحشة، والوقوع في الرذيلة، وهذا أمر يدركه كل عاقل، ويتعارض عنه من كان في قلبه مرض.

فميل الجنسين أحدهما للآخر أمرٌ غريزي، والعجب أنَّ الأمم الغربية بدأت تعمل على الفصل بين الجنسين في كليات كثيرة بلغت المائة وبسبعة في الولايات المتحدة عام ١٩٧٧م، وفي اليابان المتقدمة صناعياً جامعات خاصة للذكور وأخرى للإناث، وجاء الفصل بين الجنسين أيضاً في المدارس العامة وفي أوروبا تمت عمليات الفصل في أعداد كبيرة من الكليات والجامعات.

(٦٦٤) الاختلاط بين الواقع والتشريع، إبراهيم الأزرق، ص ٦٥-٦٦.

(٦٦٥) انظر: شبكات حول المرأة الاختلاط، موقع صيد الفوائد عن عوامل الانحراف الجنسي ومنهج الإسلام في الوقاية منها وعلاجها، عبد الرحيم صالح عبد الله، ص ١١٧.

(٦٦٦) تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية والاختلاط المستهتر، ص ٢٣، عن جريدة الشرق الأوسط، العدد ١٤٧، تاريخ ٤/١٢/١٩٧٨ م.

وقد شجع الرئيس الأمريكي الحالي (بуш) عدم الاختلاط ووعد برصد أموال أكثر لكل مدرسة غير مختلطة.

وهذا الفصل جاء بعد معاناة كبيرة من المشاكل التي حدثت من جراء الاختلاط من زنا وشذوذ جنسي، وأمراض، وانتهاك لمكانة المرأة، وظلم لها من قبل الرجال الذين لا ينظرون إليها إلا نظر شهوة وتلذذ^(٦٦٧).

الشبهة الثالثة:

ينادي بعض الناس بالاختلاط في المدارس للصغرى بحجة أن ذلك لا يضرهم ولا يؤثر عليهم، وبحجة أن المرأة أشد لباقة وأحسن معايشة للصغرى.

المناقشة:

١. إن فكرة الاختلاط في التعليم أو في العمل أو غيره بين الرجال والنساء فكرة ماسونية، وبذورها استعمارية دخلية على الأمة، وهي أشد ضرراً على الأمة الإسلامية من الدعوة إلى السفور علانية ونزع الحجاب، لأنها تشتمل على هذا كله وأكثر منه^(٦٦٨).

٢. من نتائج الاختلاط في التعليم: ضعف المستوى التعليمي، وتدني نسبة الاستفادة العلمية، ومن يزور بعض الفروع الجامعية المختلطة، أو ينظر في نتائج الامتحانات آخر العام الدراسي يتضح له ذلك.

وقد زار بعض الكتاب مدرسة في بلجيكا، ولاحظ أن جميع طلابها بنات، فلما سأله عن سبب ذلك أجبته المديرة بقولها: "قد لمسنا أضرار اختلاط الأطفال حتى في سن المرحلة الابتدائية"^(٦٦٩).

"ويخمن القاضي الأمريكي (لندسكي) أن ٤٥٪ من فتيات المدارس يبنسن أمراضهن قبل خروجهن منها، وترتفع هذه النسبة في مراحل التعليم العالية"^(٦٧٠).

(667) انظر : شبهات حول المرأة الاختلاط، موقع صيد الفوائد، وانظر : مقال الاختلاط بين الجنسين حججهم وردودنا موقع صيد الفوائد، وانظر : الاختلاط بين الواقع والتشريع، ص ٦٦

(668) انظر : مهلاً يا دعابة الاختلاط، محمد بن ناصر الجعوان، ص ٣٠، موقع صيد الفوائد.

(669) انظر : المرأة المسلمة، وهبي سليمان غاويجي الألباني، دار القلم، دمشق - بيروت - ط ١، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، ص ٢٤٣.

(670) نفس المصدر السابق، ص ٢٤٦

فالاختلاط يؤدي إلى انتشار جرائم الزنا واللواء بين الصغار والكبار، تقول الراية كوك الغربية: "إن الاختلاط يألفه الرجال، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها، وعلى قدر كثرة الاختلاط، تكون كثرة أولاد الزنا،وها هنا البلاء العظيم على المرأة".^(٦٧١)

٣. يجيز الإسلام للمرأة أن تجتمع مع الرجال في مجالس العلم، على أن تكون منفصلة عنهم أو أن تكون ملتزمة بآداب الإسلام في اللباس والمشي والحركة، دون أن ينظر بعضهم إلى بعض، فالإسلام يعترف بحق المرأة بالعلم ولكن مع الحرص على إبعادها عن مواطن الشبهات ومزالق الشهوات، حتى تبقى سمعتها الطاهرة الطيبة، وقد قامت حضارة الإسلام الظاهرة التي فاقت كل الحضارات في نبلها وسموها وإنسانيتها على الفصل بين الجنسين.^(٦٧٢).

(671) مهلاً يا دعابة الاختلاط، ص ٢٣٤.

(672) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ١٨٥ - ١٨٦.

المبحث الثاني

الميراث والديمة والشهادة

حاول أعداء الإسلام النيل من نظام الإسلام ومحاجمته، واستدلوا في هجومهم على أن المرأة ظلت فيه مظلومة، لأن للذكر مثل حظ الأنثيين في الميراث، واستغلوا هذه القسمة، وقالوا: إن الإسلام لم يسوّ بين الذكر والأنثى في بعض الحقوق كالميراث والشهادة والديمة، وجعل حظ الأنثى فيهم النصف، فكان الهجوم والاعتراض على النصف، وقالوا: هذا تقرير ينافي العدل^(٦٧٣).

المطلب الأول: الميراث

الشبهة الأولى:

ظهرت في العالم الإسلامي حركات التحرر النسائية التي تزعم أنها تريد رفع ما وقع على المرأة من ظلم سواء كان حقيقة أو شعوراً خاصاً بها، وتسعى لنيل ما حرمت منه من حقوق بصرف النظر عن مشروعيتها، لذا أعلنت إحدى النساء في أحد المؤتمرات النسائية أن نظام الميراث في الإسلام يجب أن يساوي بين الرجل والمرأة، بتقسيم الميراث بالمساواة بين الرجل والبنت وليس كما ينص الشرع.

ومن المؤسف أن بعض الدول الإسلامية جرت وراء التقليد واستجابت لصيحات النساء المتحررات فقضت بمساواة المرأة مع الرجل في الميراث خروجاً على أمر الله.^(٦٧٤)

المناقشة:

١. إن أعداء الإسلام يقدرون هذه الشبهة في صفوف الأجيال المسلمة بشكل غامض لإثارة العواطف الأنانية عند الإناث، فهذا إدعاء باطل ولم يقصد به إلا الهجوم على الإسلام والنيل من تشريعاته دون تفكير أو منطق، فنظام الإرث في الإسلام نظام مثالى واقعي، أثبت تقديره للمرأة ورعايتها لحقوقها، فالإسلام أعطاها حق الميراث خلافاً لما كان عليه عرب الجاهلية وكثير من الشعوب القديمة، وبعض الطوائف اليهودية والنصرانية وكثير

(٦٧٣) انظر: أجنة المكر الثالثة، ص ٥٨٣، مؤتمرات بين الجهة والعدالة، مؤتمرات بين الجهة والعدالة، محمد علاء الدين أبو العزائم، ص ٢٢-٢١، شبهات وأباطيل لخصوم الإسلام حول ميراث المرأة، رفعت مرسي طاحون، انظر: موقع صيد الفوائد.

(٦٧٤) مؤتمرات بين الجهة والعدالة، ص ٢٢-٢١

من الشعوب المعاصرة، التي منعت المرأة من جل حقوقها ومنها الميراث، قال تعالى: ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ولنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً﴾^(٦٧٥). وكفى بهذا إنصافاً للمرأة حيث قرر مبدأ المساواة في الاستحقاق^(٦٧٦).

٢. الإسلام لم يكن جائراً حينما جعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل، كما في قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِذَكْرِ مِثْلِ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾^(٦٧٧). إن المسألة مسألة حساب لا عواطف وادعاء، فقد حفظ الإسلام حق المرأة على أساس من العدل والإنصاف والموازنة، فنظر إلى واجبات المرأة، والتزامات الرجل وقارن بينهما، ثم بين نصيب كل منها على أساس هذا التقدير، فكان من العدل أن يأخذ الابن (الرجل) ضعف الابنة (المرأة)، وليس من العدل أن يعطي المكفي بنفقة غيره عليه، والذي يأخذ المال غالباً لأجل رفاهية نفسه، مثل ما يعطي المسؤول عن نفقة نفسه وزوجه، ونفقة أصوله وفروعه إذا كانوا محتاجين للفقة^(٦٧٨).

٣. فرق نظام الإسلام في توزيع التركات بين نصيب الذكور ونصيب الإناث في معظم الأحوال.

ملاحظاً الأمور التالية:

أ- نظر الإسلام إلى المرأة نظرة رحمة لما تتحمله من أعباء حملها ورضاعها وتربية أبنائها، وتدبير منزل الزوجية، وخدماتها فيه، فأغافاها من واجبات السعي لاكتساب الرزق، ولم يحملها مسؤوليات أعباء المعيشة، لا لنفسها ولا لغيرها لئلا يجمع عليها عبئين في الحياة، وليصونها من التبذل ولقيتها متابعة الكدح خارج منزلها، وألقي كل هذه الأعباء والمسؤوليات على الرجل دون أن يمنعها من العمل الشريف إذا هي اختارت ذلك^(٦٧٩).

فالمرأة غير مسؤولة عن نفقة نفسها، فهي إن كانت بنتاً فالنفقة مسؤولية أبيها، وإن كانت متزوجة فهي مسؤولة زوجها، وإن كانت أختاً فهي مسؤولة إخواتها، فلا يلزمها الإسلام

(٦٧٥) سورة النساء، الآية (٧)

(٦٧٦) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٣٣، أجنحة المكر الثالثة، ص ٥٨٣، مؤتمرات بين الجهات والعدالة، ص ٢٢، شبهات وأباطيل لخصوم الإسلام حول ميراث المرأة، موقع صيد الفوائد.

(٦٧٧) سورة النساء، الآية (١١)

(٦٧٨) انظر: أجنحة المكر الثالث، ص ٥٨٣، انظر: مؤتمرات بين الجهات والعدالة، ص ٢٣.

(٦٧٩) انظر: أجنحة المكر الثالث، ص ٥٨٤

أن تتفق شيئاً من مالها وإن كانت غنية وزوجها فقير، بل على الفقير المتزوج من غنية أن يفترض من غيره لينفق عليها، وللزوجة أن تشكو زوجها إذا امتنع عن الإنفاق أو قلل فيه، بالنسبة لما يملك، ويحكم لها الشرع بالنفقة والانفصال، فإن لم يكن لها زوج أو أقرباء ينفقون عليها وكانت فقيرة، فنفقتها واجبة على بيت مال المسلمين، تتقاضاها من صندوق الزكاة أو الصندوق العام^(٦٨٠).

ب- في نظام الإسلام عند الزواج يلزم الرجل بأعباء وواجبات مالية لا تلزم بمثلاً المرأة، فهو الذي يدفع المهر للزوجة، وينفق على أثاث بيت الزوجية، وعلى الزوجة والأولاد.

وبالتالي فإنه ينقص ماله، وقد يذهب كل ما ورثه، ثم عليه دائماً أن ينفق على نفسه وزوجته وأولاده أما الزوجة فلا تsem بشيء من نفقات البيت على نفسها وعلى أولادها، ولو كانت غنية. فالمرأة إذن هي المستفيدة من المهر ومعظم نفقات الزواج دون أن تكون مسؤولة عن شيء ويزيد مالها بالمهر الذي يدفع لها، وربح المال الموروث حيث تتممه بالتجارة^(٦٨١).

ج- من المفيد الإشارة إلى أن قاعدة التصنيف في الإرث المبنية على قوله تعالى: ﴿لِذَكَرٍ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيْنِ﴾^(٦٨٢)، ليست قاعدة مطردة لأن هناك حالات أخرى يزيد نصيب المرأة فيه عن الرجل، فتأخذ وحدها نصف التركة إذا لم يكن للميت فرع وارث وكانت منفردة، أو شتركت هي وأختها في التثنين أيضاً، إذا لم يوجد فرع وارث غير البنتين أو الأخرين، وأحياناً يكون نصيبها مثل نصيب الذكر كما في الأخوات لأم، فإن الواحدة منهن إذا انفردت تأخذ السدس كما يأخذ الأخ لأم، إذا انفرد، وإذا كانوا ذكوراً وإناثاً، اثنين فأكثر، فإنهم يشتركون جميعاً في الثالث، للذكر مثل حظ الأنثى وأيضاً يتساوون الأب والأم في الميراث، حيث يرث كل منها السدس إذا كان للميت فرع وارث من الذكور والإإناث أو من الذكور فقط، أما إن ترك الميت فرعاً وارثاً من

(680) انظر: شبهات حول الإسلام، محمد قطب، دار الشروق، ط ١١، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، ص ١١٩ - ١٢٠،
وانظر: شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها، محمد متولي الشعراوي، بدون طبعة مكتبة التراث،
بدون تاريخ، ص ٧٢.

(681) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٣٤، ٣٥، أجنحة المكر الثلاثة، ص ٥٨٤ - ٥٨٥، وشبهات
وأباطيل، الشعراوي، ص ٧٢، وشبهات حول حقوق المرأة، نهى قاطرجي، موقع صيد الفوائد.
(682) سورة النساء، الآية (١١)

الإناث فقط، كان لكل من الأب والأم السادس، ويأخذ الأب بعد ذلك ما زاد من التركة^(٦٨٣).

إذن تبين أن المرأة تأخذ النصف وهو الأعم والأغلب، فإنها أيضاً أحياناً تأخذ أكثر من الرجل وأخرى تتساوى مع الرجل، وفي كل الحالات لم ينتقص الإسلام من حقها، وهي المستفيدة في كل الحالات لأنها غير مكلفة بالنفقة على أحد.

فالمال الذي ترثه يبقى لها وحدها لا يشاركها فيه مشارك، وهو معرض للزيادة بما تقبض من مهور وهدايا، فهل في هذا ظلم للمرأة كما يدعى المغرضون؟!^(٦٨٤)

٤. قد يقول قائل: "لقد زاد الإسلام إذن في نصيب المرأة من الميراث، إذا لاحظنا أحكامه الأخرى في نظام النفقات، كما قال الطلاق للدكتور مصطفى السباعي: "لقد حابى الإسلام المرأة على حسابنا نحن الرجال"^(٦٨٥).

"يرد على ذلك الإمام الشعراوي فيقول: "نعم هو حابها، ولكن لماذا حابها، لأن الإسلام راعى المرأة، قد يكون من سلاحها في الحياة أنوثتها، فهو أراد أن يحصنها من أن تستعمل أنوثتها لحياتها، حتى إذا ما ظلت بلا عائل كفافها حقها"^(٦٨٦).

الميراث فيه معنيان:

المعنى الأول: أنه غطاء للتكافل الاجتماعي داخل الأسرة الواحدة، إذ يكون غرم النفقة الواجبة مقابلأً لغنم الميراث.

المعنى الثاني: أن الميراث فيه دعم للترابط الاجتماعي المشعر بوحدة الأسرة، فيه مساواة للأقارب مما تركه ميتهم. وبذلك نستطيع إدراك حكمة التشريع التي تظهر فيها ميزة الإسلام وعظمته^(٦٨٧).

الشبهة الثانية:

تزعم بعض النساء بأن المرأة تعمل وتتفق على بيتها كالزوج، وتشاركه في الأعباء، فلهذا انتفى الحكم التاريخي للآلية التي يقول فيها الله عز وجل: ﴿وَلَا تَتَمَنُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ﴾

(٦٨٣) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٣٣-٣٤، وانظر: مؤتمرات بين الجهة والعدالة، ص ٢٦-٢٧.

(٦٨٤) نفس المصدر السابق، ص ٣٤، شبهات حول حقوق المرأة، نهى قاطرجي، انظر: موقع صيد الفوائد.

(٦٨٥) المرأة بين الفقه والقانون، ص ٣٥.

(٦٨٦) شبهات وأباطيل خصوم في الإسلام والرد عليها، ص ٧٢.

(٦٨٧) المصدر السابق، ص ٧٢.

بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبنَّ واسألاُوا اللَّهَ مِنْ فضلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٦٨٨﴾

هذا القول مرفوض شرعاً، ولو اتفق الزوجان على كتابة شرط عمل المرأة في العقد فقد صح العقد وبطل الشرط، بخلاف بعض القوانين الغربية، ومنها القانون الفرنسي الذي يشترط مساهمة الزوجة في النفقة، وثبت بطلان ذلك بالتجربة، حيث كثير من النساء الغربيات العاملات يفضلن العودة إلى البيت حيث وجدن أنه ليس من مصلحة الأسرة والمجتمع أن تكلف المرأة بالعمل لتتفق على نفسها أو أولادها إنما الأولى أن تقرغ لشئون بيتهما وأولادها^(٦٨٩).

المطلب الثاني: الديمة

وشبهة الأعداء في الديمة تقول:

لقد جعلت الشريعة دية المرأة التي قتلت خطأً أو التي لم يستوجب قاتلها عقوبة القصاص لعدم استيفاء شروطه، بما يعادل نصف دية الرجل.

وقد استغرب بعض خصوم الإسلام هذا بعد أن قرر الإسلام مساواة المرأة بالرجل في الإنسانية والكرامة الاجتماعية، واعتبروا أن هذا ظلم وهضم لحقوق المرأة^(٦٩٠).

المناقشة:

١. نعم إن دية المرأة نصف دية الرجل، والسبب في ذلك أن الديمة ليست تقديرًا لقيمة المقتول الإنسانية، إنما هي تعويض مادي لا معنوي لأهل القتيل جراء ما لحق بهم من ضرر مادي.

٢. أما في القتل العمد يوجب القصاص من القاتل سواء كان المقتول رجلاً أو امرأة وسواء القاتل رجلاً أو امرأة وهذا لأن في القصاص يقص من إنسان لإنسان، والرجل والمرأة متساويان في الإنسانية.

.(٦٨٨) سورة النساء، الآية (٣٢).

(٦٨٩) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٣٦، ٢٥٩، وانظر: شبكات حول حقوق المرأة، د. نهى قاطرجي، وشبكات حول الإسلام، موقع صيد الفوائد.

(٦٩٠) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٣٧-٣٨.

أما في القتل الخطأ وما أشبهه فلا بد من التعويض المالي، والعقوبة بالسجن أو نحوه، والتعويض المالي يجب أن تراعى فيه الخسارة المالية قلة وكثرة، ولا يقول عاقل بأن خسارة الأسرة المالية بفقد الرجل كخسارتها بالمرأة؟

٣. إن الأولاد الذين قتل أبوهم خطأ، والزوجة التي قتلت زوجها خطأ، قد فقدوا معيلهم الذي كان يقوم الإنفاق عليهم والسعى في سبيل إعانتهم.

أما الأولاد الذين قتلت أمهم خطأ، والزوج الذي قتلت زوجته خطأ، فهم لم يفقدوا فيها إلا ناحية معنوية لا يمكن أن يكون المال تعويضاً عنها.

٤. لا توجد قيمة معينة موحدة للديمة؟ وذلك لأنها تعويض مادي، والتعويض المادي يقدر بقدر فرضه الظروف وتغيره أحوال الناس.

ومما يؤكّد هذا المعنى أن القوانين في كثير من الدول العربية جعلت للديمة حد أعلى وحداً أدنى، وتركت للقاضي تقدير الديمة بما لا يقل عن الأدنى، ولا يزيد عن الأعلى، وما ذلك إلا لفسح المجال لتقدير الأضرار التي لحقت بالأسرة من خسارتها بالقتيل، وهي تتفاوت بين كثير من الناس ومن يعملون ويكتحرون، فكيف لا تتفاوت بين من يعمل وينفق على أسرته، وبين من يعمل ولا يكلف الإنفاق على أحد، بل كان من ينفق عليه.

٥. أما في المجتمعات التي تقوم فلسفتها على عدم إعفاء المرأة من العمل لتعيل نفسها وتسهم في الإنفاق على بيتها وأطفالها، فإن من العدالة حينئذ أن تكون ديتها إذا قتلت معاونة على العموم لدية الرجل القتيل^(٦٩١).

المطلب الثالث: الشهادة

جعل الإسلام الشهادة التي ثبتت الحقوق شهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين، وذلك في قوله تعالى في آية المداينة: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضْلِ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾^(٦٩٢)

فقد ذهب أعداء الإسلام إلى أن هذا ظلم للمرأة وانتهاك لقيمتها، ومعاملة لها دون الرجل كرامة ومكانة مع أنه أعلن إكرامها ومساواتها بالرجل بنصوص صريحة واضحة.

(٦٩١) المرأة بين الفقه والقانون، ص ٣٨-٣٩.

(٦٩٢) سورة البقرة، الآية (٢٨٢)

المناقشة:

١. ليس اعتبار شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد دليلاً أن المرأة تساوي نصف رجل، إنما هذا إجراء روعي فيه كل الضمانات في الشهادة سواء كانت الشهادة لصالح المتهم أو ضده، ولما كانت المرأة بطبيعتها العاطفية المتدفقة السريعة الانفعال، مظنة أن تتأثر بملابسات القضية، ففضل عن الحقيقة، روعي أن تكون معها امرأة أخرى، فقال تعالى: ﴿أَنْ تَضْلُلَ إِحْدَاهُمَا فَتَذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾^(٦٩٣) وقد يكون المشهود له أو عليه امرأة جميلة تثير غيرة الشاهدة، أو يكون فتى يثير كوامن الغريزة، أو عطف الأمومة إلى آخر هذه العواطف التي تدفع إلى الضلال بوعي أو بغير وعي، ولكن من النادر جداً حين تحضر امرأتان في مجال واحد، أن تتفقا على تزييف واحد، دون أن تكشف إحداهما خبايا الأخرى، فظهور الحقيقة على أن شهادة الواحدة تعتبر فيما تعد المرأة خبيرة فيه أو مختصة به من شأنهن النساء^(٦٩٤).
٢. لم يكن اشتراط اثنين مع رجل واحد ليخدش كرامة المرأة وإنسانيتها واحترامها، فالإسلام مع إياحته للمرأة التصرفات المالية، يعتبر رسالتها الاجتماعية هي القيام على شأن الأسرة، وهذا يجعلها ملزمة ببيتها في أغلب الأوقات وخاصة أوقات البيع والشراء، لذا فإن شهادة المرأة في حق يتعلق بالمعاملات المالية بين الناس لا يقع إلا نادراً، وما كان كذلك فليس من شأنها أن تحرص على تذكره حين مشاهدته، فإنها تمر به عابرة لا تلقي له بالاً، فإذا جاءت لتشهد به كان أمام القاضي احتمال نسيانها أو خطأها أو وهمها، فإذا شهدت امرأة أخرى بمثل ما تشهد به زال احتمال النسيان والخطأ، والحقوق لا بد من التثبت فيها، وعلى القاضي أن يبذل غاية جهده لإنصاف الحق وإبطال الباطل^(٦٩٥).
٣. ذهب كثير من الفقهاء إلى أن شهادة النساء لا تقبل في الجنایات لنفس السبب الذي ذكر سابقاً من أنها غالباً ما تكون قائمة بشئون بيتهما، ولا يتيسر لها أن تحضر مجالس الخصومات التي تنتهي بجرائم القتل وما أشبهها، وإذا حضرتها فقل أن تستطيع البقاء إلى أن تشهد جريمة القتل بعينيها، وتظل رابطة الجأش، بل الغالب أنها إذا لم تستطع الفرار تلك الساعة، كان منها أن تغمض عينيها وتولول وتصرخ، وقد يغمى عليها، فكيف يمكن بعد ذلك أن تتمكن من أداء الشهادة، فتصف الجريمة وال مجرمين، وأداة الجريمة، وكيفية

(٦٩٣) سورة البقرة، الآية (٢٨٢)

(٦٩٤) انظر: شبهات حول الإسلام، محمد قطب، ص ١٢٠-١٢١.

(٦٩٥) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٣١-٣٢.

وقوعها؟ ومن المسلم به أن الحدود تُدرأ بالشبهات، وشهادتها في القتل وأشباهه تحبط بها الشبهة، شبهة عدم إمكان ثبتها من وصف الجريمة لحالتها النفسية عند وقوعها^(٦٩٦).

٤. الشريعة الإسلامية قبلت شهادة المرأة وحدها فيما لا يطلع عليه غيرها، أو ما تطلع عليه دون الرجال غالباً، فقد قرروا أن شهادتها وحدها تقبل في إثبات الولادة وفي الثيوبنة والبكارة، وفي العيوب الجنسية لدى المرأة، وهذا حين كان لا يتولى توليد النساء وتطيبهن والإطلاع على عيوبهن الجنسية إلا النساء في العصور الماضية.

٥. فليست المسألة إذاً مسألة إكرام وإهانة، وأهلية وعدمهما، وإنما هي عملية تثبت في الأحكام، واحتياط في القضاء لها، وهذا ما يحرص عليه كل قضاء عادل.

٦. وبهذا يتتأكد لنا أنه لا معنى للتشنيع على الإسلام في هذه القضايا الثلاث واتخاذها سلاحاً للادعاء بأنه انتقص المرأة وعاملها أقل من الرجل كرامة ومكانة^(٦٩٧).

(٦٩٦) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٣٢.

(٦٩٧) المصدر السابق، ص ٣٣-٣٢.

المبحث الثالث

المساواة

الشبهة التي تدور حول المساواة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنما النساء شقائق الرجال" ^(٦٩٨).

انطلاقاً من هذا الأصل يقرر أعداء المرأة أن النساء والرجال سواء لهن ما لهم، وعليهن ما عليهم، ولا فرق بين الصنفين في جميع الأحكام، لأن النساء شقائق الرجال، فهم ي يريدون أن يسواوا بين الرجل والمرأة في كل وظيفة من وظائف الحياة ^(٦٩٩).

مناقشة :

١. الفوارق بين الرجل والمرأة الجسدية والمعنوية والشرعية ثابتة قدرًا وشرعًا وحساً وعقلاً، حيث قال جل وعلا **﴿وَإِنَّهُ خَلَقَ الرِّزْوَجَيْنِ الذَّكَرَ وَالنِّسْلَى﴾** ^(٧٠٠). فهما يشتركان في عمارة الكون، كل فيما يخصه، ويشتركان في عمارته بالعبودية لله تعالى، بلا فرق بين الرجال والنساء في عموم الدين، في التوحيد والاعتقاد وحقائق الإيمان، والثواب والعقاب، وبلا فرق أيضاً في عموم التشريع في الحقوق والواجبات كافةً كما سبق توضيح ذلك ^(٧٠١).

لكن قدر الله سبحانه أن الذكر ليس كالأنثى في صفة الخلقة والهيئة والتقويم، ففي الذكورة كمال خلقي وقوة طبيعية والأنثى أدنى منه خلقةً وجبلةً وطبيعةً لما يعترف بها من الحيض والحمل والمخاض والإرضاع وتتشبه الأجيال، ولهذا خلقت الأنثى من ضلع آدم عليه السلام، فهي جزء منه، تابع له ومتبع له.

كان من آثار هذا الاختلاف في الخلقة الاختلاف بينهما في القوى والقدرات الجسدية والعقلية والفكرية والعاطفية والإرادية، وفي العمل والأداء والكفاية في ذلك، إضافة إلى ما توصل إليه علماء الطب الحديث من عجائب الآثار من تفاوت الخلق بين الجنسين.

٢. لو حصلت المساواة في جميع الأحكام مع الاختلاف في الخلقة والكفاية، لكان هذا انتكاساً في الفطرة، ولكن هذا هو عين الظلم بترجح المفضول على الفاضل، بل ظلم لحياة المجتمع

(698) سبق تخریجه، ص ٣٣.

(699) انظر: أجوبة المكر الثلاثة، ص ٦٠١، شبهات حول المرأة، صيد الفوائد للنساء فقط.

(700) سورة النجم، الآية (٢٥)

(701) انظر: ص ٣٤-٣٧.

الإنساني، لما يلحقه من حرمان ثمرة قدرات الفاضل، والإنتقال على المفضول فوق قدرته.^(٧٠٢)

٣. وبجانب رفض مبدأ المساواة المطلق، فإن هناك قدرًا من المساواة بين الرجل والمرأة، والذي ينبغي أن يطلق عليه لفظ العدل وليس المساواة.

أ. فالمرأة تتساوى مع الرجل في أصل التكليف بالأحكام الشرعية مع بعض الاختلاف في بعض الأحكام التفصيلية.

ب. وفي الثواب والعقاب الدنيوي والأخروي في الجملة.

ج. وفي الأخذ بحقها وسماع القاضي لها.

د. المرأة كالرجل في تملكها لما لها وتصرفها فيه.

هـ. المرأة لها حرية اختيار الزوج، فلا تكره على ما لا تريد.^(٧٠٣)

٤. يقول الأستاذ محمد قطب: "لذلك لا أرى كيف تستساغ هذه الثرثرة الفارغة عن المساواة الآلية بين الجنسين، إن المساواة في الإنسانية أمر طبيعي، ومطلب معقول، فالمرأة والرجل هما شقا الإنسانية، وشقا النفس الواحدة، أما المساواة في وظائف الحياة، وطرائقها فكيف يمكن تنفيذها، ولو أرادتها كل نساء الأرض، وعقدت من أجلها المؤتمرات وأصدرت القرارات" ثم يقول : "هل في وسع هذه المؤتمرات وقراراتها الخطيرة أن تبدل طبائع الأشياء فتجعل الرجل يشارك المرأة في الحمل والولادة والإرضاع"^(٧٠٤).

ومن ذلك يتبيّن أنه لا يمكن مساواة المرأة والرجل في جميع وظائف الحياة وما مثل الدين يحاولون أن يساووا بين المرأة والرجل في كل وظيفة من وظائف الحياة إلا كمثل من يحاول أن يسوّي بين أعضاء الجسد الواحد في وظائفها الجسدية والنفسية فيكره الأيدي مثلاً على مساعدة الأرجل في المشي، دون أن تقوم ضرورة لذلك، ويريد للفكر أن يحب ويشهي، ويريد لشهوات النفوس أن تعقل وتفكر^(٧٠٥).

والإيك شهادة إحدى داعيات الحرية والمساواة وهي تتكلم عن تجربة ومعاناة، وبعد زمن طويل في درب هذه الحرية والمساواة فتقول الكاتبة الكويتية ليلي العثمان: "سأعترفاليوم

(702) انظر: شبّهات حول المرأة- المساواة، انظر: موقع صيد الفوائد، للنساء فقط.

(703) انظر: المرأة وكيد الأعداء، د. عبد الله بن وكيل الشیخ، ص ٢٢، ارجع إلى مبحث مكانة المرأة في الإسلام، ص ٣٢.

(704) شبّهات حول الإسلام، ص ١٠٦.

(705) انظر: أجنحة المكر الثالث، ٦٠٢-٦٠١.

بأنني أقف في كثير من الأشياء ضد ما يسمى (حرية المرأة) التي تكون على حساب أنوثتها وعلى حساب كرامتها وعلى حساب بيتها وأولادها، سأقول أنني أحمل نفسي -كما تفعل كثيرات- مشقة رفع شعار المساواة بينها وبين الرجل". ثم ذكرت أنها تتعرض لبعض الأذى والظلم من الرجل، لكن تعقب على ذلك فتقول : " هل يعني هذا أن أتصرف وكأنني رجل لا يرده خجل؟! هل يعني أن أتحدى فأفعل ما يفعله الرجل، ما هو مشروع وما هو مرفوض، لأؤكد لذاتي بأنه لا أحد أحسن من أحد، وأننا سواسية وأحرار ولدينا أمهاتنا؟! هل يعني أن أنظر إلى البيت جنة المرأة التي تحلم به على أنه السجن المؤبد وأن الأولاد ما هم إلا حبل من مسد يشد على عنقي، وإن الزوج ما هو إلا السجان القاهر ثم تتتابع وتقول : لا ... أنا أنثى ... أعز بأنوثتي.. وأنا امرأة أعز بما وهبني الله، وأنا ربة بيت ولا بأس أن أكون بعد ذلك عاملة أخدم خارج نطاق الأسرة ولكن يا رب اشهد: بيتي أولاً .. ثم بيتي .. ثم العالم الآخر" (٧٠٦).

(٧٠٦) انظر: رسالة إلى حواء، محمد رشيد العويد، الرسالة الثالثة، دار الوطن للنشر، ط٢٠١٣، هـ١٤١٣.

المبحث الرابع

القوامة والطلاق والخلع

المطلب الأول: القوامة

حاول كثير من أعداء الإسلام التشنيع على الدين الإسلامي من خلال آية القوامة «الرِّجَالُ قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ»^(٧٠٧) كدليل على التمييز ضد المرأة وهدفهم تحريض المرأة المسلمة حتى تتمرد على تعاليم الإسلام وتتفرّغ منه، مع أنّ قوامة الرجال على النساء مسألة تفرضها ضرورة الحياة الفضلى.

الشبهة الأولى:

قالوا: أن الإسلام سلب المرأة حريتها وأهليتها، وتفتها بنفسها، إذ جعل الرجل قواماً عليها^(٧٠٨).

المناقشة:

٥. إن القوامة في شريعة الإسلام ما هي إلا آلية تنظيمية تفرضها ضرورة السير الآمن للأسرة المسلمة القائمة بين الرجل والمرأة، وما ينتج عنها من نسل طيب، وما تستتبعه من تبعات، وقد اهتدى الناس في كل تنظيماتهم إلى أنه لا بد من رئيس مسئول وإلا عممت الفوضى، وعادت الخسارة على الجميع.

٦. وفي شأن القوامة ما بين الرجل والمرأة هناك ثلاثة أوضاع يمكن أن تفترض في الأسرة:
و. أن يكون الرجل والمرأة قيمين معاً.
ز. أن تكون المرأة هي القيمة.
ح. أن يكون الرجل هو القيمة.

أما الشركة في القوامة فيستبعد هذا الفرض لأنّه سيؤدي حتماً إلى الفوضى والتنازع حيث يرغب كل فريق بأن يعلو على صاحبه، ويستبد به، لكن لو انفرد صاحب القوامة سيطليعوا أمره بدافع من التقاهم والتواجد والالتزام، والله المثل الأعلى القائل «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ»^(٧٠٩). وأيضاً ثبتت التجربة أن وجود رئيسين للعمل أدى إلى الفساد والفوضى.

(707) سورة النساء، الآية (٣٤)

(708) انظر: أجنبة المكر الثالث، ص ٥٩٧، وانظر القوامة، د. مسلم يوسف، موقع صيد الفوائد.

(709) سورة الأنبياء، الآية (٢٢).

وأما إسناد القوامة ورئاسة الأسرة إلى المرأة دون الرجل فهو ينافي ما تقتضيه طبيعة التكوين الفطري لكل منهما، وهو يؤدي حتماً إلى اختلال ونقص في نظام الحياة الاجتماعية، وذلك لأن المرأة بصفة عامة عاطفية، انفعالية، تتغلب عاطفتها على عقليتها في أي أزمة تمر بها هي أو أحد أفراد أسرتها، والذي يدبر أموره وأمور غيره بالانفعال، كثيراً ما يحيد عن الطريق المستقيم، ويعرض نفسه وغيره لأزمات كان بالإمكان تخطيّها وعدم الوقوع بها، والعاقل الذي لا يحكمه هواه يستبعد هذا الفرض الذي لا يصلح لقوامة وريادة الأسرة، والمرأة يحبب إليها أن تجد لدى الرجل ملجاً وسندًا وقوة إرادة.

إن المرأة ذاتها لا تحترم الرجل الذي تسيره فيخضع لرغباتها، بل تحقره بفطرتها ولا تقيم له أي اعتبار، والمرأة بحاجة إلى رجل قيم لها والدليل على ذلك: أن المرأة الأمريكية بعد أن ساوت الرجل مساواة كاملة، وصار لها كيان مستقل عادت فاستعبدت نفسها للرجل فأصبحت هي التي تغازل وتتلاطف له ليرضى، وذلك لأنها أحسّت بضعفها أمام قوة الرجل، فاحتاجت إلى هذه القوة^(٧١٠).

وحيث أنه تم استبعاد الأول والثاني لم يبق إلا الثالث الذي حكم به الإسلام وهو أن القوامة للرجل وذلك لأسباب:

السبب الأول: لأن من أهم خصائص القوامة المثلى رجحان العقل على العاطفة، وهذا الرجحان متواقف في الرجال بصفة عامة أكثر من توافره في النساء، ولما كانت القوامة في كل أسرة وظيفة ضرورية من الوظائف الاجتماعية، كان من الحكمة العقلية والواقعية توجيهها لمن يتمتع برجحان العقل على العاطفة، كذلك الرجل بناء على طبيعته التي خلقها الله تعالى يتمتع بقدرات جسمية وعقلية أكبر بكثير من المرأة التي تكون عادة أقل حجماً وقوه.^(٧١١) وقد أثبتت التجارب الطبية أن دماغ الرجل أكبر من دماغ المرأة، وأن التلافيف الموجودة في مخ الرجل هي أكثر بكثير من تلك الموجودة في مخ المرأة، وتقول الأبحاث أن المقدرة العقلية والذكاء تعتمدان إلى حد كبير على حجم وزن المخ وعدد التلافيف الموجودة فيه^(٧١٢).

(710) انظر: شبهات حول الإسلام، محمد قطب، ص ١٢١-١٢٢، وأجنحة المكر الثالث، ص ٥٩٨-٦٠٠، والقوامة، د. مسلم اليوسف، موقع صيد الفوائد.

(711) انظر: أجنحة المكر الثالث، ص ٦٠٠، والقوامة، د. مسلم اليوسف، موقع صيد الفوائد، وعمل المرأة في الميزان، د. عبد الله البر، مكتبة صيد الفوائد.

(712) عمل المرأة في الميزان، د. علي البار، موقع صيد الفوائد، وانظر: لمن القوامة في البيت، بقلم عاصم بن محمد الشريف، دار الصفوـة- القاهرة، ط ١، ١٤١٩ هـ-١٩٩٩ م، ص ٢٢-٢٤.

السبب الثاني: أن الرجل هو المسئول في نظام الإسلام عن النفقة على المرأة وبذل المال لها من المهر والتزامات الحياة الزوجية في المأكل والملابس والمشرب والمسكن ونحوها، وهذه المسئولية تجعله أكثر تحفظاً واحتراساً من الاستجابة السريعة للشهوات العابرة، والانفعالات الحادة، بخلاف المرأة في ذلك لأنها بحكم عدم مسؤولياتها عن النفقة، وعن السعي لاكتساب الرزق يقل لديها التحفظ والاحتراس وتكون في أغلب أحوالها ذات استجابة سريعة لشهواتها وانفعالاتها، التي قد تتطلب منها نفقات مالية باهضة، أو تدفعها إلى الشح المفرط، ومن أجل ذلك أيضاً كان الرجل أصلح من المرأة بوظيفة القوامة في الأسرة^(٧١٣).

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذين السببين المرجحين في قوله تعالى: «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ»^(٧١٤) وقال تعالى في سورة البقرة: «وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»^(٧١٥).

فضل الله الرجال على النساء برجحان العقل على العاطفة، وهم المسؤولون عن النفقة على أسرتهم لذلك اختار الله الرجل للقيام بوظيفة القوامة على المرأة، بينما المرأة أصلح من الرجل للقيام بوظائف اجتماعية أخرى، جعلهن الإسلام المسؤولات عنها، المكلفات بها، وأولى من القوامة في الأسرة القوامة العامة، سواء أكانت إمارة أو رئاسة أو خلافة أو غيرها، فالرجال بصفة عامة هم الأصلح لتحمل مسؤوليات القوامة العامة، والأقدر على إدارتها، وتديير شؤونها وهذا هو ما اختاره الإسلام، دين الفطرة^(٧١٦).

الشبهة الثانية:

قالوا: إن القوامة تمثل بقايا من عهد استعباد المرأة وإذلالها، يوم أن كانت المرأة كما مهملاً في البيت، وفكرة مجهولة في المجتمع، وامرأة ذليلة مهينة للزوج، وزعموا أن القوامة تلغى شخصية المرأة^(٧١٧).

(713) أجنحة المكر الثالث، ص ٦٠١-٦٠٠، وموقع صيد الفوائد، شبهات حول المرأة القوامة.

(714) سورة النساء، الآية (٣٤)

(715) سورة البقرة، الآية (٢٢٨)

(716) انظر: أجنحة المكر الثالث، ص ٦٠١، وانظر: القوامة، د. مسلم اليوسف (موقع صيد الفوائد)

(717) انظر: القوامة، د. مسلم اليوسف، موقع صيد الفوائد.

المناقشة:

١. إن الإسلام عندما جعل القوامة للرجل، لم يشرع للرجل الاستبداد بالمرأة، أو التسلط في إدارة الأسرة، ولم يرد أن تكون القوامة سيفاً مسلطاً على المرأة، ولم يلغ شخصية المرأة وإنما شرع القوامة القائمة على الشورى، والتعاون، والتفاهم والتعاطف المستمر بين الزوج والزوجة، قال تعالى: «وَاعْشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ»^(٧١٨)، ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لَنْسَائِهِمْ خُلُقًا"^(٧١٩)، ووصيته عليه السلام: "لأنجشهـ حاد يحدو بنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفق بالقوارير"^(٧٢٠)، ويقصد النساء.
٢. ولا يلزم من كون الرجال مزودين بخصائص تؤهلهم لأن يكونوا هم القوامين على النساء، أن تكون قوامتهم استبدادية، استقلالية، ظالمة، آثمة، فالقوامة في الأسرة ولاية صغرى يجب على متوليتها ما يجب على ذوي الولايات الكبرى من مشورة وعدل، وتقيد بحدود الله، والمستشارون في هذه الولاية الصغرى، هم أعضاء الأسرة، وأمين سرها المخلص الغيور زوجة الرجل، و تستطيع المرأة العاقلة الحكيمه أن تكون صاحبة السلطان الخفي على قلب صاحب السلطان الظاهر، دون أن تتحمل مسؤوليات القوامة، ومشكلاتها وأعباءها وأخطاءها، والقوامة لها ضوابط يجب أن يلتزم الرجل القيم على أسرته وأهله بها^(٧٢١).
٣. إن القوامة في الشريعة الإسلامية لها مدى توقف عنده وتنتهي إليه، فهي لا تمتد إلى حرية الدين، والمعتقد، فليس للزوج أن يكره زوجته على تغيير دينها إذا كانت كتابية، ولا أن يجبرها على اتباع مذهب معين، أو اجتهد محدد من الاجتهدات الفقهية إذا كانت من أهل القبلة ما دام هذا الرأي لا يعتبر بدعة مضلة، ولا يخالف الحق وأهله.

(٧١٨) سورة النساء، الآية (٩)

(٧١٩) سنن الترمذى، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، رقم الحديث (١١٦٢)، ٤٦٦/٣، وقال الألبانى: حسن صحيح، في صحيح سنن الترمذى، ٥٩٤/١.

(٧٢٠) مسند أحمد، حديث رقم (١٢٧٨٤) ١٧٢/٣، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، مؤسسة قرطبة - القاهرة.

(٧٢١) انظر: أجنحة المكر الثالث، ص ٥٩٨، القوامة، د. مسلم اليوسف موقع صيد الفوائد.

كما لا تمتد القوامة إلى حرية المرأة في أموالها الخاصة، ولا في المساواة بينها وبين الرجل في الحقوق التي أراد الله فيها المساواة، وليس لها طاعته إذا أمرها بمعصية، لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا طاعة لأحد في معصية الله إنما الطاعة في المعروف" ^(٧٢٢).

إذا كانت قوامة الرجل لا تمتد إلى الحقوق الأساسية للمرأة فما الذي يخيف دعاء تحرير المرأة في قوامة الرجل، فماذا يريدون للمرأة أفضل وأكرم من تلك المكانة المرمودة التي بوأها الإسلام إليها إن كانوا حقاً ينشدون خيراً للمرأة كما يزعمون ولكنهم يريدون تحطيم ذلك الحصن المنيع للمرأة المسلمة المتمثل في قوامة الرجل الذي جعله الإسلام قلعة لحماية المرأة من عاديات الزمان، ورجاله ^(٧٢٣).

الشبهة الثالثة:

يتصيد أعداء الإسلام من قوله تعالى "وَاضْرِبُوهُنَّ شَبَهَةً يَنْقُدُونَ بِهَا تَعَالِيمَ الدِّينِ لِيَضْلُّوَا الْأَجِيلَ النَّاشِئَةَ مِنْ فَتَيَانِ الْمُسْلِمِينَ وَفَتَيَاتِهِمْ" ^(٧٤).

المناقشة:

١. لما اقتضت الحكمة أن يكون الرجل هو القائم على زوجته وولي أمرها، اقتضت أيضاً أن يكون لكل منهما حقوق على الآخر وواجبات نحوه.

ومن حقوق الزوج على زوجته أن لا تكون ناشزاً خارجة عن طاعته، ما لم يأمرها بما فيه معصية الله، أو هضم لحقوقها التي شرعها الله لها.

وأية مؤسسة اجتماعية لا بد أن يكون في يد صاحب الأمر فيها وسائل يضبط بها نظام هذه المؤسسة حتى لا تتعرض للفوضى بالفساد فالتفكك والانحلال، وأبرز عناصر وحدة مؤسسة اجتماعية إنما هو عنصر طاعة أعضائها لصاحب الأمر فيها، والخروج عن هذه الطاعة نشوذ يجعل المؤسسة منحلة.

٢. وقد أرشدت الحكمة النظرية والتطبيقية الناس إلى استخدام طائفة من وسائل التربية والتأديب للمحافظة على استمرار عنصر الطاعة مهيمناً على أفراد الجماعة، وتتفاوت هذه الوسائل فيما بينها رغبة وريبة، ورفقاً وشدة، ولطفاً وعنفاً، فبعض أولياء الأمور استغل قوله

(722) صحيح الجامع الصغير وزياداته الألباني، رقم الحديث، (١٣٤٧٦) المكتب الإسلامي، ٣٤٨/١، وقال الشيخ الألباني (صحيح)، انظر حديث رقم (٧٥١٩) في صحيح الجامع، المكتب الإسلامي.

(723) انظر : القوامة، د. مسلم يوسف، موقع صيد الفوائد.

(724) المصدر السابق.

تعالى "فاضربوهن" استغلالاً سينماً فاستخدم العنف والقسوة في معاملته مع أهله وأسرته، فهذا لا يقره الإسلام لأنه يؤدي إلى الفشل.

٣. أما الحكماء العقلاء فيستخدمون الوسائل كلها، إلا أنهم يضعون كلّاً منها في موضعه، وبذلك يسلم لهم الأمر وتسعد بهم الجماعة، وهذا ما أرشد إليه الإسلام أولياء الأمور بشكل عام^(٧٢٥).

٤. لقد أرشد الإسلام إلى استخدام وسائل التربية والتأديب الحكيمة، وجعلها على مراحل: قال تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزْهُنَّ فَعَظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ، فَإِنْ أَطْعَنْتُمُ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْأَنَّ كَبِيرًا﴾^(٧٢٦)

المرحلة الأولى: الموعضة ولها درجات كثيرة تبدأ بمعاريض القول والإشارات الخفيفة والتلويع ثم ترتقي إلى لفت النظر والتبيه والتصريح مع الرفق في الموعضة ثم التصريح المصحوب بشيء من العنف، ثم الزجر والتعنيف وأخيراً قد تصل إلى التوبیخ والإذنار^(٧٢٧).

المرحلة الثانية: الهجر في المضطجع، وهو أبلغ أنواع الهجر وعقاب ليس بالهين على زوجة عاقلة حرية على زوجها، وللهجر في المضجع درجات بعضها أقسى من بعض يعرفها العقلاء الحكماء من الرجال، وجعل الإسلام الهجر لا يزيد على أربعة أشهر بقوله تعالى ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرْبُصُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ﴾^(٧٢٨) وبعد ذلك إما أن يعودوا إلى معاشرتهن، وإما أن يكون لزوجاتهن الحق بأن يطالبن بالفارق.

المرحلة الثالثة: مرتبة الضرب غير المبرح الذي يصل إلى أدنى الحدود الشرعية فالضرب المقصود هو ضرب تأديب مصحوب بعاطفة المؤدب المربى، أو كما يفعل أحدهنا مع صديقه إذ يدفعه بعيداً عنه عندما يبدي ذاك الصديق تصرفًا لا يليق.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع: "ألا فاستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهم شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن

(725) انظر: أجنة المكر الثالث، ص ٦٠٢ - ٦٠٤، وانظر: شبهات حول الإسلام، محمد قطب، ص ١٢٩.

(726) سورة النساء، الآية (٣٤).

(727) أجنة المكر الثالث، ص ٤، ولمن القوامة، ص ٦٩ - ٧٠.

(728) سورة البقرة، الآية (٢٢٦).

فاهجروهن في المضاجح واصربوهن ضرباً غير مبرح^(٧٢٩) ويقول عطاء: "قلت لابن عباس ما الضرب غير المبرح؟ قال: بالسواك ونحوه"^(٧٣٠).

ومنهم من قال: "ينبغي أن يكون الضرب بمنديل ملفوف أو بيده، ولا يضربها بالسياط ولا بالعصا"^(٧٣١).

غالب الظن أن أي امرأة توجه لها أشد درجات الموعضة فلا تستقيم، ثم تهجر أبلغ أنواع الهجر فلا تستقيم أيضاً، إلا أن تكون مبلدة الحس، سيدة العشرة، كريهة الطبع، فهي تستحق التأديب بالضرب، أو أن تكون كارهة راغبة في الفراق، فإن لديها من الوسائل ما يبلغها مرادها دون أن تکاره الزوج بالنشوز والعصيان، ويمكنها أن تعرب بما في نفسها منذ استخدام المرتبة الأولى والثانية.

أما إذا لم تعلن رغبتها بمفارقته، فالظاهر من أمرها أنها إمرأة إما أن تكون ممن يصلحهن الضرب، أو أن يكون نصيبيها الفراق، إلا أن إهانتها بالفرق ووصفها بأنها امرأة لا تصلح للمعاشرة الزوجية أفسى عليها وأشد من إهانتها بالضرب غير المبرح^(٧٣٢).

١. إن وجود التشريع الذي يأذن للزوج بتأديب زوجته بالضرب في آخر المراحل وبآلية خفيفة لا تتجاوز عود الأرak، لا يعني أن هذا السلاح (الضرب) سيستخدمه كل زوج، فمعظم الأسر المؤدية بآداب الإسلام لا تعرف في حياتها الهجر في المضاجح، فضلاً عن الضرب، لأن التربية الإسلامية العامة للرجال والنساء متى استوفت شروطها، فلا بد أن تجعل الأسر الإسلامية في وضع من الوئام والتفاهم والود، ولا يسمح بأكثر من استخدام الدرجات الخفيفة من درجات الموعضة التي يشترك فيها كل من الزوجين^(٧٣٣).

(729) سنن الترمذى، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، رقم (١١٦٣)، ٤٦٧/٣، وقال الألبانى حسن، وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، ومعنى قوله: "عوان عندكم" يعني أسرى في أيديكم، صحيح سن الترمذى، ٥٩٤/١.

(730) القرطبي، ١٦١/٥.

(731) من أجل تحرير حقيقى للمرأة، محمد رشيد العويد، دار ابن حزم، ط١، ١٤١٣ هـ-١٩٩٣ م، ص ١٠.

(732) انظر: أجنة المكر الثالث، ٦٠٤-٦٠٥، وانظر: الرافقون على جراحتنا، يمان السباعي، ص ١٨٢، ولمن القوامة، ص ٧١-٧٦.

(733) انظر: شبكات حول الإسلام، ص ١٢٩-١٣١، وانظر: أجنة المكر الثالث، ص ٦٠٥-٦٠٦، وانظر: شبكات حول المرأة، موقع صيد الفوائد.

المطلب الثاني: الطلاق والخلع

لا يتوقف المستشرقون وتلاميذهم في عالمنا العربي والإسلامي عن إثارة الشبهات وتلقيق الانتقادات ولنظامه وأحكامه التشريعية، ومن ذلك الطلاق والخلع، وهدفهم من ذلك تشجيع المرأة المسلمة في التمرد على تعاليم الإسلام وقيمته ومبادئه.

الشبهة الأولى:

قالوا أن نظام الطلاق في الإسلام جاء فيه الإذن بحل عقدة النكاح بين الزوجين وفيها إذن بهدم مؤسسة الأسرة بكلمة واحدة^(٧٣٤).

المناقشة

١ - الزواج شركة بين الرجل والمرأة والأولاد، وإن استمرار شركة الزواج على الوجه الذي يرافقه الخير والسعادة للزوجين، ولسائر أعضاء الأسرة حتى تؤدي وظائفها الاجتماعية أداءً حسناً لا يتم إلا ضمن شروط نفسية وخلقية ومادية وهي:

أ- المودة والرحمة.

ب- التلاؤم الخلقي والطبيعي.

ج- تلبية مطالب كل من الزوجين المادية.

والإسلام علم أبناءه ووجب الحفاظ على رابطة الأسرة والتمسك بها، واتبع أساليب متعددة من النواحي التوجيهية والتطبيقية لترسيخ هذه الرابطة.

ففي نطاق التوجيه يعلن القرآن الكريم هذه الوصية «وَاعْشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرِهُوا شَبَيْنَا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا»^(٧٣٥) والحديث النبوي: «لَا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر»^(٧٣٦)، ولا يفرك بمعنى لا يبغض.

وفي نطاق التطبيق العملي يخول الرجل الحق في بعض التدابير للإصلاح، بمقتضى قوامته، على المرأة، فإن لم يجد نفعاً فإن الخطاب الإلهي يأمر بالتحكيم في قوله تعالى: «وَإِنْ خَفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنَهُمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا»^(٧٣٧)

(734) انظر: أجنحة المكر الثالث، ص ٦٠٧

(735) سورة النساء، الآية (١٩)

(736) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، رقم الحديث ٦٣، ١٤٦٩-٢، ١٠٩١

(737) سورة النساء، الآية (٣٥)

فإن فشلت كل وسائل الإصلاح، فلا يمكن أن تستمر الحياة بين الزوجين، ولماذا يجبر الرجل على العيش مع زوجةٍ يبغضها ولا يطيقها، كذلك الأمر بالنسبة للزوجة.

لذا جاء الشرع بالإذن بحل عقدة النكاح، وأن الضرورة الملحّة الفردية والاجتماعية استدعت ذلك، والإسلام راعى هذه الضرورة.

٢- إنّه من الخطأ أن يقال إن الشريعة الإسلامية جعلت انفصال المرأة عن زوجها بكلمة عابرة.. ولماذا يستبعد أن يكون الطلاق بكلمة إذا كان التلاقي بكلمة أيضاً، فكما يقال عند الطلاق كلمة طلاقك، فكذلك هو يدخل إلى الحال بكلمة زوجني وزوجتك، وأيضاً، فالمرأة التي تعرف أنها ستكون مع زوجها رهن كلمة منه، لينهي هذه العلاقة، لا بد أن تعرف أن الشريعة تحافظ جداً في أن تضع هذه الكلمة في يد أمين عليها، وليس الأمين عليها سوى رجل يخاف ربه ويخشى ويرعاه في كل أموره، كما قال الحسن لمن استشاره في زوج ابنته "قل له أجعلها عندك، فإن أحبها أكرّها، وإن كرهها لم يظلمها"^(٧٣٨)

ولو أن المرأة عرفت ذلك أيضاً ووعته، وأدركت أن فراقها منوط بكلمة، لاحتاطت هي أيضاً كما احتاط لها الشرع في أن تضع هذه الكلمة في يد أمين عليها فاختارت زوجاً ذا خلق ودين كما وصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله: إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلفه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض^(٧٣٩) وكذلك الرجل عليه أن يأخذ في اختياره لزوجته منطق الدين ووصية رسوله الأمين "فاظفر بذات الدين تربت يداك"^(٧٤٠)

٣- إن الطلاق لا يتم بكلمة واحدة كالزواج، فالتشريع يعطي فرصة وفرصة أخرى بعدها، وإذا عز اللقاء واستحالت الحياة الزوجية والعشرة كان أمراً لا بد منه، ثم إن الرجل إذا أراد أن يعود إلى امرأته لأنها اشتتها واشتبه، وأحب أن يراجعها فلا رجعة إلا بعد أن تتحجّز زوجاً غيره، تأدبياً لرجولته، وإثارة للغيرة فيه، حتى لا يقف هذا الموقف مرة أخرى، وتأدبياً للمرأة حتى لا تكون سبباً في الخلاف المؤدي إلى الطلاق. فالطلاق ليس بكلمة كما يقولون، ولكنه بكلمات، وبكلمات متفرقات قال تعالى ﴿الطلاقُ مَرْتَان﴾^(٧٤١)

(738) شبّهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها، الشعراوي، ص ٧٣

(739) سنن الترمذى، كتاب النكاح، باب إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه، رقم الحديث (١٠٨٤)، ٣٩٥-٣٩٤/٣، وقال الألبانى حسن صحيح في صحيح الترمذى ٥٥١/١

(740) صحيح البخارى، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، رقم الحديث (٥٠٩٠)، ٣٤٦/٣

(741) سورة البقرة، الآية (٢٢٩)

وبعد ذلك قال الله تبارك وتعالى ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾^(٧٤٢) وإنما الطلاق مرتان على عكس الزواج، لأن الزواج إنما دخل عليه دون تبعات تسبقه، ولكن الطلاق قد يكون بعد تبعات تسبقه، وهو وجود علائق ليس من السهل على القلب البشري أن يتخطاها، وأن يتعداها، كوجود مودة، أو أبناء، وقد يرتبطان على أسباب نك الحياة من أجل استبقاء البنوة.

لذا لا يصح أن يقال: إن الإسلام جاء يهدم مؤسسة الأسرة، وإنما جاء ليصفّي قضية اللقاء، ونقى هذه المؤسسة من أن تقوم على نك أو بغض أو فساد^(٧٤٣).

٤- لا شك أن هناك كثيراً من المآسي الأخرى التي تجم عن الطلاق، من تشريد للزوجة والأطفال ومنازعات بين الأهل في المحاكم لا تكاد تنتهي حتى تبدأ من جديد، لكن ما هو الحل؟ هل يكون الحل بإلغاء الطلاق؟ وما العمل في المآسي الأخرى التي تجم من تحريم الطلاق تلك المآسي التي تعرفها جيداً وعاشتها الدول الكاثوليكية التي لم تأخذ بمبدأ الإباحة؟ وهل يصير البيت له معنىً وأحد الطرفين أو كلاهما يكره الآخر ولا يطيق عشرته، ومع ذلك فالقيد مؤبد والخلاص مستحيل؟ مما أدى إلى وقوع الجريمة، حيث يتخذ الزوج عشيقة يلبي معها دوافع الجنس، والزوجة المنبوذة تتخذ نفس الطريق، والنتيجة هي انحراف الأطفال الذين نشأوا مع أبوين متخاصمين، متشاحنين لا ينتهي لهما خصام، مما اضطرهم بعد ذلك إلى العودة إلى قضية الإسلام في الطلاق، فأباحو الطلاق ورفعوا عنه القيد، لا لأنهم عادوا إلى الإسلام ولكن أحاديث الحياة عضتهم، فلم يجدوا الملجاً إلا أن يذهبوا إلى قضية الإسلام على أنها تحل لهم الوضع الذي يعانون منه. فهل يصح أن يفكر فريق من أبناء المسلمين وضع هذه القيد على الطلاق ليقع فيما وقعوا فيه؟ ثم نرجع ثانية إلى الإسلام؟^(٧٤٤)

الشبهة الثانية:

من شبهات أعداء الإسلام في موضوع الطلاق: كون الطلاق بيد الرجل وحده، بحيث يتحكم الرجل في بث الحياة الزوجية متى شاء؟ وله الحق في مباشرة تطليق زوجته، أما المرأة لم يجعل لها هذا الحق إلا عن طريق القضاء الشرعي^(٧٤٥).

(٧٤٢) سورة البقرة، الآية (٢٢٩)

(٧٤٣) انظر: شبهات وأباطيل، الشعراوي، ص ٧٣/٧٤.

(٧٤٤) انظر: شبهات حول الإسلام، محمد قطب، ص ١٣٢-١٣٣، انظر: شبهات وأباطيل خصوم الإسلام، الشعراوي، ص ٧٤، وانظر: المرأة المسلمة بين نظريتين، صالح محمد جمال، ص ٩٩.

(٧٤٥) انظر: أجنحة المكر الثالث، ص ٦١٣، وانظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ١٢٧.

إن (لاشون جيفرسون) المديرة التنفيذية لقسم المرأة في منظمة حقوق الإنسان في مصر تطالب بالمساواة بين المرأة والرجل في حق الطلاق "إن المرأة المصرية التي تسعى للطلاق تجد نفسها بين شرين أحلاهما مر، فإذا طلبت تطليقها للضرر، تعين عليها مكابدة الحيرة، وعدم اليقين سنوات طويلة، بينما يحسم القضاء دعواها، وإذا سعت للحصول على طلاق سريع كالخلع، وجدت نفسها مضطرة للتنازل عن كافة حقوقها المالية"^(٧٤٦)

المناقشة:

لا بد لرد هذه الشبهة من دراسة الاحتمالات الممكنة كلها، وبيان الأصلح منها بشكل منطقي سليم لمقارنته ذلك بما أخذ به الإسلام منها.

ويمكن تصور أربعة احتمالات فيمن يجعل الطلاق بيده ولا بد من مناقشتها:

الاحتمال الأول: أن يجعل الطلاق بيد المرأة وحدها.

المناقشة

لا سبيل لإعطاء المرأة وحدها حق الطلاق لأن فيه خسارة مالية للرجل، وزعزعة لكيان الأسرة، والمرأة لا تخسر مادياً بالطلاق، بل تربح مهراً جديداً وبيتاً جديداً، وعرضاً جديداً، وإنما الذي يخسر هو الرجل الذي دفع المهر للمرأة، ويقوم بنفقة البيت والأولاد، وقد دفع نفقات العرس، وثمن أثاث البيت، فإذا أعطيت المرأة حق الطلاق بمجرد إرادتها، سهل عليها أن توقعه متى اختصمت مع الزوج نكالية به ورغبة في تغريمه، فقد خلقت المرأة على طباع وسجايا لا توجد غالباً في الرجل، فهي عاطفية أكثر من الرجل وسريعة التأثير والغضب لأتفه الأسباب وتساير عاطفتها في اتخاذ المواقف، فتثور وتتفعل لأوهي الأمور، يقول عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم "تحسن إليها الدهر كله، ثم إذا أساءت إليها مرة تقول ما رأيت منك خيراً قط"^(٧٤٧) وهي أيضاً لا تزن الأمور ونتائجها بميزان العقل بقدر ما تزنها بما تدعوه إليها العاطفة، وإذا كان الطلاق فيه مصلحة وخير أحياناً، فإنه قد يكون شرّاً أحياناً إذ به تتفاكك الأسرة ويتشتت الأبناء، فلهذا كان هذا الأمر يحتاج إلى تريث وتفكير وأناة، وهذه الأمور لا تتفق مع ما هو الشأن في أغلب النساء، فكان من الحكماء ألا تملك المرأة أمر الطلاق حتى لا تتصرف حسب العاطفة وتطلق لأتفه الأسباب.^(٧٤٨)

(746) انظر: مقال بعنوان "المستشرون لا يكفون عن التشكيك في عدالة الإسلام" موقع الخليج، ٢١/٥/٢١ هـ ١٤٢٦ .www.alkhaleej.ae

(747) صحيح البخاري، ٣٥٧/١.

(748) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ١٢٧/١٢٨، وانظر: أجنحة المكر الثالث، ص ٦١٤/٦١٥، وانظر: مقال بعنوان: "المستشرون لا يكفون عن التشكيك في عدالة الإسلام" موقع الخليج.

لذا تؤكد (د. سعاد صالح) عميد الدراسات الإسلامية والعربية للبنات وأستاذة الشريعة الإسلامية في جامعة الأزهر ردًا على (لاشون جيفرسون) "أن منح الرجل حق الطلاق ليس تمييزاً له على المرأة، ولكنه يؤكد عدالة التشريع الإسلامي وحرصه على الاستقرار الأسري، وعدم تعريض الأسرة للانهيار والأولاد للضياع عند حدوث أي خلاف بين الزوجين"^(٧٤٩)
الاحتمال الثاني: أن يجعل الطلاق باتفاق الرجل والمرأة معاً.

المناقشة:

وجعل الطلاق بين الرجل والمرأة معاً، أمر يكاد يكون من المستحيل اتفاقهما عليه، إن الإسلام لا يمنع أن يتفاهم الرجل والمرأة على الطلاق، ولكن لا يعلق صحته على اتفاقيهما معاً، ولو ألحت الضرورة على أحد الزوجين فعزم على الحل، وأصر الآخر على بقاء الشركة للإضرار بشريك، لم يستطع أن يصل إلى ما يريد، وبذلك تتم مشكلة استمرار شركة بموجب إرادة مستمرة من طرف واحد فقط. فمثلاً: ماذا يكون الحال فيما لو أصبحت حياة الرجل مع امرأته شقاءً ليس بعده شقاء، فأراد أن توافقه على طلب الطلاق فأبى؟ وكثير من النساء في مثل هذه الحالة يفضلن عذاب الرجل وتعاسته على راحته، ثم إن المرأة لم تتفق شيئاً على البيت، ولا دفعت مالاً للرجل، فلماذا تربط إرادتها بإرادتها في إنهاء الحياة الزوجية؟ وكيف تجبره على أن يعيش مع امرأةٍ كرهها ثم أبى أن توافق على طلاقها منه؟ ومع إلزام الإنسان بما يكره أو لا يوافق مصلحته تتم عوامل الاحتيال والمكارهة، والتهرب من الواجبات، والانحراف عن الصراط السوي وقد تصل في آخر الأمر إلى حد الجريمة. إذن فهذا الاحتمال مرفوض^(٧٥٠).

الاحتمال الثالث: جعل الطلاق عن طريق المحكمة:

المناقشة:

إن جعل الطلاق عن طريق المحكمة كما هو عند الغربيين، قد ثبتت أضراره من جهة، وعدم جدواه من جهة أخرى.

أما أضراره: فلما يقتضيه من فضح الأسرار الزوجية أمام المحكمة، وللمحامين عن الطرفين، وقد تكون هذه الأسرار مخزية، من الخير لأصحابها التستر عليها، لأن معظم أسباب الطلاق تتمثل في أمور لا يصح إعلانها، حفاظاً على كرامة الأسرة وسمعة أفرادها ومستقبل أبنائها وبناتها وأيضاً ليخفف الأعباء عن القضاء الشرعي.

(749) موقع الخليج: www.alkhaleej.ae

(750) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ١٢٨، وانظر: أجنحة المكر الثالث، ص ٦١٣.

فلو أن رجلاً اشتبه في سلوك زوجته، وتقديم إلى المحكمة طالباً طلاقها لهذا السبب، كم تكون الفضائح في هذا الموضوع؟ وكم يكون مدى انتشارها بين الأقرباء والأصدقاء والجيران، وبعض الصحف التي تتخذ من مثل هذه القضايا مادة لرواجها^(٧٥١).

كما أن حصر الطلاق بيد القاضي أمر أثبتت التجارب عدم جدواه وذلك من نواح عدّة منها:

١ - الفشل في التقليل من نسب الطلاق وهذا أمر أثبتته إحصاءات الطلاق التي سجلت في تونس حيث أن العدد لم ينقص، بل على العكس من ذلك، ارتفاعاً ملحوظاً، رغم أن المبرر الذي قدم لانتزاع سلطة الطلاق من يد الرجل (الزوج) وإحاله إلى القاضي هو حماية الأسرة، بإتاحة فرصة للقاضي ليراجع فيها الزوجين، ويحاول الصلح بينهما، فإن الواقع يثبت أن نسبة المصالحات الناجحة ضئيلة جداً، فمن بين ألف وأربعين ألفاً وسبعين عشر قضية منشورة في المحكمة الابتدائية بتونس في الموسم القضائي سنة ١٩٨٠ - ١٩٨١م، لم يتم المصالحة إلا في عشر منها، بينما كان الاعتقاد أن تعدد الزوجات وجعل العصمة الزوجية بيد الرجل، وعدم تغريمها لفائدة الزوجية هي الأسباب الرئيسية للطلاق، وأن القضاء عليها سيقلل من نسب الطلاق، ولكن الإحصائيات تثبت أن شيئاً من ذلك لم يحدث.

٢ - لجوء بعض المحاكم الغربية التي تتوكّل بنفسها أمور الطلاق في محاولة منها إلى خفض نسبة الطلاق إلى رفض التطليق إذا لم يكن بسبب الزنا، لذلك كثيراً ما يتواتأ الزوجان فيما بينهما على الرمي بهذه التهمة ليفترقا، وقد يلفقان شهادات ووقائع مفتعلة لإثبات الزنا حتى تحكم المحكمة بالطلاق.

فأي الحالتين أكرم وأحسن وألائق بالكرامة؟ أن يتم الطلاق بدون فضائح؟ أم أن لا يتم إلا بعد الفضائح؟^(٧٥٢)

الاحتمال الرابع:

جعل الطلاق بيد الرجل وحده، وتعطى المرأة فرصة للطلاق إذا أساء الرجل استعمال حقه، أي أن يكون باستطاعة كل من الزوجين حل هذه الشركة ولكن ضمن قيود.

(٧٥١) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ١٢٨-١٢٩، وانظر: أجنة المكر الثالث، ص ٦١٥-٦١٦، وانظر: شبّهات حول حقوق المرأة في الإسلام، نهى قاطرجي، موقع صيد الفوائد www.saaid.net.

(٧٥٢) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ١٢٩.

المناقشة:

١- قد رأى الإسلام بحكمته العالية أن الأخذ بهذا الاحتمال أكثر صيانةً لبناء الأسرة، من أن يكون عرضةً لعوامل الهدم السريع، فأعطى الرجل بوصفه قيم هذه المؤسسة الاجتماعية، سلطة حل الشركة بينه وبين زوجته بشكل مباشر، ولكن جعل له فرصتي روبية يرجع فيها عن رأيه، وحمله أعباء النفقات التي ستتبع الطلاق، بعد حمله أعباء النفقات التي استتبعها عقد الزواج، والرجل في الأعم الأغلب أصيطن أعصاباً وأكثر تقديرًا للنتائج في ساعات الغضب، وهو لا يقدم على الطلاق إلا عن يأس من إمكان سعادته الزوجية مع زوجته^(٧٥٣).

٢- إن جعل الطلاق في يد الرجل لا يعني الاستبداد بالمرة وإكراهها على حياة زوجية لا تطيقها، فقد أعطت الشريعة المرأة حق الالتجاء إلى القضاء ليفرق بينها وبين زوجها في الحالات التي لا تستقيم فيها أمور الزوجية، كالتفريق بسبب العيوب والأمراض التي لا يحصل بها مقصود الزواج، والتفرقة قد يكون لإعسار الزوج عن الإنفاق، وقد يكون التفريقة للشقاق والضرر بين الزوجين، والدليل قوله تعالى: "إِنْ خَفْتُمْ شِقَاكَ بَيْنَهُمَا"^(٧٥٤) وقد يكون الطلاق بسبب غياب الزوج مدة أقصاها ستة أشهر، لأنها أقصى مدة يمكن أن تصبر خلالها المرأة.

٣- وأيضاً للزوجة أن تشترط أن تكون عصمتها في يدها فطلق نفسها متى أرادت، وللزوج أن يفوض إليها أمر الطلاق حتى بعد الزواج، ودليل ذلك: أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم شكون إليه في يوم من الأيام لقلة النفقه، فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرْدِنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتُهَا فَتَعَالَيْنَ أَمْتَعْكُنَّ وَأُسْرَحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرْدِنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعْدَ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٧٥٥) فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترنا الله ورسوله فلم يعد ذلك علينا شيئاً"^(٧٥٦) فدللت الآية والحديث على أن اختيار الزوجات للدنيا معناه اختيارهن للطلاق.^(٧٥٧)

(٧٥٣) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ١٢٩-١٢٧، وانظر: أجحة المكر الثالث، ص ٦١٥.

(٧٥٤) سورة النساء، الآية (٣٥)

(٧٥٥) سورة الأحزاب، الآيات (٢٨-٢٩)

(٧٥٦) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب من خير نسائه، رقم الحديث (٥٢٦٢)، ٣٩٠/٣.

(٧٥٧) مقال: منح الرجل الطلاق ليس تسلطاً على المرأة، للدكتورة: سعاد صالح، انظر: موقع الخليج.

٤ - أما إذا لم تشرط الزوجة أن تكون عصمتها بيدها أثناء الزواج، ولم يملكها الزوج حق التقويض بعد الزواج، فإن القرآن الكريم أعطاها الحق في طلب المخالعة عن زوجها، وعليه أن يجيبها إلى ما طلبت لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمُ آلَّا يُقْيِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٧٥٨)

وعلى هذا فالزوجة إذا طلبت الفراق من زوجها مخالعة فيجب عليه أن يلبي طلبها بشرط أن تكون مستندة إلى مبررات مشروعة، فلا يطالبها الزوج في هذه الحالة بالمهر ولا بأية نفقات استتبعها عقد الزواج أو الخطبة.

وإن كانت مطالبتها بذلك مستندة إلى إرادة خاصة بها كان لزوجها الحق بأن يطالب برد المهر الذي ساقه إليها لدى عقد النكاح، والحكمة في ذلك أن لا تتخذ النساء من منحها الحق وسيلة لتحصيل المهر، واتخاذ عقد الزواج تجارة قائمة على مصلحة مادية بحتة^(٧٥٩).
إذن يتبيّن مما سبق أن إعطاء الرجل وحده حق الطلاق الطبيعي ومنطقي ومنسجم مع قاعدة "الغرم بالغنم"

فليس العيب في نظام الطلاق إذا أساء استخدامه الزوج لأن يفعله نكارة بزوجته ورغبة في الإضرار بها، أو يطلق زوجته لغرض الاستمتاع بامرأة أخرى، ولا يجوز أن نتهم الإسلام بأنه ظلم المرأة ولم يساو بينها وبين الرجل في هذه المسألة، فالسبب هو إساءة استخدام هذا الحق، الذي يحتاج إلى يقظة ضمير المسلم، وعدم إساعته ما وكل إليه من صلاحيات^(٧٦٠).

ومن المعلوم أن كل نظام صالح لا بد من وجود قلة تسع استخدام تطبيقه، فهل يلغى هذا النظام لوجود القلة المسمى، ثم إن مزيداً من التربية الإيمانية والتوعية الدينية، تقلل من وجود من يسيء استخدام حق الطلاق بطلاق زوجته تعسفاً وظلماً.

(٧٥٨) سورة البقرة، الآية (٢٢٩).

(٧٥٩) انظر: أجنبة المكر الثالث، ص ٦١٥، وانظر: موقع الخليج، مقال للدكتورة سعاد صالح.

(٧٦٠) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ١٣٠-١٣١.

المبحث الخامس

تعدد الزوجات والزواج المبكر

المطلب الأول: تعدد الزوجات

الشبهة الأولى:

يشن الغربيون من أعداء الإسلام وخاصة المبشرين والمستشارين والاستعمار وأذنابهم من أبناء المسلمين حملة قاسية على الإسلام والمسلمين بسبب تعدد الزوجات وقالوا: أن التعدد وحشية لا ترضي وشهوانية غير مقبولة، وأنه علة احتطاط الشرقيين^(٧٦١).

المناقشة

١ - عجبا !! كيف يجرؤ الغربيون على الثورة ضد تعدد الزوجات المحدود عند المسلمين ما دام البغاء شائعاً في بلادهم؟ فلا يصح أن يقال عن الغرب أن أهله لا يعدون الزوجات ما دام فيها إلى جانب الزوجة الشرعية صديقات وعشيقات من وراء الستار؟^(٧٦٢)

٢ - الإسلام لم يبتدع التعدد وإنما حده، ولم يأمر بالتعدد على سبيل الوجوب، وإنما رخص فيه وقيده. فالتعدد كان موجوداً في الأمم القديمة كلها تقريباً عند الأثينيين، والصينيين، والهنود، والبابليين، والآشوريين، والمصريين، والعرب قبل الإسلام لم يكن عندهم عدد محدود، وفي الديانة اليهودية أيضاً أبيح التعدد بدون حد، ولم يرد في المسيحية نص صريح يمنع التعدد^(٧٦٣).

٣ - جاء الإسلام والرجل يتزوج بما شاء من النساء حتى أسلم بعض أهل الجاهلية وعنده عشر نسوة !! فحصر الإسلام العدد بأربع نسوة فقط، ولما حدده لم يوجبه على عباده، بل أباحه لهم بشروطه من العدل والاستطاعة والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَأَنْكِحُوهَا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مُثْنَى وَثُلَاثَ وَرَبَاعَ﴾^(٧٦٤)

٤ - الأصل الغالب في زواج المسلم أن يتزوج الرجل بامرأة واحدة تكون سكن نفسه، وأنس قلبه وربة بيته، وموضع سره، وبذلك ترتفع عليهما السكينة والمودة والرحمة وهي

(٧٦١) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٧١، وانظر: قضية تعدد الزوجات بأعين الأمم المعاصرة، عبد الرحمن بن عبد الله السعدي، موقع صيد الفوائد.

(٧٦٢) قضية تعدد الزوجات، موقع صيد الفوائد.

(٧٦٣) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٧٢-٧١، وانظر: لماذا المحروم على تعدد الزوجات أحمد بن عبد العزيز الحصين، دار الضياء، ط ١، ١٤١٠ - ١٩٩٠، ص ١٤-٦.

(٧٦٤) سورة النساء، الآية (٣)

أركان الحياة الزوجية ولذا قال العلماء يكره لمن له زوجة تعفه وتكتفيه أن يتزوج عليها، لما فيه من تعريض نفسه للحرم حيث قال الله سبحانه وتعالى: **﴿وَلَنْ تَسْتَطِعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمْلِئُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾**^(٧٦٥) وقال النبي صلى الله عليه وسلم "من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما، جاء يوم القيمة وشقه مائل"^(٧٦٦) أما من كان عاجزاً عن الإنفاق على الزوجة الثانية أو كان يخشى من نفسه ألا يعدل بين زوجتيه فحرام عليه أن يقوم على الزواج من الأخرى **﴿فَإِنْ خِفْتُمُ أَلَا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾**^(٧٦٧) فيجب على الزوج المعدّ أن يُسوّي بينهما في النفقة والكسوة، والمبيت، والأكل والشرب.^(٧٦٨)

٥- المطلوب إذن هو القسط والعدل وهو غير مضمون التحقيق، وعلى ذلك يكون الأصل في الإسلام هو وحدانية الزواج، ولكن هناك حالات تكون فيها الوحدانية ظلماً لا عدالة فيه، وعند ذلك يلجأ إلى تشريع الضرورة، مع علمه أن العدالة المطلقة فيه غير مضمونة لينفي ضرراً أكبر بضرر أضعف، وأهم الحالات التي يحتاج فيها إلى هذا التشريع هي:

أ- حالات الحروب التي تقني عدداً كبيراً من الشباب، فيختل الميزان، ويزيد عدد النساء على عدد الرجال عن وجود نساء بلا رجال وشبيه بحالة الحرب، كل حالة يختل فيها التوازن بسبب من الأسباب، فمثلاً الرجال أكثر تعرضاً لحوادث العمل، وحوادث الطرق، وللموت بسبب الأوبئة لأنهم أقل مناعة بالطبعية من النساء.

ب- عند زيادة النساء على الرجال في الأحوال العادية، كما هو الشأن في كثير من البلدان كشمال أوروبا فإن النساء فيها في غير أوقات الحروب وما بعدها تفوق الرجال بكثير، حيث يولد من بين كل أربعة أطفال أو ثلاثة يكون واحد منهم ذكراً والباقي إناثاً، ففي هذه الحالة يكون التعدد أمراً واجباً أخلاقياً واجتماعياً، وهو أفضل من تسريح النساء الزائدات عن الرجال في الطرقات لا عائل لهن ولا بيت يؤويهن، ولا يوجد إنسان يحترم استقرار النظام الاجتماعي يفضل انتشار الدعاارة على تعدد الزوجات^(٧٦٩).

(٧٦٥) سورة النساء، الآية (١٢٩)

(٧٦٦) سنن أبي داود، كتاب النكاح، الباب في القسم بين النساء، رقم الحديث (٢١٣٣) / ٣٢٣ / ٢، دار الفكر، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٥٩٣ / ١.

(٧٦٧) سورة النساء، الآية (٣)

(٧٦٨) انظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، د. يوسف القرضاوي، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط١، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦ ص ١١٨ - ١١٩.

(٧٦٩) انظر: شبهات حول الإسلام، محمد قطب، ص ١٣٥ - ١٣٦، وانظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٨١ - ٨٤، وانظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، ص ١٢٤ - ١٢٥.

وهناك حالات فردية معروفة لدى الفقهاء يكون تعدد الزوجات فيها ضرورة وهي:

الأولى: الطاقة الجنسية الحادة التي لا تكتفي بواحدة ولا يمكن لصاحبتها الصبر عليها. فهذه إما أن تأخذ طريقها المشروع إلى زوجة ثانية، وإما أن تتخذ الخليلات في السر، وهو وضع لا يسمح المجتمع النظيف بوجوده، فالحل الأول يعصم من الوقوع في الحرام.

الثانية: عقم الزوجة، والنسل وهي رغبة بشرية عميقه رفيعة لا حطة فيها، ولا عيب في اشتئتها فإذا رضيت الزوجة الأولى الاشتراك مع غيرها كان بها، وإن ألماما طريق الانفصال إذا كانت لا تطيق. غالباً ما تفضل الزوجة أن تبقى ولها شريكة أخرى في حياتها الزوجية، على أن تفقد بيت الزوجية، ثم لا أمل لها بعد ذلك فيمن يرغب في الزواج منها بعد أن يعلم أن طلاقها كان لعمتها. فلا شك أن المرأة الكريمة العاقلة تفضل التعدد على التشرد، ولهذا نرى كثيراً من الزوجات العقم يفتشن لأزواجهن عن زوجة أخرى تتجب لهم الأولاد.

الثالثة: حالات المرض الدائم الذي يمنع الاتصال. فالزوج هنا بين حالتين: إما أن يطلقها وليس في ذلك شيء من الوفاء والمرؤة ولا من كرم الأخلاق، وفيه من الضياع والمهانة للمرأة المريضة معاً، وإنما أن يتزوج عليها أخرى ويبيقيها في عصمتها، لها حقوقها كزوجة، ولها الإنفاق عليها في كل ما تحتاج إليه من دواء وعلاج، وطبعاً هذه الحالة أضمن لسعادة الزوجة المريضة وزوجها على السواء^(٧٧٠).

الرابعة: أن يشتد كره الزوج لها بحيث لم ينفع معه علاج التحكيم والطلاق الأول ولا الثاني، وما بينهما من هدنة العدة التي تمتد في كل مرة ثلاثة أشهر تقريباً، وهنا يجد الزوج نفسه أمام حالتين إما أن يطلقها ويتزوج غيرها، وإنما أن يبيقيها عنده لها حقوقها المشروعة كزوجة، ويتزوج عليها أخرى، والحل الثاني أكرم للزوجة الأولى، وأضمن لمصلحتها خصوصاً بعد تقدم السن وإنجاب الأولاد.

الخامسة: أن يكون الرجل بحكم عمله كثير الأسفار، وإقامته تطول في البلد الذي يسافر إليه ولا يستطيع أن ينقل زوجته وأولاده معه كلما سافر، وهنا يجد نفسه بين حالين: أما أن يفتشن عن امرأة أخرى يأنس بها عن غير طريق مشروع، وإنما أن يتزوج أخرى ويقيم معها إقامة مشروعة في نظر الدين والأخلاق والمجتمع.^(٧٧١)

(٧٧٠) انظر: شبهات حول الإسلام، محمد قطب، ص ١٣٦-١٣٧، وانظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٨٥-٨٦
وانظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، ص ١٢٣-١٢٤.

(٧٧١) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٨٥-٨٦، وانظر: لماذا المخوم على تعدد الزوجات، ص ٢٨.

ال السادسة: الحصول على الذرية، فكون الزوجة تجب ولداً واحداً ثم تقف من الإنجاب والإسلام يحث على كثرة النسل، فإذا أراد الرجل الزواج من أجل إنجاب أولاد وتكثير الذرية، في يريد أن يستعين بهم في أعماله الحياتية، أو يريد أن يراهم شباباً مؤمنين، ودعاة مصلحين صادقين، ومجاهدين يدافعون عن أوطانهم في سبيل الله.

السابعة: اختلاف طبيعة الرجل عن المرأة من حيث التكوين الجسمني حيث تمتد فترة الإخصاب في الرجل إلى سن السبعين سنة أو أكثر، والمرأة قابلة للإنجاب إلى سن الخمسين سنة. والفارق بينهما مدة طويلة تقدر بعشرين سنة وهو يريد الإنجاب، فإذا لم يبح للرجال التزوج بأكثر من امرأة يعطل ما يقرب من نصف عمره الطبيعي في الأمة، بتعطيل النسل الذي هو مقصود الزواج^(٧٧٢).

٦ - فالتعدد إذن ليس وحشية كما يقال أو شهوانية أو علة انحطاط المسلمين، بل هو نظام أخلاقي إنساني. أما أنه أخلاقي لأنه لا يسمح للرجل أن يتصل بأي امرأة شاء، وفي أي وقت شاء فلا يجوز أن يتصل بأكثر من ثلاثة نساء زيادة عن زوجته، ولا يجوز له أن يتصل بوحدة منهن سراً، بل لا بد من إجراء العقد وإعلانه ولو بين نفر محدود، ولا بد من تسجيله في محكمة مختصة لعقود الزواج، ويستحب أن يولم الرجل عليه، وأن يضرب الدفوف مبالغة في الفرح والإكرام.

وأما أنه إنساني فلأنه يخفف الرجل به من أعباء المجتمع بإيواء امرأة لا زوج لها، ونقله إلى مصاف الزوجات المصنونات المحسنات، وأنه ينتج للأمة نسلاً عاملاً، وأنه يعترف بالأولاد ويقدمهم للمجتمع ثمرة من ثمرات الحب الشريف الكريم، يعتز هو بهم، وتعترض أمته في المستقبل بهم. بخلاف تعدد الزوجات عند الغرب فهو لا أخلاقي ولا إنساني، إنه لا يقع باسم الزوجات، ولكنه يقع باسم الصديقات والخليلات، ولا يقتصر على أربعة فحسب، بل هو إلى مالا نهاية له من العدد، إنه لا يقع علينا تفرح به الأسرة، ولكنه سراً لا يعرف به أحد.

إنه لا يلزم صاحبه بأية مسؤولية مالية نحو النساء اللاتي يتصل بهن، بل حسبه أن يلوث شرفهن، ثم يتركهن للخزي والعار، والفاقة وتحمل آلام الحمل والولادة غير المشروعة. إنه تعدد قانوني من غير أن يسمى تعدد الزوجات، خالٍ من كل تصرف أخلاقي، أو يقطنه وجدانية، أو شعور إنساني، إنه تعدد تبعث عليه الشهوة والإنسانية، ويفر من تحمل كل مسؤولية. فأي النظامين أليق بالأخلاق وأكبح للشهوة، وأكرم للمرأة، وأدل على الرقى وأبرّ بالإنسانية؟^(٧٧٣)

(٧٧٢) انظر: لماذا الهجوم على تعدد الزوجات، ص ٢٥-٢٦.

(٧٧٣) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٩٣-٩٥، ومركز المرأة في الحياة الإسلامية، القرضاوي، ص ١٢٦-١٢٩.

الشبهة الثانية:

قالوا إنَّ تعدد الزوجات أُبيح للرجل فيه أن يعدد في زواجه مثنى وثلاث ورباع وحرّم ذلك على المرأة فهذا انتهاك لمكانة المرأة.

المناقشة:

١ - إن المساواة بين الرجل والمرأة في نظام الزواج لا ينبغي أن تكون مساواة مطلقة لاختلاف طبيعة كل من الرجل والمرأة، والمساواة بين مختلفين تعني ظلم أحدهما.

فالمرأة لها رحمٌ واحدٌ، وهي تحمل في وقت واحد ومرة واحدة في السنة، ويكون لها تبعاً لذلك مولود واحد من رجل واحد، أما الرجل فغير ذلك، فمن الممكن أن يكون له عدة أولاد من عدة زوجات، ينتسبون إليه ويتحمل مسؤولية تربيتهم والإنفاق عليهم، وتعليمهم وعلاجهم، وكل ما يتعلق بهم وبأمهاه من أمور، أما المرأة فعندما تتزوج ثلاثة أو أربعة رجال فمن من هو لاء الرجال يتحمل مسؤولية الحياة الزوجية؟ الأول أم الثاني أو الثالثة كلهم أم الأربعة؟ ثم لمن ينتسب أولاد هذه المرأة متعددة الأزواج؟ أينتسبون لواحد من الأزواج أم لهم جميعاً؟ أو تختر الزوجة أحد أزواجهها فتتحقق أولادها به؟ وسنة الله في خلقه أن جعل نظام الزوج الواحد والزوجة الواحدة يصلح لكل من الرجل والمرأة، وجعل نظام تعدد الأزواج لا يصلح للمرأة، بينما جعل نظام تعدد الزوجات مناسباً جداً للرجل حيث ينتسب الولد لأب واحد^(٧٧٤).

٢ - كما أن تعدد الأزواج يمنع المرأة من أداء واجبات الزوجة بصورة متساوية وعادلة بين أزواجهها، سواء أكان ذلك في الواجبات المنزلية أو غيرها وبخاصة أنها تحيض ولمدة خمسة أو سبعة أيام في كل شهر، وإذا حملت تمكث تسعة أشهر في معاناة جسدية تحول دون القيام بواجباتها نحو الرجل، وعند ذلك سيلجا الأزواج بلا شك إلى الخليلات، أو يطلقونها فتعيش حياة قلقة غير مستقرة. فالمجتمع لا يستفيد شيئاً من نظام تعدد الأزواج للمرأة، بعكس نظام تعدد الزوجات للرجل الذي يتاح فرص الزواج أمام كثارات من العانسات والمطلقات والأرامل.

٣ - لو أُبيح تعدد الأزواج للمرأة بأن تتزوج ثلاثة أو أربعة رجال لزاد عدد العانسات زيادة كبيرة، وأصبح النساء في وضع اجتماعي لا يحسد عليه، وهذا فإنه ليس من العدالة في

(٧٧٤) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٩٣-٩٥، وانظر: تعدد الزوجات في الإسلام بقلم محمد بن مسفر بن حسين الطويل، جماعة أنصار السنة الحمدية، أم القرى، ط١، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤، ص ٦٤-٦٦، موقع aymanabo@yahoo.com.

شيء أن يباح للمرأة أن تعدد أزواجهها بحجة مساواتها للرجل، وليس عدلاً كذلك أن يحرم الرجل من صلاحيته في أن يعدد زوجاته بدعوى مساواته بالمرأة في حق الزواج.^(٧٧٥)

الشبهة الثالثة:

زعموا أن الزواج بأكثر من امرأة سبب في إثارة الخصام والنزاع بين أفراد الأسرة الواحدة، الأمر الذي يؤدي إلى تفكك الأسرة، وتشرد الأطفال. وبمعنى آخر يكون التعدد سبباً للعداوة بين زوجات الرجل الواحد، وتنتقل العداوة وبالتالي إلى أولادهن، مما يجعل الحياة فيما بينهن نكداً لا يكاد ينتهي.^(٧٧٦)

المناقشة:

١ - إن هذا النزاع يرجع إلى الغيرة الطبيعية التي لا يمكن أن تتخلص منها النفوس البشرية، فالغيرة موجودة في كل مكان، والغيرة والحزن اللذين تظهرهما المرأة وتحس بهما عندما يتزوج زوجها بأخرى شيء عاطفي، والعاطفة لا يصح أن تقدم في أي أمر من الأمور على الشرع، والضرر الذي يلحق بالمرأة نتيجة التعدد أخف بكثير من الأضرار التي تلحق بها في حالة بقائها بدون زوج.

٢ - ويلاحظ أن الغيرة بين الزوجات لم تمنع الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم تمنع أصحابه من الأخذ بنظام تعدد الزوجات، وتحتت العداوة كثيراً بين الزوجة الواحدة وبين أقرباء زوجها، وقل ما يرجع الخلاف والنزاع إلى تعدد الزوجات، بل يمكن أن يكون السبب هو تهاون الزوج وضعفه، وعدم عدله وإنصافه في معاملة أهل بيته، هذا بالإضافة إلى ضعف الوازع الديني في نفوس بعض الزوجات، بحيث لا يستطيعن كبح جماح الغيرة، ومن ثم يعمدن إلى إلحاق الضرر بضرائرهن وتعكير صفو الأسرة، كما يلاحظ أن النزاع بين الزوجات وبين الزوج إنما يحدث في الغالب من أجل الحصول على مطلب من مطالب الحياة الأسرية من مأكل ومشروب وملبس ومسكن مما شابه من ذلك. وقد يكون النزاع والخلاف بين الزوج وزوجته من أجل أمها، وقد تختلف معه خلافاً حاداً قد يؤدي إلى الطلاق من أجل أمور أخرى قد تكون تافهة.

٣ - إن مثل هذه المشكلات تعتمد في الدرجة الأولى على شخصية الرجل، وعلى قدرته على إدارة شئون منزله، فإذا كان عادلاً حازماً، فإن النزاع لا يجد طريقاً إلى منزله، أما إذا كان ضعيف الشخصية فإن النزاع سيدب بلا شك بين أفراد أسرته، سواء كان له زوجة

(٧٧٥) انظر: تعدد الزوجات في الإسلام، بن مسفر، ص ٦٦-٦٧.

(٧٧٦) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٩٠-٩٢، وانظر: تعدد الزوجات في الإسلام، بن مسفر، ص ٦٨-٦٩.

واحدة، أم عدة زوجات، وقد يحدث نزاع بين الرجل وزوجته بسبب وجود تناقض بينهما لسوء خلقهما أو سوء خلق أحدهما أو لأن العلاقة بينهما لم تقم على أساس سليم^(٧٧٧).

الشَّبَهَةُ الْرَّابِعَةُ :

وتقول هذه الشَّبَهَةُ أنَّ التَّعْدُدَ يَكُونُ سَبِيلًا رئيسيًّا فِي إِهمَالِ تَرْبِيَةِ النَّشَءِ وَتَشَرُّدِهِمْ .

المناقشة

١ - إن الإهمال ليس سبب التعدد فقط، بل إن له أسباباً كثيرة منها: عدم مبالاة الأب بتربية أولاده، أو انحرافه عن الطريق الصواب، بشرب خمر، أو تعاطي مخدرات، أو لعب قمار، أو مصاحبة رفقاء السوء وغير ذلك. وقد يكون الإهمال نتيجة خلاف الزوجين على أمر من الأمور المتعلقة بشئون الأسرة.

كما أن فقد الأطفال لمن يعولهم ويتبعدهم بالرعاية والتوجيه يعد سبباً من الأسباب التي تحول دون تربيتهم تربية سليمة، ونادرًا ما يكون تشرد الأطفال بسبب تعدد الزوجات.^(٧٧٨)

الشَّبَهَةُ الْخَامِسَةُ :

زعموا أن تعدد الزوجات يؤدي إلى زيادة أو كثرة النسل، ويؤدي إلى انتشار الفقر والبطالة في البلاد.

المناقشة

١ - وهذا طبعاً منطق غير سليم ومرفوض، وهدف الأعداء منه تحديد نسل المسلمين، فكثرت النسل مع حسن التربية من أعظم عوامل قوة الأمة وازدهارها. ومن أمثلة ذلك: اليابان والصين عندهم تقدم وتطور وازدهار رغم كثرة سكانها بخلاف بعض الدول العربية والأفريقية واستراليا يوجد بها الفقر والبطالة رغم سعة أراضيها وكثرة مواردها، ولو أحسن أهلها استغلالها لزال الفقر واختفت البطالة، واستواعت تلك البلاد أضعاف من يعيشون فيها.

٢ - الإكثار من النسل في البلاد الإسلامية مطلب شرعي وهام "أنكحوا فإنني مكاثر بكم"^(٧٧٩)، وهو يساعد على زيادة الإنتاج الزراعي والصناعي والتجاري، وبه يستغنون المسلمون عن العمالة الأجنبية المخالفة لهم في المعتقد والعادات والتقاليد.

(٧٧٧) انظر: تعدد الزوجات في الإسلام، ابن مسفر، ص ٦٩-٧٠.

(٧٧٨) نفس المصدر السابق، ص ٧٢-٧٣.

(٧٧٩) سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب تزويج الحرائر والولود، رقم الحديث (١٨٦٣)، ٥٩٩/١، وصححه الألباني، صحيح سنن ابن ماجة، ١٢٤/٢.

٣- إن كثرة النسل في المجتمعات الإسلامية ليست سبباً في الفقر، فإن رزقهم على الله تعالى، وهو الرزاق ذو القوة المتنين، بل العكس فإن كثرة الأولاد توسيع في الرزق ولا تضيقه.

(٧٨٠) **﴿وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْبًا**

(٧٨١) **كَبِيرًا﴾**

الشَّبَهَةُ السَّادِسَةُ:

وهي أن الظروف الاقتصادية في العصر الحديث لا تسمح للرجل بأن يعدد زوجاته، لأن هذا التعدد يفرض عليه أعباء مالية، فهو سيكون مطالبًا بالإنفاق على عدد من الزوجات والأولاد، في الوقت الذي ازدادت فيه مطالب كل فرد، وقللت في الوقت نفسه الموارد المالية.

المناقشة:

١- إن قضية تعدد الزوجات قضية اجتماعية ودينية وليس قضية اقتصادية، وإن المشكلات التي تتعرض لها الأسرة عند تعدد الزوجات أهون بكثير من المشكلات الاجتماعية التي تتعرض لها الأسرة عندما يكون بها عانس، أو مطلق، أو أرملة، والأرزاق بيد الله، والإنسان لا يضمن رزقه في ظل الزوجة الواحدة، حتى يشكو منه في ظل تعدد الزوجات، وقد يكون للرجل زوجة واحدة ولكنها مسرفة ومبذلة، وأكثر خطورة اقتصادية من أربع زوجات صالحات مدبرات لدى رجل آخر.

٢- في العصر الحديث بعض البلاد الإسلامية يزيد دخل الفرد كلما زاد عدد زوجاته، لأن أبواب العمل أصبحت مفتوحة أمام الناس، وكل امرأة تعمل تحصل على راتب شهري وهذا يتاح للزوجة والزوج فرصة طيبة للادخار والاستثمار، ورفع مستوى المعيشة، وتحقيق الرفاهية لكل أفراد الأسرة.

٣- يجب التوكل على الله سبحانه وتعالى في قضية الرزق مع السعي والعمل والأخذ بالأسباب لأن رزق العبد وأجله وعمله والشقاوة والسعادة، يكتب كل ذلك على الإنسان عند نفح الروح، وهو في بطن أمه، ولا يخرج أي إنسان للحياة إلا ورزقه مقدر من الله.

(٧٨٢)

(780) انظر: تعدد الزوجات، ابن مسفر، ص ٧٤-٧٥.

(781) سورة الإسراء، الآية (٣١).

(782) انظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، ص ١٣٠-١٣١، وتعدد الزوجات، ابن مسفر، ص ٧٥-٧٦.

الشَّبَهَةُ السَّابِعَةُ:

استغل دعاة التغريب في البلاد الإسلامية والعربيـة الانحراف الذي وقع بها، فقاموا يرفعون أصواتهم بإغلاق باب التعدد بالكلية، معددين مساوئه، في حين يصمتون صمت القبور عن مساوى الزنا الذي تبيـه لأسـف القوانـين الوضـعـية التي تحـكم ديار المسلمين، ولعبـت أجهـزة الإـعلام دوراً خطـيراً في التـغير من التـعدد، وقد نجـح هـؤـلـاء فـعلاً في بعض الـبلاد الـإسلامـية، فـصدرـتـ فيها قـوانـينـ تـحرـمـ ماـ أـحـلـ اللهـ منـ التـعددـ، إـتـبـاعـاًـ لـسـنـنـ الـغـربـ، وـمـنـ تـبـيرـاتـهـ الـتيـ وـضـعـوهـاـ باـسـمـ الشـرـعـ لـمـنـعـ التـعددـ وـاحـتـجـواـ بـهـاـ وـهـيـ:ـ أـنـ التـعددـ جـرـ وـرـاءـهـ مـفـاسـدـ وـمـضـارـ أـسـرـيـةـ وـاجـتمـاعـيـةـ لـذـاـ إـنـ حـقـ وـلـيـ الـأـمـرـ أـنـ يـمـنـعـ بـعـضـ الـمـبـاحـاتـ جـلـبـاـ لـمـصلـحةـ أـوـ درـءـاـ لـمـفـسـدةـ.

وـغـيرـهـ حـاـولـ بـكـلـ جـرـأـةـ أـنـ يـحـتـجـ بـالـقـرـآنـ عـلـىـ دـعـواـهـ هـذـهـ فـقـالـواـ:ـ إـنـ الـقـرـآنـ اـشـتـرـطـ لـمـنـ يـتـزـوـجـ بـأـكـثـرـ مـنـ وـاحـدـةـ أـنـ يـتـقـنـ مـنـ نـفـسـهـ بـالـعـدـلـ بـيـنـ الـزـوـجـتـيـنـ أـوـ الـزـوـجـاتـ، فـمـنـ خـافـ أـلـاـ يـعـدـ وـجـبـ أـنـ يـقـتـصـرـ عـلـىـ وـاحـدـةـ ﴿فَإِنْ خَفْتُمُ أَلَا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾^(٧٨٣) فـشـرـطـ الـقـرـآنـ لـلـتـعـدـ هوـ الـعـدـ، وـلـكـنـ الـقـرـآنـ فـيـ زـعـمـهـ جـاءـ فـيـ نـفـسـ الـسـوـرـةـ بـآـيـةـ بـيـنـتـ أـنـ الـعـدـ الـمـشـروـطـ غـيرـ مـمـكـنـ وـغـيرـ مـسـطـاعـ وـهـيـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ ﴿وَلَنْ تَسْتَطِعُو أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حـرـصـتـ﴾^(٧٨٤) وـبـهـذـاـ نـفـتـ هـذـهـ الـآـيـةـ الـلـاحـقـةـ مـاـ أـثـبـتـهـ الـآـيـةـ السـابـقـةـ^(٧٨٥).

المناقشة

١ - أـمـاـ قـوـلـهـمـ بـأـنـ التـعـدـ جـرـ وـرـاءـهـ مـفـاسـدـ وـمـضـارـ أـسـرـيـةـ وـاجـتمـاعـيـةـ، فـهـوـ قـوـلـ يـتـضـمـنـ مـغـالـطـةـ مـكـشـوفـةـ فـلـاـ يـمـكـنـ لـشـرـيعـةـ الـإـسـلـامـ أـنـ تـحـلـ لـلـنـاسـ شـيـئـاـ يـضـرـهـمـ كـمـاـ لـمـ تـحرـمـ عـلـيـهـمـ شـيـئـاـ يـنـفعـهـمـ قـالـ تـعـالـىـ:ـ ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثِ﴾^(٧٨٦) فـكـلـ مـاـ أـبـاحـتـهـ الـشـرـيعـةـ فـلـاـ بـدـ أـنـ تـكـوـنـ مـنـفـعـتـهـ رـاجـحةـ، وـكـلـ مـاـ حـرـمـتـهـ، فـلـاـ بـدـ أـنـ تـكـوـنـ مـضـرـتـهـ خـالـصـةـ أـوـ رـاجـحةـ.ـ وـهـذـاـ هـوـ مـاـ رـاعـتـهـ الـشـرـيعـةـ فـيـ تـعـدـ الـزـوـجـاتـ فـقـدـ وـازـنـتـ بـيـنـ الـمـصالـحـ وـالـمـفـاسـدـ، وـالـمـنـافـعـ وـالـمـضـارـ، ثـمـ أـذـنـتـ بـهـ لـمـنـ يـحـتـاجـ إـلـيـهـ، وـيـقـدـرـ عـلـيـهـ، بـشـرـطـ أـنـ يـكـوـنـ وـاـنـثـاـ مـنـ نـفـسـهـ بـرـاعـيـةـ الـعـدـ، غـيرـ خـائـفـ عـلـيـهـ مـنـ الـجـورـ وـالـمـيلـ، فـإـذـاـ كـانـتـ مـصـلـحةـ الـزـوـجـةـ الـأـوـلـىـ أـنـ تـبـقـىـ وـحـدـهاـ لـاـ يـنـازـعـهـاـ أـحـدـ، وـأـنـهـ سـتـتـضـرـ بـمـزـاحـمةـ أـخـرىـ لـهـاـ، فـإـنـ

(٧٨٣) سورة النساء، الآية (٣).

(٧٨٤) سورة النساء، الآية (١٢٩).

(٧٨٥) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٩٩، وانظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، القرضاوي، ص ١٣١-١٣٣، وانظر: المرأة وحقوقها في منظور الإخوان المسلمين، تأليف السيد يوسف، الطبعة الأولى، العربي، ١٩٩٨، ص ٢٧-٢٨.

(٧٨٦) سورة الأعراف، الآية (١٥٧).

من مصلحة الزوج أن يتزوج بأخرى تحصنه من الحرام، وإن من مصلحة الزوجة الثانية كذلك أن يكون لها نصف زوج تعيش في كفه وكفالته، خير لها من أن تعيش عانساً أو أرملة أو مطلقة، وإن من مصلحة المجتمع أن يصون رجاله، ويستر على بناته بزواج حلال، يتحمل فيه كل من الرجل والمرأة مسؤولية فيه، بدلاً من ذلك التعدد الغربي الذي انكر على المسلمين تعدد الحليات وأباح هو تعدد الخليلات: فأي المضار أولى أن تجتب؟ صحيح أن بعض الأزواج أساءوا استخدام هذا الحق، فلم يراعوا العدل الذي فرضه الله عليهم، ولكن سوء التطبيق لا يعني إلغاء المبدأ من أساسه وإلا لألغيت الشريعة - بل الشرائع - كلها، ولكن توضع الضوابط الازمة^(٧٨٧).

- وأما ما ادعاه هؤلاء من أن حقولي الأمر منع بعض المباحثات، عليهم أن يعلموا أن الذي أعطاه الشرع لولي الأمر هو حق تقييد بعض المباحثات لمصلحة راجحة في بعض الأوقات أو بعض الأحوال، أو لبعض الناس، لا أن يمنعها منعاً عاماً مطلقاً مؤبداً.

وَمَا الْإِسْتِدْلَالُ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَهُوَ اسْتِدْلَالٌ مَرْفُوضٌ لِأَنَّ الْعُدْلَ الْمُشْرُطُ الْمُطْلُوبُ هُوَ الْعُدْلُ فِي النَّفَقَةِ وَالْمَلْبِسِ وَالْمَأْكُولِ وَالْمَشْرِبِ وَالْمَبِيتِ وَخَاصَّةً عَلَى الْزَوْجَةِ الثَّانِيَةِ وَأَوْلَادِهَا أَمَّا الْآيَةُ الثَّانِيَةُ أَفَادَتْ أَنَّ الْعُدْلَ الْمُطْلَقَ الْكَاملَ بَيْنَ النِّسَاءِ غَيْرَ مُسْتَطِاعٍ، فَيُقْصَدُ بِهِ الْعُدْلُ فِي الْمَيْلِ الْقَلْبِيِّ، وَهَذَا لَيْسُ فِي يَدِ الإِنْسَانِ، فَالْأَرْسَلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعْدِلُ فِي الْأَمْوَالِ الظَّاهِرَةِ بَيْنَ نِسَاءِهِ مِنَ النَّفَقَةِ وَالْكَسْوَةِ وَالْمَبِيتِ وَالْطَّعَامِ وَغَيْرِ ذَلِكِ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ "اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلَكَ، فَلَا تَلْمِنِي فِيمَا تَمْلَكَ وَلَا أَمْلَكَ" (٧٨٨) يَعْنِي بِذَلِكَ حَبَّهُ لِعَاشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَكْثَرُ مِنْ زَوْجَاتِهِ، فَهَذَا مَعْفُوٌ عَنْهُ لِأَنَّهُ لَا قَدْرَةٌ لَهُ بِهِ، فَلَا يُؤَاخِذُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ إِلَّا إِذَا أَفْرَطَ فِي الْجَفَاءِ وَبَالِغَ فِي الْاِنْصِرَافِ، وَلَذَكَ خَتَمَ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ «وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَنْتَقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا» (٧٨٩)، وَهَذَا حَثٌ أَخْرَى لِلزَّوْجِ عَلَى أَنْ يَصْلِحَ الْوَضْعَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ الْأُولَى، وَيَتَقَى اللَّهُ فِي أَمْرِهَا فَلَا يَهْجُرُهَا وَيَسْعَى عَشْرَتَهَا، وَأَنَّهُ إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُ مَا يَكُونُ مِنْهُ مِيلٌ إِلَى زَوْجَتِهِ الثَّانِيَةِ أَكْثَرَ مِنَ الْأُولَى، وَأَنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ بِتِلْكَ الزَّوْجَةِ، بِمَا سَيْلَقَ فِي قَلْبِ زَوْجَهَا مِنْ وَجْبِ الْعُدْلِ مَعَهَا وَحْسَنِ معْامِلَتِهِ لَهَا (٧٩٠).

(787) انظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، القرضاوي، ص ١٣٣-١٣٦.

(788) سنن أبي داود، كتاب النكاح، باب ،القسم بين النساء، رقم الحديث (٢١٣٤)، ٢٤٢/٢، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعرفة - الرياض - ١٤٢١هـ، ص ١٦٥.

. (١٢٩) الآية، النساء، سورة (789)

(٧٩٠) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٩٨ - ١٠٠، وانظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، ص ١٣٨ - ١٤٠.

المطلب الثاني: الزواج المبكر

في الوقت الذي يطالب فيه بتدعيم اتجاهات الشباب نحو الزواج المبكر حلاً لمشكلة انحراف الشباب، ومنعاً لممارسة الجنس قبل الزواج، وخارج الإطار المشروع وما زال أعداء الإسلام وخصوم الشريعة الإسلامية يواصلون تهمجاتهم التي تهدف إلى محاربة هذا الزواج ومن ذلك أعدت دراسة علمية حول الزواج المبكر في مصر دعت الحكومة المصرية إلى وضع استراتيجية لمواجهة ظاهرة الزواج المبكر في المجتمع المصري.

ودعت هذه الدراسة إلى ضرورة أن تراعي استراتيجية المواجهة، طبيعة وخصوصية المجتمع المصري وزيادة الوعي لدى المواطنين بالآثار السلبية للزواج المبكر، والاهتمام بالتوعية الدينية للفتيات المقبلات على الزواج، وتعريفهن بحقوقهن الشرعية والقانونية لاختيار الزوج المناسب، وتعقيد الإجراءات الخاصة بالزواج المبكر، وتغليظ عقوبات التلاعب في عقود الزواج، ومضت الدراسات إلى إثارة الشبهات حول الزواج المبكر معددة أضراره منها: ارتفاع حالات الطلاق نتيجة لعدم التوافق الزوجي، وحرمان الفتيات من حقوقهن في اختيار أزواجهن، ووضع الفتاة في موقف المسئولية الاجتماعية قبل بلوغ مرحلة النضج، كما يؤدي إلى متاعب صحية للأم نتيجة الحمل والولادة المتكررة.^(٧٩١)

وعلى نفس المنوال في بلادنا فلسطين يدعو خصوم المرأة من النساء المتحررات إلى تأخير سن الزواج لما في التبكير من المخاطر والأضرار، حيث ورد في نشرة صادرة عن أحد المراكز النسوية التي تتبنى فكرة الدعوة إلى تأخير الزواج إلى أن تبلغ الفتاة الثامنة عشرة من عمرها مبينة، أن للزواج المبكر مخاطر متعددة على الفتاة من النواحي الصحية والاجتماعية والنفسية.

فمن المخاطر الصحية بأنها إذا حملت في فترة مبكرة، فإنها لا تتم حملها بمدتها الكاملة، لأن جسمها لم يكتمل نموه بعد، وأنها قد تتعرض للإجهاض المتكرر.

وقد تتعرض الفتاة إلى فقر الدم وخاصة خلال فترة الحمل، وقد تزداد نسبة الوفيات بين الأمهات الصغيرات أي ما بين ١٥ - ١٩ عاماً عن الأمهات اللواتي تزيد أعمارهن عن العشرين عاماً بسبب الحمل، وقد تزداد وفيات أطفال الأمهات الصغيرات بنسبة أكبر من الأمهات الأكبر سناً وذلك لقلة الدراسة والوعي بالتربيـة والتغذـية.

(٧٩١) انظر: موقع إسلام آون لاين، القاهرة، أحمد عطية، تعليق على دراسة د. إقبال الأمير السمايلوطى عن الزواج المبكر.

وزعمت النشرة وجود مخاطرة اجتماعية ونفسية، لأن الفتاة تكون في مرحلة المراهقة ولا تستطيع أن تبدي رأيها في أمور حياتها الزوجية بثقة وارتياح، وقد تقع تحت تأثير الأهل والأقارب في شؤون حياتها الشخصية.

وقد ينبع عن الزواج المبكر الحرمان من التعليم، وكذلك فإن الزواج المبكر يزيد من الأعباء الملقاة على عاتق الفتاة في هذه الفترة.⁽⁷⁹²⁾

ولا زالت تعقد الندوات وورشات العمل بشأن الزواج المبكر والصحة الإنجابية والزواج المبكر وغيرها، في المراكز النسوية، وفي المدارس وفي الجامعات، وللأمهاات والزوجات، وفي وسائل الإعلام بأنواعها، وتبذل في ذلك الأموال والمنح من أجل إنجاح أهداف الأعداء بالقليل من النسل، بهدف عدم تكاثرنا بالنسبة للأمم الأخرى، وخاصة اليهود.

ودولة الاحتلال اليهودي تحاول بكل جهدها أن تزيد من عدد سكانها بإغراء اليهود على الهجرة إليها وتخسي كل الخشية من زيادة السكان العرب لها.⁽⁷⁹³⁾

المناقشة:

- ١ - إن قانون الأحوال الشخصية في فلسطين قد منع زواج الصغار أخذًا بالرأي الفقهي الذي يمنع ذلك واشترط بلوغ الزوجة خمسة عشر عاماً، وأما الزوج فستة عشر عاماً، وهذا السن بالنسبة للرجل والمرأة هو سن يكون كل منهما قد بلغ، ويدخل سن الأهلية والتکلیف، وللدعوة إلى تأخير سن الزواج هو انفصال لأهلية الرجل والمرأة وحجر على حريتهم التي ينادي بها.
- ٢ - اعتبار الفتى والفتاة في سن المراهقة ولا يقوى كل منهما على أخذ القرار المناسب هي حجة واهية جوفاء، لأن الفتاة تأخذ رأي ولديها وتستشير في أمورها وخصوصاً موضوع الزواج، إضافةً لذلك فإن المجتمع الإسلامي هو مجتمع المحبة والمؤاخاة والتناصح.
- ٣ - إنهم قد اعتبروا زواج الصغار أمراً لا فائدة منه حسب ادعائهم، ودعوا إلى تأخير سن الزواج إلى ثمانية عشر عاماً للفتاة والفتى تمشياً مع الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل والعجب أننا نتمشى مع الاتفاقيات الدولية لكن لا نسير وفق ما جاء في ديننا وتاريخنا

(792) الزواج المبكر في المجتمع الفلسطيني بين رؤية الدين ومارسة المجتمع، د. حسام الدين عفانة، موقع يسألونك .www.yasloonak.net

(793) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ١١٢-١١٤

وحضارتنا. لقد دق محمد بن القاسم أبواب الصين وهو دون الثامنة عشر، وقد أسامه بن زيد جيوش المسلمين وهو ابن ستة عشر عاماً، فهل تأخير الطفولة إلى ثمانية عشر عاماً في مصلحة الأمة والمجتمع⁽⁷⁹⁴⁾.

٤- أما دعوى صغر حجم الأعضاء التناسلية عند الفتاة في تلك المرحلة، هو إدعاء مخالف لرأى الطب الذي قال: إن مرحلة بلوغ الفتاة يكون بين الثانية عشر والرابعة عشر، والقانون لا يجيز زواج الفتاة إلا في الخامسة عشر، مما يستدعي مرور سنة على بلوغها على الأقل قبل الزواج.

٥- الادعاء بزيادة الوفيات للأمهات الصغار جراء الحمل وسوء التغذية، هو ادعاء غير مسلم به، فالواقع يكذبه من خلال الحس والمشاهدة بالنسبة للوفيات. أما ادعاء سوء التغذية فهو حاجة إلى زيادة وعي من البيت والأسرة والمدرسة، والجامعة، ووسائل الإعلام، دور الرعاية الصحية، التي لو تم استخدامها بطريقة سلية ودقيقة لأحدثت نقلة نوعية فائقة في هذا الأمر.

٦- إن الأميركيين يؤجلون سن الزواج إلى سن أكبر ففي عام ١٩٦٠ كان متوسط العمر للزواج عشرين سنة للفتاة وثلاث وعشرين سنة للرجل، وفي عام ١٩٩٧ ارتفع إلى خمس وعشرين سنة للفتاة وسبعين وعشرين للرجال. وكلما تأخر سن الزواج، كلما فكر الناس أكثر في عدم الزواج، لذا أدى ذلك إلى ظاهرة تقشّي المعاشرة الجنسية دون زواج، حيث يقيم رجل وامرأة تحت سقف واحد دون زواج الأمر الذي زاد من انتشار العلاقة الجنسية خارج نطاق شرعيّة الزواج⁽⁷⁹⁵⁾.

٧- إن قانون الأحوال الشخصية عندما حدد سن الأهلية بهذا العمر لم يفرض على الناس الزواج في هذا السن بالذات، إنما اعتبر أن أقل سن يستطيع المرء الزواج فيها هو هذا السن. وبالنظر إلى سجلات عقود الزواج في المحاكم الشرعية يتبيّن أنه قلما تتزوج فتاة دون السابعة عشر أو دون سن العشرين للشباب. إن أولياء الأمور يستطيعون تقدير أمور الزواج المتعلقة ببناتهم، فإذا وجد في ابنته القدرة على ذلك زوجها، وإذا لم يجد فيها القدرة على ذلك لم يزوجها.

٨- إن البحوث العلمية والدراسات العالمية تثبت أنه لا يوجد زيادة في مضاعفات الحمل عند النساء اللاتي تتراوح أعمارهن ما بين ١٥ - ١٩ سنة. وإن المضاعفات التي تحصل عند

(794) انظر: الزواج المبكر في المجتمع الفلسطيني بين رؤية الدين وممارسة المجتمع، د. حسام عفانة، موقع يسألونك.

(795) انظر: الزواج المبكر في المجتمع الفلسطيني بين رؤية الدين وممارسة المجتمع، د. حسام عفانة، موقع يسألونك

الحوامل أقل من ١٥ سنة هي نسبياً قليلة. هذا ما أثبته العالم الأمريكي: (satin) من ولاية تكساس.

إن إيجابيات الزواج والحمل والإنجاب في سن مبكر عديدة منها:

أ- الإخصاب: "إمكانية الحمل" إن نسبة الحمل خلال فترة الزواج عند الفتيات في سن مبكر تفوق الفتيات في الأعمار الأخرى. (٧٩٦)

ب- الأورام الحميدة والخبيثة في الرحم والمباض هي أقل عند النساء اللواتي يبدأن الحمل والإنجاب في السنين المبكرة.

ج- الحمل المهاجر "خارج الرحم" يثبت العالم الأمريكي (Rubin) في أبحاثة عام ١٩٨٣ م أن حالات الحمل "خارج الرحم" هي ١٠٠٠ / ١٧,٢ عند النساء اللواتي يزدن عن ٣٥ سنة، وأن النسبة تقل إلى ٤,٥ / ١٠٠٠ عند النساء اللواتي تتراوح أعمارهن ١٥ - ٢٤ سنة.

د- الإجهاض: في بحث العالم الأمريكي (Hawen) تزيد نسبة الإجهاض من ٤ - ٢ أضعاف عند النساء بعد ٣٥ سنة من العمر.

ـ إن العمليات القيصرية والولادة المبكرة والتشوهات الخلقية ووفاة الجنين داخل الرحم ووفاة الأطفال بعد الولادة جميعها تزداد نسبياً كلما زاد عمر الحامل.

ـ إن الحمل والإنجاب هو عمل متكرر، وإن المرأة بحاجة إلى فترة زمنية طويلة لإنجاب ما كتب الله لها من أطفال. فالمرأة التي تتزوج في سن متاخر فإنها سوف تجب أطفالها وهي في سن متاخر، ومن المثبت طبياً أن الأمراض المزمنة تبدأ بالظهور أو تزيد استفحلاً كلما تقدم الإنسان عمران وهذه الأمراض المزمنة تزيد مخاطر الحمل والإنجاب وأحياناً تقف عائقاً للحمل والإنجاب.

ومن إيجابيات الزواج المبكر:

١- تحمل الزوجين للمسؤولية وعدم الاعتماد على الآخرين.

٢- كما أنه يقلل من الوقوع في الرذيلة والانحراف والشذوذ الجنسي.

٣- فيه المحافظة على النسل وتحمير الكون وازدهاره.

(٧٩٦) نفس المصدر السابق.

٤ - فيه التقارب في السن بين الآباء والأبناء بحيث يكون الفارق في السن بينهما قليلاً يستطيع الآباء من خلال ذلك رعاية أولائهم والسهر على راحتهم وهم أقوىاء كما يستفيدون من خدمة أولائهم لهم.

من خلال هذه الإحصائيات والإثباتات يتبيّن أن ما هذه إلا دعوة إلى أفكار وآراء خبيثة اتجاه مشروع الزواج في الشريعة الإسلامية. فلا يجوز شرعاً سن قوانين يحظر الزواج قبل الثامنة عشرة، لما يترتب على ذلك من مفاسد كثيرة.⁽⁷⁹⁷⁾

(797) انظر: الزواج المبكر في المجتمع الفلسطيني بين رؤية الدين وممارسة المجتمع، د. حسام عفانة، موقع يسألونك.

المبحث السادس

خروج المرأة من البيت وعملها وسفرها بدون قيد

المطلب الأول: خروج المرأة من البيت

الشبهة:

زعم أعداء الإسلام وخصوم نظامه الاجتماعي بأن الإسلام ظلم المرأة عندما قيد حريتها وأبقاها حبيسة داخل البيت، فلا تخرج منه إلا إلى القبر، وادعوا زوراً ظلم الرجل للمرأة، لأنه ضيق الخناق عليها ووضعها في غير موضعها الطبيعي، واندفعوا يُغرون المرأة بالخروج على طبيعتها وفطرتها ووظيفتها الأصلية في الحياة، وأخذوا يهيّجون حماستها بشتى المبررات حتى جعلوها تتمرد على آداب الإسلام وأحكامه وأوجدوا خصومة بين المرأة وأخيها الرجل بدعوى تحرير المرأة.^(٧٩٨)

المناقشة:

١ - إن المرأة المسلمة في المجتمع المعاصر ضاعت بين دعوة الإفراط، ودعاة التفريط، فهناك قوم يجررون على المرأة حبراً كلياً، فيمنعونها أن تكشف وجهها، أو ترفع صوتها، أو تخرج من بيتها، لأن كل شيء فيها ومنها - عورة، وحاجتهم في ذلك الآية الكريمة التي تقول: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى»^(٧٩٩) وهؤلاء هم دعاة الإفراط. وهناك إلى جوارهم دعاة التفريط يدعون المرأة إلى الخروج بلا قيد ولا شرط، متبرجة سافرة متقلدة ما شاءت من أعمال، متဂاھلين هذه الآية "وقرن في بيوتكن ... الخ".

والمرأة في هذا المجتمع تحتاج إلى موقف آخر وسط بين دعوة الإفراط ودعاة التفريط، لكي تثبت شخصيتها، وتأخذ حقها وحريتها، وفي نفس الوقت تصون فضيلتها وعفتها، ولا تخرج عن هدى ربها وسنة نبيها، وهذا الوضع يحتاج أولاً وقبل كل شيء إلى أن تكون المرأة في المجتمع إنسانه قبل أن تكون أنثى.

٢ - إن موقف المرأة يعتدل عندما تعتبر نفسها في هذا المجتمع إنسانه لا أنثى، لكن الواقع الذي يتجلّى لنا في المجتمعات المعاصرة المتحركة المتحللة، أن المرأة تعتمد على أنوثتها أكثر من اعتمادها على أي شيء آخر في شخصيتها، ولذلك تحاول كلما خرجت

(٧٩٨) انظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، القرضاوي، ص ١٤٢ - ١٤٣، مؤتمرات المرأة بين الجهة والأصالة، ص ٩٧.

(٧٩٩) انظر: المرأة بين مؤتمرات الجهة والأصالة، ص ٩٨ - ٩٩.

أو اختلطت أن تظهر هذه الناحية الأنثوية بمختلف الوسائل، سواءً أكان ذلك ثوباً أم زينةً أم حركةً أم مشيةً، أم إثارةً لأي عاطفة تتصل بهذه الناحية. ودعاة تحرير المرأة من العلمانيين يشجعون هذا النوع في كتاباتهم ونحوهم بالقول الخادع المغربي، ويروجون له بكل طاقاتهم الفكرية، ولو أنهم دعوا المرأة إلى أن تكون إنساناً يتحمل أعظم المسؤوليات في الحياة الإسلامية، كما أن له حقوقاً، ولم يفرطوا في تركية هذا التأثير الذي يظهر في الطرقات وفي الأعمال نفسها، لو فعلوا لكانوا منطبقين موضوعين، ولما حادوا عن الحق^(٨٠٠).

فمن يدخل أي مكان عمل في أي بيئة من البيئات حيث تعمل الأنثى، يرى بعض النساء قد أخذت كل زينتهن، وخلعن الثياب عن أذرعهن، وكشفن عن سوقيهن، وصنعن كل مظهر للإغراء في جلوسها وحركاتها، فهي في الوقت الذي تحاول أن يجعلها إنساناً عملاً مسؤولاً، نجدها تخرج عن هذا المنهاج، لتكون أنثى مغربية، أو لتكون لعبة رخيصة في يد الرجال. إن المرأة في المجتمع المعاصر لو أشعرت بقية أعضاء المجتمع أنها إنسانة، وأن أنوثتها لا تبدو ولا تظهر إلا في مجالها الطبيعي والشرعي الذي يتيح لها في إبداء الأنوثة لأرغبت المجتمع على احترامها، وعدم إثارة ما يعوق الطريق أمامها. ولا شك أن في المجتمع قلة من النساء كسبن احترام الرجال قبل احترام النساء بشخصياتهن التي تجلت فيها الناحية الإنسانية أو العلمية أو الخلقية، أكثر مما تجلت فيها ناحية الأنوثة^(٨٠١).

٣- في قوله تعالى **﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾** صحيح أن الخطاب فيها بلفظه لأمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهن، ولكن الفقهاء والمفسرين انفقو على أن حكمه عام، وهذا شيء واضح بدلالة النص، لأنّ أمهات المؤمنين يحتاجن إلى الاحتكاك بالمجتمع لتعليم النساء أمور دينهن، وما يخصهن من أحكام، لأنّ مهمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم في الحياة هي إبلاغ الرسالة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك قيل لهن: **﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾** فكيف غيرهن؟ فإذا كان الخروج من البيت يسبب فتنة، ويعد خروجاً عن طاعة الله فالقرار في البيت هو الأمثل للمرأة، وليس معنى هذا أن تبقى حبيسة في بيتها ولا تخرج منه أبداً، بل لها أن تخرج لطلب

(800) المرأة بين مؤتمرات الجهة والأصالة، ص ٩٨-٩٩.

(801) انظر: المصدر السابق، ص ٩٩-١٠٠.

العلم الذي يصح عقیدتها ويقوم عبادتها ويضبط سلوكها، ولكن خروجاً ملتزماً بأدب الإسلام في اللباس والزينة والمشي والكلام^(٨٠٢).

وليس لولي أمرها أن يمنعها من طلب العلم والواجب عليها، إذا لم يكن هو قادرًا على تعليمها أو مقصراً فيه، فقد كنّ نساء الصحابة يذهبن إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسألنه، فيما يعرض لهن من شئون حياتهن، ولم يمنعهن الحياة أن يتلقين في الدين، ومع أن صلاة المرأة في بيتهما أفضل لظروفها ورسالتها، ولكن ليس للرجل منعها إذا رغبت في صلاة الجماعة بالمسجد، حيث قال صلى الله عليه وسلم "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله"^(٨٠٣)

للمرأة أن تخرج من بيتهما لقضاء حاجة لها أو لزوجها وأولادها، في الحقل أو السوق، كما كانت تفعل ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر، فقد قالت: "كنت أنقل النوى من أرض الزبير - زوجها - على رأسه وهي من مني على بعد ثلثي فرسخ"^(٨٠٤)

وللمرأة أن تخرج مع الجيش لتقوم بأعمال الإسعاف والتحريض وما شابه ذلك من الخدمات الملائمة لفطرتها ولقدراتها. فقد روى عن الربيع بنت معاذ الأنصارية قالت: "كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نسقي القوم ونخدمه، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة"^(٨٠٥)

إذا شاع في بعض العصور منع المرأة عن العلم، وعز لها عن الحياة، وتركها حبيسة في البيت، لا يُعلّمها الزوج، ولا يتيح لها أن تتعلم، ويعندها من الخروج إلى المسجد فذلك منشؤه الجهل والغلو، والانحراف عن هدى الإسلام واتباع تقاليد مبالغة في التزمت لم يأذن بها الله. والإسلام ليس مسؤولاً عن هذه التقاليد المبدعة.^(٨٠٦)

٤ - ليس في أحكام الشريعة الإسلامية تدليل للمرأة على حساب الرجل، أو الرجل على حساب المرأة. وليس فيها ما يسمح بإرضاء نزواتها على حساب رسالتها الفطرية، وإنما نجد أن موقف الإسلام تجاه المرأة يتمثل فيما يلي:

(٨٠٢) انظر: عمل المرأة واحتلاطها ودورها في بناء المجتمع، أ. د. نور الدين محمد عتر، الطبعة الأولى، دار البحوث للدراسات وإحياء التراث، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص ٥٤-٥٥، وانظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، د. يوسف القرضاوي، ص ١٤٣.

(٨٠٣) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب هل على من يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم، ١/٤٣.

(٨٠٤) صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم، رقم الحديث ٢٩١٨، ٢/٢٨٩.

(٨٠٥) صحيح البخاري، كتاب الطه، باب هل يداوي الرجل المرأة، أو المرأة الرجل، رقم الحديث ٥٢٤٧، ٤/١٣.

(٨٠٦) انظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، القرضاوي، ص ٤٣-٤٧.

أ- إنه يحافظ على طبيعتها وأنوثتها التي فطرها الله عليها، وحفظها من جشع المستغلين الذين يريدون أن يتذمرون من أنوثتها أداة للتجارة والربح والحرام.

ب- إنه يحترم وظيفتها السامية التي تهيأت لها بفطرتها التي خلقها الله تعالى عليها والذي خصّها بنصيب أوفر من نصيب الرجل، في جانب الحنان والعاطفة، وسرعة الانفعال ليعدّها بذلك لرسالة الأمة التي تشرف على أعظم صناعة في الأمة وهي صناعة الأجيال والقادة.

ج- إن الإسلام جعل البيت مملكة المرأة العظيمة، فهي ربه و مدبرته، وقطب رحاه، فهي زوجة الرجل وشريكة حياته، وأم أولاده، وهو يعده عمل المرأة في تدريب البيت، ورعاية شؤون الزوج، وحسن تربية الأولاد عبادةً وجهاداً ولهذا يقاوم كل مذهب أو نظام يعوقها عن رسالتها، أو يضر بحسن إيوائه لها، أو يخرب عليها عشهما، لأنّه هو العدو الحقيقي للمرأة.

د- إن الإسلام يهدف إلى بناء البيوت السعيدة التي هي أساس المجتمع السعيد، والبيوت السعيدة إنما تبني على الثقة واليقين، لا على الشك والخوف الذي يجعل الحياة داخل البيوت جحيناً لا يطاق.

هـ- إنه يأذن لها أن تعمل خارج البيت فيما يلائمها من الأعمال التي تناسب طبيعتها الأنثوية واحتياصها وقدراتها، ولا يسحق حياءها وكرامتها^(٨٠٧).

المطلب الثاني: عمل المرأة:

الشبهة:

تبين مما سبق أن دعوة السفور والاختلاط يريدون للمرأة أن تتمرد على فطرتها وتخرج عن حدود أنوثتها، وأنهم يريدون استغلال أنوثتها للمتعة الحرام، أو للكسب الحرام، لذا رأيناهم يدعون أيضاً إلى تشغيل المرأة في كل مجال، سواء أكان لها حاجة إلى العمل أم لا، وسواء أكان المجتمع في حاجة إلى عملها أم لا، المهم عملها عند هؤلاء أن تخرج المرأة وتعمل، وتحتفل بالرجال، وتتحرر من (البيت) ومن مكرهم ودهائهم أنهم يظهرون في صورة المخلصين الذين يريدون المصلحة للمرأة والتقدم فهم يؤيدون رأيهم في تشغيل المرأة بمزاعم و شبّهات وهي:

١- إن الغرب وهو أكثر منا تقدماً ورقياً في مضمون الحضارة قد سبقنا إلى تشغيل المرأة، فإذا أردنا الرقي مثله، فلنأخذ قدوة لنا في كل شيء، فإن الحضارة لا تتجزأ.

(807) مركز المرأة في الحياة الإسلامية، القرضاوي، ص ١٤٧ - ١٤٨

٢- إن منع المرأة من العمل، أو تضييق الخناق عليها على أضيق نطاق هو من الثقافة الاجتماعية السائدة في كثير من البلدان الإسلامية، والتي تؤدي إلى تعطيل لقوّة كبيرة من المجتمع، لأن المرأة نصف المجتمع، وإبقاءها في البيت تعطيل لهذا النصف، ومن الظلم أن تبقى الإناث فارغات اليدين من العمل، عاطلات عن الكسب في البلاد الإسلامية، وهي بحاجة إلى تجنيد كل طاقاتها من الرجال والنساء لبناء مجتمع الرفاهية والرخاء^(٨٠٨).

٣- إن من حق المرأة أن تعمل وتتکسب من أي مهنة شاعت، كما يفعل الرجل، طالما أن ذلك نابع من رغبتها، وكان لها قدرات على العطاء والإنتاج، ولا نقل عن الرجل في أي شيء، كما أن منعها من العمل لا يواكب روح العصر ومتطلباته، حيث تقتضي ظروف المعيشة الراقية، أن تباح للمرأة كافة الأعمال التي ترغب فيها، ومصلحة الأسرة كذلك تقتضي عملها، فإن تكاليف الحياة قد تزايّدت في هذا الوقت، وعمل المرأة يزيد من دخل الأسرة، ويعاون الرجل على أعباء المعيشة، وخصوصاً في البيئات المحدودة الدخل^(٨٠٩).

٤- ومصلحة المرأة نفسها تدعو إلى العمل، فإن الاحتكاك بالناس، وبالحياة، وبالمجتمع خارج البيت يصلق شخصيتها، ويمدها بخبرات وتجارب، ما كان لها أن تحصل عليها داخل الجدران الأربع.

٥- كما أن العمل سلاح في يد المرأة ضد عوادي الزمن، فقد يموت أبوها أو يطفئها زوجها أو يهملها أولادها، فلا تذلّها الفاقة والحاجة. ولا سيما في زمن غابت فيه الأنانية، وشاع فيه العقوق وقطيعة الأرحام^(٨١٠).

٦- أن عمل المرأة ينمي الاقتصاد الوطني ويزيد الثروة القومية للبلاد، خصوصاً عندما تحل المرأة الوطنية محل الأيدي العاملة الأجنبية، فتصبح منتجة لا مستهلكة فقط، وأن البلاد تخسر كثيراً بقصر عمل المرأة على أعمال البيت لأن فيه هدراً لكرامتها، وشللاً لحركتها، تعطيلياً لطاقاتها ولنتاجها العلمي والعملي والفكري^(٨١١).

(٨٠٨) انظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، القرضاوي، ص ١٤٩ - ١٥٠، وانظر: عمل المرأة في الميزان، عبد الله البر، موقع صيد الفوائد، وانظر: عمل المرأة المسلمة، الحامبي مسلم يوسف موقع أبو قتيبة.

(٨٠٩) انظر: عمل المرأة في الميزان، عبد الله البر، موقع صيد الفوائد، وانظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، القرضاوي، ص ١٥٠ - ١٥١، وانظر: عمل المرأة المسلمة، مسلم يوسف صيد الفوائد.

(٨١٠) مركز المرأة في الحياة الإسلامية، القرضاوي، ص ١٥١ - ١٥٠.

(٨١١) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ١٩٢، وانظر: حاضر العالم الإسلامي، د. صالح الرقب، ص ٤٢.

مناقشة المزاعم السابقة:

١ - أما الاحتجاج بالغرب فهو احتجاج باطل، للأسباب الآتية:

أ- لأن الغرب ليس حجة علينا، ولسنا مكلفين أن نتخذ الغرب إلهاً يعبد، ولا قدوة تتبع: **﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾**^(٨١٢)، كما أن هؤلاء القوم منسجمون ومتافقون مع عاداتهم وتقاليدهم، حتى الإباحيات التي عندهم متواقة مع نمط حياتهم وطبيعة مجتمعهم وتفكيرهم، ومخالفتها عندهم يعتبر خروجاً على المجتمع كله، حتى أن البنت التي لا تصادق شاباً يعتبرونها مريضة نفسياً، وتعرض على الطبيب النفسي^(٨١٣).

ب- إن المرأة في الغرب خرجت إلى كافة ميادين العمل مكرهة لا مختارة، تسوقها الحاجة إلى القوت، والاضطرار إلى لقمة العيش نتيجة الأوضاع الخاطئة عند القوم، بعد أن نكل الرجل عن إعالتها في مجتمع قاسٍ بعيد عن القيم والأخلاق لا يرحم صغيراً ولا أنثى.

و عمل المرأة في الغرب لإعالة نفسها واجب عليها متى وصلت سن البلوغ، مهما كان الأب غنياً موسراً، فحرم غير المسلمين من نظام النفقة الواجبة في شريعة الإسلام، فمثلاً: لا يلزم عند الغرب أن ينفق الأب على ابنه والبنت إذا بلغاً، لذلك لا بد أن يعمل الولد أو البنت ويدفعاً أجرة البيت الذي يسكن أحدهما فيه مع أهله (أبويه)، وقيمة نفقة المعيشة، وبالتالي نجد أن الأبناء أيضاً يعاملون آباءهم بالمثل، لانعدام نظام النفقة الواجبة، فيكبر الأبوان أو أحدهما، والابن يملك مالاً كثيراً، وهما فقيران معدمان، فلا يمد ولدهما إليهما يد العون، فتحجرت القلوب وساقت العلاقات نتيجة فقدان هذا التشريع الإلهي. أما الإسلام فقد كرم المرأة تكريماً لا تقاً بها، لقد رحم ضعفها، ولم يجبرها على العمل، ولم يكلفها بالنفقة على نفسها أو على أحد غيرها، بل ألزم نفقتها على أبيها أو ابنها أو زوجها وبالتالي فإنه لا يجوز للأب أن يلزم ابنته على العمل لكسب المال، إلا أن تطوع البنت، وكذلك الزوج لا يجوز له أن يلزم امرأته أن تعمل لتكسب. فالإسلام كفل حماية المرأة من الإهانة والابتذال، فلا تحمل هم العيش، والكد لكسب لقمة الغذاء، بل يجب أن تقرغ لمهمتها الحقيقة ورسالتها الفطرية، وهي صنع المجتمع ب التربية النشء على قيم الأمومة الإنسانية^(٨١٤).

ج- إن الغرب الذي نسعى لتقليده في إلزام المرأة بالعمل أصبح اليوم يشكو من عمل المرأة وما جرّه من آثار، وأصبحت المرأة نفسها تشكو من هذا البلاء، الذي لم يكن لها فيه

(٨١٢) سورة الكافرون، الآية (٦)

(٨١٣) انظر: رسالة إلى الأسرة المسلمة، د. نظمي خليل أبو العطا، مكتبة النور - مصر، ١٩٨٨.

(٨١٤) انظر: عمل المرأة واحتلالها ودورها في بناء المجتمع، أ. د. نور الدين عتر، ص ٤١ - ٤٣.

خير، تقول الخبرة الاجتماعية الأمريكية الدكتورة إيدا إلين "إن التجارب أثبتت ضرورة لزوم الأم لبيتها، وإشرافها على تربية أولادها، فان الفارق الكبير بين المستوى الخلقي لهذا الجيل والمستوى الخلقي للجيل الماضي إنما مرجعه إلى أن الأم هجرت بيتها، وأهملت طفلها، وتركته إلى من لا يحسن تربيته"^(٨١٥)

وتکاثرت صيغات الغربيين وغيرهم في التحذير من خروج المرأة للعمل، فمن ذلك ما نبه به الدكتور سوليفان الأمريكي بقوله: "إن السبب الحقيقي في جميع مفاسد أوروبا وفي انحلالها بهذه السرعة هو إهمال النساء للشؤون العائلية المنزلية، ومزاولتهن الوظائف والأعمال اللائقة بالرجال في المصانع والمعامل والمكاتب جنباً إلى جنب"^(٨١٦)

"إن الذين عاشوا تجربة إخراج المرأة من بيتها للعمل، يعلنون بصرامة أنها كانت فاشلة، تسببت في محو الأسر، وتشرد الأطفال، وحرمانهم من الحنان والعاطفة والتربية، وما يتبع ذلك من الانحراف، وهم الآن يحاولون إرجاع المرأة إلى بيتها:

فبعض الدول الأوروبية تعطي جوائز لأحسن أم، وكثير من النساء اللاتي بلغن مناصب عالية في شركات كبيرة يستقلن ويعلن أن المكان الصحيح لهن هو البيت والأمومة، مع وجود كثير من الكليات والمدارس في أمريكا وأوروبا نسائية مائة بالمائة"^(٨١٧).

٢ - إن الإسلام لا يمنع أحداً من العمل والكسب سواء كان ذكراً أو أنثى، ولكنه يضع الآداب والضوابط التي تلائم كلاً منها وتقييد المجتمع وتعود عليه بالسعادة والهناء، فقسم الأدوار بين الرجل والمرأة تقسيماً عادلاً متوازناً، فريداً، لبناء الأسرة وتماسكها وتأمين احتياجاتها المادية والنفسية.

وقد يحتاج المجتمع الإسلامي إلى عمل المرأة ببعض الأعمال والمهام على سبيل الضرورة بل يكون عملها واجباً في هذه الحالة مثل: التوليد، الطب البدني العام للنساء، طبابة الأمراض الخاصة، طب الأسنان، أو تدريب على مهن يمكن أن تعمل فيها المرأة دون اختلاط مثل: الكمبيوتر، الآلة الكاتبة، بعض المعالجات والإسعافات المنزلية، ويمكن أن تكون معلمة لبنات جنسها، أو في مجال الشؤون البيئية، لأن تعمل في حياكة وتفصيل الألبسة النسائية والولاديّة، أو تكون داعية إلى الله سبحانه وتعالى، تُعلم بنات جنسها أمور دينها^(٨١٨).

(٨١٥) أقوال واعترافات بخطورة عمل المرأة، محمد بن عبد الله الميدان، موقع صيد الفوائد، ١٤٢٦/٦/١ـهـ.

(٨١٦) المصدر السابق، موقع صيد الفوائد، ١٤٢٦/٦/١ـهـ www.saaid.net/pfv.php

(٨١٧) شهادة غريبة، خطير المساواة بين الذكور والإناث في مناهج التعليم، أبو سارة، صيد الفوائد.

(٨١٨) انظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، ص ٦٦٢ - ٦٦١، وانظر: عمل المرأة المسلمة واحتلاطها، نور الدين عتر، ص ٥٦.

ويمكن للمرأة أن تقوم بأي عمل يفيد المجتمع، ويفيد بنات جنسها مع مراعاة الضوابط الشرعية والتي من أهمها:

- أ- ألا يكون لعمل المرأة تأثيراً سلبياً على حياتها العملية، ورسالتها داخل بيتها لأن المرأة راعية لبيتها، وقائمة لشؤون زوجها وأولادها، وربما يكون عملها خارج البيت فيه مضيعة للأولاد، وتقصير لحق الزوج وعندها يكون عملها محظياً، لأن ذلك خروج عن الوظيفة الطبيعية، وتعطيل المهمة الخطيرة التي يجب عليها القيام بها، مما ينبع عنه سوء بناء الأجيال، وتفكك عرى الأسرة التي يقوم على التعاون والتكافل.
- ب- أن لا تعمل عملاً فيه محدود شرعاً كالاختلاط والخلوة، وذلك حفاظاً على عرضها ووقاية لها من القيل والقال والفتنة، فلا يجوز أن تعمل عارضة أزياء، أو مغنية، أو راقصة أو حلاقة للرجال، أو أي عمل يخدش حياءها ويعرضها للفتنة.
- ج- ألا يؤثر عملها على عمل أخيها الرجل، كأن تكون سبباً في قطع رزقه، فالمرأة قد تعمل بأجرٍ زهيد وهي راضية، فتراحم الرجل مما يؤدي إلى انتشار البطالة، وتقافمها في صفوف الرجال، وهذا من أشد المخاطر الاقتصادية والاجتماعية، والمرأة في هذه الحالة تجلب منفعة لنفسها مع المضرة التي تلحقها بغيرها، وقد يكون هذا الغير الذي أضرته هو زوجها أو أباها أو أخيها فأي ربحٍ اقتصادي للأسرة، إذا كان اشتغال المرأة يؤدي إلى بطالة عميدها والمكلف بالإنفاق عليها، ويؤدي أيضاً إلى حرمان المرأة من متعة الحياة الزوجية، لأن الرجل لا يجد عملاً فلا يستطيع نكاحاً⁽⁸¹⁹⁾.
- د- أن يتوافق العمل وطبيعتها الأنثوية، فالإسلام راعى طبيعة المرأة، وما فطرت عليه من استعدادات نفسية وجسدية وقد أثبتت الدراسات الطبية المتعددة أن كيان المرأة النفسي والجسدي قد خلقه الله على هيئة تخالف الرجل، وقد بنى جسم المرأة ليتلاءم مع وظيفتها الأصلية (الأمومة)، كما أن نفسيتها قد خلقت لتكون ربة منزل، بل إن كل خلية من خلايا جسم المرأة تختلف في خصائصها وتركيبها عن خلايا الرجل، حيث يوجد ستون مليون خلية في جسم الإنسان، ويقول أهل العلم المتخصصون أن هناك فروقاً واضحة بين الرجل والمرأة، ابتداءً من الخلية وانتهاءً بالأنسجة والأعضاء، كما تختلف عضلات المرأة عن عضلات الرجل وعظماته في شدتها وقوتها تحملها، وهناك اختلاف

(819) انظر: المرأة من الفقه والقانون، ص ١٩٣ ، وانظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، ص ١٥٨ ، وانظر: عمل المرأة، موقع صيد الفوائد.

في الدم، وفي الجهاز التتالي، وفي اختلاف الهرمونات، وفي الاختلاف النفسي كذلك، فنرى إقدام الرجل وصلابته في مقابل خفر المرأة وحيائها^(٨٢٠).

والحكمة في الاختلاف البين في التركيب التشريحي والوظيفي بين الرجل والمرأة هو أن هيكل الرجل قد بنى ليخرج إلى ميدان العمل ليكبح ويكافح، وتبقى المرأة في المنزل لتؤدي وظيفتها العظيمة التي أناطها الله بها.

ويتعري بعض النساء بحكم الأنوثة جملة من الحالات التي تمنعها قهرياً من العمل وهي الحيض والنفاس والحمل والولادة، وهذه تسبب آلام ومتاعب للمرأة مما يمنعها من أداء عملها الشرعي فكيف بالعمل غير الشرعي.

وأيضاً المرأة لها تكوين عاطفي خاص يختلف عن تكوين الرجل، لذا فإن إقحامها في الأعمال الشاقة بدنياً ظلم لها، وإجحاف في حق مجتمعها لأنه صرفٌ وتوزيع خاطئ لطاقاتها، وفي هذا تعطيل ظاهر لكفاءات المجتمع وقدراته^(٨٢١).

٣ - إن مصلحة المجتمع ليست في أن تدع المرأة رسالتها الأولى في البيت، لتعمل مهندسة أو محامية أو نائبة أو قاضية أو عاملة في مصنع، بل مصلحته أن تعمل في مجال تخصصها الذي هيأتها له الفطرة: مجال الزوجية والأمومة، والذين يزعمون أن المرأة في البيت عاطلة، يجهلون أو يتتجاهلون، ما تشكو منه فضليات النساء، من كثرة الأعمال والأعباء المنزلية، التي تستنفذ وقتها وجهدها كله ولا يكاد يكفي^(٨٢٢).

ويؤكد التقرير الصادر عن الأمم المتحدة عن القيمة الاقتصادية لعمل المرأة في البيت فيقول : "لو أن نساء العالم تقفين أجوراً نظير القيام بالأعمال المنزلية، لبلغ ذلك نصف الدخل القومي لكل بلد، ولو قامت الزوجات بالإضراب عن القيام بأعمال المنزل لعمت الفوضى العالم: سيسير الأطفال في الشوارع، ويرقد الرضع في أسرتهم جياعاً تحت وطأة البرد القاسي، وستترافق جبال من الملابس الفذرية دون غسيل ولن يكون هناك طعام للأكل ولا ماء للشرب، ولو حدث هذا الإضراب .. فسيقدر العالم أجمع.. القيمة الهائلة لعمل المرأة في البيت".

(٨٢٠) انظر: عمل المرأة في الميزان، عبد الله البر، موقع صيد الفوائد، وانظر: عمل المرأة، مسلم يوسف، نفس الموقع.

(٨٢١) انظر: عمل المرأة في الميزان، عبد الله البر، موقع صيد الفوائد، وانظر: عمل المرأة، مسلم يوسف، وانظر: شبهات حول المرأة رابعاً العمل (موقع صيد الفوائد).

(٨٢٢) انظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، القرضاوي، ص٤٥.

ويمضي التقرير فيقول "عمل المرأة المنزلي غير منظور لدى الكثرين.. وأن المرأة لا تتلقى أجرًا نظير القيام بهذا العمل.. إن هذا العمل حيوي وعلى جانب عظيم من الأهمية.. غير أن هذه الساعات الطويلة من عناء المرأة لا يدركه الكثرون.. لأنه بدون أجر"^(٨٢٣)

ويضيف التقرير: "إن المرأة لو تقاضت أجرًا لقاء القيام بأعمالها المنزلية لكان أجرها أكثر من ١٤٥٠٠ دولار في السنة.. وإن النساء الآن في المجتمعات الصناعية يساهمن بأكثر من ٢٥٪ إلى ٤٠٪ من منتجات الدخل القومي. بأعمالهن المنزلية"^(٨٢٤)

فالمرأة إذن هي العمود الفقري للأسرة، وكما قيل: وراء كل عظيم امرأة تربى في حجرها. ومن العجب أن عمل المرأة في البيت يصنف في ضمن الأعمال الشاقة، فهو يتطلب مجهوداً كبيراً، علاوة على ساعات طويلة تترواح بين عشر واثني عشر ساعة يومياً فما يأتى المساء إلا وهي منهوبة القوى، تروح عن نفسها بالمجتمع إلى جاراتها وصديقاتها^(٨٢٥).

والواقع أن كثيراً من النساء العاملات يستخدمن نساء آخريات للعمل مرببات لأولادهن أو شغالات في بيوتهن، ومعنى هذا أن البيت في حاجة إلى امرأة ترعى شئونه، وأولى الناس بذلك ربته وملكته، بدلاً من المرأة الغربية، والتي كثيراً ما تكون غريبة عن أهل الدار في الخلق والدين واللغة، والأفكار، والعادات، كما هو شائع في المجتمعات الخليجية حيث المربيات والخدمات القادمات من المشرق الأقصى، وخطورة هذا الأمر لا تخفي على عاقل.

٤- إن سعادة الأسرة ليست في مجرد زيادة الدخل الذي ينفق معظمه في أدوات الزينة، وثياب الخروج، وتكاليف الحياة المختلطة، التي تقوم على التكلف والتصنع وسباق الأزياء، و(الموضات) وما إلى ذلك، ويقابل هذه الزيادة في الدخل حرمان البيت من أجواء المودة والسكينة والأنس، الذي تشيعه المرأة في جو الأسرة، وفي ذلك خسارة كبرى لا توازيها خسارة، وخسارة الزوج لأجواء المودة، وخسارة الأولاد لعطف وحنان ورعاية الأم، وخسارة المرأة لأنوثتها وسمعتها، وربما شرفها. وهذه الخسائر المعنوية والاجتماعية التي يتعرض لها المجتمع لا تقدر بمال، وهي أبلغ ضرراً في الأمة^(٨٢٦).

(٨٢٣) من هي العاملة الحرة، محمد بن عبد الله الحيدان، موقع صيد الفوائد، www.saad.net/pfv.php. ١٤٢٦/٦/١.

(٨٢٤) رسالة إلى حواء، ٧٣/٣.

(٨٢٥) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ١٩٥.

(٨٢٦) انظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، ص ١٥٦-١٥٧، وانظر: عمل المرأة في الميزان، عبد الله البر، موقع صيد الفوائد.

المطلب الثالث: سفر المرأة بدون قيد

الشبهة:

في أعقاب مؤتمر بكين شكلت (الجان وطنية لمتابعة شؤون المرأة) مهمتها متابعة الدول العربية في تقدمها نحو المساواة بين الجنسين، وهذا يتطلب من حكومات هذه الدول عمل إجراءات من أجل تغيير أو تعديل قوانين الأحوال الشخصية أو العقوبات.

وإعطاء المرأة حقها في السفر وأولادها بلا قيود أي بدون محرم أو بدون إذن الزوج كان من ضمن المطالب التي تفرضها الأجندة الدولية للتسليم بالدخول في طاعة النظام العالمي الجديد والإقرار بالدين النسوبي البديل.

لذا يسعون الآن إلى تطبيق ذلك على المجتمعات المسلمة بحجة إزالة الاختلافات بين الرجل والمرأة، لتحقيق المساواة المزعومة والقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة^(٨٢٧).

المناقشة :

١. إن هذه الدعوة للأيديولوجية الجديدة بلا ضوابط أو آداب شرعية ما هي إلا انعكاس للفكر الغربي النسوبي، حيث تشعر المرأة المسلمة العربية بالنقض تجاه المرأة الغربية، وتشعر أن الالتحاق الفكري بها ومن ثم التقليد سيغوض هذا النقض، مما يؤدي إلى كراهية الدين الإسلامي والتمرد على أنظمته الاجتماعية، واتهامها بالظلم وعدم المساواة، وهذا مخطط واضح من أعداء الإسلام لتدمير الأسرة والمرأة معاً، والقضاء على النظم الاجتماعية التي أثبتت أنها القلعة التي حمت العالم الإسلامي من السقوط والانهيار^(٨٢٨).

٢. لا يجوز مخالفة الدين الإسلامي فيما يتعلق بسفر المرأة من غير محرم، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن سفر المرأة من غير محرم، ولو كان ذلك لأداء فريضة الحج. ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم، فقام رجل فقال: يا رسول إنّ امرأتي خرجت حاجة،

(٨٢٧) انظر: مؤتمر بكين خطوة باتجاه مجتمع التحلل العالمي، ماجد بن حضر الغامدي، ص ٦، موقع صيد الفوائد ١٤٢٦/٦/٣.

وانظر: عولمة المرأة قراءة في الأيديولوجية النسوية الجديدة، كمال حبيب، المصدر: مجلة البيان، العدد ١٥٠، موقع إسلاميات

أون لاين www.islamiyatonline.com.

(٨٢٨) انظر: عولمة المرأة قراءة في الأيديولوجية النسوية الجديدة.

وإني اكتب في غزوة كذا وكذا، قال: انطلق فحج مع أمرأتك^(٨٢٩) وقال صلى الله عليه وسلم: "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم إلا مع ذي محرم"^(٨٣٠).

وتحريم سفر المرأة من غير محرم محل إجماع بين العلماء حيث قال الحافظ بن حجر في فتح الباري واستدل به على عدم جواز السفر للمرأة بلا محرم، وهو إجماع في غير الحج والعمرة والخروج من دار الشرك، ومنهم من جعل ذلك من شرائط الحج^(٨٣١).

٣. لا يجوز شرعاً للمرأة المسلمة أن تسفر بدون إذن زوجها ولا خلاف على ذلك، والسماح لها بالسفر من غير إذن زوجها، وسن قانون بذلك، فيه إسقاط صريح لحق الزوج في القوامة وخروج عن قوله تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بِعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٨٣٢) والأصل المقرر في الشريعة الإسلامية ألا تسفر المرأة وحدها، بل يجب أن تكون في صحبة زوج أو محرم لها، وليس مرجع هذا إلا اتهام المرأة أو سوء ظن بها، لكنه حسن الرعاية والحماية والتكرم والحفظ عليها من التعرض للمشاكل والمضايقات في زمن كثر فيه المتربيون لها.

٤. جاء في الحديث الشريف : "لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته وما أنفقت من نفقة عن غير أمره فإنه يؤدي إلى شطره"^(٨٣٣) فإن كانت لأحد أن يدخل بيتها إلا بإذن زوجها، فمن باب أولى ألا تخرج للسفر إلا بإذنه^(٨٣٤).

(829) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب: ٧٤، سفر المرأة مع محرم إلى حج وغیره، رقم الحديث (٤٢٤) - (١٣٤١)، ٩٧٨/٢، دار إحياء الكتب العربية.

(830) صحيح مسلم، كتاب الحج باب، ٧٤، سفر المرأة مع محرم وغیره، رقم الحديث (٤٢٠)، ٩٧٧/٢. دار إحياء الكتب العربية.

(831) فتح الباري، ٥٦٨/٢، وانظر: شبهات حول المرأة، موقع صيد الفوائد

(832) سورة النساء، الآية (٣٤)

(833) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه، رقم الحديث (٥١٩٥) . ٣٧٤/٣

(834) انظر: مؤشرات بين الجهة والأصالة، ص ١١٥ - ١١٦.

الفصل الرابع

آثار الغزو الفكري ونتائجها على الحياة الاجتماعية وطرق مواجهتها

المبحث الأول: آثار الغزو الفكري ونتائجها على الحياة الاجتماعية.

المبحث الثاني: طرق ووسائل مواجهة الغزو الفكري على المرأة المسلمة.

الفصل الرابع

تبين من خلال عرض الأساليب والوسائل التي استخدمها قادة وأتباع الغزو الفكري للمرأة المسلمة، أن الهدف الأكبر هو تدمير المجتمع الإسلامي بنشر الإباحية والفساد، وتدمير الأسرة المسلمة، وإخراج المرأة من رسالتها وقيمها، بدءاً بدعوى تحريرها، التي حمل لواءها كثيرون غُرّر بهم وظنوا أنهم يسترجعون حقاً ضائعاً، لكنهم في الحقيقة أفسدوا العلاقات الطبيعية الفطرية بين المرأة والرجل، والزوج والزوجة والأباء والأبناء، فغدت الحياة الاجتماعية متحللة ومضطربة، وبعيدة كل البعد عن المفهوم الإسلامي الأصيل^(٨٣٥). وقد قال الفيلسوف الألماني شوبنهاور "اتركوا للمرأة حريتها المطلقة بدون رقيب، ثم قابلوني بعد عام لترووا النتيجة، ولا تتسلو أنكم ستُرثونَ معِي الفضيلة والعفة والأدب، وإذا مت فقولوا أخطأ أو أصاب كبد الحقيقة"^(٨٣٦).

لقد أصاب الغزاة كبد الحقيقة، حيث ظهرت الآثار والنتائج المدمرة والمروعة للحياة الاجتماعية، والتي ستقوم الباحثة بتفصيلها وتوضيحها في سبعة مباحث.

(835) انظر: المرأة في وجه التحديات، أنور الجندي، دار الاعتصام، ودار العلوم للطباعة، القاهرة، سنة الإيداع ١٩٧٩ م، ص ٣-٧.

(836) المرأة بين الفقه والقانون، ص ٢٦٦.

المبحث الأول

آثار الغزو الفكري ونتائجها على الحياة الاجتماعية

المطلب الأول: إبعاد المرأة عن رسالتها الفطرية:

عندما تأثرت المرأة المسلمة بھدى شعراوي، وخلعت حجابها، وخرجت من بيتها وأخذت تطالب بحقوقها، وبمساواتها بالرجل للمجتمع الغربي الذي يشكو هو نفسه من مساوى ونتائج هذه المساواة، كانت النتيجة إبعاد المرأة عن رسالتها الفطرية، تشير إلى ذلك الكاتبة د. عائشة عبد الرحمن "إن المرأة دفعت ضريبة فادحة ثمناً للتطور، ويکفي أن أشير في إيجاز إلى الخطأ الأكبر الذي شوه نهضتنا، وأعني به انحراف المرأة الجديدة عن طريقها الطبيعي، وترفعها عن التفرغ لما نسميه خدمة البيوت وتربية الأولاد"^(٨٣٧). ويقول الشيخ أبو بكر الجزائري "فأي عمل يطلب من المرأة خارج البيت فهو منافٍ لطبيعتها، معوق لها من أداء رسالتها التي لا يقدر عليها سواها"^(٨٣٨).

إن من المكابرة تجاهل البعض لوظيفة المرأة الأساسية، ومقرها الطبيعي، وهي:

تربية الأبناء وطهي الطعام وغسل الثياب، ورعاية شؤون البيت، وتلبية مطالب الزوج المادية والنفسية وذلك بعد أداء فريضة الصلاة، خمس مرات في اليوم يتطلب منها.

ويضاف إلى ذلك نافلة تؤديها المؤمنة في صلاة وتسبيح وذكر ودعاء فلهذا وقتها تستغرقه وظائفها، فلم يبق مجال للعمل خارج البيت.

وقد منح الله سبحانه وتعالى المرأة طائفة من الخصائص الجسدية والنفسية تختلف فيها بعض الخصائص الجسدية والنفسية الممنوعة للرجل، كما وضحت الباحثة ذلك سابقاً والإسلام لاحظ هذه الخصائص وقرر لها من الأحكام ما تتناسبها، ولا يرضى عاقل أن تسوى الأحكام بين المرأة والرجل بعد أن عرف الاختلافات في الخصائص الجسدية والنفسية للمرأة لذا فمن يدعوا للمساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، يريد أن يلغى أمومة المرأة فلا تكون أاماً مربية، وزوجة صالحة، ويريد أن يلغى مبدأ التخصص بحسب الاستعدادات الفطرية، وهذا يتطلب إحداث تغيير في الدور التقليدي للرجل، وكذلك في دور المرأة حيث تشتراك النساء والرجال جميعاً في الفنون النسوية، وفي صناعة الحداوة والنجارة والأعمال الثقيلة الشاقة، وأن تحمل المرأة مسؤولية الكسب والنفقة كما يحمل الرجل، ويحمل الرجل

(837) انظر: المرأة بين الحالية والإسلام، سعد صادق محمد، ص ٩٠

(838) انظر: المرأة المسلمة، أبو بكر الجزائري، دار الكتب السلفية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٦، ص ٩١

مسئوليّة إرضاع الأطفال وتدابير شؤونهم، وأن تهمل القوامة في الأسرة أو تكون بالتناوب بينهما، وغير ذلك من الأمور التي تضطرب فيها الحياة، ويفسد فيها نظام المجتمع الإنساني وجماله، وتحرف المرأة عن أداء واجباتها الفطرية ووظائفها الطبيعية. التي يتوقف على أدائها بقاء المدنية، بل بقاء الجنس البشري بأسره، كل هذا نتيجة المفهوم الخاطئ للمساواة. فدعاة المساواة يحاولون أن يخلطوا المجتمع الإنساني خلطاً تضيع فيه الحكمة وتحرم فيه الخصائص من تلبية مطالبها الفطرية، وتتصبح الحياة مزعجة، حيث تصاب النفوس بالتدمر والأسأم والكراهية، والظلم الروحي والنفسي إلى نفحات السعادة التي لا تحدث في أجواء مشحونة بالنفور، والإحساس بعدم الملائمة^(٨٣٩).

إذن فاشتغال المرأة في أعمال الرجال، وإنهماكها فيه بغير قيود ليس من مصلحة المرأة، لأنها تفقد أنوثتها، وخصائصها، وتحرم من بينها وأولادها، حتى إن كثيراً أصبن بالعقم، وبعضهم سماهن (الجنس الثالث) الذي لا هو رجل ولا هو امرأة.^(٨٤٠)

وكتب محمد حسين في هذا الموضوع فقال:

أحسن ما قرأت في وصف النساء المترجلات، الالتي يأبىن إلا الخروج على فطرتهن، والزوج بأنفسهن في ميادين الرجال، تسمية أحد كتاب الإنجليز لهن "الجنس الثالث" فالواقع أن هذه التسمية تسمية وصف صادق كل الصدق لهذه الطبقة الجديدة من النساء التي برزت مشكلتها في المجتمع الأوروبي منذ أواخر القرن الميلادي الماضي، بعد أن تكاثر عددها، وطغى سبيلها، ذلك لأنهن قد فقدن أنوثتهن، فلم يعدن نساء، وابتذلن أجسادهن وأرخصن مفاتنهن حتى عافها الرجال، وانصرفوا عنها، ثم إن فطرتهن وخلفتهن تأبى عليهن من بعد أن يدخلن في عدد الرجال. من أجل ذلك سماهن الكاتب الإنجليزي "الجنس الثالث" بعد أن أخرجن أنفسهن من عدد النساء، واستحال عليهن أن يدخلن في عدد الرجال، فهن يخالفن الرجال طبيعةً وتركيبياً ويختلفن النساء وظائفاً وأعمالاً^(٨٤١).

(839) انظر: أحتجة المكر الثالث، ص ٥٦٣-٥٦٤، وانظر: مجلة الأزهر بعنوان اتفاقية القضاء على أشكال التمييز ضد المرأة من المنظور الإسلامي، جاد الحق على جاد الحق، مطابع الأوقاف، سنة ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م، ص ٤-٣، وانظر: الحجاب للمودودي، ص ٢٧، وانظر: ضرورة الفصل بين الجنسين حسن زكريا فليل، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط ١، ١٤٠٠ هـ - ١٩٩٠ م، ص ١٣.

(840) انظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، القرضاوي، ص ١٥٤

(841) انظر: عمل المرأة بين المشروع والممنوع، ص ٨٤

وقد درس هذا الأستاذ أحوالهن درساً مدققاً "فوجد أنهن يتركن الزواج وبيانزاعهن أنفسهن من وظائفهن الطبيعية كالأنوثة وما يتبعها، قد تغيرت إحساساتهن عن إحساسات بنات جنسهن، وصرن في حالةٍ من الكآبة تشبه أعراض (الماليخونيا)"^(٨٤٢).

المطلب الثاني: هدم الأسرة

الأسرة هي الوحدة الأولى للمجتمع، وأولى مؤسساته التي تكون العلاقات فيها في الغالب مباشرة، ويتم داخلاً تنشئة الفرد اجتماعياً، ويكتسب فيها الكثير من معارفه ومهاراته، وميوله، وعواطفه واتجاهاته في الحياة، ويجد فيها أمنة وسكنه"^(٨٤٣). والمرأة المسلمة هي قوام الصلاح والفساد في هذه الأسرة، فإن بقيت متمسكة بدينها بقيت الأسرة قوية منيعة محصنة وإذا أمكنها القيام بوظيفتها في المنزل، وفي مجالات العمل المناسب لأنوثتها وطبيعة تكوينها، استطاعت أن تخرج جيلاً مسلماً قوياً ينفع دينه ووطنه، لكن أداء الإسلام كان لهم دور كبير في ذلك هذا الحصن المنيع بكثير من الوسائل المدمرة والتي ذكرت بالتفصيل في الفصل الثاني، ولكن لا بد هنا من بيان العوامل التي أدت إلى فك رباط الأسرة المسلمة.

ومن أبرز هذه المؤثرات:

١ - انجراف المرأة في تيار الثقافة الغربية، والفكر الوارد مقلدةً، فخرجت من بيتهما التي صارت تعتقد أنه سجن، وسعدت لأنها تحررت منه، وأخذت تطالب بحقوقها المزعومة، وتنادي بمساواتها مع الرجل في جميع الحقوق والواجبات، وخرجت لتعمل أعمال الرجال، متناسية أن لها بيتهما وأولاداً يحتاجون إلى رعايتها وحنانها، وأنها هي المسئولة عن تهيئة الجو الاجتماعي النفسي لهم، لينشأوا تنشئة سليمة. وقد نجم من تخليها عن هذه الوظيفة كثير من المضاعفات السيئة كان من أهمها انهيار الأسرة، ففي الغرب أصبح النقاء المرأة بزوجها وأطفالها النقاء عابراً، وأصبحت الأسرة في نظر الكثرين أشبه (بالفندق) من دون أن يوجد ذلك الرباط الاجتماعي النفسي الذي يربط بين أفراد الأسرة^(٨٤٤).

ويقول الشيخ رياض المسميري محدراً من تقليد الغرب: "إذا كانت المجتمعات الغربية قد فرضت على نسائها الخروج للعمل بفضل أنانيتها وماديّتها المقيّنة، وتهميشهما لدور المرأة التربوي في بيتهما ومع أولادها، فما بنا نحن المسلمين نتبع خطى هؤلاء المساكين حذو القذة

(٨٤٢) نفس المصدر السابق، ص ٨٤

(٨٤٣) نظام الأسرة في الإسلام، د. محمد عقلة، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ط١، سنة ١٩٨٣م، ٨/١

(٨٤٤) انظر: الأسرة في العصور الحديثة عن الأسس الاجتماعية، ص ٧٢ .www. Al Resool. Net

بالفترة على حساب أخلاقنا ومنظومتنا الاجتماعية، ونستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، ثم تابع يقول "ومن العار أن نقع في ذات الأخطاء التي وقع بها القوم، لا شيء إلا لحب التقليد واقتفاء دروب الحضارة باتجاهٍ معاكس" ^(٨٤٥).

وقد نعى على المرأة خروجها من بيتها جمع كبير من علماء التربية والاقتصاد وعلم النفس يقول الفيلسوف الكبير براترندسلي: "إن الأسرة انحلت باستخدام المرأة في الأعمال العامة، وأظهر الاختبار أن المرأة تتمرد على تقاليد الأخلاق المألوفة" ^(٨٤٦).

ويقول العالم الاقتصادي جون سيمون: "النساء قد صرن الآن نساجات وطباّعات، وقد استخدمنهن الحكومة في معاملها، وبهذا فقد اكتسبن بضعة دريهمات، ولكنهن في مقابل ذلك قد قوّضن دعائم أسرهن تقوياً. نعم إن الرجل صار يستفيد من كسب امرأته ولكن إزاء ذلك قلّ كسبه لمزاحمتها له في عمله" ^(٨٤٧).

ويقول سامويل سمائيلس: "إن النظام الذي يقضى بتشغيل المرأة في المعامل مهما تتشاء عنه من الثروة للبلاد فإن نتائجه هادفة لبناء الحياة المنزلية، إلا أنه يهاجم هيكل المنزل، ويقوّض أركان الأسرة، ويمزق الروابط الاجتماعية" ^(٨٤٨). هذه بعض الآراء التي تدلّ على أن خروج المرأة من بيتها، ودخولها في المعامل ومزاحمتها للرجل في عمله واقتاصاده يؤدي إلى عجزها عن القيام بوظيفتها في تربية النساء، فإنها لم تعد إلى المنزل إلا وقد أضناها العمل، واستترفت الأتعاب جميع قواها، فكيف تتمكن من تربية أطفالها؟!

٢ - عقد المؤتمرات والندوات العالمية والإقليمية كان له أكبر الأثر على الأسرة المسلمة، وهذه المؤتمرات كما بينت الباحثة سابقاً ^(٨٤٩) كانت تخص المرأة وتهتم بها بهدف إفسادها وإبعادها عن حصنها الحصين الذي فيه أنها وراحتها وعفتها، وكان من أهم السلبيات التي دعت إليها هذه المؤتمرات: إهمال دور الأسرة في البناء الاجتماعي وتهميشه.

٣ - وسائل الإعلام التي لعبت دوراً كبيراً في هدم الأسرة، خاصة التلفزيون الذي يمثل الوسيلة الإعلامية الأكثر انتشاراً بين الناس، حيث بات من النادر ألا يتواجد هذا الجهاز في كل بيت تقريباً، وهذا الجهاز له دور مهم في التأثير على الناس، والوصول إلى عقولهم وقلوبهم، وقد تجلّت مهمته الإفسادية في بث البرامج والمسلسلات والأفلام المحلية

(٨٤٥) عمل المرأة بين المشروع والممنوع، ص ١٥٤.

(٨٤٦) انظر: الأسرة في العصور الحديثة عن الإسلام والحضارة العربية، ٩٢/٢.

(٨٤٧) نفس المصدر، عن مجلة المجالات، ص ١٧

(٨٤٨) نفسه عن نظرية العلاقة الجنسية في القرآن، ص ٩٥-٩٨

(٨٤٩) ارجع إلى مبحث المؤتمرات، ص ١٤٨-١٥٨.

والمستوردة والتي لا تخلو من الإباحية والفساد، والتي تؤدي إلى تخريب كثير من البيوت والمجتمعات^(٨٥٠).

٤ - المنظمات الحكومية والأهلية لها دور كبير في طمس معلم نظام الأسرة وإلغاء بعض أحکامها الأساسية الشرعية كإباحة الطلاق وتعدد الزوجات. لقد بدأت تعديلات قوانين الأحوال الشخصية في مصر عام ١٩١٠م ثم تبعها قانون ١٩٣٧م وفي تركيا بدأ سنة ١٩١٧م، ثم تتابعت عمليات تقييم القوانين في شتى الأقطار العربية والإسلامية، وقد تم حالياً تفيذ قانون (الخطة الوطنية لإدماج المرأة في التنمية) في المغرب وعددًا من الدول، وقبل أربع سنوات تقريباً ثم تعديل قانون الأحوال الشخصية في تركيا، الذي أنهى سيادة الرجل على الأسرة، وفرض مطالب "تحرير المرأة كاملةً" وبدأ تفيذه مطلع سنة ٢٠٠٢م، وهذا كله بفضل نشاط هذه المنظمات التي بدأ من مجرد بث الأفكار إلى التوصيات والتنظيمات ثم محاولة الفرض الحكومي الرسمي^(٨٥١).

٥ - الدعوة إلى العلاقات غير الشرعية، وإعلاء شأن الجنس، والدعوة الصارخة إلى الحب الإباحي وهي مؤامرة تهدف إلى هدم الأسرة، تزعمها قديماً فرويد ودوركايم ومن تتلمذ على أيديهما^(٨٥٢).

المطلب الثالث: السفور والتبرج

السفور هو أن تكشف المرأة عن أجزاء من جسمها مما يحرم عليها كشفه لغير محارمها، لأن تكشف شعرها وعنقها، وساقيها وعضديها، والتبرج هو أن تظهر المرأة محسنة لمن لا يحل لها أن تظهرها له أو التبرج هو أن تستعمل المرأة الطلاء، والمساحيق، والأصبغة، وما يعرف بوسائل الزينة لإقناع الذين يرونها بأنها جميلة سواء كانوا محارمها أو غير ذلك^(٨٥٣).

ولقد كانت المرأة المسلمة إلى الأمس القريب في جميع بلدان الإسلام محتشمة متحجبة، ولم يكن الحجاب إلا التزاماً لأمر الله، ولكن الحجاب كان حجر عثرة أمام أعداء الإسلام، لذلك أصبح ولا زال شغفهم الشاغل، فدعوا المرأة إلى السفور للتبرج، ومن ثم كان الانحلال وكانت الخلاعة والميوعة.

(٨٥٠) نفسه، عن نظرية العلاقة الجنسية في القرآن، ص ٩٨-٩٥

(٨٥١) انظر: نظام الأسرة في الإسلام، ١/٤١، وانظر: تحرير المرأة.. عقم المفهوم وانتهازية التطبيق قلم معترض الخطيب، www.Inna.me.uk/dratasat

(٨٥٢) انظر: المرأة المسلمة في وجه التحديات، أنور الجندي، ص ٤٦.

(٨٥٣) انظر: خطر التبرج والاختلاط ، عبد الباقى مصون، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٧٤-١٩٦١م، ص ٦١-٦٢، وأهم قضايا المرأة المسلمة، محمد حسن أبو يحيى، دار الرشيد- الرياض، ط ١، ١٤٠٣-١٩٨٣م، ص ١٠٩ ..

ونجحوا في تجنيد روّاد لهم من المسلمين والملحدين للقيام بتنفيذ مخططاتهم في إفساد المرأة كما تبين في الفصول السابقة هؤلاء المنتسبون إلى الإسلام يفخرون بأنهم من أبناء الثقافة الغربية التي جلبوها على المجتمع الإسلامي، وبأن أوروبا هي قلعة الحرية والتمدن والديمقراطية واحترام الإنسان، ولهذا يرون أن تطلق المرأة مع التيار الأوروبي، وتحرر من نظم الإسلام، والتحرر الذي ينادون به يعني سفور وتبرج وخلاعة وفجور باسم الثقافة الغربية وباسم الحضارة الأوروبية^(٨٥٤).

العوامل التي أدت إلى السفور والتبرج:

وقد سلك هؤلاء خطوة ماكراً استهدفت المرأة وحجابها مما أدى إلى تخلّي المرأة عن جلبابها وحصارها، وتدحر حاليها إلى حدٍ يشعر معه المسلم الغيور بالألم والحسنة مما وصل إليه حال المرأة من ضياعٍ وخسران. فمن هذه العوامل المؤثرة:

أولاً: الدعوة إلى السفور والتبرج:

وقد مرّت الدعوة إلى السفور في الأقطار الإسلامية بمراحل، ومن الثابت تاريخياً أن حركة "السفور" تطابقت زمنياً في مصر وتركيا وإيران، ثم انتشرت في الدول الأخرى أما في مصر فقد ألغت هدى شعراوي، وسيزا نبراوي حجابهما، وداستاه بأقدامهما فور وصولهما من مؤتمر النساء الدولي الذي عقد بروما صيف سنة ١٩٢٣م. خلعت المرأة النقاب عن الوجه، ثم استبدلته بالمنديل ثم لم تلبث أن نبذت الجلباب فتخلصت منه واستبدلته بالثياب الملونة الفاتحة، ثم أخذ المقص يحيف على الثياب في الذيل وفي الأكمام وفي الجيوب، ولم يزل يجور عليها حتى يضيقها على صاحبها حتى أصبحت كبعض جلدها، ثم تجاوزت ذلك كله إلى الظهور على شواطئ البحر في المصايف بما لا يكاد يستر شيئاً على جسمها، ولم تعد عصمة النساء في أيدي أزواجهن، ولكنها أصبحت في أيدي صانعي الأزياء في باريس من اليهود ومشيعي الفجور^(٨٥٥).

وفي تركيا بدأت الدعوة إلى تحرر المرأة من تعاليم الإسلام مع سقوط الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤م، وقد كان يصنع الغرب الكافر لكمال أتاتورك أثراً قوياً في فرض السفور على المرأة التركية، حتى أصبحت المرأة التركية كما وصفها الغربي جان رو: "المرأة التركية

(٨٥٤) انظر: المرأة بين الجاهلية والإسلام، سعد صادق محمد، ص ١٤٦.

(٨٥٥) انظر: المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٣٠، وانظر: المرأة بين الجاهلية والإسلام، ص ١٤٦

عصرية تماماً، هي ترتدي أثواب السهرات العاربة الكتفين والظهر، كما لا تحجم عن ارتداء المايوه، ولكنها تحاشى التطرف في ذلك" (٨٥٦).

ولم يكف دعاء السفور ما وصلت إليه المرأة التركية بل طلبوا بالمزيد، فهذا أحمد رضا بك من زعماء أحرار تركيا يقول "مadam الرجل التركي لا يقدر أن يمشي علناً مع المرأة التركية وهي سافرة الوجه، فلا أعدّ في تركيا دستوراً ولا حرية" (٨٥٧).

وفي عام ١٩٢٦م أرسلت تركيا باخرة تجوب موانئ أوربا، وفيها خمس وعشرين فتاة من فتيات تركيا الجديدة، كلهن جميلات مقصوصات الشعر لا يكاد يميزهن الرائي من فتيات باريس ولندن، يُجدن التكلم بالإنجليزية، وقد صرخت إحداهن في بعض الموانئ الإنجليزية إن المرأة التركية اليوم حرة فلن تسير في الطرقات في ظلام، وإننا نعيش اليوم مثل نسائكم الإنجلiziات، نلبس أحدث الأزياء الأوربية والأمريكية، ونرقص، وندخن، ونسافر، وننتقل بغير أزواجنا" (٨٥٨).

أما في إيران، فقد قام الإنجليز بنزع حجاب المرأة بالقوة عام ١٩٢٦م، وكان البوليس يتعرض للنساء، وينزع حجابهن بالقوة، وكذلك منعت الفتيات والمدرسات من دخول المدارس محجبات (٨٥٩).

وبدأت الدعوة إلى السفور في الكويت في الخمسينات، وطلبَ من المرأة الكويتية أن تثور ضد التقاليد الاجتماعية وفي مقدمتها العباءة السوداء، وأن تملك الشجاعة لخروج سافرة بين الرجال، وأقنعواها أن الحجاب هو السدّ الكبير الذي يفصل المرأة عن المجتمع، وفي سنة ١٩٥٥م تم حرق الحجاب، وفي عام ١٩٥٦م تم إحراق البوشيه في إحدى المدارس الثانوية، وقالت إحدى الطالبات أمام وزير المعارف: "علم وحجاب لا ينسجمان.. لقد قررت جميع الطالبات أن يخلعن البوشيه إلى الأبد، ولقد جاء دور المرأة الكويتية لتحرر" (٨٦٠). ويُشار إلى الفضل لعبد الله جابر الصباح (وزير المعارف)، لأنه كان له دور في تحرير المرأة الكويتية حتى قيل عنه "لقد كان الرجل هو قاسم أمين الكويت" (٨٦١).

(٨٥٦) المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٨.

(٨٥٧) نفس المصدر السابق، ص ٨.

(٨٥٨) نفس المصدر، ص ٩.

(٨٥٩) المرأة بين الجاهلية والإسلام، ص ١٤٧.

(٨٦٠) المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ١٤

(٨٦١) المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ١٤، عن مجلة العربي، ١٩٩٤-١٣٩٤هـ.

وهكذا فيسائر الدول العربية والإسلامية نشط دعاة تحرير المرأة في الدعوة إلى السفور والتبرج، حتى خلعت المرأة حجابها واعتبرته موضة قديمة، وخرجت كاسية عارية، في فلسطين وسوريا ولبنان وتونس والمغرب، حتى أن السائر في الطرقات لا يستطيع أن يميز المرأة المسلمة عن المرأة الأجنبية، ويشعر بالغرابة وكأنه يسير في مدينة أوروبية لا تمت إلى الوطن الإسلامي بصلة فالنساء في تكشف مزري، وتبرج مشين، قد خلق ثوب الحياة والخجل، وزعن رداء الطهر والشرف.

ثانياً: وسائل الدعاية والنشر من كتب ومجلات وجرائد وإذاعة وتلفاز:

كان للإعلام العربي دور في تقشّي ظاهرة السفور في المجتمعات الإسلامية حيث تساهمن أجهزة الإعلام كلها للدعاية والإعلان للأزياء الغربية، وكافة أدوات التجميل والزينة، وتروج لمصانع أدوات التجميل في الخارج والداخل، ودور الأزياء المنتجة لكل جديد في عالم الموضة، والمرأة. تتافق كل هذا بشغف، وتتفق كل ما لديها لتبدو جميلة جذابة أمام أعين الناظرين عند خروجها من البيت لمشاهدة الحفلات، ولحضور المنتديات، والذهاب إلى أماكن عملها، وهي تهدف أن يراها الناس مرتدية الأزياء الحديثة، وأنها امرأة متقدمة متحضرّة، وربما يكون ذلك على حساب بيتها وأولادها أو زوجها بل وعلى حساب كرامتها وحيائها.

ثالثاً: الشركات وال محلات التجارية.

تلعب الشركات وال محلات التجارية دوراً كبيراً في ترويج السفور وانتشاره، وذلك لترويج وبيع الملابس الكاسية العارية حسب الموضة كل عام، حتى إذا خرجولي الأمر لشراء ملابس ساترة لابنته فلا يجد إلا الضيق، أو مفتوح الجانبين، أو القصير ومعه بنطال، حتى ظهرت للعجبات أحد الموضات المخالفة للزى المطلوب شرعاً.

رابعاً: الاختلاط المطلق بين الرجال والنساء:

شجع على المبالغة والإسراف في الزينة والعرى المكشوف الذي أُجج شهوات الرجال، فالاختلاط يوحى لها كي تبدو جميلة في نظر زميلها في العمل أو في الجامعة، فتنتفن في سفورها وتبرجها، وهناك أسباب أخرى ساهمت في إقبال المرأة على السفور والتبرج منها:

- سوء التربية والتوجيه والتعليم من جهة الآباء أو من جهة المدرسة التي لا تملك المناهج التعليمية الصالحة التي توجه الطالبة التوجيه الصحيح، وتشجيع التعليم المختلط بين الطلاب والطالبات.

- التقليد الأعمى للغرب وإتباع الموضة.

- غياب دور الدعاة ونثاقفهم في القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- إنشاء النوادي المختلطة و محلات (الكافير) غير الشرعية.
- الفهم الخاطئ لمعنى التحرر على أنه الإباحية المطلقة للنساء، وفي اختيار الأزياء غير المحشمة، وفي توظيف النساء خارج البيوت وفي الأسواق والمسارح ودور السينما.
- إلغاء القوامة بدعوى المساواة بين الرجل والمرأة في جميع الحقوق والواجبات. أدى إلى ترجل المرأة، حتى صارت تلبس مثل ما يلبس الرجل، وتقص شعرها كالرجل تماماً، وتعلّم عمل الرجل.
- الكتب الزائفة التي ألفت وركزت على تشويه صورة المرأة المسلمة المحجبة وتسمية الـ "الـ زى الإسلامي تارة بالـ خـيمـة، وتـارـة بالـ كـفـنـ وـأـنـتـ عـلـىـ الـ مـرـأـةـ الـ مـسـافـرـةـ الـ مـتـبـرـجـةـ".
- عدم الضرب على أيدي المفسدين الذين يتاجرون بالجنس، ويستغلون النساء للعمل في دور اللهو والفساد^(٨٦٢).

المطلب الرابع: تدمير القيم الأخلاقية

فمن آثار الحياة الاجتماعية تدمير القيم الأخلاقية في العالم الإسلامي، فمن مقولات الغزالة "يجب أن نعمل لتهار الأخلاق في كل مكان لتسهل سيطرتنا"^(٨٦٣). وفعلاً نلاحظ اليوم في مجتمعاتنا الإسلامية، سيطرة الشهوات والغرائز الجنسية، والانهـماـكـ فـيـ لـقـمـةـ العـيشـ،ـ والحرص على جمع المال مما أدى إلى زيادة تعـلـقـ كـثـيرـ مـنـ النـاسـ بـأـعـراـضـ الدـنـيـاـ،ـ وإـعـادـهـمـ عـنـ الـقـيـمـ الـإـنـسـانـيـةـ،ـ وـالـمـبـادـيـ النـبـيلـةـ وـالـمشـاعـرـ الـتـيـ تـدـفـعـهـمـ لـلـحـفـاظـ عـلـىـ كـرـامـتـهـمـ وـعـزـتـهـمـ.

والذي ساعد على انهيار الأخلاق ما يلي:

- ١ - غياب الوازع الديني، والضمير الحي.
- ٢ - تقويض دعائم الأسرة بالإباحية.
- ٣ - عرض الأفلام الخليعة والأغاني المصورة المجانية.
- ٤ - الأزياء الفاحشة المتعددة.
- ٥ - المجالات والكتب الجنسية والمهيجة مثل مجلة روزا اليوسف.
- ٦ - القصص الغرامية المثيرة مثل قصص إحسان عبد القدوس.

(٨٦٢) انظر: خطير التبرج والاحتلال، ص ١٨٥-١٨٢، وانظر: المرأة المسلمة في وجه التحديات، ص ١٧-٢٠

(٨٦٣) خطير التبرج والاحتلال، ص ١٩٦.

٧- الصور العارية في أوضاع شتى على جدران دور السينما ومحلات الكوافير وفي الشوارع. بالإضافة إلى الصور التي تجتمع فيها المرأة مع الرجل في معظم الدعايات وتكون شبه عارية.

٨- وسائل الدعاية للتشجيع على الاختلاط والإباحية والزنا.

وستذكر الباحثة بعض النماذج التي تبين أنّ القيم والأخلاق لا وجود لها إلا عند قلة مؤمنة، واعية لما يخطط لها من قبل أعداء الإسلام من استغلال المرأة لتكون سلعةً رخيصةً، بعد أن كانت جوهرة مصانة^(٨٦٤).

ومن هذه النماذج:

• استغلال مظهر المرأة وجسدها، وصورها العارية في مختلف الأوضاع، في الدعايات على البضائع والمنتجات، بالإضافة إلى عرض الملابس العارية على ما يسمى (المليكان) بطرق مثيرة تخدش مشاعر المرأة وتحط من كرامتها، ويستوقف أنظار المارة في الشوارع والطرقات ليتأملوا بخيالهم مفاتن المرأة، ومواطن الشهوة منها^(٨٦٥).

وما ورد على لسان الصحفي الغربي أنيس منصور محرباً على العرى وفساد ما يدل على ذلك حيث قال: "سوف تكون خيوط الموضة هذا الشتاء محشمة جداً وسخيفة جداً لأن الفساتين سوف تكون طويلة، وواسعة، وسوف تبدو المرأة وكأنها شماعة تحمل هذه الفساتين، وأن ما بينها وبين هذه الفساتين خصم، فلاستان يحتضنها برفق على الصدر أو على الخصر أو على الأرداف"^(٨٦٦)، ثم تابع قائلاً: "إن الفساتين تبدو وكأنها إهانة للمرأة، فلا الساقان ظاهرتان ولا النهدان أو الردفان ولا الذراعان ولا العنق، كأنها أنواع مختلفة من الخيام، وأن المرأة قد ضربت حولها وأمامها وراءها الخيام فلا يراها أحد" ثم يقول محرباً على هدم كل القيم التي جاء بها الدين للمرأة المسلمة من أن تكون زينتها قاصرة على بيتهما وزوجها وألا تخرج إلا بالملابس الواسعة المحشمة.

إن ملوك الأنوثة عوضوا المرأة عن هذه الخيمة بأشكال جميلة من قمصان النوم، ومعنى ذلك أن الموضة ستجعل المرأة جميلة في البيت وغير ذلك في الشارع، على الرغم من أن المرأة حريصة على أن تبدو جميلة لكل الناس، فإنها تفضل أن تكون جميلة لشخص واحد،

(٨٦٤) انظر: حظر التبرج والاختلاط، ص ١٩٥.

(٨٦٥) انظر: مكانك تحمدى، ص ٩٠-٩١، وانظر: الإسلام والجنس، فتحي يكن، ص ٦٨-٦٩.

(٨٦٦) الصحافة والأقلام المسمومة، أنور الجندي، ص ٤٢.

والمراة التي لا تسعد ب الرجل واحد فإنها تحاول أن تلفت عيون الآخرين، ولذلك فإن المرأة تسارع إلى الشارع وتنعم بنظرات الناس إليها لأنها لا تجد هذه المتعة في البيت^(٨٦٧).

فانتفت القيم والأخلاق عند هذا الكاتب، فقال كلماته هذه التي تقضي على القيم والأخلاق.

* الأفراح والحفلات الماجنة والمختلطة وما يحدث فيها من عرى وتكشف، وأغانى ماجنة والرقص المختلط رجالاً ونساءً ورقص (سلو) والسكر والفحور وإحضار الراقصات والمعنفات العاريات في هذه الأفراح التي يتم إحياء الليل فيها على الفواحش والمنكرات، وهجران القيم والأخلاق.

* القارئ للصحف اليومية والمجلات الأسبوعية ومواقع الأخبار على الانترنت ينزعج لكثره الحوادث الإجرامية من اغتصاب وخطف وقتل وأمثلة على ذلك:

- طباخة بالشقق المفروشة استدرجت جارتها التلميذة بالثانوية، فجرت خلفها طابوراً من التلميذات تحت إغراء المال والملابس. الأهرام / مصر
- شابان يحاولان خطف فتاة بشارع مجلس الأمة. الأهرام / مصر
- ابتزاز المرأة جنسياً في الأتوبيسات^(٨٦٨).
- اغتصاب فتاة في محل للتصوير وتهديدها بفضحها في الجزائر.
- أردني يقتل شقيقته في جريمة شرف في الأردن.
- ثمانى فتيات قتلن خلال شهرين (جرائم الشرف) ظاهرة تستشرى في المجتمع الفلسطينى.
- تعرض طفلة في الرابعة من عمرها للااغتصاب في السودان.
- إعدام سعوديين وكويتيين أدينوا باغتصاب وقتل طفلة.
- الإعدام لثلاثة فلسطينيين أدينوا باغتصاب وقتل فتاة قاصر، وحاولوا اغتصابها فرمي نفسها من الطابق الخامس^(٨٦٩).

وهذا كلها نتيجة غياب القيم الإنسانية والأخلاق الإسلامية.

أثناء العمل تتعرض المعلمة والموظفة للإغراءات الجنسية المتكررة، وإن لم ترضخ فإنها تقع تحت طائلة الانتقام من رئيسها المباشر^(٨٧٠)

(867) الصحافة والأفلام المسومة، ص ٤٢ - ٤٣.

(868) انظر: عمل المرأة في الميزان، عبد الله البار، موقع صيد الفوائد.

(869) مركز الأخبار - أمان المركز العربي للمصادر والمعلومات حول العنف ضد المرأة. الأردن www. Amman

Jordan onj

المطلب الخامس: كثرة المشكلات والأمراض الاجتماعية والجنسية:

اندفعت المرأة المسلمة وراء الحصول على حريتها، تقليلًا للمرأة الغربية، حتى وصلت إلى ما يسى إلى الحرية، لأنها فهمت الحرية فهماً مغلوطاً، وفي ظل هذه الحرية الزائفة تحررت المرأة من الآداب والأخلاق والضوابط الشرعية، فداست على أقدس واجباتها كزوجة مخلصة، وأم مربية، وربة بيت، مما زاد حياتها تعقيداً، وزادت المشكلات والأمراض النفسية التي أدت إلى تدمير كثير من البيوت، وتشتت عدد لا بأس به من الأسر.

أولاً: المشكلات:

وستعرض الباحثة بعض المشكلات مع بيان أسبابها

المشكلة الأولى: ضياع الأولاد وتفكك الأسر:

وهي مشكلة كثير من السيدات المتزوجات اللاتي كن يعيشن في سعادة مع أزواجهن، ولكن بسبب اختلاط الرجال مع النساء بعد ذلك في العمل، التفت الرجال إلى التسلية والضحك والمزاح مع النساء اللاتي يجتمعن معهم كل يوم، وفي نفس غرفة العمل، مما أدى إلى إهمال بيوبتهم وزوجاتهم وأولادهم، وازدياد الخلافات، وانحراف الأولاد.

وأصبحت هذه المشكلة مشكلة أمة، ومستقبل جيل، حيث يتعرض الرجل كل يوم للإغراءات، يراها أمامه وباستمرار، بسبب خروج المرأة للعمل واحتلاطها بالرجل دون مراعاة للآداب الإسلامية^(٨٧١).

وي يمكن أن ينعكس ذلك على المرأة نفسها، حيث تهدم بيتها بيدها، كما حدث مع رجل مسلم عربي كان يعيش مع زوجته حياة هانئة، وبعد عامين من زواجه. ألحت عليه زوجته بأن تعمل من أجل حياة أفضل، فرفض زوجها في بداية الأمر، وبعد الإصرار عليه، وافقها على العمل في إحدى المؤسسات الحكومية، واتفقاً بأخلاقها، وشدة حرصها على سمعتها وكرامتها، ولأنها أم لطفل صغير، ولم تمض بضعة شهور على عملها في المؤسسة، حتى حدثت المأساة الخطيرة التي لم تكن في الحسبان. حدث أن هربت الزوجة مع زميل لها في العمل، عندما زين لها فكرة الهرب، وسلب رشدتها بمسؤول الكلام، وتركت زوجها الذي وثق بإخلاصها مشدوهاً أمام المصيبة التي حلت بالأسرة الهانئة، غير آبهة بطفلها الصغير الذي

(٨٧٠) انظر: عمل المرأة في الميزان، عبد الله البار، موقع صيد الفوائد .

(٨٧١) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٢٨٢-٢٨٣ .

كان موضع عنايتها واهتمامها، من أجل التمتع بلذة الحياة مع هذا الشاب الوضيع، فخسرت بيتها وزوجها ولدتها^(٨٧٢).

المشكلة الثانية: مضائقات الرجل من عمل المرأة:

توجد دراسة تبين الآثار السلبية لعمل المرأة على زوجها والبيت، وقد أجرت هذه الدراسة إحدى الباحثات على عينة من الزوجات العاملات.

- أجاب ٨٤٪ منها بقولهن: أضائق زوجي بغيابي عن البيت عندما يكون متواجداً فيه.
- أجاب ٤٢٪ أثير أعصاب زوجي بكلامي حول مشاكل عملي مع رؤسائي وزملائي.
- أجاب ٦٧٪ أثير أعصاب زوجي عندما أناقشه حول اعتقاده بعدم كفافتي في العمل.
- أجاب ٢٣٪ أعلم زوجي بتركى له وحيداً في حالات مرضه الشديد بسبب ذهابي إلى العمل.
- وقالت ٢٢٪ أقلق زوجي بتأجيل فكرة الإنجاب بسبب العمل^(٨٧٣).

ويتبين من هذه الدراسة أن غياب الأم عن بيتها يؤدي إلى نشوء الخلافات الحادة بين الزوجين حيث أخلت الزوجة بمتطلبات زوجها، وحاجته إلى الاهتمام به شخصياً، وتلبية مطالبه المختلفة، حتى لو كان مقتضاً بخروجه، إلا أن هذا لم يمنع خروجه عن طوره في أحيان كثيرة بسبب الضغط النفسي الناشئ عن فوات حقوق كثيرة لا يمكن التناضي عنها إلى الأبد^(٨٧٤).

المشكلة الثالثة ظاهرة المعاكسات والمضايقات:

انتشار ظاهرة المعاكسات والمضايقات الجنسية للمرأة تبدأ هذه المعاكسات منذ لحظة خروجها من منزلها، ففي مصر مثلاً: تنتشر ظاهرة المعاكسات والابتزازات الجنسية في الحالات نتيجة الزحام الشديد، وفي أثناء العمل تتعرض العاملة والوظيفة للإغراءات الجنسية المتكررة. وكثير من الحوادث قد وقعت، وسمع بها كل من له أدنى صلة بالمرأة العاملة في البلاد العربية، حيث تبتز المرأة العاملة جنسياً في مقابل العمل فيعتدي على شرفها بالتهديد والإكراه حيناً، وبالإغراء والوعود المعسولة حيناً آخر، وبكلمات الحب الكاذبة حيناً، وبالهدايا التافهة حيناً آخر، وما أن تستسلم لواحد منهم حتى تجد خلفه طابوراً، كلهم يطلب المساواة في

(872) انظر: المصدر السابق، ص ١٨٤-٢٨٥.

(873) آقوال واعتراضات بخطورة عمل المرأة، للشيخ محمد الميدان، موقع الجود ٤١٩٥/٤ هـ ١٤٢٥.

المعاملة وإلا التهديد بالفضيحة. يقول د. عبد الله البار "إن هذه الحوادث رغم كثرتها وبشاعتها، لا تزال في طي الكتمان ولم تبلغ بعد الصحافة والإعلام كما هو في الغرب... وإلى الآن لا توجد دراسات عن المرأة العاملة في البلاد العربية والإسلامية. مثل الدراسات التي نشرت عن المرأة العاملة في الغرب".^(٨٧٥)

المشكلة الرابعة: وجود الخادمات الكافرات في البيت:

تحدث هذه المشكلة عندما تخرج الأم من بيتها تاركة الخادمة لتتوب عنها في مهمتها كأم وزوجة، ومن ثم تحدث المأساة والفواجع، خاصة في دول الخليج التي يزيد فيها عدد المربيات الأجنبيات من ستين إلى خمس وسبعين في المائة، فمن المأساة التي تحدث:

- ١ - حرمان الطفل من حنان أمه التي لا تستطيع الخادمة أن تعوضه.
- ٢ - نقل معتقدات كفرية إلى الأطفال، وقد وجد أطفال في البيوت يؤشرون بعلامة التثليث على الرأس وجانبي الصدر، كما يرون النصرانية تصلّى، ونقول للطفل هذه الحلوى من المسيح، ويرى الطفل الخادمة تصلّى إلى تمثال بوذا، وأخرى تحفل بأعياد قومها، وتنتقل الكفر بذلك إلى أطفالنا، فيعتادون المشاركة في أعياد الكفرة.
- ٣ - إقامة العلاقات الجنسية مع أصدقاء لهن في المنازل، بالإضافة إلى احتسائهن الخمر، وتدخين السجائر بصحبة الأطفال.
- ٤ - تشويه لغة الطفل العربية بما يشوبها من الكلمات الأجنبية.
- ٥ - ما يحصل من تفسخ الأسرة بسبب العلاقة التي قد تنشأ بين صاحب البيت أو الأولاد الكبار من جهة والخادمة من جهة أخرى.
- ٦ - الإرهاق المالي الذي يحصل لأرباب الأسر برواتب الخادمة، ثم النزاعات العائلية حول من يدفع تلك النفقات الزوج أو الزوجة؟^(٨٧٦).

ومن هذه المشاكل تذكر الباحثة بإيجاز:

- نشوء البطالة في أوساط الرجال بسبب إلثار النساء على الرجال في كثير من الوظائف، وسبق الحديث عن ذلك في مبحث العمل.
- نشوء الجريمة الارتجالية والمنظمة، نتيجة شعور بعض أفراد المجتمع، واستثمار الآخرين بالثروات دونهم.

(875) عمل المرأة في الميزان، ص ١٢٥.

(876) انظر: علم المرأة بين المشروع والممنوع، ص ٥٦

- ارتفاع نسب الانتحار بسبب اليأس والقلق والقنوط من إمكانية تصحيح وضع المترنح الاجتماعي.
- الإسراف في تكاليف التبرج المؤدي إلى التبذير والبذخ أو إلى الفقر.
- ازدياد نسب حالات الطلاق، نتيجة العلاقات المختلطة المحظمة.
- ارتفاع معدلات السرقة، بسبب الحاجة والحرمان، وتعد البطلة من أهم أسباب دوافع السرقة.
- شيوخ المخدرات وانتشار ظاهرة المدمنين، بسبب الترف والفراغ، والبطلة السائدة في المجتمعات، وبسبب غياب دور المربى الذي يؤدي إلى انحراف أو لاده.
- العزوف عن الزواج بسبب، العجز عن المؤونة أو بسبب الاختلاط والتکاليف الباهضة للزواج، مما أدى إلى ارتفاع نسبة العوانس، ويترتب على ذلك انتشار الزنا، ودور البغاء، وكثرة اللقاءات (٨٧٧).

ثانياً: الأمراض الاجتماعية والجنسيّة:

إن وجود الأمراض الاجتماعية والجنسيّة في مجتمعاتنا تكون غالباً نتيجة الاختلاط والتبرج والسفور، ولقد أقر علماء الطب قديماً وحديثاً بأن الانغماس في الشهوات الجنسيّة والملذات الغريزية، وفي الترف والمجون بشكل حيواني، دون حدود أو قيود، دون قوانين وضوابط يؤدي إلى حدوث وانتشار أمراض كثيرة وخطيرة في الجسم والنفس والعقل، تؤدي إلى هلاك الإنسان، فإلغاء القوامة مثلاً: وغياب الأم عن أطفالها فترات طويلة كذلك يسبب اضطراباً نفسياً عند الأطفال. وقد أثبتت الإحصاءات العالمية التي أجريت على عدد من هذه الأمراض، في المجتمعات الغربية بشكل قاطع ومدعوم بالأرقام، أن نسبة ازدياد الأمراض الجنسيّة الخبيثة ترتفع وتزداد من مجتمع إلى آخر بازدياد الاختلاط والتبرج والإباحية (٨٧٨). ومن هذه الأمراض الاجتماعية والجنسيّة ما يلي:

١ - المتاعب النفسيّة والانحرافات الاجتماعية:

ثبت بعد دراسة وتجربة أن البنات في المدارس الداخلية، يعانين متاعب نفسية وانحرافات لا حصر لها، بسبب ابعادهن عن جو الأسرة، والحل هو عناية الأمهات ببناتهن، وإشرافهن المباشر على تربيتهن، لذلك يطالب علماء النفس في أمريكا بإلغاء المدارس الداخلية بأمريكا

(٨٧٧) انظر: عمل المرأة بين المشروع والممنوع، ص ٥٥-٥٩ (بتصرف).

(٨٧٨) خطط الاختلاط والتبرج، ص ١٢٠-١٢١.

فوراً، لأن البنت إذا كانت بعيدة عن أمها انطوت على نفسها، ونجم عن ذلك انحراف كبير وخطير^(٨٧٩).

ويقول الدكتور دين دينس) عالم النفس الأمريكي: "أن ذكاء الطفل ينمو وقدراته على الكلام تقوى إذا نشأ بين أبيه، ولم يترك للمحاضن أو رياض الأطفال، أو المربيات الأجانب"^(٨٨٠).

٢- التشتت العاطفي وفقدان الأمان النفسي:

إن إلغاء القوامة، وتعدد مراكز السلطة داخل الأسرة، بين والدين لكل منهما وجهته وهدفه ومفاهيمه، يقع الأولاد في حيرة نفسية، وتشتت عواطفهم وتبدد أنهم النفسي الذي كانوا يستمدونه من الأب باعتباره المصدر الأساس للسلطة داخل البيت^(٨٨١).

إن غياب الأم فترات طويلة في العمل، يقلل من فترة الرضاعة، ويقلل من إدرار اللبن، وقد تضطر الأم إلى فطام الطفل في سن مبكرة، لأن عملها لا يتيح لها فرصة تغذية نفسها التغذية الملائمة لفترة الرضاعة.

وقد أثبتت التجارب العلمية أنَّ الطفل لا ينمو ولا يتعرّع إلا على حليب أمه فحسب، بل على الغذاء العاطفي أيضاً، فهو لا يقل أهمية عن الغذاء الجسدي في تنمية شخصيته، لذا يفضل في الأطفال الذين يحرمون من التغذية الطبيعية (الرضاعة) أن تضمهم أمهاتهم إلى صدورهن حسب ما ينصح أطباء الأطفال^(٨٨٢).

٣- هناك بعض الأمراض الجنسية التي تحدث بسبب الاتصال الجنسي المحرّم ومنها:

- مرض السيلان: وهو بسبب التهاباً حاداً أو مزمناً في الرحم لدى المرأة وفي الخصيتين لدى الرجال، وقد يؤدي إلى العقم، وإلى التهابات في المفاصل، وقد يؤثر على المولود فيصاب بالتهابات في عينيه تؤدي إلى العمى.

- مرض الزهرى: ويسبب هذا المرض التهابات جلدية، ومفصلية، وعزمية، وعضلية، وقببية، وبطنية ورئوية، وكبدية، وعينية، وعصبية، وتشوهات في الوجه والجلد واللسان والأظافر.

(٨٧٩) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٢٧٥.

(٨٨٠) المرأة المسلمة في وجه التحديات، ص ١٦.

(٨٨١) انظر: نفس المصدر السابق، ص ٤٥.

(٨٨٢) انظر الأسرة في العصور الحديثة عن أسس الصحة النفسية، ص ٧٥.

- مرض التقرحات الجنسية: ويسبب التهابات في العقد البلغمية القريبة من الأعضاء الجنسية، قد تؤدي إلى خراجات قيمية مزمنة، والتهابات في المجاري البولية، وألاماً مفصلية، وتورمات في الأطراف.
- مرض القرح اللين: يسبب تقرحاً مؤلماً في الجهاز التناسلي قد ينتشر ليكتسح الجلد.
- مرض النمو الحبيبي الالتهابي المنعبي: ويسبب التهابات في الجلد قريباً من العانة، ويحدث تقرحات ذات إفرازات كريهة الرائحة، وألاماً وتشوهات في مكان الإصابة (٨٨٣).
- مرض قئ الصباح: ويصاب به الحالى من الزنا.
- مرض الشذوذ الجنسي: (اللواط، السحاق): ينشأ هذا المرض في سن التاسعة من العمر غالباً، ويزداد سوءاً إذا ترك الولد لشهواته وغرائزه، ولم يعالج بالتربية الأخلاقية الجيدة التي تجعله ينفر ويشمئز من هذا السلوك، وذلك بالترغيب والترهيب وبتركيز فكرة الحلال والحرام، ورضا الله وسخطه، وتعزيز ذلك في نفسه وعقله، وتوفير البيئة الصالحة التي تشجعه على الخير، وتصرفه عن الشر..
- مرض النضج الجنسي المبكر: ويصاب به بعض الأولاد نتيجة لتهيج الشهوة قبل أوانها واستثارة الغريزة قبل اكتمال غدها وأعضائها، ويسبب تشوهات بدنية وأمراضاً عصبية ونفسية.
- مرض طغيان الشهوة والغريرة: يحصل نتيجة إطلاق العنان للشهوة بصورة مستمرة حيث يندفع المريض نحو أعمال الشهوة والغريرة اندفاعاً حيوانياً جنونياً يلحق به الضرر وبغيره.
- مرض الهوس الجنسي: وبه يشغل المريض في جميع أوقاته حالاته بتخيلات لأعمال الشهوة والغريرة فينصرف عن كل شيء، فيكثر نسيانه، ويقل اهتمامه، ويضعف انتباذه وتزيد غفلته (٨٨٤).
- عافي الله أمّة محمد صلّى الله عليه وسلم شر هذه الأمراض.
- مرض الإيدز (Hiv In Fe ction) العوز المناعي.

(883) انظر: خطط التبرّج والاختلاط ص ١٢١-١٢٢ عن الأمراض الجنسية، د. نبيل الطويل، وعن ألسنة بعض الأطباء.

(884) خطط التبرّج والاختلاط، ص ١٢٣-١٢٥.

وهو مرض خطير جداً ينتج عنه عجز مقدرة الجهاز المناعي في الجسم عن محاربة كثیر من الأمراض، وسببه فيروس يسمى "فيروس نقص المناعة البشري" فهو يدخل إلى الجسم ويعطله ما يؤدي إلى إصابات مميتة، وبعض أنواع مرض السرطان وهو، والسبب الرئيسي لانتقال فيروس الإيدز هو الاتصال الجنسي بكافة أشكاله مع الشخص المصابة سواء كان ذكراً أم أنثى (حوالى تسعين بالمائة من الإصابات)، ويبدأ هذا المرض بارتفاع في درجة الحرارة، وانتفاخ الغدد الليمفاوية، وطفح جلدي خلال ثلاثة أسابيع من بداية الالتهاب، ويعاني المريض من نقص في الوزن، بسبب الإسهال والعرق الليلي وبعض في كرات الدم البيضاء، ونقص في الخلايا المساعدة، وإصابة المخ وفقدان الذاكرة^(٨٨٥).

المطلب السادس: علمنة أفكار المرأة

كانت العلمانية في العالم الإسلامي أفكاراً مطروحة على الساحة الثقافية، ثم تحولت مع مرور الأيام إلى واقع يسيطر على حياة المجتمعات الإسلامية، وأصبح الإسلام في نظر كثير من المسلمين عبارة عن علاقة روحية محصورة فقط في المسجد، بعد أن كان الإسلام هو المنبع الأصلي والمصدر الوحيد لكافة جوانب الحياة للMuslimين، فلم يكن للمسلم اتجاه سياسي مخالف للإسلام، ولم يكن له أدب إلا الأدب الإسلامي، ولا أعياد إلا الأعياد الإسلامية ولم يكن ينظر إلى العالم الخارجي إلا بمنظار الإسلام، ويتعامل مع المخالفين وفق عقيدة الولاء والبراء، وأما الآن فقد حصل تحول شبه كلي فيما يتعلق بموقع الإسلام من الحياة، بسبب سطوة العلمانية، وسيطرتها على حياة المسلمين (نساء ورجالاً) في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

ففي الحكم محيت الشريعة الإسلامية، وحضرت في جانب من الأحوال الشخصية أما ما سوى ذلك من أحكام فاصطبغت بالصبغة العلمانية البحتة واستوردت لها القوانين الوضعية من الغرب الكافر، وحتى الأحوال الشخصية لم تسلم من تدخلات العلمانيين. وفي الجانب الاقتصادي نهج المسلم منهجه الغرب، فاستحل الriba والمعاملات المحرمة، بل أصبح النظام المصرفي قائماً على تلك المعاملات ومرتهناً بها. وأما في الجانب التعليمي والثقافي، فقد انتشرت النظريات والفلسفات المخالفة للإسلام، ودُرّست في جامعات المسلمين ومدارسهم، وهُمّش التعليم الإسلامي، وانتشرت الكتب والروايات التي تعن في الدين وتسيء إلى أحكامه وشرائعه. والفن تحول إلى أداة علمنة تمارس على المجتمع في كل الأوقات، واستخدم الفن لإعادة صياغة مفاهيم المجتمع وفق النظرة العلمانية، فرسخت عادات كانت قبيحة بنظر المجتمع المسلم، كخروج الفتاة بصحبة شاب مثلاً، وأثيرت الشبهات والاستهزاءات ضد

(٨٨٥) انظر: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، ص ٤٥٧

الأحكام الشرعية الثابتة، لقد أصبح الفن معول هدم لكثير من القيم والعادات والأداب والإسلامية.

وفي الجانب الاجتماعي، تم التركيز على قضايا المرأة المسلمة كما بينت الباحثة فيما سبق، حيث رفع لواء تحرير المرأة، وألفت الكتب، وسخرت وسائل الإعلام في سبيل ذلك، بهدف إخراج المرأة عن هدي ربها وتعاليم دينها، وبذلك تم علمنة أفكارها وأخلاقها. والواقع خير شاهد على ذلك، فما ألم إليه حال المرأة المسلمة من تبرج وسفور وخروج من البيت، وتذكر لرسالتها الفطرية، جعلها كالسلعة تتمهن باسم الفن والموضة والأناقة، وبذلك فقدت دورها الأساسي في الحياة، وأصبحت تمارس حياتها بعيدة عن الالتزام بفرائض الدين وآدابه، متشبعة بأفكار العلمانيين، حتى أصبحت هي التي تنادي بالعلمانية وتدعوا لها، وتجahد لتطبيقها في مجتمعاتها الإسلامية، ظانة بذلك أنها تعمل من أجل الوطن، وتتغاضل من أجل نيل حقوقها، وأنها تسلك المסלك الصحيح، وأخذت تعادي أختها المسلمة الملزمة بتعاليم دينها، الراضة لتبني الغرب، فنراها في المؤتمرات والندوات وورشات العمل الأحكام الشرعية وعلى دعاء استئناف الحياة الإسلامية تطالب بحقوقها المزعومة، وتتهجم على الإسلام، وتصف المرأة المسلمة الملزمة بحجابها والمحافظة على حياتها بالتخلف والرجعية، وتطاول على قانون الأحوال الشخصية المستمد من الشريعة الإسلامية.

ولقد رأت الباحثة بأم عينها وسمعت بأذنها هؤلاء العلمانيات، حيث التقت معهن في وقت قريب في ورشة عمل لمشروع قانون الأحوال الشخصية في السادس عشر من أغسطس سنة ٢٠٠٥م، (أقامتها كل من مجلس الوزراء. ديوان الفتوى والتشريع) والمجلس الأعلى للقضاء الشرعي، ديوان قاضي القضاة) وكانت لمناقشة مواد القانون، حضرها عدد من المؤسسات والجمعيات، وجمع من الرجال والنساء، ومن بين المؤسسات النسائية، طاقم شئون المرأة، وزارة شئون المرأة، واتحاد المرأة، وجمعية الشابات المسلمات، دائرة العمل النسائي التابعة للمجمع الإسلامي ومجموعة من العلماء والفقهاء والقضاة الشرعيين ومنهم د. أحمد أبو حلبي، والمفتى إحسان عاشور، وأمام الحضور تقف إحدى النساء تعرض على البعض ببنود هذا القانون تزيد إلغاء المهر، وأخرى ت تعرض على حكم شرعي بقولها: المفروض أن يكون كذا، معتبرة على ما جاء في الكتاب والسنة، وثالثة احتجت على من عارض إحدى مواد القانون، التي تبيح للبنات أن تزوج نفسها بدون ولد، واستشهد بأدلة تؤكد أن لا نكاح إلا بولي فقالت: لا أدرى كيف لا تقدرون على تصور أن المرأة ممكن أن تزوج نفسها، فأنا أتخيل أن المرأة ولية نفسها وقدرة على ذلك، ثم قالت: وهذا قانون عصري، فرددت عليها إحدى الأخوات المسلمات بأنّ هذه قوانين شرعية غير قائمة على التخيلات، وأنه

لا يوجد قانون عصري وقانون قديم، هو قانون واحد شرعى رباني" والنماذج كثيرة من هؤلاء العلمانيات الالاتي تشبّثن بأفكار خاطئة، ووضعن أنفسهن في محاضن الشهوات والفتنة ومن هذه النماذج:

أولاً: نوال السعداوي^(٨٨٦).

ولدت نوال السعداوي بقرية (كفر طلخا) إحدى قرى صعيد مصر، عام ١٩٣٠ م ودرست الطب في جامعة القاهرة، ثم حصلت على الماجستير من جامعة "كولومبيا" في الولايات المتحدة، وبعد عودتها عملت مستشفى القصر العيني كطبيبة نفسية ثم عينت مديرية الصحة العامة في مصر. تصف نفسها بـ(التقدمية)، طلقت من ستة أزواج^(٨٨٧). وفي سنة ١٩٧٢ نشرت نوال السعداوي كتابها (المرأة والجنس) وهو كتاب يعُج بالشذوذ، والخروج الصريح على طبيعة العلاقة الشرعية المنضبطة بين الرجل والمرأة، ويهزأ من الشرف، وعذرية الفتيات، طرحت على إثره من وظيفتها في وزارة الصحة، وتركت عملها كمحررة في مجلة الصحة ومساعدة السكرتير العام لنقابة الأطباء.

في العام ١٩٧٣ م بدأت مرحلة جديدة في حياتها أكثر تخطيطاً والتتصاقاً بالمنظمات المشبوهة، وعملت أثناءها باحثة في كلية الطب، بجامعة عين شمس حتى عام ١٩٧٦ م، قامت خلالها بعمل دراسة عن المشاكل النفسية التي تعاني منها المرأة، لم يختلف فيها الطرح كثيراً عما قالته في كتابها "المرأة والجنس"^(٨٨٨). أعلنت تمردتها على الشريعة الإسلامية ورفضها للقيم والأداب الإسلامية المتعلقة بالمرأة فنادت بأعلى صوتها "أنا ضد المهر، لأنه يجعل الزواج مبنياً على النفعية والبيع والشراء. إن المرأة عندنا معروضة إما في سوق الزواج أو في سوق الإعلانات والبضائع"^(٨٨٩). ومن أقوالها أيضاً "أنا ضد تعدد الزوجات، أنا مع المرأة المتحررة، الزواج بغاء مقنع، إذا كان الله قال من أربعة عشر قرناً مضت، فالأوضاع قد تغيرت، الحجاب مفهوم عبودي أرفضه"^(٨٩٠). وتعترض على جعل الطلاق في يد الرجل، وتتباكى على المرأة التي ليس لها حرية الطلاق، أو حرية الزواج كالرجل"^(٨٩١).

(٨٨٦) انظر: حجاب المسلمة بين انتقال المبطلين وتأويل الجاهلين، ص ٥٠٧-٥١٩، وانظر: السيرة الذاتية لنوال السعداوي www.Egypty.com ٢٠٠٥ /يناير/ ١٠.

(٨٨٧) المصدر السابق.

(٨٨٨) السيرة الذاتية لنوال السعداوي www.Egypty.com

(٨٨٩) حجاب المسلمة، ص ٥١٢.

(٨٩٠) السيرة الذاتية لنوال سعداوي ejypty.com

(٨٩١) حجاب المسلمة، ص ٥١٢.

هذه الصيحات وغيرها الكثير، جعلها جديرة بالعمل مستشاراً للأمم المتحدة في أفريقيا والشرق الأوسط من عام ١٩٧٩م حتى ١٩٨٠م. وفي عام ١٩٨٠م اعتقلت نوال السعداوي لفترة قصيرة، استمرت هذه الفترة فيما بعد كأب الشيوخ عيين والعلمانيين في الترويج لنفسها والتسويق على أنه من حملة أولية الحقوق والحرريات، والدفاع عن المرأة، فأسست منظمة اسمها (منظمة المرأة العربية الجديدة).

وفي عام ١٩٩٩، (في ذكرى مرور مائة عام على صدور كتاب (تحرير المرأة) شاركت في مظاهرة نسوية نظمها المجلس الأعلى للثقافة في القاهرة، سبقت إخراج مشروع قانون الأحوال الشخصية، وفي ذكرى الاحتفال بمرور مائة عام على صدور كتاب قاسم أمين "تحرير المرأة" حيث طالبت نوال سعداوي مع غيرها بالمساواة بين الرجل والمرأة في الميراث، وبحق المرأة المطلقة في الحرية بجسدها، وفي كسر أي قيود للرجل عليها، والتخلص مما أسموه القيود الدينية التي تعيق المرأة عن التقدم^(٨٩٢).

وفي مقابلة لها مع إحدى الصحفيات الفرنسيات هاجمت قانون الأحوال الشخصية فقالت: "إن قانون الأحوال الشخصية المصري رغم بعض الإصلاحات، يعطى صلاحيات كثيرة للرجل، فهو يستطيع تطليق زوجته، والزواج من أربع، ونحن من جهتنا نناضل من أجل إصلاح هذا القانون"^(٨٩٣).

وفي إحدى حواراتها تناولت الحجاب بصورة مليئة بالافتراءات والتهجم، وادعى أنه لا علاقة للحجاب بالإسلام، وأنه عادة عبودية انعكست في اليهودية والمسيحية وقالت: "أرفض الحجاب، لأن التغطية والتعرى معناهما أن المرأة جسد.. فلأنه عندما أعطي نفسي فمعنى هذا أنني فتنة، وسوف أفقن الرجل إذا تعرى. وهذا خطأ، فأنا عقل، وليس جسداً مثيراً للشهوة"^(٨٩٤).

ولنوار سعداوي أقوال كثيرة تتمرد فيها على الإسلام وأحكامه وتستهزئ بها على المقدسات الإسلامية، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على شخصيتها المريضة وفكرها الذي تطبع من المناهج الكفرية الإلحادية التي تقوم على الإباحية المستمدّة من فلسفات ماركس وسارتر وفرويد، مما جعلها تجرأ على خلقها، وتعتبر على تشريعات وتقول: "إنها لا تصلح لهذا العصر"^(٨٩٥).

(٨٩٢) السيرة الذاتية لنوار سعداوي ejypty. com

(٨٩٣) حجاب المسلمة، ص ٥١٢

(٨٩٤) نفس المصدر، ص ٥١٤

(٨٩٥) انظر: نفس المصدر، ص ٥١٦/٥١٧

ثانياً: وفاء سلطان:

والتي تشارك نوال السعداوي في فكرها العلماني الملحد، وفي انتقادها للدين الإسلامي واستهزائها بالعلماء الأجلاء، وهي من أصل سوري لكنها هاجرت إلى أمريكا، لكي تعيش في مدينة وفاء سلطان الفاضلة كما قالت، حصلت على شهادة الدكتوراه في علم النفس، وهي متحاملة على الإسلام، ترفضه فكريًا، وتزعم أن الفكر الإسلامي هو سبب البلاء، وهو مشتبه الإرهابيين، حيث يلقن الناشئة الآيات التي تحض على القتل، وتهجم على المسلمين وقيمهم وحضارتهم، حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسلم من بذاءة لسانها، فتقول بكل حقد: "منذ نعومة أظفار المسلم وهو يدرك الحقيقة التاريخية التي تقول: تزوج النبي محمد وهو في الرابعة والخمسين من الطفولة عائشة، وهي في التاسعة، تلك حقيقة لا يختلف عليها مسلمان، ولكن لم يسمح مسلم واحد في تاريخ الإسلام لنفسه أن يرتفق بمستوى وعيه ويسأل: هل يليق هذا الأمر ببني الله؟!"⁽⁸⁹⁶⁾ ووفاء سلطان امرأة لا دينية، فهي تعترف بلسانها أنها لا تدين بدين فتقول: "أنا لا أدين بال المسيحية ولا بأي دين وعندما أقرر أن أتبني ديناً أقولها علناً، وبلا وجل أو خوف، ستكون المسيحية على قمة جدول خياراتي... ثم تقول المسيحية كدين استهتوبي، بل سحرتي لأنها أولاً وأخيراً توافقت مع منطقى العلمي والعملى.. ثم تطعن في الإسلام وتقول:

"لقد اعتمد هذا الدين بصورةٍ عامة، لغة صحراوية قاحلة غير مهذبة جلفة، تدعو إلى العنف، وتکاد تخلو من أي معنى إنساني. والأمثلة في كتب التراث الإسلامي، بالجملة والمفرق لمن يريد أن ينهل ويستثير"⁽⁸⁹⁷⁾. فأصبح القرآن والسنة عند وفاء سلطان (تراث إسلامي)، ووظفت قلمها للسخرية من القرآن الكريم فذكرت بعض آية في سورة المائدة أي لم تذكرها من بدايتها فتقول: "عندما نتلو على طفل لم يتجاوز بعد سنواته الأولى الآية التي تقول: "أن يقتلوا أو يصلبوا أو نقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف"⁽⁸⁹⁸⁾. تكون قد خطوت الخطوة الأولى في صناعة إرهابي كبير" ثم تتتابع وتقول "أنا كطبيب علمها بعلم النفس والسلوك أؤمن بأن أي رجل، مسلم في العالم عاجز أن يشوه هذه الآية أكثر مما هي مشوهة، هي نفسها التي ساهمت في تشويه هذا الرجل"⁽⁸⁹⁹⁾ وعند قراءة هذه الآية من بدايتها يفهم القارئ مقصدها وما تتضمنه من أحكام، فهي لا تدعو إلى الإرهاب بل تردع الإرهابيين الذين يحاربون الله ورسوله ويفسدون في الأرض.

(896) موقع الناقد وهو ينقل أقوال وفاء سلطان كما هي www.Annaqed.com

(897) نفس المصدر السابقة، وانظر: موقع وفاء سلطان elsultani@hotmail.Com

(898) سورة المائدة، الآية (٣٣)

(899) موقع الناقد

وتحتج وفاء سلطان على الأذان الذي شُرع لإعلام الناس وتجمعهم لأداء الصلاة فتقول "سبعون ألف مئذنة في مدينة القاهرة لوحدها، تبدأ هذه المآذن في رفع الأذان خمس مرات في اليوم، وكل على حده يغنى على ليلاه!!.. ثم قالت: "لم تعد تلك المدينة المزدحمة تعاني من تلوث البيئة بالسموم والدخان، بل غدت أشد تلوثاً من الضجيج والصراخ... ثم تابعت باستهزاء هل يحتاج الله إلى كل هذا الزعيق كي يسمع ويصدق أننا نعبده أليست قدرته على سماع دبيب النمل كافية لقراءة صحتها؟" (٩٠٠).

إن وفاء سلطان أثبتت رديتها عن الإسلام، وأنها أمريكية أكثر من الأمريكيين، ولقد تم إعدادها للهجوم على المسلمين والعرب بطريقة علمية لتكون خادمة لأهدافهم الصليبية التدميري، ومن أراد أن يقرأ المزيد من أقوالها وافتراضاتها على الإسلام والمسلمين، فليرجع إلى موقع الناقد أو موقعها الرئيس فسيجد ما تشعر له الأذان، وسيعجب من تلك المرأة المرتدة التي تجرأت على الله سبحانه وتعالى وكتابه الكريم ورسوله صلى الله عليه وسلم.

المطلب السادس: عولمة الحياة الاجتماعية

قبل الخوض بالحديث عن عولمة الحياة الاجتماعية، وأثر العولمة على الحياة الاجتماعية لا بد من الوقوف على تعريف العولمة، حيث كثرت التعريفات اللغوية والاصطلاحية للعولمة، ولكن لضيق المجال هنا، ستكفي الباحثة بذكر هذين التعريفين:

التعريف الأول: للدكتور فؤاد بين عبد الكريم: عرف العولمة تعريفاً أولياً شاملأً لجميع جوانبها المختلفة فقال: "إن العولمة هي التداخل الواضح في أمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك، دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة، أو انتماء إلى وطن محدود، أو لدولة معينة، ودون حاجة إلى إجراءات حكومية" (٩٠١).

التعريف الثاني: للدكتور صالح الرقب، حيث عرف العولمة بعد دراسة متأنية لها وأهدافها ووسائلها وتأثيراتها فقال: "العولمة هي الحالة التي تتم فيها عملية تغيير الأنماط والنظم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، ومجموعة القيم والعادات السائدة، وإزالة الفوارق الدينية والقومية والوطنية، في إطار توسيع النظم الرأسمالي الحديث وفق الرؤية الأمريكية المهيمنة، والتي ترجمت أنها سيدة الكون، وحامية النظام العالمي الجديد" (٩٠٢). فالعولمة إذن هجنة غربية

(٩٠٠) نفس المصدر السابق.

(٩٠١) قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، ص ١١٥، عن ظاهرة العولمة: الأوهام والحقائق محمد محمد مسعد، ص ٤٧-٤٨.

(٩٠٢) العولمة نشأتها- أهدافها- وسائلها، د. صالح الرقب، مكتبة الأمل التجارية، غزة، ط ١، ٤٢١-٤١٥ هـ ٢٠٠٠ م، ص ٨

أمريكية انتقلوا فيها من التخطيط والإعداد للغزو الفكري للعالم الإسلامي إلى التنفيذ، مستدين إلى غطرسة قوتهم، وضعف العالم الإسلامي.

وتأتي الأسرة وقضايا المرأة ذات الأولوية من الهجمة الغربية الأمريكية الجديدة المتمثلة في العولمة خاصة بعد أن حققوا ما أرادوه بالنسبة للعالم فيما يتصل بالسياسة بسيطرتهم على النظم الحاكمة، وفرض ما يريدونه عليها، حيث شعر الغرب أن هذه النظم الحاكمة قدمت ولاءها وعبيديتها له، لكن الناس في العالم الإسلامي تصوغهم القيم الإسلامية، وولاؤهم لا يكون إلا الله.

ومن هنا كان اقتحام عالم الأسرة التي تمثل أساس الاجتماع الإسلامي^(٩٠٣). والنظام العالمي الجديد في حربه ضد الإسلام والمسلمين ينطلق من (العولمة) كسبيل للسيطرة والهيمنة على العالم، وإجهاض أية محاولة لاستئناف الحياة الإسلامية التي تعيد للمسلمين عزتهم وقوتهم العسكرية والاقتصادية، وتعمل على توحيدهم^(٩٠٤). وبشكل عام فإن الغرب وأمريكا خاصة يتبنى سياسة تفكك المجتمعات الإسلامية ولقد لجأ في ذلك إلى وسائل شيطانية، هدفها الأساسي تفكك الأسرة المسلمة، حتى تصبح مجتمعاتنا مفككة أخلاقياً واجتماعياً، وتنتقل إليها عدوى الأمراض الاجتماعية التي فتك بالأسرة الغربية، فأصبحت حضارتهم على حافة الهاوية، وفي طريقها إلى الزوال^(٩٠٥) ولتنفيذ مخططاتهم في هدم الأسر من خلال المرأة ساروا في عدة مسارات في آن واحد وهي:

أ- التمويل الأمريكي والأوربي للجمعيات والمنظمات الأهلية النسائية العلمانية، مكررة، والمؤتمرات العالمية، والتعليم للمرأة من أجل تنفيذ مخططات إخراج المرأة المسلمة من الأخلاق الإسلامية، وتمردتها على أحكام الشريعة الربانية.

ب- الاتفاقيات الدولية الخاصة بحماية حقوق الإنسان، وإزالة آثار كافة التمييز ضد المرأة، والإزام الدول الإسلامية بالتوقيع عليها، مقابل إعفائها من بعض الديون المترتبة عليها، وقد تم تضليل الرأي العام بهذه الاتفاقيات وإيهام المرأة أن هذه الاتفاقيات ستحررها من الجور والظلم، وأن الأمم المتحدة ستحررها من أسطورة مجتمعها، مثل اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، وهي تتضمن ثلاثين مادة

(٩٠٣) انظر: مشاريع هدم الأسرة المسلمة من التخطيط إلى التنفيذ، د. كمال حبيب، صيد الفوائد.

(٩٠٤) انظر: العولمة وآثارها على العالم الإسلامي بقلم، خالد الغزاوي، القدس مجلة الإسراء، دار الفتوى والبحوث الإسلامية

(القدس)، رمضان - شوال ١٤٢٢هـ، العدد ٣٨، ص ٥٩

(٩٠٥) انظر: هدم العولمة للأسرة

من ستة أجزاء، وجاءت هذه الاتفاقية لأول مرة بصيغة ملزمة قانونياً للدول التي تواافق عليها^(٩٠٦).

ج- المؤتمرات النسائية: وخاصة التي تبني قرارات الهدف منها هدم المجتمعات البشرية، وخاصة المجتمعات الإسلامية، وبمراجعة البحث التي أقيمت في المؤتمرات النسائية التي عقدت في بعض البلاد الإسلامية يتبيّن أنها جمِيعاً تريد إخراج المرأة المسلمة من النظام الاجتماعي الإسلامي الذي ينظر إلى المرأة من خلال فطرتها واستعداداتها وكرامتها^(٩٠٧). وفي الجانب الاجتماعي تسعى العولمة إلى تعميم السياسات المتعلقة بالطفل والمرأة والأسرة وكفالة حقوقهم في الظاهر، إلا أن الحقيقة هي إفساد المرأة والمتاجرة بها، واستغلالها في الإثارة والإشباع الجنسي، ومن ثم إشاعة الفاحشة في المجتمع، وبالمقابل تعميم فكرة تحديد النسل وتعقيم النساء، وتأمين هذه السياسات وتقنيتها بواسطة المؤتمرات التي بدأت تهتم بقضايا المرأة على المستوى العالمي مثل (مؤتمر حقوق الطفل) و(مؤتمر المرأة في بكين) و(مؤتمر السكان والتنمية) في القاهرة، وما تخرج به هذه المؤتمرات من قرارات ووصيات واتفاقيات تأخذ صفة العالمية ومن ثم الالتزام في التنفيذ والتطبيق، وعقدت مؤتمرات قمة للمرأة على مستوى قربانات رؤساء وملوك الدول العربية وقد أقيمت قمة الأولى في القاهرة بمصر، والثانية في عمان بالأردن، وقد انبثق عنها عدة مؤتمرات إقليمية، ناقش كل منها موضوعاً خاصاً كالمرأة والإعلام، والمرأة والتعليم، والمرأة والتنمية^(٩٠٨).

د- إنشاء مؤسسات خاصة بشؤون المرأة على أعلى مستوى مثل. المجلس القومي للمرأة بمصر، والمجلس الأعلى لشؤون المرأة في بعض دول الخليج كالبحرين وقطر.

ـ الترويج لما يسمى (حقوق المرأة)، حيث أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكتف بالتدخل العسكري والسياسي والاقتصادي للمنطقة العربية (أفغانستان) إنما تدخلت أيضاً بال المجال الاجتماعي متطلباً بالمرأة وقضائها فاستغلت ما أسمته (حرب الإرهاب) للترويج لحقوق المرأة، وأخذت تبشر دول المنطقة وشعوبها بالديمقراطية الأمريكية، والتي تقوم بجانبها الاجتماعي على المساواة بين الجنسين، والتحرر

(٩٠٦) انظر: العولمة، د. صالح الرقب، ص ٦٤/٦٥، وانظر: المرأة المسلمة بين مopotas التغيير وموجات التغير، د. فؤاد بن عبد الكريم آل عبد الكريم، ط ١، مجلة البيان ٤٢٥ هـ ٢٠٠٤، الرياض، ص ١٠

(٩٠٧) انظر: العولمة، د. صالح الرقب، ص ٦٤-٦٥، وانظر: المرأة المسلمة بين مopotas التغيير وموجات التغير، د. فؤاد بن عبد الكريم آل عبد الكريم، ط ١، مجلة البيان ٤٢٥ هـ ٢٠٠٤، الرياض، ص ١٠

(٩٠٨) انظر: المرأة المسلمة بين مopotas التغيير وموجات التغير، ص ٩-١١، وانظر: تحديات النظام العالمي الجديد، د. عماد الدين خليل، موقع الإسلام على الطريق www.islamoeb.com

الجنسى والشذوذ الجنسى وإباحة الإجهاض. وقد أعربت الولايات المتحدة عن التزامها بالترويج لحقوق المرأة في جميع أنحاء العالم، حيث أنشأت مكتب (كبير منسقي قضايا المرأة الدولية) والذي يرأسه وزير الخارجية السابق كولن باول، يجتهد هذا المكتب في إعلام الناس في الولايات المتحدة وفي الخارج بالحاجة الملحة إلى الاعتراف بحقوق المرأة وتحررها من الرجل. وقد كانت هناك تصريحات أمريكية وما زالت إلى هذا اليوم تنادي بوجوب حصول المرأة المسلمة على حقوقها بالمفهوم الغربي المخالف للإسلام، وهذه التصريحات على مستوى الرئاسة الأمريكية بدءاً من بوش ومروراً بوزير خارجيته، وكبار المسؤولين في الحكومة الأمريكية^(٩٠٩).

ومن هذه التصريحات:

- ١ - ما جاء في خطاب الرئيس بوش - الابن - في ٢٩ يناير عام ٢٠٠٢ م "ومن الآن فصاعداً يحق للعالم: تناول الخمر والتدخين، وممارسة الجنس السوى، أو الشذوذ الجنسى، بما في ذلك سفاح القربي واللواط، والخيانة الزوجية، والسلب، والقتل، وقيادة السيارات بسرعة جنونية، ومشاهدة الأفلام والأشرطة الخلاعية داخل فنادقهم أ، غرف نومهم"^(٩١٠).
- ٢ - ما جاء في خطاب (رتشارد وول) العضو الشعبي في الوفد الأمريكي إلى لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان الذي ألقاه في الدورة السنوية التاسعة والخمسين لجنة حقوق الإنسان حول موضوع "الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية" بجنيف في ٧/٤/٢٠٠٣ م قال فيه: "إن الولايات المتحدة ملتزمة بتوفير الأوضاع الملائمة للأفراد لتحقيق الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الداخل والخارج، إن نسبة مؤوية كبيرة من المساعدات الخارجية الأمريكية تستهدف استراتيجيات التنمية الخاصة بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية" وقال "فقد طلب الرئيس للسنة المالية التي تبدأ في تشرين أول أكتوبر ما يزيد على ألفي مليون دولار لبرامج المساعدات الجديدة"^(٩١١).

وقد اتضحت مما سبق أن العالم الغربي يريد أن يفرض عولمة الحياة الاجتماعية، وفق منظومة القيم الغربية، مستظهاً دعاوى حقوق الإنسان وحماية الأسرة، حيث أن العالم الغربي لم يعد يرى أن ترتيب قواعد الاجتماع البشري مسألة داخلية تخص أبناء دين

(٩٠٩) انظر: المرأة المسلمة بين م ospas التغيير ومو جات التحرير، ص ١١-١٤

(٩١٠) العولمة، د. صالح الرقب، ص ٦٤

(٩١١) انظر: المرأة المسلمة بين م ospas التغيير ومو جات التحرير، ص ١٩-٢٠

أو مجتمع بعينه، وإنما هي مسألة كونية عالمية، تفرض القيم العربية، و تستدعي حمايتها ولو بالتدخل الذي يحمل صفة إنسانية^(٩١٢).

ومن هنا لا بد من بيان خطر العولمة وأثرها على حياة الأسرة والمرأة بالذات (خطر العولمة وأثرها على الحياة الاجتماعية):

إن العولمة في الجانب الاجتماعي، تركز على حرية الإنسان الفردية إلى أن تصل إلى المدى الذي يتحرر فيه من الشرائع الدينية والأخلاق والقيم والأعراف، والوصول به إلى مرحلة العدمية، وفي النهاية يصبح الإنسان أسيراً بكل ما يعرض عليه من الشركات العالمية الكبرى التي تستغله أسوأ استغلال، وتلاحمه بما تنتجه وتروج له من سلع استهلاكية، فتجد سرعة التطور التكنولوجي واستمراره، كي يشمل جميع حاجيات الإنسان، ولهذا سيلجأ الناس إلى التخلص من السلع القديمة التي يملكونها كلما ظهرت سلعة جديدة^(٩١٣).

أما عن أثر العولمة على الحياة الاجتماعية فتظهر في أمور منها:

١ - تكريس النزعة الأنانية لدى الفرد، وتعزيز مفهوم الحرية الشخصية في العلاقة الاجتماعية وفي علاقة الرجل والمرأة، مما يؤدي إلى التناهيل مع الميول والرغبات الجنسية، والت冷漠 على النظم والأحكام الشرعية التي تنظم وتضبط علاقة الرجل بالمرأة وهذا يزيد من انتشار الإباحية والرذائل والتحلل الخلقي، وخدش الحياة والكرامة والفطرة الإنسانية.

٢ - إهمال العلاقات الاجتماعية القائمة على التعاطف والتكافل والاهتمام بمصالح وحقوق الآخرين ومشاعرهم.

٣ - تشكيل عالماً يجعل من الشح والبخل فضيلة، ويُشجع على الجشع والانتهازية والوصول إلى الأهداف بأي وسيلة دون التطلع إلى القيم الشريفة السائدة في المجتمع.

٤ - إباحة العولمة للشذوذ الجنسي والعلاقات الجنسية الآثمة بين الرجل والمرأة، وبين الرجل والرجل، وبين المرأة والمرأة ويظهر ذلك عند مراجعة وثيقة الأمم المتحدة عن السكان والتنمية الذي عقد في القاهرة (سبق الحديث عنه في مبحث المؤتمرات).

٥ - زيادة معدلات نسبة الجريمة، ليس في الدول النامية وحدها، بل في كل الدول الأوروبية الغنية^(٩١٤).

(٩١٢) مشاريع هدم الأسرة المسلمة، د. كمال حبيب، صيد الفوائد.

(٩١٣) انظر: العولمة، د. صالح الرقب، ص ٦٤-٦٥، مخاطر العولمة على المجتمعات العربية أ.د. مصطفى رجب، مجلة البيان، م ٢٠٠١

(٩١٤) العولمة، د. صالح الرقب من، ص ٦٤-٧٠ (بتصرف)

٦- زيادة معدلات الفقر والبطالة، والظلم الاجتماعي الذي يصيب الأسر الفقيرة نتيجة تقليص الدول للدعم الاجتماعي، حيث أن العولمة تؤدي إلى تشغيل خمس المجتمع، والاستغناء عن الأربع أخماس الآخرين، نتيجة التقنيات الحديثة المرتبطة بالكمبيوتر والتكنولوجيا الحديثة، والاكتفاء بخمس قوّة العمل لإنتاج جميع السلع، وسيدفع بباقي أفراد المجتمع إلى الفقر والجوع والبطالة، ومن ثم إلى الجريمة أو القلق النفسي.

٧- أسممت قوى العولمة رغم إتاحتها لفرص كثيرة لتنقّع بها بعض الدول وبعض الشعوب على إضعاف المؤسسات التي تقدم الدعم الاجتماعي للفقراء.

٨- تفكك الحياة الاجتماعية، وإفساد المرأة والمتاجرة بها، واستغلالها لإشاعة الفاحشة في المجتمعات^(٩١٥).

٩- من آثار العولمة اختفاء الرقابة الوطنية على الثقافة الوافدة، حيث كانت كثير من المؤثرات الخارجية والأفلام والمجلات تخضع لرقابة في أكثر من مرحلة، وأصبحت الأسرة المسلمة تجد مشقة كبيرة في إبعاد الأبناء عن هذه المؤتمرات، ويبذلون جهداً مضاعفاً لأجل غرس الرقابة الداخلية، وذلك لاختفاء الرقابة الخارجية، فوسائل العولمة الحديثة غالباً معين على الوقع في الفساد والمعاصي، فكثير من أبناء المسلمين يتعرضون يومياً ل什راط المثيرات الجنسية والمفاسد الاجتماعية في مقابل ضعف التربية. ونجد كثيراً من الأبناء ينحرفون أخلاقياً وفكرياً وتربوياً، ويقل الانحراف إذا بذل الوالدان جهداً كبيراً في المحافظة على أبنائهم، والأسرة المهددة بالعولمة هي التي يكون فيها الأب غافلاً عنها، والأم مشغولة، أي اختفت فيها الرقابة الداخلية والخارجية.

وهكذا يلاحظ أن العولمة غزو ثقافي وفكري واجتماعي، بل هي طغيان ثقافي، يهدف إلى ضرب الثقافة الإسلامية من الداخل، وطمس هوية الأمة والسيطرة عليها، ومن ثم العولمة تعمل على جعل العالم قرية صغيرة، يتحرر فيها الناس والأعراف، وتتبدل فيها القيم والأخلاق التي تحكم سلوك الناس، فيكسر الحياة في النفوس، وتترزع مقومات استقرار الأسرة المسلمة، ويفسد الذوق العام، ويلغي دور الوالدين في التربية، وتتصبح الوسائل التقنية الحديثة بديلاً تربوياً فاسداً يحل محل الوالدين.

(٩١٥) انظر: العولمة، د. صالح الرقب، ص ٧١

المبحث الثاني

طرق ووسائل مواجهة الغزو الفكري على المرأة المسلمة

بعد استعراض كل ما سبق من أساليب ووسائل للغزو الفكري للمرأة المسلمة، اتضح من خلال العرض مدى خطورة هذا الغزو على الحياة الاجتماعية، فدمر الأسرة، وهدم القيم والأخلاق الإسلامية.

لذا ينبغي أن تتبه المرأة المسلمة، ويتيقظ ضميرها، وتستشعر بالمسؤولية الملقاة عليها نحو مقاومة هذا التيار الذي يريد إفساد نساء المسلمين.

من هذا المنطلق كان لا بد من إعداد العدة من قبل المسلمين نساءً ورجالاً لمواجهة ومقاومة هذا الغزو الذي فتك بالمجتمعات الإسلامية بأساليبه وطرقه الخبيثة، بوسائل وأساليب ناجحة لصد الهجوم على المرأة المسلمة، وتصحيح فكرها الذي تشوش بفعل دعاة الغزو الفكري.

لذا تقترح الباحثة عدة طرق ووسائل وبرامج لمقاومة هذا الغزو وهي:

المطلب الأول: دور التربية والمنزل:

فالمنزل هو أول مؤسسات التطبيع الاجتماعي وتكون الشخصية المسلمة المتميزة فيلزم تربية المرأة وتوجيهها على أن البيت والأسرة بمثابة الخندق الأول والأخير لصيانة شخصيتها، وممارسة مهامها ومسؤولياتها، وإعداد أجيال ملتزمة وسوية ومتزنة. والبيت المسلم يمكنه القيام بأدوار مهمة جداً ولكن بشرط الالتزام بالآتي:

- ١ - أن يفهم كل من في المنزل الإسلام فهماً عميقاً، خالياً من البدع، مدركاً لأهدافه ومراميه.
- ٢ - أن يكون كل فرد فيه قدوة للطفل في الكلمة والسلوك، والمعاملة والعبادة، والمظهر والجوهر، والسر والعلن.
- ٣ - أن يشيع فيه جو الروحانية الصافية التي يظهر فيها الارتباط الوثيق با الله، في أوضاع صوره وأقوى مظاهره، كالحرص على الصلاة جماعة، والمشاركة في توزيع الزكاة، واحترام القيم الدينية، والتمسك بالفضيلة والأمانة، والصدق والإخلاص.

٤- أن تُقدَّم المعلومة الدينية بالأسلوب المناسب لإدراك الأطفال، الملائم لمستوى نموهم، فيفسر لهم القرآن الكريم بصورة واضحة، وتشرح لهم سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وسيرة الصحابة والتابعين، ويتم التركيز على قصص الصحابيات ونماذج لنساء مسلمات للفتيات بصورة تثير اهتمامهن، وتحرك مشاعرها. ويكون ذلك عن طريق جلسة إيمانية أسرية، مرتين أو ثلاث في الأسبوع. وأن تكون الدعوة في المنزل قائمة على الموعظة الحسنة، والكلمة الطيبة، والقوة الصالحة.

٥- أن تكون الأخلاق فيه إسلامية أصلية دون تقليد أو ادعاء، أو رياء، أو تمثيل ويكون التعامل فيه على أساس المحبة والمودة والطف.

وبهذا يمكن للبيت القيام بدوره التربوي الصحيح في غرس القيم، **تأصيل الوعي** وتربيـة الضمير، وتنمية الأخلاق وتوجيه السلوك، وغرس التقوى وغيرها بحيث يعتمد على هذا الفرد الذي أسس على هذه التربية، فلو تعرض لأى مؤثرات خارجية لا يتأثر بها، بل ينكرها خاصةً إذا كانت تمس دينه وعرضه. هذه الثمرة إذا كان البيت يقطأً واعياً، ومربياً مرشدأً، ومجهاً مقنعاً، ومستقرأً سوياً.

فالبيت ليس هيكلأً أو مبني، أو إنفاقاً أو طعاماً، بل علاقات إنسانية وهذه العلاقات إن لم تقم على أساس سليمة، يفقد رسالته، ويتحول إلى مكان إقامة، ومائدة طعام.

لهذا كله حرص الإسلام على الأسرة والمنزل، والأبوة والبنوة، والأمومة والقربى والأخوة والزوجية والأدلة كثيرة من القرآن والسنة والسيرة ولا متسع هنا لذكرها^(٩١٦).

المطلب الثاني: دور المؤسسات والجمعيات النسائية الإسلامية:

والمؤسسات الإسلامية والتي تشمل (المساجد والمدارس الإسلامية والجامعات الإسلامية والجمعيات الأهلية الخيرية والمراکز الإسلامية) لا بد أن يكون لها دور فعال في صد الهجوم على المرأة المسلمة، ويمكن تعزيز دورها من خلال الآتي:

أولاً: المساجد:

ويمكن استغلال المساجد للقيام بأدوار تربوية فعالة منها:

١- الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى من خلال الخطب والندوات والدروس الدينية يتم التركيز فيها على بيان خطر الغزو، وكشف أهدافه الحقيقية، والاستمرار في فضح دعاء تحرير المرأة وأساليبهم وبيان أغراضهم.

^(٩١٦) انظر: وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي، د. حسان محمد حسان، ص ١٥٦ - ١٦٠

- ٢- تعزيز الدور النسوي في المساجد لتوجيه المرأة وتعليمها وتنقيتها دينياً من خلال الندوات الأسبوعية والمسابقات الثقافية والبرامج الدعوية المعينة.

- ٣- طرح حلول لمشاكل الأسرة في المجتمع من الوجهة الشرعية، وتعليمها من قبل الخطباء والعلماء، ولجان الإصلاح والدعوة، وكل من يهمه إصلاح البيوت والأسر، وإنقاذها من الجهل المدمر لكثير من البيوت المسلمة.

- ٤- أن تقوم لجنة الأمر الوعظ والإرشاد في دائرة الأوقاف الإسلامية المسئولة عن المساجد باصدار فتاوى شرعية مسبقة لبعض الأمور التي يخشى أن تقع في المستقبل، وربط الناس بربهم، وتعليم الأسر^(٩١٧).

ثانياً: المدارس الإسلامية:

- ١- لا بد من تأسيس مدراس إسلامية خاصة للإناث، ذات كفاءة عالية تقوم على أساس التربية السليمة بحيث تخرج لنا جيلاً من الفتيات واعياً بدينه، متمسكاً بعقيدته، قادراً على مواجهة تحديات الغزو الفكري للمرأة المسلمة.

- ٢- عدم التساوي في مناهج التعليم بين الرجال والنساء، وإعداد مناهج للإناث تتناسب مع قدراتهن الجسمية والنفسية والعقلية.

- ٣- إيجاد منهاج للإناث في الثقافة الإسلامية تعتمي بجانب حقوق المرأة في الإسلام وواجباتها ومتطلباتها، وبيان ما تردد في المرأة في الشرق والغرب، والردد على ما يردده أدعية التحرر من شبهه^(٩١٨).

ثالثاً: الجامعات الإسلامية:

- ١- لا بد من تنفيذ مشروع جامعة البنات يتم برسم خطة تتناسب هذا الجنس، وتبتعد عن التخصصات التي لا تتناسب ولا تقيد المرأة، وأن توكل هذه الجامعة إلى الكفاءات المخلصة رجالاً ونساء، ومحاولة تأكيد الكادر التعليمي وذلك بإيجاد كفاءات نسائية (دينية وثقافية وعلمية وتربيوية وإدارية) من حملة الشهادات الجامعية والدراسات العليا والدكتوراه^(٩١٩).

- ٢- تفصيل دور الجامعات الإسلامية الحالية في البلاد الإسلامية (خاصة قسم الطالبات) لمنافسة الجامعات الأمريكية والعلمانية المختلطة أكاديمياً وثقافياً وتربيوياً وفكرياً،

^(٩١٧) المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٦١-٦٣ (بتصريف).

^(٩١٨) انظر: المرأة وكيد الأعداء، ص ٤٤.

^(٩١٩) انظر: نفس المصدر السابق، ص ٤٥.

بحيث يتم تخرج طالبات مسلمات متوفقات علمياً، متميزات تربوياً قياديات في مجالات التخصص المناسب، مثقفات دينياً وفكرياً وسياسياً مما يؤهلن لمواجهة الغزو الفكري ودفع المطاعن التي وردت على الإسلام عامة، وعلى المرأة المسلمة خاصة.

- ٣- القيام بأنشطة لا منهجية للطالبات الجامعيات تدعم القيم وتوجه السلوك، وترسخ المبادئ الإسلامية وتوصل الفكر، كمخيمات التقوية والأيام الدراسية، والرحلات والرحلات الإسلامية، أو بإصدار نشرات أو مجلات ثقافية، وإنشاء نوادي علمية وغيرها. ولا تنسي الباحثة أن تشيد بفضل الجامعة الإسلامية بغزة التي تميزت عن سائر الجامعات بقطاع غزة، وكانت السبّاقة في تأصيل الفكر الإسلامي، كما وتعزز الباحثة دور الجامعة الإسلامية في كل المجالات التي ذكرت سابقاً، وكيفي أنها إسلامية غير مختلطة، تحافظ على أصلة المرأة وترتقي بمستواها الأكاديمي والتربوي.

رابعاً: الجمعيات الأهلية الخيرية النسائية الإسلامية:

ودور الجمعيات النسائية لا يقل أهمية عن دور المنزل والمدرسة والجامعة، بل هي حلقة اتصال وتواصل مع الطفولة الصغيرة والطالبة والشابة والمرأة، وتوئي ثمارها إذا أخلصت عملها وفق أهداف منشودة ولا بد لأي جمعية خيرية نسائية إسلامية أن تضع لها أهداف وأنشطة وفعاليات، في جميع الجوانب المختلفة (الاجتماعية والثقافية والفكرية والتربية والتنمية الدعوية).

ومن هذه الأهداف التي يُشدّ تحقيقها من خلال الجمعيات النسائية الإسلامية:

- ١ - حشد طاقات المرأة المسلمة بنتاً وأختاً وزوجة وأماً وتنظيمها وتوجيهها.
- ٢ - المساهمة في تنمية المجتمعات الإسلامية والتحفيظ من مشاكلها ممثلاً بالمرأة والطفل.
- ٣ - الحفاظ على شخصية المرأة المسلمة وحياتها في وجه الانحراف والغزو الفكري.
- ٤ - العمل على نشر الوعي الإسلامي لدى المرأة، والدعوة للأخلاق الإسلامية الحميدة.
- ٥ - تنمية المرأة المسلمة ورعايتها من خلال فرص التدريب المتنوعة ثقافياً ومهنياً واجتماعياً وصحياً.
- ٦ - تفعيل دور المرأة المسلمة في الأسرة والمؤسسات.

- ٧- المساهمة في تربية الجيل تربية إسلامية وتعزيز انتماهه الوطني والإسلامي.
- ٨- رعاية الأطفال والعمل على تطويرهم على أساس علمية.
- ٩- الاهتمام بمراكز تحفيظ القرآن الكريم وتعليم أحكام التلاوة والتجويد.
- ١٠- توثيق العلاقة بين الجمعيات والمؤسسات والمعاهد والدراسات النسوية.
- ١١- العمل على مواساة الأسر المنكوبة ومساعدة الأسر الفقيرة والمحدودة الدخل من خلال تقديم المساعدات المادية والمعنوية وفق الإمكانيات المتاحة^(٩٢٠).
- ١٢- التعاون مع المؤسسات المحلية والإقليمية والدولية المعنية خاصة التي تتفق بالأهداف يتم من خلالها تشكيل تنظيم دولي أو اتحاد نسائي إسلامي عالمي يضم جميع المؤسسات النسائية من جميع الدول العربية والإسلامية، يقوم بعد أيام عالمية، وندوات دولية عن المرأة المسلمة، والمشاركة في المؤتمرات العالمية التي تعقدتها الأمم المتحدة، وأن تكون قوة ضاغطة على اتخاذ القرارات حتى ولو كانت من الأمم المتحدة، والعمل على إلغاء أو تجميد ما لا يتفق مع الشريعة الإسلامية، أو يخل بالقيم الاجتماعية.
- ١٣- محاولة التغلب على كل الصعوبات التي تعوق تطوير المؤسسات الإسلامية خاصة الصعوبات المادية، وعمل برامج وأنشطة ومشاريع لدعم هذه المؤسسات ومناشدة أهل البر والإحسان لدعم هذه المؤسسات القائمة على التبرعات، وبعض الأجر الرمزية التي تتقاضاها.

خامساً: المراكز الإسلامية الثقافية:

- ١- إيجاد مراكز إسلامية للدراسات النسوية، يتم فيه نشر وطباعة الدراسات التي تكتب عن المرأة، وإيجاد بعض الكتب يتحققون في الكتابة عن المرأة، ويجب تفعيل هذه الدراسات في الوسط الإسلامي.
- ٢- أن توجد هذه المراكز بدائل ثقافية وتعلمية للمرأة، واستغلال تجمع العائلات في الجلسات والمنتديات والسهورات والملتقيات، وتنظيم الدروس والمناقشات والحوارات والتفاعلات، وتوزيع كتيبات ونشرات ذات مواضيع خاصة بالمرأة أو الأسرة.
- ٣- إيجاد مراكز محو الأمية وتعليم الكبار، ومراكز لتعليم اللغة العربية الفصحى والتدريب على الكلام بها.

^(٩٢٠) مستفاد من نشرة جمعية الشابات المسلمات التعريفية، سنة ٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٤ - إنشاء نوادٍ ثقافية ترفيهية رياضية، خاصة بالمرأة والطفل بصورة دائمة ويقام فيها مكتبة للطفل والناشئة والمرأة، ومكان للتدريب على الرياضة، والسباحة، وتنظم فيه الحلقات والدروس الإسلامية والمسابقات الثقافية وتقام برامج ثقافية وأدبية وترفيهية تعمل على تنمية المواهب، وتنمية الشخصية القيادية وروح الجماعة.

٥ - إعداد برامج للتوعية بمزايا القانون الإسلامي للأحوال الشخصية لأن الثقافة هي أحد أسباب التغيير أو منعه ويمكن أن يكون ذلك بصياغة شعارات سهلة وجميلة ومؤثرة، نشيد موحٍ عبر، دراسات متخصصة^(٩٢١).

المطلب الثالث: المؤتمرات والندوات:

وهي وسيلة مهمة ولها أكبر الأثر في غرس اتجاهات صحيحة، أو تغيير اتجاهات فاسدة، فهي تتيح فرصة للمناقشة وال الحوار، لاكتشاف المعلومات وإبداء الآراء والمقترنات، وترك المناقش أو المحاور يفصح مما في داخله ويتم اكتساب معلومات جديدة بطريقة أفضل.

لذا لا بد من تدريب وإعداد بعض القيادات النسائية والداعيات المسلمات للمشاركة في الندوات والمؤتمرات تدريباً نظرياً و عملياً، باستخدام مختبرات اللغة والصوت، وطرق تحليل الآراء، وأساليب تحليل التفاعل اللفظي والحركي، وقياس التفاعلات الاجتماعية في الجماعات الصغيرة والكبيرة، وقياس قوة الإيحاء والحضور، وإدارة الحوار والمناقشة مع الجماعات الصغيرة، وأساليب تغيير الاتجاه، وتحتاج هذه المهارات إلى خبراء وعلماء للتدريب فلا بد من جهد علمي عميق وواسع، مؤثر وفعال لرفع مستوى الداعية التي تقاوم الغزو الفكري، وذلك لأن العاملات في مقاومة الغزو الفكري يختلفن عن المحدثة التقليدية أو من لديهما الموهبة والفطرة بدون تدريب ودراسة^(٩٢٢).

فالتي تعمل في مقاومة الغزو الفكري تواجه سمواً سبق نفتها، وتخاطب عقولاً سبق تدريبيها، لهذا ينبغي أن تدخل المعركة مزودة بكل سلاح، ومعدة بكل إتقان، ولا مانع من إنشاء معهد أو تهيئة مكان بالتعاون مع المؤسسات والجمعيات النسائية الإسلامية، لتدريب الداعيات وتأهيلهن حتى تتتوفر لديهن:

^(٩٢١) المؤامرة على المرأة، ص ٦١-٦٣ بتصريف. وانظر: واقع المرأة الفلسطينية في سياق التغير الاجتماعي والسياسي، نهاد الشيخ حليل ورقة عمل، في يوم دراسي بعنوان: المرأة الفلسطينية إلى أين، حزب الخالص دائرة العمل النسائي، ١٤١٧-١٩٩٧م، ص ٧-٨.

^(٩٢٢) انظر: وسائل مقاومة الغزو الفكري، ص ١٨٠-١٨١.

- ١ - القدرة على عقد المؤتمرات والندوات وإدارتها والتخطيط لها وعمل فريق أو لجنة للتحضير لهذه المؤتمرات المعدة لمواجهة الغزو الفكري ^(٩٢٣).
- ٢ - المشاركة في الندوات والمؤتمرات العالمية والإقليمية الخاصة بالمرأة، غالباً ما تكون كلمة المرأة أقوى تأثيراً من كلمة الرجال فيما يخصها.
- ٣ - عقد مؤتمرات أو ندوات للرد على المؤتمرات العالمية الخاصة بالمرأة، والتوصيات الصادرة منها، وتبين خطورتها على المرأة المسلمة، وفضح المعاهدات التي تتم بين الدول حول موضوع المرأة، ورصد جميع الدعاوى لتحرير المرأة وإفسادها في كل بلد إسلامي، والرد على جميع من يدعون إلى تغريب المرأة المسلمة، مع تنويع الأساليب، وجمع الحشود ضد دعاة التغريب ^(٩٢٤).
- ٤ - دراسة القانون الإسلامي للأحوال الشخصية، وقانون العقوبات دراسة واعية، والاهتمام بالقوانين والأفكار والدراسات والرؤى التي يطرحها الآخرون.
- ٥ - السعي لنشر الأنظمة والقرارات التي تمنع تجاوزات النساء، وخروجهن عن حدود ما شرع الله ^(٩٢٥).
- ٦ - توثيق هذه المؤتمرات بعد انعقادها في كتيب وكتابة التوصيات والاقتراحات، لتنقيد منها من لم تتمكن من حضورها أو فاتها شيء منها.

^(٩٢٣) نفس المصدر السابق، ص ١٨١-١٨٢.

^(٩٢٤) انظر: المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٦١-٦٣.

^(٩٢٥) انظر: واقع المرأة الفلسطينية، خاد الشیخ خلیل، ص ٨.

المطلب الرابع: الإعلام الموجه

إننا نعيش في عصر وسائل الإعلام، فتأثيرها في كل بيت، وهي تسهم بدرجة كبيرة في تشكيل كل فرد في جميع المجتمعات الإسلامية والعربية، وكلما ازداد التعقيد الاجتماعي، كلما ازداد اتصال الإنسان بأجهزة الثقافة والإعلام، يستقى منها، ويتأثر ويفتقدي بها.

لذا لا بد من الحرص الشديد في إدارة وتوجيه هذه الأجهزة، لتصبح مع المسجد، والبيت، والمدرسة في خط واحد، ونحو هدف مشترك وإلا ستفسد أجهزة الإعلام ما أصلحه المسجد إذا لم يوجه الفرد لاستخدامها والاستفادة من الطيب منها، وترك الملوث والمشوه فيها.

وهناك ملايين من النساء المسلمات مصدر معلوماتهن الرئيس هو وسائل الإعلام، فيستمعن إلى المذيع أو مشاهدة التلفاز، ويستمعن للأغاني ويشاهدن التمثيليات، وهي غير قادرة على التحليل والنقد والفرز والانتقاء لذا يسهل التأثير عليهن واستهواهن^(٩٢٦).

لهذا كله لا بد من إعادة النظر في وسيلة إعلامية هامة وهي ما زالت سائدة في مجتمعاتنا: الجلسة والمنتدى، والسهرة والملتقى، فمن خلالها يكتسب ملايين المسلمين معلوماتهم وأفكارهم، فيمكن تنظيم الدروس والمناقشات والحوارات والنقاعلات، يتم من خلالها غرس الأفكار الإسلامية الحية، ومقاومة البدع المنتشرة ومعالجة أمراض اجتماعية منتشرة^(٩٢٧).

ومن المقترفات لصد هجوم الغزو الفكري الإعلامي ما يأتي:

١ - ضرورة إعداد كوادر إعلامية تربوية من النساء مدربة تدريباً جيداً على حسن صياغة المضامين التربوية ومحاولة دمجها في الأشكال والمواد الإعلامية التي تبث وتذاع للمجتمعات الإسلامية، مع الإمام بالعلوم الأخرى كالفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس والعلوم الإسلامية.

٢ - العمل على إنشاء إذاعات إسلامية وقنوات تلفزيونية إسلامية، تقوم بعرض الواقع البيئي، وتجذب انتباه الجمهور بتتنوعها الإعلامي، ولا تقصر على النقل من المحطات الأخرى، بل تعرض برامج مستقلة تقوم بإعدادها إعداداً جيداً بما يتناسب مع طبيعة المجتمع.

٣ - إنشاء مكتبة عامة للمرأة مجهزة بمختلف وسائل الثقافة الإسلامية من كتب وأبحاث متخصصة من المرأة المسلمة، وحقوقها، والشبهات التي تثار حولها ومناقشتها،

^(٩٢٦) انظر: وسائل مقاومة الغزو الفكري، ص ١٧١-١٧٢.

^(٩٢٧) نفس المصدر السابق، ص ١٧٢.

ونشرات ومجلات وجرائد، ورسوم ومؤلفات وأفلام تعليمية، وغير ذلك من الوسائل الإعلامية التي تعالج قضايا الأسرة، وجعلها في متناول الأيدي، لتنقيف المرأة وزيادة خبراتها^(٩٢٨).

٤ - العمل على إنشاء صفحات محلية على الانترنت بحيث تكون ذات إبداع عالٍ حتى لا تستطيع أن تناقض ما يتم عرضه في الصفحات الأخرى وكذلك طرح المشكلات والقضايا الخاصة بالمرأة.

٥ - استغلال الوسائل الإعلامية ذات الطابع الإسلامي الخاص من إذاعة وتلفزيون وصحف وفضائيات وانترنت في الدعاة إلى الله، وفضح أهل الفساد وأعمالهم، وطرح قضايا ومشكلات المرأة، ووضع حلول، والرد على الشبهات التي يطرحها أهل الفساد حول المرأة، والرد عليها بدراسات محكمة باستضافة العلماء والمفكرين المسلمين.

٦ - معالجة المشكلات المستمرة في كل عصر، وطرح الحلول المناسبة من خلال تفعيل الزاوية الإسلامية في الصحف والمجلات^(٩٢٩).

^(٩٢٨) انظر: الدور التربوي لوسائل الإعلام وسبل تطويره من وجهة نظر طلبة الجامعات الفلسطينية، إعداد الطالبة منور نجم، إشراف د. محمود أبو دف، سنة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ١٧١

^(٩٢٩) نفس المصدر السابق، ص ١٧١ - ١٧٢، المؤامرة على المرأة المسلمة، ص ٦١ - ٦٣ بتصرف.

الخاتمة

بعد إتمام هذا البحث ب توفيق من الله سبحانه وتعالى، تم التوصل إلى النتائج التالية:

- ١ - بالمقارنة بين وضع المرأة في المجتمعات غير الإسلامية (القديمة والمعاصرة) والمجتمعات الإسلامية، تبين أن الإسلام هو الوحيد الذي أكرم المرأة وعزز مكانتها وأعطها حقوقها كاملة غير منقوصة، وبما يتاسب مع فطرتها الطبيعية .
- ٢ - كثير من العوامل ساعدت على تحقيق أهداف الغزوة، وقد لعب اليهود والصهاينة، والماسون والمنصرون، وكثير من الحركات الهدامة، دوراً كبيراً في خدمة أهداف الغزو الفكري على العالم الإسلامي عامة، والمرأة المسلمة خاصة.
- ٣ - نجح أصحاب الغزو الفكري في الاستيلاء على كثير من العقول والقلوب في جميع دول العالم الإسلامي، مما أدى إلى تخليها عن هويتها الإسلامية ، وتأثرها بالأفكار الغربية، حتى غدت من رواد الغزو الفكري ومن الدعاة المخلصين لتغيير المرأة وتحريرها.
- ٤ - استخدم دعاة الغزو الفكري كثيراً من الأساليب والوسائل للتأثير على المرأة المسلمة، وتشويش فكرها، وتشكيكها في عقيدتها، فعقدوا المؤتمرات العالمية والإقليمية الخاصة بالمرأة، تحت رعاية الأمم المتحدة، وهدفها الرئيسي هو هدم الأسر المسلمة، واستغلوا المنظمات غير الحكومية (العلمانية واليسارية) وخاصة النسائية لتحقيق أهدافهم .
- ٥ - سخر أعداء الإسلام وسائل الإعلام، والتعليم، والمؤلفات والمطبوعات، لخدمة أهدافهم في علمنة أفكار المرأة، وعولمة الحياة الاجتماعية، ونجحوا في استخدام المرأة سلاحاً في معركتهم ضد الإسلام.
- ٦ - أثار دعاة الغزو الفكري كثيراً من الدعاوى والشبهات حول قضايا المرأة المسلمة، ونادوا بتحرير المرأة ، ومساواتها مع الرجل في جميع الحقوق والواجبات ، وطالبوها المرأة بالخروج من بيتهما، لتعلم وتختلط بالرجال، مدعين أن الاختلاط يهذب الأخلاق ، فتأثرت المرأة بذلك فخرجت سافرة كاسية عارية ، مقلدة للمرأة الغربية، ظانة بذلك أنها ستثال حريتها، ولكن ثبت زيف هذه الادعاءات، أن الهدف منها إفساد المرأة، وتدمیر القيم الإسلامية.

- ٧ - خروج المرأة إلى العمل في مجالات لا تتناسب طبيعتها، ومخالطتها للرجال أدى إلى حدوث كثير من المشكلات الاجتماعية، وانتشار كثير من الأمراض الجنسية والنفسية.
- ٨ - سخر الله دعاء الإسلام، من العلماء المسلمين، والباحثين والباحثات، لتفنيده هذه الشبهات والرد عليها بأسلوب علمي، مقنع بالأدلة النقلية والعقلية، وكاشف لأساليب الأداء، وطرقه الخبيثة، لإفساد نساء المسلمين وبينت أن التحرير الحقيقي للمرأة بالتزامها بتعاليم دينها الإسلامي، وأن طهارتها وعفتها في حجابها.
- ٩ - العولمة هي الحالة التي تتم فيها عملية تغيير الأنماط، والنظم الاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية، ومجموعة القيم والعادات السائدة، وإزالة الفوارق الدينية والقومية، والوطنية، في إطار توسيع النظام الرأسمالي الحديث، وفق الرؤية الأمريكية المهيمنة، الزاعمة أنها سيدة الكون، وحامية النظام العالمي الجديد.
- ١٠ - من آثار العولمة على المرأة المسلمة:
- تغريبيها وعزلها عن قضاياها وهمومها الإسلامية، وإدخال الضعف لديها، وتشكيكها في جميع قناعاتها الإسلامية و هويتها الثقافية.
 - إفساد علاقاتها الاجتماعية، وإهمال العلاقات القائمة على التعاطف والتكافل والاهتمام بمصالح حقوق الآخرين ومشاعرهم.
 - انتشار العلاقات الآثمة بينها وبين الرجل، بل بينها وبين المرأة ، مما أدى إلى انحرافها وشذوذها.
- ١١ - وضع الباحثة خطة وضحت فيها بعض الطرق والوسائل المقترنة للتتصدي للهجوم على المرأة المسلمة، ناشدت فيها المؤسسات الإسلامية من مساجد ومدارس وجامعات إسلامية وجمعيات نسائية إسلامية للقيام بتعزييل دورها لصيانة المرأة وحمايتها، من الانجراف في تيار الثقافة الغربية، والوقوف في وجه القرارات والقوانين المخالفة للشريعة الإسلامية، وتقترح الباحثة أيضا استغلال الوسائل الإعلامية ذات الطابع الإسلامي في الدعاة إلى الله وطرح قضايا المرأة ومشكلاتها، ووضع حلول، والرد على الشبهات التي يطرحها أهل الفساد حول المرأة، بالاستعانة بالعلماء المسلمين، وأصحاب الدراسات المحكمة.

التوصيات

وتوصي الباحثة بما يلي:

- ١- توصي الباحثين والباحثات الاستمرار في الكتابة عن المرأة، ومتابعة قضاياها، وحل مشاكلها، والرد على أي شبهة تثار حولها.
- ٢- توصي الجامعة الإسلامية بفتح مركز إسلامي للدراسات النسوية، لنشر وطباعة الأبحاث التي تكتب عن المرأة.
- ٣- توصي الجمعيات الإسلامية الأهلية النسائية، وتخص بالذكر جمعية الشابات المسلمات، وأهل البر والخير، والحربيين على نشر العلم، بالتعاون مع الباحثة على طباعة ونشر هذه الدراسة بعد تحكيمها ، لأنها تهتم بقضايا المرأة.
- ٤- إيجاد لجنة فتوى نسائية، في الجامعة الإسلامية، تضم الفقهاء وحملة العلوم الشرعية المتنوعة تقوم بحل مشاكل المرأة وإصدار الفتاوى الخاصة بالمرأة .
- ٥- توصي طالبات قسم الصحافة والإعلام للكتابة في القضايا التي تثار حول المرأة ، وتحليلها، والرد عليها، وبيان الجانب السلبي والإيجابي فيها، كما وتوصي طالبات قسم الحاسوب بإنشاء موقع في الانترنت خاصه بالمرأة وتوجيهها، نحو الأفضل والمناسب للمرأة من جميع الجوانب، ويعالج المشاكل التي تواجهها المرأة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : الكتب

القرآن الكريم

- ١ الاتجاهات الفكرية المعاصرة، د. علي جريشة، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، ط٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- ٢ اتحاد الجمعيات الخيرية، نشاطات وخدمات الجمعيات الخيرية في محافظة القدس لعام ١٩٨٥م، إشراف يوسف البكري، دار الأبحاث والدراسة.
- ٣ أجنة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، بيروت، ط٧، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
- ٤ أجنة المكر الثلاثة، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، بيروت، ط١ القديمة، ١٩٧٧م.
- ٥ أحجار على رقعة الشطرنج: ولIAM كاري كار، ط١، سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٠م، ط١٠، سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٦ إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى، المكتبة العصرية ، بيروت، لبنان، بدون طبعة ، ٢٠٠٢م.
- ٧ الاختلاط بين الواقع والتشريع، إبراهيم الأزرق، مكتبة صيد الفوائد، محرم - ١٤٢٥هـ.
- ٨ إرواء الغليل في تحریج أحادیث منار السبيل، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- ٩ أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة، د. بشر بن فهد البشر.
- ١٠ أسرار الماسونية، جواد رفعت أتخان، ترجمة نور الدين رضا الواقع وسلامان محمد أمين القابلي، مجلة الأزهر، ١٤٠٥هـ، مؤسسة دار العلوم.
- ١١ الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة، د. محمد البهبي، ط الثالثة.
- ١٢ الإسلام والجنس، فتحي يكن، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- ١٣ الإسلام والمرأة، سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط٣، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م.
- ١٤ الإسلام وقضايا العصر، د. إبراهيم الدبو ومؤلفون آخرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

- ١٥ - الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة: البهـي الخولي، مكتبة دار التراث، القـاهرـة، طـ٤، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م.
- ١٦ - الإسلام يتحدى، وحـيد الدين خـان، دار البحـوث العلمـية، طـ٣، ١٩٧٩ م.
- ١٧ - أضـواء عـلـى الثقـافـة الإـسـلامـية، نـادـية العـمـري، مؤـسـسة الرـسـالـة، بـيـرـوـت، طـ٥، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.
- ١٨ - إعادة النظر في كتابات العـصـرـيـن فـي ضـوء الإـسـلام، أنـور الجنـدي، دار الاعـتصـام، القـاهرـة، بـدون طـبـعة وبدـون تـارـيخ، تم إـيـادـاه بـدار الكـتب سـنة ١٩٨٥ م.
- ١٩ - الأـعـلـام، خـير الدين الزـركـلي، دار الـعلم لـلمـلـاـيـين، بـيـرـوـت، طـ٥، سـنة ١٩٨٠ م.
- ٢٠ - الأـعـمـالـ الـكـاملـةـ، تـحـقـيقـ دـ. محمدـ عـمـارـةـ، المؤـسـسةـ الـعـرـبـيـةـ لـلـدـرـاسـاتـ وـالـنـشـرـ، ١٩٧٦ م.
- ٢١ - أـقاـوـيلـ التـقـاتـ فـي تـأـوـيلـ الأـسـماءـ وـالـصـفـاتـ، مرـعـيـ يـوسـفـ الـكرـميـ المـقدـسيـ، مؤـسـسةـ الرـسـالـةـ، بـيـرـوـتـ، طـ١، ١٤٠٦ هـ، تـحـقـيقـ الـأـرنـوـطـ. ٤٩/١.
- ٢٢ - إلى كل أب غـيـوبـ يـؤـمـنـ بـالـلـهـ، عبدـ اللهـ عـلـوانـ، دـارـ السـلـامـ، طـ١، ١٩٧٥ مـ، طـالـبـ الـسـابـعـةـ، ١٩٨٦ مـ.
- ٢٣ - إلى كل فـتـاةـ تـؤـمـنـ بـالـلـهـ، محمدـ سـعـيدـ رـمـضـانـ الـبـوـطـيـ، مـكـتبـةـ الـفـارـابـيـ، دـمـشـقـ - سورـياـ.
- ٢٤ - الأـمـةـ الإـسـلامـيـةـ وـقـضـائـهاـ المـعـاصـرـةـ: عبدـ الـوهـابـ بـنـ أـحـمـدـ عبدـ الـواـسـعـ، مـكـتبـةـ الـعـيـكـانـ، الـرـيـاضـ، السـعـودـيـةـ، الطـبـعةـ الـأـمـ، بـدونـ تـارـيخـ وـدارـ نـشـرـ.
- ٢٥ - أـهـدـافـ الـأـسـرـةـ فـيـ الإـسـلامـ وـالـتـيـارـاتـ الـمـضـادـةـ: حـسـنـ مـحـمـدـ يـوسـفـ، بـنـاءـ الـأـسـرـةـ الـمـسـلـمـةـ ، سـلـسلـةـ (١)ـ ، دـارـ الـاعـتصـامـ - القـاهرـةـ، ١٩٧٧ مـ.
- ٢٦ - أـقـفـواـ هـذـاـ السـرـطـانـ، حـقـيـقـةـ الـمـاسـونـيـةـ وـأـهـدـافـهاـ ، دـ. سـيفـ الدـينـ الـبـسـتـانـيـ، بـدونـ طـبـعةـ، ١٩٩٩ مـ.
- ٢٧ - بـحـثـ مـخـتـصـرـ عـنـ كـتـابـ الـمـاسـونـيـةـ أـقـدـمـ الـجـمـعـيـاتـ السـرـيـةـ وـأـخـطـرـهاـ، بـدونـ مـؤـلـفـ، بـدونـ طـبـعةـ وـتـارـيخـ نـشـرـ.
- ٢٨ - بـروـتـوكـولاتـ حـكـماءـ صـهـيـونـ، دـ. إـبرـاهـيمـ عـبـدـ اللهـ، دـارـ الـبـشـيرـ، طـنـطاـ، طـ١، ١٩٩٩ مـ.
- ٢٩ - التـبـرـجـ، نـعـمـتـ صـدـقـيـ، دـارـ الـاعـتصـامـ، ١٩٧٥ مـ.
- ٣٠ - التـبـشـيرـ وـالـاستـعـمـارـ، دـ. مـصـطـفـيـ الـخـالـدـيـ، دـ. عـمـرـ فـرـوخـ، شـرـكـةـ عـلـاءـ الدـينـ، بـيـرـوـتـ، طـ٤، ١٣٩٠ هـ، ١٩٧٠ مـ.

- ٣١ - التحدي الصهيون للدعوة الإسلامية في العصر الحديث، يحيى علي الدجني،
رسالة ماجستير، السودان، ط١، ١٩٩٥ م.
- ٣٢ - تحرير المرأة في عصر الرسالة: عبد الحليم أبو شقة، دار القلم ، الكويت
والقاهرة، ط٤، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- ٣٣ - تحرير الخلوة بالمرأة الأجنبية والاختلاط المستهتر، محمد بن لطفي الصباغ، مكتبة
العلم، دار الاعتصام، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- ٣٤ - تعدد الزوجات في الإسلام، بقلم محمد بن مسفر بن حسين الطويل، جمعية أنصار
السنة، محمدية أم القرى، ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ٣٥ - التعريفات، الجرجاني، ت١٦٨١ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١،
٢٠٠٠ م.
- ٣٦ - تفسير ابن كثير، دار الفكر.
- ٣٧ - التتصير مفهومه وأهدافه سبل مواجهته، علي إبراهيم النملة، الرياض، ١٩٩٣ -
١٤١٣ هـ.
- ٣٨ - الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان،
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٣٩ - جاهلية القرن العشرين، محمد قطب، بدون طبعة، بدون دار نشر.
- ٤٠ - حاضر العالم الإسلامي والغزو الفكري، د. صالح حسين الرقب، مطبعة
الرنينيسي، غزة - فلسطين - ط١، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨ م.
- ٤١ - حجاب المسلمة بين انتقال المبطلين وتأويل الجاهلين، د. محمد فؤاد البرازى،
مكتبة أصوات السلف، الرياض، ط٣، ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠ م.
- ٤٢ - الحجاب، أبو الأعلى المودودي، دار التراث للطباعة والنشر، بدون طبعة وتاريخ
نشر.
- ٤٣ - الحداثة في منظور إيماني، د. عدنان علي رضا النحوبي، دار النحوبي - الرياض،
ط٤، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- ٤٤ - الحركات النسائية في الشرق الأوسط وصلتها بالاستعمار والصهيونية، محمد
فهمي عبد الوهاب، دار الاعتصام، دار العلوم العربية للطباعة، القاهرة، سنة
الإيداع بدار الكتب، ١٩٧٩ م.
- ٤٥ - حركات ومذاهب في ميزان الإسلام، فتحي يكن، ط١، ١٤٣٩ هـ - ١٩٧٠ م،
ط٢، ١٤٣٩ هـ - ١٩٧٧ م.

- الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية: توفيق الوعاعي، دار الوفاء ،
المنصورة، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م. - ٤٦
- حقوق المرأة المسلمة في المجتمع الإسلامي، مصطفى بغدادي، المنظمة
الإسلامية، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م. - ٤٧
- الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة،
القاهرة، ط٣، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م. - ٤٨
- حياة الصحابة: محمد يوسف الكاند هلوى، دار القلم، دمشق، دار المنارة- جدة،
ط٤، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م. - ٤٩
- خطر التبرج والاختلاط عبد الباقى مضمون، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١،
١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م. - ٥٠
- خطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، محمد خليفة التونسي، دار الكتاب
العربي، بيروت -لبنان، ط٢، ١٩٦١م. - ٥١
- الخجر المسموم الذي طعن به المسلمين، أنور الجندي، دار الاعتصام، بدون
طبعة وتاريخ نشر. - ٥٢
- الداعية زينب الغزالى، إعداد ابن الهاشمى، تصدر محمد الغزالى، دار الاعتصام،
القاهرة، ١٤٠٩هـ. - ٥٣
- دراسات في الثقافة الإسلامية، صالح ذياب هندي، دار الفكر، عمان، ط٥، ٢٠٠٤هـ - ١٩٨٤م. - ٥٤
- دستور الأسرة في ظلال القرآن: أحمد فائز، مؤسسة الرسالة، بدون طبعة
وتاريخ. - ٥٥
- دمروا الإسلام أبيدوا أهله، جلال العالم، المختار الإسلامي، القاهرة، ط٣،
١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م. - ٥٦
- الدور التربوي لوسائل الإعلام وسبل تطويره من وجهة نظر طلبة الجامعات
الفلسطينية، إعداد الطالبة:منور نجم، إشراف: د. محمود أبو دف، ١٤٢٦هـ -
٢٠٠٥م. - ٥٧
- ديوان الرصافي، دار مكتبة الحياة، محمود حلمي، بيروت، ط٦، ١٨٧٥هـ،
١٩٤٥م. - ٥٨
- الراقصون على جراحنا، يمان السباعي، شركة أبناء شريف الأنباري للطباعة
والنشر والتوزيع، ١٩٩٩م. - ٥٩

- رسالة إلى الأسرة المسلمة، د. نظمي خليل أبو العطا، مكتبة النور - مصر، ٦٠
١٩٨٨ م.
- رسالة إلى حواء، محمد رشيد العويد، الرسالة الثالثة، دار الوطن للنشر، ط٢، ٦١
١٤١٣ هـ.
- سنن أبي داود، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٩٩٩ م. ٦٢
- سنن الترمذى ، طبعة كاملة لونان، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. ٦٣
- سنن الترمذى، دار الفكر، بيروت - لبنان، سنة ٢٠٠١ م، دار الجيل. ٦٤
- سنن الدارمي، دار إحياء السنة النبوية. ٦٥
- شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، أنور الجندي، المكتب الإسلامي، ٦٦
دمشق، بدون طبعة، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- شبهات حول الإسلام، محمد قطب، دار الشروق، ط١١، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م. ٦٧
- شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها، محمد متولي الشعراوى، مكتبة ٦٨
التراث ، بدون طبعة وتاريخ نشر.
- الصحافة والأقلام المسمومة، أنور الجندي، دار الاعتصام، ط١، ١٤٠٠ هـ، ٦٩
١٩٨٠ م.
- صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م. ٧٠
- صحيح الجامع وزياته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت - ٧١
لبنان، ١٩٨٨.
- صحيح سنن ابن ماجة، مكتبة المعرف، الرياض، دار الجيل. ٧٢
- صحيح سنن أبي داود، مكتبة المعرف، الرياض، ط٢، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م. ٧٣
- صحيح سنن الترمذى، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط١، ٧٤
١٩٨٨ م.
- صحيح مسلم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ودار الفكر، ١٩٨٣ م. ٧٥
- الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، أبو الحسن الندوى، دار الأنصار، ٧٦
القاهرة، ط٣، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
- ضرورة الفصل بين الجنسين، حسن زكرياء فليفل، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط١، ٧٧
١٤٠٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار صادر بيروت - لبنان، بدون طبعة وتاريخ نشر. ٧٨
- عداء اليهود للحركة الإسلامية، زياد أبو غنيمة، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ٧٩
عمان، ط٣، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

- العلمانية وثمارها الخبيثة، محمد شاكر الشريفي، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١١هـ. -٨٠
- عمل المرأة في الميزان، د. عبد الله البر، مكتبة صيد الفوائد. -٨١
- عمل المرأة واحتلاطها ودورها في بناء المجتمع، أ. د. نور الدين عتر، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ٢٠٠١م. -٨٢
- عودة الحجاب، محمد أحمد إسماعيل المقدم، دار طيبة للنشر - السعودية - الرياض - ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م. -٨٣
- العولمة: نشأتها وأهدافها ووسائلها، د. صالح الرقب، مكتبة الأمل التجارية، غزة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م. -٨٤
- الغارة على العالم الإسلامي، أ. ل شاتليه، ترجمة محب الدين الخطيب، ط٣، ١٩٨٠م. -٨٥
- الغزو الفكري في التصور الإسلامي: د. أحمد عبد الرحيم الساigh، هدية مجلة الأزهر المجانية، بدون طبعة ، ١٤١٤هـ. -٨٦
- غزو في الصميم، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م. -٨٧
- فتاوی للمرأة المسلمة، د. يوسف القرضاوي، طبعة الفرقان الأولى، سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م. -٨٨
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار أبي حيان، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م. -٨٩
- فتیاتنا بین التغیریب والغفاف، د. ناصر العمر، الناشر: موقع المسلم، دار الوطن للنشر، الرياض - ط٣. -٩٠
- الفرق بین الفرق، البغدادي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون طبعة وتاريخ نشر. -٩١
- الفکر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البھي، دار الفکر، بيروت، ط٦، ١٩٧٣م. -٩٢
- الفکر الإسلامي وسموم التغیریب والتبعية، أنور الجندي، دار الفضیلۃ، القاهرة، بدون طبعة، تاريخ الإيداع ١٩٩٩م. -٩٣
- قاسم أمین، د.ماهر حسن فهمي، مؤسسة مصرية، بدون طبعة وتاريخ نشر. -٩٤
- قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، رسالة دكتوراه، د. فؤاد بن عبد الكريم بن عبد العزيز العبد الكريم، الناشر: موقع الدرر السنیة. -٩٥

- ٩٦ - القومية في ميزان الإسلام، عبد الله علوان، دار السلام، ط١، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- ٩٧ - الكتاب المقدس.
- ٩٨ - كشف الخفاء ومزيل الإلbas عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني الجراحي العجلوني، تحقيق: أحمد القلاش، دار إحياء التراث العربية، بيروت، لبنان، بدون طبعة وتاريخ نشر.
- ٩٩ - لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، بيروت-لبنان، دار صادر للطباعة والنشر.
- ١٠٠ - لماذا الهجوم على تعدد الزوجات، أحمد بن عبد العزيز الحصين، دار الضياء، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- ١٠١ - لمن القوامة في البيت، بقلم عاصم بن محمد الشريف، دار الصفوـة - القاهرة، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
- ١٠٢ - المؤامرة على المرأة المسلمة، طالب علم، الناشر ، مكتبة موقع صيد الخاطر.
- ١٠٣ - مؤتمرات بين الجهالة والعدالة، محمد علاء الدين أبو العزائم، بدون دار نشر، بدون طبعة وتاريخ نشر.
- ١٠٤ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبي الحسن الندوـي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٧، ١٤٨٧ هـ، ١٩٦٧ م.
- ١٠٥ - ماذا عن المرأة نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ م.
- ١٠٦ - المتبـرات ، فاطمة بنت عبد الله، مكتبة السنـس، القاهرة، مصر، ١٩٨٩ م.
- ١٠٧ - مجلة الأزهر، بعنوان اتفاقية القضاء على أشكال التمييز ضد المرأة من المنظور الإسلامي، جاد الحق على جاد الحق، مطبع الأوفـست، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٥ م.
- ١٠٨ - المخطـطـات التلمـودـية الصـهـيونـية اليـهـودـية في غزوـ الفـكـرـ الإـسـلامـيـ، أنـورـ الجنـديـ، دارـ الـاعـتصـامـ - القـاهـرةـ، مصرـ، ١٩٧٧ـ مـ.
- ١٠٩ - مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ١٩٨٣ م.
- ١١٠ - المرأة المسلمة بين موضـاتـ التـغـيـيرـ وـموـجـاتـ التـغـيـيرـ، دـ.ـ فـؤـادـ بنـ عـبدـ الـكـرـيمـ آلـ عبدـ الـكـرـيمـ، مجلـةـ الـبـيـانـ، الـرـيـاضـ، طـ١ـ، ١٤٢٥ـ هـ - ٢٠٠٤ـ مـ.
- ١١١ - المرأة المسلمة، أبو بكر الجزائري، دار الكتب السلفية، القاهرة ط٢، ١٤٠٦ هـ.
- ١١٢ - المرأة المسلمة، وهبي سليمان غاويـيـ الـأـلـبـانـيـ، دـارـ الـقـلمـ، دـمـشـقـ - بـيـرـوـتـ - طـ١ـ، ١٣٩٥ـ هـ، ١٩٧٥ـ مـ.

- المرأة بين التبرج والتحجب، محمد أحمد السباعي، السنة الثانية عشرة، الكتاب التاسع، ١٤٠٢هـ، ١٩٨١م. - ١١٣
- المرأة بين الجاهلية والإسلام، سعد صادق محمد، إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامية، مكة المكرمة، العدد ٧٥، جمادى الثانية، ١٤٠٨هـ، يناير ١٩٨٨م. - ١١٤
- المرأة بين الفقه والقانون: د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق، ط٥، ١٩٦٢م. - ١١٥
- المرأة بين نظرتين، صالح محمد جمال، رابطة العالم الإسلامي كله، العدد ٨٩، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م. - ١١٦
- المرأة في الإسلام: د. محمد معروف الدوالبي، دار النفائس، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م. - ١١٧
- المرأة في الإسلام، د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط٢، ١٩٧٠م. - ١١٨
- المرأة في التاريخ والشريعة، د. أسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت - لبنان - ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م. - ١١٩
- المرأة في وجه التحديات، أنور الجندي، بدون طبعة، دار الاعتصام، دار العلوم للطباعة، القاهرة، سنة الإيداع، ١٩٧٩م. - ١٢٠
- المرأة والمتغيرات المعاصرة، مكتبة صيد الفوائد. - ١٢١
- المرأة وحقوقها في منظور الإخوان المسلمين، السيد يوسف، ط١، ١٩٩٨م. - ١٢٢
- المرأة وكيد الأعداء، د. عبد الله بن وكيل الشيخ، دار الوطن للنشر، بدون طبعة وتاريخ نشر. - ١٢٣
- مركز المرأة في الحياة الإسلامية، د. يوسف القرضاوي، دار الفرقان، عمان - الأردن، سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م. - ١٢٤
- المستدرك على الصحيحين، للإمام الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م. - ١٢٥
- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان . ١٤٢/٢ - ١٢٦
- معجم لغة الفقهاء عربي - إنجليزي، وضع د. محمد رواس قلعة جي، وحامد صادق قنبي، دار النفائس - بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م. - ١٢٧

- ١٢٨ - المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، السخاوي،
دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ه١٤٢٢ - ه٢٠٠٢.
- ١٢٩ - مكانة المرأة: عمرو خالد، مؤسسة أربج.
- ١٣٠ - مكانك تحدي: أحمد محمد جمال، مطبعة أطلس، القاهرة، ط١، ١٩٧٦ م.
- ١٣١ - الملل والنحل، الشهريستاني، دار المعرفة، لبنان، بدون طبعة وتاريخ نشر.
- ١٣٢ - من أجل تحرير حقيقي للمرأة، محمد رشيد العويد، دار ابن حزم، ه١٤١٣ - ١٩٩٣ م.
- ١٣٣ - مناهجنا بين التطوير والتغريب، إعداد القسم التربوي بموقع المسلم، مشرف الموقع د. ناصر العمر.
- ١٣٤ - المنجد في الأعلام، دار المشرق - بيروت، ط١٦، ١٩٨٨ م.
- ١٣٥ - المنجد في اللغة، إصدار دار المشرق، بيروت، ط٢٠، ١٩٨٨ م.
- ١٣٦ - الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط٢، ه١٤١٩ - ١٩٩٩ م.
- ١٣٧ - موسوعة المرأة المسلمة، إعداد عوض محمد أحمد، دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠١ م.
- ١٣٨ - موسوعة المرأة المسلمة، الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغني محمد، مكتبة الدار العربية للكتاب.
- ١٣٩ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، إعداد د. مانع بن حماد الجهي، دار الندوة العالمية، ط٤، ه١٤٢٠.
- ١٤٠ - نظام الأسرة، د. محمد عقلة، ط١، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ١٩٨٣ م.
- ١٤١ - واقعنا المعاصر، محمد قطب، مؤسسة المدينة، جدة، ط١، ه١٤٠٧، ١٩٨٦ م.
- ١٤٢ - وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي، د. حسان محمد حسان، مكة المكرمة، الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي، بدون طبعة، ١٩٨١ م.
- ١٤٣ - اليهودية: د. أحمد شلبي مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٨٦ م، ط١، ١٩٦٠ م.

ثانياً : المجلات :

- ١ - الإسراء، دار الفتوى (القدس)، العدد ٣٨، ٢٠٠١/٢/١، العدد ٥١، ٢٠٠٣/٢/١ م.
- ٢ - مجلة عالم الفكر، المرأة، المجلد السابع، العدد الأول، تصدر عن وزارة الإعلام في الكويت، مايو - يونيو ، ١٩٧٦ م.

- ٣ - نشرة ليوم دراسي بعنوان المرأة الفلسطينية إلى أين، إصدار حزب الخلاص الوطني الإسلامي، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٤ - نشرة جمعية الشابات المسلمات التعريفية، غزة - ٢٠٠٥ م.

ثالثاً: الواقع الإلكتروني

www.saidk.com	صيد الخاطر
www.saaid.net	صيد الفوائد
www.islam-online.net	إسلام أون لاين
www.uaezyed.com	
www.pnic.gov.ps/arabic.map	مركز المعلومات الوطني
	طاقم شئون المرأة
www.palwac.org	شئون المرأة
www.wacgaza.org	الدليل
www.aldalil.com	الدرر السنية
www.dorar.com	الصندوق
www.unfpa.org	المسلم
www.almoslim.com	الخليج
www.alkhaleej.ae	يسألونك
www.yasaloonaak.net	الرسول
www.alresool.net	أمان
www.inna.me.uk/dreasat	الجود
www.ammanjordan.orj	النacd
www.aljooood.com	إسلام ويب
www.egypty.com	
www.annaqed.com	
www.islamweb.com	

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	الأية
	الإهداء
أ	شكر وتقدير
ب	مقدمة
	فصل تمهيدي : مكانة المرأة
١	مقدمة
٢	المبحث الأول : مكانة المرأة عند غير المسلمين
٢	المطلب الأول: مكانة المرأة في المجتمعات القديمة
٢	أولاً : المرأة عند اليونان
٥	ثانياً : المرأة عند الرومان
٨	ثالثاً : المرأة عند الفرس
٩	رابعاً : المرأة عند الهنود
١١	خامساً : المرأة عند الصينيين
١٢	سادساً : المرأة عند البابليين.
١٢	سابعاً : المرأة عند قدماء المصريين.
١٥	ثامناً : المرأة عند السومريين في بلاد ما وراء النهرین
١٥	المطلب الثاني: المرأة عند اليهود والنصارى
١٥	أولاً : المرأة عند اليهود
١٨	ثانياً : المرأة عند النصارى
٢٠	المطلب الثالث : مكانة المرأة عند العرب قبل الإسلام
٢١	أولاً : وأد البنات
٢٣	ثانياً : النكاح في الجاهلية
٢٦	ثالثاً: الحرمان من المهر
٢٦	رابعاً : تعدد الزوجات بلا حدود
٢٦	خامساً : الطلاق بلا حدود
٢٦	سادساً : الحداد على الزوج
٢٧	سابعاً: الحرمان من الميراث

الصفحة	الموضوع
٢٧	ثامناً : أكل أموال اليتامي ذكوراً وإناثاً
٢٧	المطلب الرابع : مكانة المرأة في الحياة الغربية المعاصرة
٣٢	المبحث الثاني : مكانة المرأة في الإسلام
٣٢	المطلب الأول : مكانة المرأة في القرآن والسنة
٣٣	أولاً : إنسانية المرأة
٣٣	ثانياً : مسؤولية المرأة
٣٤	ثالثاً : تبرئة المرأة من بعض التهم الملصقة بها
٣٤	رابعاً : أهلية المرأة
٣٥	خامساً : تحرير المرأة من مظالم الجاهلية
٣٦	سادساً : إكرام المرأة بنتاً وزوجاً وأماً
٣٧	سابعاً : تعليم المرأة
٣٨	ثامناً : توريث المرأة
٣٨	تاسعاً : تنظيم حقوق الزوجين
٣٩	عاشرأ : تقبيط الطلاق
٣٩	حادي عشر: تحديد التعدد للزوجات
٤٠	ثاني عشر: حق العمل
٤٠	المطلب الثاني : مكانة المرأة عند الخلفاء الراشدين والتابعين
٤١	الأئمة والموافقات
٤٣	المطلب الثالث : مكانة المرأة في الحياة الإسلامية المعاصرة.
٤٩	الفصل الأول : الغزو الفكري على العالم الإسلامي
٥٠	المبحث الأول : مفهوم الغزو الفكري ونشأته
٥٠	المطلب الأول : مفهوم الغزو الفكري
٥٣	المطلب الثاني : نشأة الغزو الفكري
٥٣	أولاً : الغزو الفكري والقرآن الكريم
٥٤	ثانياً : تاريخ الغزو الفكري
٥٥	أسباب الغزو الفكري
٦٢	المبحث الثاني : علاقة الغزو الفكري بالحركات الهدامة
٦٢	المطلب الأول : علاقة الغزو الفكري بالصهيونية

الصفحة	الموضوع
٧١	أعمال اليهود الفكرية في غزو العالم الإسلامي
٧١	أولاً : تشويه صورة الإسلام والتقليل من شأنه
٧٣	ثانياً : هدم الوحدة الإسلامية
٧٤	ثالثاً : نشر الفساد الخلقي
٧٥	رابعاً : غزو الثقافة الإسلامية، وطمس معالم التاريخ الإسلامي
٧٦	المطلب الثاني: علاقة الماسونية بالغزو الفكري
٧٦	نشأة الماسونية
٧٧	الأدلة التي تؤكد علاقة الماسونية باليهودية العالمية نشأة وأهدافاً
٧٨	دور الماسونية في الغزو الفكري
٧٨	أولاً : أهداف الماسونية
٧٨	ثانياً: وسائل الماسونية
٧٩	ثالثاً: محاربة الماسونية للدين
٨٠	رابعاً : موقف الماسونية من الأسرة والمرأة
٨٢	المطلب الثالث : علاقة التبشير بالغزو الفكري
٨٣	أولاً : التعريف بالتبشير
٨٤	ثانياً: أهداف التبشير
٨٥	ثالثاً: وسائل التبشير
٨٨	أهم الأعمال التبشيرية للمرأة
٨٩	سبل مواجهة التنصير
٩٣	المبحث الثالث : أهداف الغزو الفكري ومخاطرها
٩٣	المطلب الأول : أهداف الغزو الفكري
٩٣	أولاً : ضرب الإسلام من الداخل
٩٤	ثانياً : منع الإسلام من الانتشار خارج ديار المسلمين
٩٤	ثالثاً: التشكيك في تاريخ وحضارة الأمة الإسلامية
٩٥	رابعاً : التشكيك في حاضر الأمة
٩٥	خامساً: التشكيك في مستقبل الأمة
٩٥	سادساً: تذويب شخصية الأمة
٩٦	المطلب الثاني: أخطار الغزو الفكري

الصفحة	الموضوع
٩٧	المبحث الرابع: وسائل الغزو الفكري
٩٧	المطلب الأول: التبشير
٩٨	المطلب الثاني: الاستشراق
٩٨	د الواقع الاستشراق
١٠٠	وسائل الاستشراق
١٠٢	المطلب الثالث: التغريب
١٠٥	المطلب الرابع: إحياء الدعوات الهدامة
١٠٦	أولاً : أحياء النزعات القومية
١٠٧	ثانياً: كتابة العربية بالحرف اللاتيني
١٠٨	ثالثاً: إحلال العامية محل الفصحي
١٠٩	رابعاً: الدعوة إلى تحرير المرأة وتبرجها
١١١	خامساً: الادعاء بأن الحضارة الإسلامية أصلها يوناني
١١٢	سادساً: تأسيس أو دعم الأفكار والنظريات والحركات المعادية للإسلام
١١٤	المبحث الخامس: رواد الغزو الفكري
١١٤	المطلب الأول : رواد الغزو الفكري في مصر
١١٤	أولاً: رفاعة الطهطاوي
١١٧	ثانياً: الأميرة نازلي فاضل
١١٨	ثالثاً: مرقص فهمي
١١٨	رابعاً: قاسم بن محمد بن أمين
١٢٣	خامساً: روّاد آخرون
١٢٤	المطلب الثاني: روّاد الغزو الفكري في البلاد الإسلامية والعربية الأخرى
١٢٥	أولاً: معروف الرصافي
١٢٦	ثانياً: جميل صدقي الزهاوي
١٢٩	ثالثاً: نزار قباني
١٣٠	رابعاً: ماري إلياس زيادة
١٣٠	خامساً: جورجي زيدان
١٣٣	الفصل الثاني : أساليب الغزو الفكري للمرأة المسلمة
١٣٤	المبحث الأول : نظرة الغرب إلى المرأة المسلمة

الصفحة	الموضوع
١٣٤	المطلب الأول: نظرة المنصفين من الغرب إلى المرأة المسلمة
١٣٥	المطلب الثاني: نظرة الحاقدين من الغرب إلى المرأة المسلمة
١٤١	المبحث الثاني: الجمعيات والاتحادات النسائية
١٤١	المطلب الأول: نشأة الاتحادات النسائية العربية
١٤٣	المطلب الثاني: الجمعيات والاتحادات النسائية الفلسطينية
١٤٤	قائمة بأسماء بعض الجمعيات والاتحادات النسائية في الضفة الغربية والقطاع
١٤٥	أنشطة الجمعيات النسائية العلمانية واليسارية
١٤٨	المبحث الثالث: المؤتمرات الدولية والإقليمية والندوات
١٤٨	المطلب الأول: المؤسسات والهيئات العالمية المعنية بالمرأة
١٥٠	المطلب الثاني: نشاطات الأمم المتحدة فيما يتعلق بقضايا المرأة
١٥١	المطلب الثالث : المؤتمرات الخاصة بالمرأة
١٥٦	المطلب الرابع: الآثار السلبية والأخطار الناتجة عن المؤتمرات العالمية والإقليمية
١٥٦	أولاً: أهم السلبيات التي دعت إليها المؤتمرات العالمية والإقليمية
١٥٨	ثانياً: أهم جوانب الخطورة في هذه المؤتمرات
١٥٩	المبحث الرابع: وسائل الإعلام
١٥٩	المطلب الأول : الصحف والمجلات
١٦٣	المطلب الثاني : الإعلام المرئي والمسموع (التلفزيون والإذاعة)
١٦٥	المطلب الثالث: السينما والفيديو
١٦٦	المطلب الرابع: القنوات الفضائية
١٦٦	المطلب الخامس: شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)
١٦٧	المطلب السادس: الدعاية
١٦٩	المبحث الخامس: التعليم والمطبوعات
١٦٩	المطلب الأول : التعليم
١٦٩	أولاً: فتح المدارس والجامعات الأجنبية
١٧٣	ثانياً: وضع المناهج
١٧٨	المطلب الثاني: الكتب والمطبوعات
١٨١	المبحث السادس: إثارة الشبهات حول قضايا المرأة

الصفحة	الموضوع
١٨٣	الفصل الثالث: تفنيد الدعاوى والشبهات المثارة حول قضايا المرأة
١٨٤	مقدمة
١٨٥	المبحث الأول: الحجاب والاختلاط والخلوة
١٨٥	المطلب الأول : الحجاب
٢٠٠	المطلب الثاني: الاختلاط والخلوة
٢٠٧	المبحث الثاني: الميراث والدية والشهادة
٢٠٧	المطلب الأول : الميراث
٢١١	المطلب الثاني: الدية
٢١٢	المطلب الثالث: الشهادة
٢١٥	المبحث الثالث: المساواة
٢١٨	المبحث الرابع: القوامة والطلاق والخلع
٢١٨	المطلب الأول : القوامة
٢٢٥	المطلب الثاني: الطلاق والخلع
٢٣٣	المبحث الخامس: تعدد الزوجات والزواج المبكر
٢٣٣	المطلب الأول: تعدد الزوجات
٢٤٣	المطلب الثاني: الزواج المبكر
٢٤٨	المبحث السادس: خروج المرأة من البيت وعملها وسفرها بدون قيد
٢٤٨	المطلب الأول: خروج المرأة من البيت
٢٥١	المطلب الثاني: عمل المرأة
٢٥٨	المطلب الثالث: سفر المرأة بدون قيد
٢٦١	الفصل الرابع: آثار الغزو الفكري ونتائجها على الحياة الاجتماعية وطرق مواجهتها
٢٦١	مقدمة
٢٦٢	المبحث الأول: آثار الغزو الفكري ونتائجها على الحياة الاجتماعية
٢٦٢	المطلب الأول: إبعاد المرأة عن رسالتها الفطرية
٢٦٤	المطلب الثاني: هدم الأسرة
٢٦٦	المطلب الثالث: السفور والتبرج
٢٦٧	العوامل التي أدت إلى السفور والتبرج
٢٦٧	أولاً: الدعوة إلى السفور والتبرج

الصفحة	الموضوع
٢٦٩	ثانياً: وسائل الدعاية والنشر من كتب ومجلات وجرائد وإذاعة وتلفاز
٢٦٩	ثالثاً: الشركات والمجلات التجارية
٢٦٩	رابعاً: الاختلاط المطلق بين الرجال والنساء
٢٧٠	المطلب الرابع: تدمير القيم الأخلاقية
٢٧٣	المطلب الخامس: كثرة المشكلات والأمراض الاجتماعية والجنسية
٢٧٣	أولاً: المشكلات
٢٧٦	ثانياً: الأمراض الاجتماعية والجنسية
٢٧٩	المطلب السادس: علمنة أفكار المرأة
٢٨١	أولاً: نوال السعدي
٢٨٣	ثانياً: وفاء سلطان
٢٨٥	المطلب السابع: عولمة الحياة الاجتماعية
٢٩١	المبحث الثاني: طرق ووسائل مواجهة الغزو الفكري على المرأة المسلمة
٢٩١	المطلب الأول: دور التربية والمنزل
٢٩٢	المطلب الثاني: دور المؤسسات والجمعيات النسائية الإسلامية
٢٩٦	المطلب الثالث: المؤتمرات والندوات
٢٩٨	المطلب الرابع: الإعلام الموجه
٣٠٠	الخاتمة والتوصيات
٣٠٣	فهرس المصادر والمراجع والموقع الإلكترونية
٣١٣	فهرس الموضوعات